



المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
كلية أصول الدين بالرياض
قسم القرآن وعلومه

الصحبة في القرآن الكريم

دراسة موضوعية

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في القرآن وعلومه

إعداد

رقية بنت محمد بن سالم باقيس

إشراف

أ.د. زاهر بن عواض الألمي

عضو مجلس هيئة حقوق الإنسان

العام الجامعي : ١٤٢٩ - ١٤٣٠ هـ

المقدمة

المقدمة

الحمد لله تعالى حمداً يليق بجلال وجهه، وعظيم سلطانه، والشكر له سبحانه على حزيل نعمه وآلائه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة خالصة نلقاه بها يوم حسابه وجزائه، وأصلي وأسلم على صفوة خلقه، وخاتم رسله وأنبيائه، نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وتابعيهم بإحسان إلى يوم لقائه، أما بعد:

فتعد الصحبة أحد العوامل المؤثرة في حياة الإنسان؛ إذ الطبع يسرق من الطبع الخير والشر جميعاً، ولما لها من أهمية فائقة فقد نالت حيزاً كبيراً من آيات الذكر الحكيم، وتنوعت آياتها تنوعاً يجعل الناظر والمتأمل يذهب بفكره في عظيم خطر الصحبة وأهميتها كل مذهب.

ولقد تنوعت الألفاظ القرآنية في ذلك، وتعددت دلالاتها، فصار كل لفظ منها يحمل المعنى ويزيد عليه معاني أخرى ثرةً لتنظم جميعها في نسق بديع، وعقد نضيد، وبيان شافٍ. ولما كان لا بد للإنسان في حياته من صاحب تألف به روحه جاء القرآن الكريم بهديه القويم ليقوي تلك الرابطة، ويرقى بها في معارج الكمال، لتبقى يوم القيامة ذخراً وفوزاً لأصحابها وهم على منابر من نور يغطهم عليها الصديقون والشهداء.

ومن خالف الهدى وحاد عن الصواب انقلبت صحبته عداوة تتقطع معها الوشائج لتكون سبباً للعذاب، قال تعالى: ﴿الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [سورة الزخرف ٤٣/٦٧].

ولقد ذكر القرآن الكريم أنواعاً من العلاقات بين الناس، وتحدث عن صور مختلفة حث على بعضها، وحذر من بعضها، ووضع لذلك آداباً، وواجبات، وحقوقاً، وذكر الآثار الإيجابية والسلبية، والنتائج الأخروية، وبذلك بنى قاعدة راسخة ومنهجاً واضحاً في نظام الصحبة، مما يغري على تفهمه ودراسته والعمل بأدابه؛ فذلك ما دعاني إلى دراسة هذا الموضوع، وإبراز هذا الهدي الحكيم، والكشف عن معانيه وموضوعاته في رسالة علمية مستقلة بعنوان:

(الصحبة في القرآن الكريم)

دراسة موضوعية

وألخص أهمية الموضوع وأسباب اختياره بما يأتي:

١. الحاجة إلى إبراز منهج القرآن الكريم في قضايا الصحة.
٢. أثر الصحة في اكتساب الأخلاق سلبيًا أو إيجابًا.
٣. أهمية الصحة في حياة الإنسان؛ وذلك لكونها مطلبًا نفسيًا واجتماعيًا وسلوكيًا وأمنيًا.
٤. مع ما لهذا الموضوع من أهمية بالغة لم أجد من بحثه من جميع جوانبه أو جلّها وإنما هو مبثّر ومشتت في بطون الكتب، وجوانب من الدراسات الإسلامية الحديثة، ولم يخصه أحد - فيما أعلم - بدراسة شاملة مستقصية ومتعمقة في دراسة قرآنية متخصصة.

أهداف البحث:

١. بيان مفهوم الصحة ودلالاتها وسياقاتها.
٢. الفروق الدقيقة بينها وبين ما جاء في معناها في القرآن الكريم.
٣. بسط جوانبها التطبيقية.
٤. توضيح ما فيها من آداب، ومالها من حقوق.
٥. إبراز هدي القرآن الكريم ودلالاته في قضايا الصحة وأنواعها.
٦. التعرف على آثار الصحة على الفرد والمجتمع.

الدراسات السابقة:

بعد البحث عن هذا الموضوع في مظانه، ومراجعة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية والمراكز العلمية المتخصصة تبين أن هناك رسالتين في هذا الموضوع:

الأولى: رسالة ماجستير في التربية الإسلامية، بعنوان: "الصحة وأثرها في عملية التنشئة الاجتماعية" لعبد العزيز بن عبد الرحمن الغامدي، في كلية التربية بجامعة أم القرى - المملكة العربية السعودية - تاريخ المناقشة ١٤١٤ هـ .

والثانية: رسالة ماجستير في الشريعة والدراسات الإسلامية، بعنوان: "الصحة والتعليم الشرعي خلال القرون الثلاثة الأولى، وأثرها في بناء طالب العلم" لنادر بن صدقي محمد الرفاعي، في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة اليرموك - الأردن - تاريخ المناقشة ١٤١٨ هـ.

فأما الرسالة الأولى: فقد تناولت الصحبة من الجوانب الاجتماعية في تخصص التربية.
وأما الرسالة الثانية: فقد تناولت الصحبة من الجوانب التعليمية والتربوية.
وكلتا الرسالتين لم تتعرض لموضوع الصحبة في القرآن الكريم بدراسة موضوعية
متخصصة.

خطة البحث:

تكون من مقدمة، وثلاثة أبواب، وخاتمة.

المقدمة: وتشتمل على أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهداف البحث، وخطة البحث،
ومنهج البحث.

**الباب الأول: مفهوم الصحبة في القرآن الكريم، وأنواعها، وأسسها،
وفيه ثلاثة فصول:**

الفصل الأول: مفهوم الصحبة، ودلالاتها القرآنية، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: تعريف الصحبة ودلالاتها في الأساليب القرآنية.

المبحث الثاني: الصحبة وعلاقتها بما شاكلها من ألفاظ القرآن الكريم.

الفصل الثاني: أنواع الصحبة في القرآن، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الصحبة باعتبار القرابة، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: صحبة الوالدين.

المطلب الثاني: صحبة الزوجين.

المطلب الثالث: صحبة الأقربين.

المبحث الثاني: الصحبة باعتبار المقارنة، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: صحبة الأتباع.

المطلب الثاني: صحبة الجوار.

المطلب الثالث: صحبة السفر.

المطلب الرابع: صحبة غير البشر.

الفصل الثالث: أسس الصحبة في القرآن الكريم، وفيه سبعة مباحث:

المبحث الأول: الإيمان.

المبحث الثاني: الرحمة والشفقة واللين.

المبحث الثالث: المحبة.

المبحث الرابع: حسن الظن.

المبحث الخامس: الموعظة والتناصح.

المبحث السادس: سؤال الله تعالى ودعاؤه.

المبحث السابع: أسس الصحبة السيئة.

الباب الثاني: الصحبة من خلال القصص القرآني (تطبيقات)، وفيه أربعة

فصول:

الفصل الأول: الصحبة في قصص الأنبياء، وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: صحبة النبي صلى الله عليه وسلم.

المبحث الثاني: صحبة نوح ولوط - عليهما السلام - لزوجتيهما.

المبحث الثالث: الرهط التسعة في قصة ثمود.

المبحث الرابع: أصحاب القرية.

الفصل الثاني: صحبة غير الأنبياء، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أصحاب البستان.

المبحث الثاني: أصحاب الفيل.

المبحث الثالث: صحبة فرعون وأبي لهب لزوجتيهما.

الفصل الثالث: الصحبة في سورة يوسف، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: يوسف - عليه السلام - وإخوته.

المبحث الثاني: يوسف - عليه السلام - والنسوة.

المبحث الثالث: يوسف - عليه السلام - وصاحب السجن.

الفصل الرابع: الصحبة في سورة الكهف، وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: صحبة أهل الكهف.

المبحث الثاني: صحبة صاحب الجنتين.

المبحث الثالث: صحبة موسى — عليه السلام — لفتاه.

المبحث الرابع: صحبة موسى — عليه السلام — للعبد الصالح.

الباب الثالث: الصحبة: حقوقها، وآثارها، وفيه فصلان:

الفصل الأول: حقوق الصحبة، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الحقوق العامة.

المبحث الثاني: الحقوق الخاصة.

الفصل الثاني: آثار الصحبة، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: آثار الصحبة في الدنيا، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: آثار الصحبة الصالحة على الفرد والمجتمع.

المطلب الثاني: آثار الصحبة السيئة على الفرد والمجتمع.

المبحث الثاني: عاقبة الصحبة في الآخرة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: عاقبة الصحبة الصالحة.

المطلب الثاني: عاقبة الصحبة السيئة.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

الفهارس.

منهج البحث:

سرتُ في هذا البحث وفق التفسير الموضوعي على المنهج الآتي :

أولاً: استقراء الآيات الواردة في الصحبة والأصحاب والقرين والخليل والصديق، وما في معناها، وتحليل ألفاظها، وموازنة بعضها ببعض، ودراسة الصحبة دراسة موضوعية.

ثانياً: الإفادة من كلام أهل العلم في الآية التي يدور فيها الحديث، مع التوجيه والمناقشة، وعزو ذلك إلى المصادر الأصلية المعتدّ بها.

ثالثاً: الاهتمام بالسياق القرآني وقصصه وربط الآيات بسورها من الجانب الموضوعي.

رابعاً: التركيز على إبراز الأسس والآداب والحقوق المترتبة على الصحبة من خلال آيات القرآن الكريم.

خامساً: تخريج الآيات الواردة في البحث.

سادساً: تخريج الأحاديث والآثار، فإن كانت في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بذلك، وإن كانت في غيرهما خرجتها من مظانها، ونقلت أقوال العلماء فيها.

سابعاً: توثيق المعلومات المنقولة من مصادرها. فإن كان النقل بالنص وضعته بين علامتي: " "، أما إن كان النقل بالمعنى أو كان هناك تدخل في صياغة عباراته وضعته بين علامتي: ()، أما الحديث المنقول عن النبي ﷺ فقد وضعته بين علامتي: (()).

ثامناً: التعريف بالأعلام.

تاسعاً: عزو الأبيات الشعرية لقائلها.

عاشراً: ضبط الكلمات الغريبة.

شكر وتقدير

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ، أما بعد:

فإنه من باب الاعتراف بالجميل وإرجاع الفضل إلى أهله لا يسعني إلا أن أشكر الله العلي القدير على ما سهل لي من أسباب العلم، و يسر لي من وسائل تحصيله، وأسأله سبحانه المزيد من فضله وإحسانه.

ثم أتقدم بالشكر والتقدير وخالص الدعاء بالأجر والثواب لوالدي الذي وافته المنية قبل أن يرى ثمرة جهدي، فأسأل الله تبارك وتعالى أن يغفر له ويجزيه عني خير الجزاء.

ثم الشكر لوالدي حفظها الله وإخوتي على ما قاموا به من إعانتني لمواصلة هذا البحث.

ثم أتقدم بالشكر والتقدير لكل من كان له إسهام برأي أو مشورة أو توجيه أو نصيحة أو تزويد بمراجع أو دعاء أو غير ذلك من وجوه الإعانة.

وأخص بالشكر والتقدير فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور: زاهر بن عواض الألمعي، حفظه الله ونفع الله به الإسلام والمسلمين؛ على قبوله الإشراف على هذه الرسالة، حيث لم يدخر جهداً في توجيهي وإرشادي، وكذا وقوفه معي في محنة مرض والدي، حيث كانت عبارات التشجيع منه حافزاً لي لمواصلة البحث وتخطي هذه المحنة، فجزاه الله عني خير الجزاء.

كما أتقدم بالشكر لجامعتي الحبيبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ممثلة في كلية أصول الدين وقسم القرآن وعلومه على ما هيأت لي من أسباب التحصيل العلمي.

هذا وأسأل الله أن يغفر لنا ما حصل من الزلل والخلل، وأن يرحم والدينا ومن علمنا، إنه على كل شيء قدير.

الباب الأول

الباب الأول: مفهوم الصحبة في القرآن الكريم،

وأنواعها، وأسسها :

الفصل الأول: مفهوم الصحبة، ودلالاتها القرآنية، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: تعريف الصحبة ودلالاتها في الأساليب القرآنية.

المبحث الثاني: الصحبة وعلاقتها بما شاكلها من ألفاظ القرآن الكريم.

الفصل الثاني: أنواع الصحبة في القرآن، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الصحبة باعتبار القرابة، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: صحبة الوالدين.

المطلب الثاني: صحبة الزوجين.

المطلب الثالث : صحبة الأقربين .

المبحث الثاني: الصحبة باعتبار المقارنة، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: صحبة الأتباع.

المطلب الثاني: صحبة الجوار.

المطلب الثالث: صحبة السفر.

المطلب الرابع: صحبة غير البشر.

الفصل الثالث: أسس الصحبة في القرآن الكريم، وفيه سبعة مباحث:

المبحث الأول: الإيمان.

المبحث الثاني: الرحمة والشفقة واللين.

المبحث الثالث: المحبة.

المبحث الرابع: حسن الظن.

المبحث الخامس: الموعظة والتناصح.

المبحث السادس: سؤال الله تعالى ودعاؤه.

المبحث السابع: أسس الصحبة السيئة.

الفصل الأول: مفهوم الصحبة، ودلالاتها القرآنية :

المبحث الأول: تعريف الصحبة ودلالاتها في الأساليب القرآنية.
المبحث الثاني: الصحبة وعلاقتها بما شاكلها من ألفاظ القرآن الكريم.

المبحث الأول: تعريف الصحبة ودلالاتها في الأساليب القرآنية

تعريف الصحبة لغة:

قال ابن فارس^(١): " (الصاد والحاء والباء) أصل واحد يدل على مقارنة شيء ومقاربتة"^(٢).

أصل مادة كلمة (صحب) صحبه يصحبه صُحِبَةً. والصحبة مصدر قولك: صَحِبَ يَصْحَبُ صُحْبَةً^(٣). والجمع أصحاب وأصحاب وأصحاب وصُحبان، وصحاب، وصحابة وصحابة^(٤). والصحابة تأتيث الصاحب، والجمع صواحب وصَوَاحِبَاتٍ^(٥) ومنه قول النبي ﷺ لزوجاته: ((إنكن صواحب يوسف))^(٦).

والمصاحبة والاصطحاب أبلغ من الاجتماع؛ لأن المصاحبة تقتضي طول لبثه، فكل اصطحاب اجتماع، وليس العكس^(٧).

ومما اشتهر من معاني الصحبة في كتب أهل اللغة؛ معنى المعاشرة، فقول: صاحبه: عاشره، والصَّاحِب: المعاشِر^(٨).

(١) أحمد بن فارس بن زكريا، أبو الحسين اللغوي الرازي القزويني، ولد سنة ٣٢٩هـ، كان إماماً في علوم شتى، من مؤلفاته: مقاييس اللغة، والمجمل، وغيرها، توفي ٣٩٥هـ. أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، صديق بن حسن القنوجي، تحقيق: عبد الجبار زكار، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٨م. ٦/٣، و بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين السيوطي، دار عيسى الحلبي، القاهرة، ط: الأولى، ١٣٨٤هـ. ٣٥٢/١.

(٢) مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس بن زكريا، دار الجليل، بيروت، لبنان، ١٤١١هـ. ٣٣٥/٣.

(٣) لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت، ط: الأولى، د: ٥٢٠/١ مادة (صحب).

(٤) القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة - بيروت. ٩١/١ مادة (صحب).

(٥) مقاييس اللغة ٤٥٤/٣، لسان العرب ٥٢٠/١ مادة (صحب).

(٦) أخرجه البخاري، في صحيحه، الجامع الصحيح، محمد بن إسماعيل أبي عبد الله البخاري، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ط: الثالثة، ١٤٠٧هـ.، كتاب الأذان، باب حد المريض أن يشهد الجماعة (٢٣٦/١ ح ٦٣٣).

(٧) المفردات في غريب القرآن، أبي القاسم الحسين بن محمد الأصفهاني، تحقيق: محمد خليل عيتاني، دار المعرفة، لبنان، ط: الثالثة، ١٤٢٢هـ. ٢٧٨.

(٨) لسان العرب ٥١٩/١ مادة (صحب).

ومن معانيها المقاربة والمقارنة. وقد تقدم كلام ابن فارس فيها.
ومن معانيها الملازمة، فقليل: استصحبه: دعاه إلى الصحبة ولازمه. وكل ما لازم شيئاً فقد
استصحبه. قال الشاعر:

إن لك الفضلَ على صُحْبتي والمسكُ قد يستصحب الرامكا

و أصبحته الشيء: جعلته له صاحباً، و استصحبته الكتاب، وغيره^(١).

ومن معانيها الانقياد والاتباع: قال الراغب^(٢): "الاصطحاب للشيء الانقياد له، وأصله أن
يصير له صاحباً"^(٣).

وقيل: أصحب فلان أي انقاد، وأصحب الرجل ابنه إذا بلغ مبلغ الرجال^(٤).

و منهم من عمم فقال: أصحب: ذل وانقاد من بعد صعوبة. قال أبو عبيد^(٥): صحبت الرجل
من الصحبة، أصحبتُ أي انقدت له، وأنشد:

على أنّها كانتُ تأوّلُ حُبّها تأوّلُ ربيّ السّقابِ فأصبحاً^(٦)

ومن معانيها الحفظ والمنع: قال أبو عثمان المازني^(٧): أصحبتُ الرجلَ أي منعته .

(١) لسان العرب ٥٢٠/١ مادة (صحب).

(٢) الحسين بن محمد بن الفضل، أبو القاسم الأصفهاني (أو الأصبهاني) المعروف بالراغب: أديب، من الحكماء العلماء،
من أهل (أصبهان)، سكن بغداد، واشتهر، حتى كان يقرن بالإمام الغزالي. من كتبه: الذريعة إلى مكارم الشريعة، و
الأخلاق، و جامع التفاسير ، طبعت مقدمته، أخذ عنه البيضاوي في تفسيره، و المفردات في غريب القرآن، وأفانين البلاغة
وغيرها. ت: ٥٥٠٢. بغية الوعاة ١٨٠/٢-١٨١، الأعلام للزركلي خيرالدين الزركلي، المتوفى ١٣٩٦هـ. ٢٥٥/١٢.

(٣) المفردات ٢٧٨.

(٤) مقاييس اللغة ٣/٣٣٥، ولسان العرب ٥٢٠/١ مادة (صحب).

(٥) القاسم بن سلام، كان فاضلاً في دينه وعلمه، مفتياً في القرآن والفقه والأخبار والعربية، حسن الرواية صحيح النقل،
سمع منه يحيى بن معين وغيره. له: الغريب المصنف، غريب الحديث، معاني القرآن وغيرها. ت: ٢٢٤هـ. سير أعلام النبلاء،
شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي: تحقيق، شعيب الأرنؤوط، محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت،
لبنان، ط: الثامنة، ١٤١٢هـ. ١٠/١٠-٤٩٠-٤٩٨، بغية الوعاة ٢٥٣/٢-٢٥٤.

(٦) لسان العرب ٥٢١/١١ مادة (صحب)، ١٠٦/٨ مادة (ربع).

(٧) بكر بن محمد بن حبيب بن بقية، أبو عثمان المازني، من مازن شيبان: أحد الأئمة في النحو، له تصانيف، منها كتاب
ما تلحن فيه العامة، والألف واللام، والتصريف، والعروض، والديباج، ت: ٢٤٩هـ. الأعلام ٦٩/٢. بغية الوعاة ٣٤٨/١-٣٥٠.

وأنشد قول الهذلي^(١) :

يُرْعَى بَرُوضِ الْحَزْنِ مِنْ أَبِيهِ قُرْبَانُهُ فِي عَابِهِ يُصْحَبُ

يُصْحَبُ: يمنع ويحفظ، وهو من قوله تعالى: ﴿وَلَا هُمْ مَتَّايِضُصْحَبُونَ﴾ [سورة الأنبياء ٤٣/٢١] أي: يمنعون.

وقيل: هو من قوله: صحبك الله: أي حفظك وكان لك جاراً^(٢).

ومما تقدم يتبين لنا أن معنى الصحبة لغة يدور في معانٍ من الصقها؛ معنى الملازمة والمعاشرة والاتباع والانقياد والحفظ والمنع. بل إن أكثر أهل اللغة يطلق لفظ الصحبة على أي علاقة سواء كانت علاقة محبة، أم عداوة، أم خصومة، أم مجرد اشتراك في أمر ما ولو كان قدراً قليلاً.

تعريف الصحبة في الاصطلاح:

اختلفت عبارات العلماء في تحديد مسمى الصحبة، ومن تلك الأقوال:

• قال الراغب رحمه الله: "الصاحب الملازم إنساناً كان أو حيواناً أو مكاناً أو زماناً، ولا

فرق بين أن تكون مصاحبته بالبدن . وهو الأصل والأكثر. أو بالعناية والهمة، وأنشد:

أما والذي لو شاء لم يخلق النوى لئن غبتَ عن عيني لما غبتَ عن قلبي

ولا يقال في العرف إلا لمن كثرت ملازمته"^(٣).

(١) أبو ذؤيب الهذلي، خويلد بن خالد بن محرت، أبو ذؤيب، من بني هذيل بن مدركة، من مضر: شاعر فحل، مخضرم، سكن المدينة، واشترك في الغزو والفتوح، وعاش إلى أيام عثمان، وخرج مع الجيوش لنشر الإسلام في إفريقيا، وتوفي بها سنة ٢٧هـ. طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي، تحقيق: محمود محمد شاكر دار المدني ١/١٢٣، الأعلام ٢/٣٢٥.

(٢) لسان العرب ج ١/٥٢٠ مادة (صحب).

(٣) المفردات ٢٧٨.

قال ابن الجوزي ^(١) رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: "الصحبة إذا أطلقت فهي في المعارف تنقسم إلى قسمين: أحدهما: أن يكون صاحب معاشرًا مخالطًا كثير الصحبة، فيقال: هذا صاحب فلان، كما يقال: خادمه، لمن تكرر خدمته، لا لمن خدمه يوماً أو ساعة. الثاني: أن يكون صاحباً في مجالسة أو ممشاة ولو ساعة. فحقيقة الصحبة موجودة في حقه وإن لم يشتهر بها" ^(٢).

قال ابن عطية ^(٣) رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: "الصحبة: الاقتران بالشيء في حالة ما، في زمان ما، فإن كانت الملازمة والخلطة فهي كمال الصحبة، وهكذا هي صحبة أهل النار لها، وبهذا القول ينفك الخلاف في تسمية الصحابة، إذ مراتبهم متباينة أقلها الاقتران في الإسلام والزمن، وأكثرها الخلطة والملازمة" ^(٤).

(١) أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، ابن الجوزي. البغدادي الحنبلي الواعظ. ولد سنة ٥٠٨ أو ٥١٠ هـ. صاحب التصانيف المشهورة في أنواع العلوم من التفسير والحديث والفقه والوعظ والزهد والتاريخ وغير ذلك. من مصنفاته: زاد المسير في التفسير، تذكرة الأريب في تفسير الغريب وغيرهما، ت ٥٩٧ هـ. طبقات المفسرين، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة، ط: الأولى، ١٣٩٦ هـ. ٦١، ، تذكرة الحفاظ، أبي عبد الله شمس الدين محمد الذهبي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٣٤٢/٤، الأعلام ٣/٣١٦.

(٢) تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير، جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط: الأولى، ١٩٩٧ م. ٧٢.

(٣) عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي، من محارب قيس، الغرناطي، أبو محمد: مفسر فقيه، أندلسي، من أهل غرناطة. ولد سنة ٤٨١ هـ. كان فقيهاً عارفاً بالأحكام والحديث والتفسير، بارع الأدب، بصيراً بلسان العرب، واسع المعرفة، وله يد في الإنشاء والنظم والنثر، وكان يتوقد ذكاء، وله التفسير المشهور المسمى بالحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. ولي قضاء المرية، وكان يكثر الغزوات في جيوش المثلثين. وتوفي سنة ٥٤٦ هـ. طبقات المفسرين، أحمد بن محمد الداودي، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم، السعودية، ط: الأولى، ١٤١٧ هـ. ١٧٥، الأعلام ٣/٢٨٢.

(٤) الحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية، دار ابن حزم، لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٣ هـ. ٨٠.

- حكى الإمام الغزالي^(١) رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: " أن العرف يخص اسم الصحبة بمن كثرت صحبته"^(٢) .
 - حكى الإسفراييني^(٣) رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: "أن الصحبة في العرف عبارة عمّن صحب غيره، فطالت صحبته له ومجالسته له"^(٤) .
- وبناءً على ما تقدم يتبين لنا أن الصحبة؛ علاقة ما، يحصل فيها اجتماع أو اقتران أو اختلاط أو ملازمة ونحوها لإنسان أو حيوان أو مكان أو زمان، في مدة تطول أو تقصر، وتقوم على أسس، ولها آداب وحقوق وواجبات، ولها منافع ومضار خاصة وعمامة.
- على ما سيأتي بيانه في هذا البحث - إن شاء الله - .

(١) محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الشافعي الغزالي، أبو حامد حجة الإسلام، ولد سنة ٤٥٠هـ بخراسان، فيلسوف، متصوف له نحو مئتي مصنف منها: إحياء علوم الدين، وتهافت الفلاسفة، والاقتصاد في الاعتقاد.. وغيره. ت: ٥٠٥هـ. سير أعلام النبلاء ٣٢٢/١٩، الأعلام ٢٢/٧.

(٢) المستصفي في علم الأصول، تأليف: محمد بن محمد الغزالي أبو حامد، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٣، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي. ١/١٣١.

(٣) أحمد بن محمد بن أحمد بن أحمد، الإسفراييني، أبو حامد، إمام الشافعية، وإليه انتهت رئاسة المذهب، ولد سنة ٣٤٤هـ، كان فقيهاً وإماماً جليلاً، صنف التصانيف، وطبق الأرض بالأصحاب، وله تعليقات على نحو خمسين مجلداً، وكان يحضر درسه قرابة السبعمئة فقيه، ت: ٤٠٦هـ . البداية والنهاية، لإسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبي الفداء، مكتبة المعارف ، بيروت. ٢/١٢٠، طبقات الشافعية، أبي بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن قاضي شهبة، تحقيق: د. الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب، بيروت، ط: الأولى، ١٤٠٧هـ. ١/١٧٢.

(٤) العدة في أصول الفقه ٩٨٨.

لفظ الصحبة في القرآن الكريم

ورد لفظ الصحبة في القرآن الكريم على أوجه منها:

الوجه الأول: لفظ الأصحاب بمعنى السُّكَّان، مثاله قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ

أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [سورة البقرة ٢/٣٩] أي: سكان النار. وفي سورة الأعراف:

﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ

مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [سورة الأعراف ٧/٤٤] أي: سكان الجنة، ونحوه كثير.

الوجه الثاني: الأصحاب بمعنى القوم، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَىٰ الْجَمْعَانَ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا

لَمُدْرِكُونَ﴾ [سورة الشعراء ٢٦/٦١] أي: قومه وأمته، ونحوه كثير.

الوجه الثالث: الرفيق، قال تعالى: ﴿وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ﴾ [سورة النساء ٤/٣٦] أي: الرفيق

في السفر. وقوله تعالى: ﴿قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَحِّبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَدُنِّي عُذْرًا﴾ [سورة

الكهف ١٨/٧٦] أي: فلا ترافقني. وقال تعالى: ﴿إِذ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّا اللَّهُ

مَعْنَا﴾ [سورة التوبة ٩/٤٠] أي: رفيقه في طريق الهجرة.

الوجه الرابع: الصاحب الذي قصد به النبي ﷺ، قال تعالى: ﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ﴾ [سورة

التكوير ٨١/٢٢] أي: وما نبيكم الذي أرسل لكم بمجنون. وقوله: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾

[سورة النجم ٥٣/٢] أي: نبيكم.

الوجه الخامس: الصاحب بمعنى الأخ، قال تعالى: ﴿فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ﴾ [سورة الكهف

١٨/٣٤] أي: لأخيه. وكذا قوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ﴾ [سورة الكهف

١٨/٣٧] أي: أخوه.

الوجه السادس: الصاحبة الزوجة، قال تعالى: ﴿وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً﴾ [سورة الأنعام ٦/١٠١]

أي: زوجة.

الوجه السابع: الأصحاب يعني الخُزَّان، قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا لِمَلَائِكَةٍ﴾ [سورة المدثر

٧٤/٣١] أي: خزنة النار.

الوجه الثامن: الأصحاب: الأبووان ومنه، قوله تعالى: ﴿كَأَلَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ

لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَىٰ أُمَّتِنَا﴾ [سورة الأنعام ٦/٧١] أي: الأبوين^(١).

الوجه التاسع: صحبة الحيوان، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾ [سورة القلم

٤٨/٦٨]^(٢).

(١) قاموس القرآن أصلاح الوجوه والنظائر في القرآن، الحسين بن محمد الدامغاني، دار العلم للملايين، بيروت. ٢٧٤-

٢٧٥.

(٢) المفردات ٢٧٨.

المبحث الثاني: الصحبة وعلاقتها بما شاكلها من ألفاظ القرآن الكريم

لقد تميز القرآن الكريم ببلاغته وفصاحته، وهذا يتضح من خلال تنوع ألفاظه وتنوع معانيه.

ومن هنا كان لابد من بيان بعض الألفاظ التي جاءت في القرآن الكريم، وكانت في معانيها مشاكلة للفظ (الصحبة). وفيما يأتي عرض لهذه الألفاظ:

• لفظ (الرفيق):

جاء هذا اللفظ في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [سورة النساء ٤/٦٩].
والرفق في اللغة: ضد العنف، وهو لين الجانب، ولطافة الفعل، وقيل: اللطف في المعاشرة قولاً وعملاً^(١). ومنه قول النبي ﷺ: ((إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف))^(٢)، وقال أيضاً: ((إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه))^(٣).

ورافق الرجل: أي صاحبه. وقيل: هو صاحب في السفر خاصة، فيقال: الرفقة: الجماعة ترافقهم في سفر، فتجمعك وإياهم رفقة واحدة.

(١) تفسير الفخر الرازي، المشتهر بالتفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، فخر الدين محمد الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى، ١٤٢١ هـ. ١٣٦/١٠، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٧٨/٥.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبي الحسين القشيري النيسابوري، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت. كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق (٤/١٥٩٠-٢٥٩٣).

(٣) المصدر السابق (٤/١٥٩٠-٢٥٩٤).

ورفيق للواحد والجمع، ويجمع أيضاً: رفقاء، ومنه ترافق القوم وارتفقوا: أي صاروا رفقاء. وقيل: الرفقة يسمون رفقة ماداموا منضمين في مجلس واحد ومسير واحد، فإذا تفرقوا ذهب عنهم اسم الرفقة، ولا يذهب عنهم الرفيق^(١).
وسمي الصاحب رفيقاً، لارتفاقك بصحبته^(٢).

قال تعالى: ﴿وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ أي: وحسن هؤلاء الذين نعتهم ووصفهم رفقاء في الجنة^(٣).

وقال الرازي^(٤): " اعلم أنه تعالى بين فيمن أطاع الله ورسوله، أن يكون مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، ثم لم يكثر بذلك بل ذكر أنه يكون رفيقاً له، وقد ذكر أن الرفيق هو الذي يترفق به في الحضر والسفر، فبين أن هؤلاء المطيعين يرتفقون بهم، وإنما يرتفقون بهم إذا نالوا منهم رفقاً وخيراً، وقد يكون الإنسان مع غيره ولا يكون رفيقاً له بحسب الظاهر، فإذا كان عظيم الشفقة وعظيم الاعتناء بشأنه كان رفيقاً له. فبين تعالى أن الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين يكونون له كالرفقاء من شدة محبتهم له وسرورهم برؤيته.
فنعم الرفقاء أهل الجنة ونعم موضع الرفقاء الجنة"^(٥).

(١) لسان العرب ١٠/١١٨-١٢٠ مادة (رفق)، مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ١٤١٥ هـ. ١٠٥ مادة (رفق)، الكليات الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٩ هـ. ٨٦٧.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق، عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط: الأولى ١٤١٨ هـ. ٢٦١/٥.

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، المتوفى ٣١٠ هـ، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥ هـ. ١٠٣/٥.

(٤) محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي، الإمام فخر الدين الرازي القرشي البكري. من ذرية أبي بكر الصديق رضي الله عنه، الشافعي المفسر المتكلم، ولد سنة ٥٤٤ هـ. كان من تلامذة محيي السنة البغوي.

قال ابن خلكان فيه: فريد عصره ونسيج وحده، شهرته تغني عن استقصاء فضائله، وتصانيفه في علم الكلام والمعقولات سائرة، وله: التفسير الكبير، والمحصل في أصول الفقه وغيرها. ٦٠٦ هـ. طبقات المفسرين ١١٥، طبقات الفقهاء،

إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي أبي إسحاق، تحقيق: خليل الميس، دار القلم، بيروت. ٢٦٣، الأعلام ٦/٣١٣.

(٥) التفسير الكبير ١٠/١٣٦ - ١٠٣/٢١.

وقال عليه السلام: ((خير الرفقاء أربعة))^(١). ولم يذكر تعالى هنا إلا أربعة فتأمله.^(٢)
وكما أن أهل الجنة يجتمعون، فكذا أهل النار يجتمعون، فرفقاء أهل النار الكفار والشياطين،
فبئس الرفقاء هؤلاء، وبئس موضع الترافق النار.^(٣)

● لفظ (أخدان):

وقد جاء هذا اللفظ في قوله تعالى: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ﴾ [سورة المائدة ٥/٥]. وقوله
تعالى: ﴿فَأَنْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَأَتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسْفِحَاتٍ وَلَا
مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ﴾ [سورة النساء ٤/٢٥]. **أخدان**: جمع **خدن**،^(٤) (الخاء والذال والنون)
أصل واحد وهو المصاحبة، فالخدن المصاحب^(٥). والخدن والخذين: الصديق. وفي المحكم:
الصاحب المحدث^(٦).

وقيل: الصديق المصافي. وقيل: الصديق في السر. ويقع على الذكر والأنثى. ويجمع أيضاً:
خدناء. والمخادنة: المصاحبة، يقال: خادنت الرجل: أي صادفته، ورجل خدنة: كثير الأخدان.
والخدن والخذين: الذي يخادتك، فيكون معك في كل أمر ظاهر وباطن^(٧). ويقال: رجل
خدنة: يخادن الناس كثيراً، والأخدن: ذو الأخدان^(٨).

(١) رواه ابن ماجه، في سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، باب السرايا (٢/٩٤٤ ح ٢٨٢٧)، البيهقي في سنن البيهقي الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ١٤١٤ هـ،
باب ما يستحب من الجيوش والسرايا (٩/١٥٧ ح ١٨٢٦٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته، محمد
ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط: الثالثة، ١٤٠٨ هـ. ٧٨٥٠.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، ٥/٢٧٢.

(٣) التفسير الكبير ٢١/١٠٣.

(٤) المفردات ١٥٠.

(٥) مقاييس اللغة ٢/١٦٣.

(٦) لسان العرب ١٣/١٣٩ مادة (خدن).

(٧) التفسير الكبير ١٠/٥١.

(٨) لسان العرب ١٣/١٣٩ مادة (خدن).

واتخذ أخذاناً أي أصحاباً^(١). وخذنُ الجارية: أي محدثها، وكانوا لا يمتنعون من خدنٍ يحدث الجارية، فجاء الإسلام بهدمه^(٢).

وقال الراغب: "الخدن: الصاحب، وأكثر ما يستعمل فيما يصحب لشهوة"^(٣).

ومنه قوله تعالى: ﴿مُحْصَنَاتٍ غَيْرِ مُسَفِّحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ﴾ أي: أصدقاء على الفاحشة. وذات الخدن: هي التي تزني سرّاً^(٤).

قال ابن جرير^(٥) رحمته الله: "المخادن: الذي يقيم معها على معصية الله وتقيم معه على ذلك"^(٦). وكانت العرب تعيب على الإعلان بالزنا ولا تعيب اتخاذ الأخدان.

كما روي عن ابن عباس رحمتهما الله: أن أهل الجاهلية كانوا يجرّمون ما ظهر منه، ويقولون: إنه لؤم، ويستحلون ما خفي ويقولون: لا بأس به. فأنزل الله تعالى قوله: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطُنَ﴾ [سورة الأنعام ١٥١/٦]^(٧).

• لفظ (الخُلَّة):

قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفْعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [سورة البقرة ٢/٢٥٤].

الخُلَّة: بضم الخاء الصداقة المختصة التي ليس فيها حلل. وتكون في عفاف الحب ودعارته^(١). وقيل: الخُلَّة بالضم: المودة، لأنها تتخلل النفس، أي تتوسطها، أو لأنها تتخللها فتؤثر فيها تأثير السهم في الرمية^(٢)، أو من تحلل الأسرار بين الصديقين^(٣).

(١) الجامع لأحكام القرآن، ٣٠٩/٥.

(٢) لسان العرب ١٣٩/١٣ مادة (خدن).

(٣) المفردات ١٤٤.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ١٣٧/٥.

(٥) محمد بن جرير بن غالب الطبري، الإمام أبو جعفر، رأس المفسرين على الإطلاق، أصله من طبرستان، وله التصانيف العظيمة منها: جامع البيان عن تأويل أي القرآن، وهو أجل التفاسير لم يؤلف مثله كما ذكره العلماء، ٣١٠هـ. طبقات المفسرين السيوطي ٨٢، الأعلام ٦٩/٦.

(٦) جامع البيان ١٤/٥.

(٧) جامع البيان ١٤/٥، الجامع لأحكام القرآن ١٣٧/٥.

والجمع خلال، ومنه قوله تعالى: ﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ﴾ [سورة إبراهيم ١٤/٣١].
يقال: خاللت الرجل خلالاً، ومنه قول امرئ القيس^(٤):

صرفت الهوى عنهن من خشية الردى ولست بمقليّ الخلال ولا قالي
والأنثى خليلة،^(٥) و يقال: خالته مخالّة وخلالاً فهو خليلٌ. والخليل: الصديق، فعيل بمعنى مفاعل، وقد يكون بمعنى مفعول.

وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: ((ألا إني أبرأ إلى كل خلٍ من خلة))^(٦)، بكسر الخاء وفتحها. وإنما قال ذلك لأن خلته كانت مقصورة على حب الله فليس لغيره متسع ولا شراكة من محاب الدنيا والآخرة. وهذه حالة شريفة لا ينالها أحد بكسب ولا اجتهاد فإن الطباع غالبية، وإنما يخص الله بها من يشاء من عباده مثل سيد المرسلين ﷺ^(٧). وهي أيضاً التي حصل عليها إبراهيم عليه السلام حيث قال الله - جل ثناؤه - عنه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [سورة النساء ٤/١٢٥].

(١) القاموس المحيط ٩٩٤، لسان العرب ٢١٦/١١ مادة (خلل).

(٢) المفردات ١٥٩، التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق: محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، دار الفكر، بيروت، دمشق، الطبعة: الأولى ١٤١٠هـ. ٣٢٥، الكليات ٤٣٣.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، ٢٥٥/٣.

(٤) ابن حجر بن الحارث الكندي، من أشهر شعراء العرب على الإطلاق، اشتهر بلقبه، وعرف بالملك الضليل؛ لاضطراب أمره طوال حياته، وبذي القروح؛ لما أصابه منها في مرض موته. طبقات فحول الشعراء ٥١/١، الأعلام ١١/٢-١٢.

(٥) مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ١٤١٥ هـ. ١٦٤.

(٦) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أبي بكر الصديق ﷺ، ٤ (١٨٥٦/١٨٢٣). وفي رواية: ((إني أبرأ...)) عند النسائي في السنن الكبرى، أحمد بن شعيب أبي عبد الرحمن النسائي، تحقيق: د. عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى، ١٤١١ هـ. ٣٦/٥، وابن ماجه ٣٦/١.

(٧) النهاية في غريب الحديث والأثر، تأليف: أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، دار النشر: المكتبة العلمية - بيروت - ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، ٧٢/٢، تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي، محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري أبي العلاء، دار الكتب العلمية، بيروت، ٩٦/١٠، لسان العرب ٢١٦/١١ (خلل).

قال الرَّجَّاحُ^(١): "هو المحب الذي ليس في محبته خلل"^(٢)، فكان يحب الله ويحبه الله محبة لا نقص فيها ولا خلل.

فالخليل من بلغت مودته هذه المرتبة لأنها تخللت روح المحب وقلبه حتى لم يبق فيه موضع لغير المحبوب. كما قال الشاعر^(٣):

قد تخللت مسلكَ الروحِ مني ولذا سُمي الخليلُ خليلًا

والخلل: الوُدُّ والصدق، وقيل: "إنه لكريم الخلل أي كريم المصادقة والمودة والإخاء"^(٤). والخلة: بفتح الخاء الخصلة، يقال: فلان كريم الخلال ولئيم الخلال: أي الخصال^(٥).

أو أن كلاً من الخليلين يتوافقان في الخصال، أو أن كلاً منهما يُصلح خلل الآخر.

وقد قال رسول الله ﷺ: ((المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل))^(٦).

وقيل: الخلة بالفتح الحاجة والفقر، لأن كلاً منهما محتاج إلى وصال الآخر غير مستغن عنه^(٧).

وقد قيل في تفسير قوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾: الخليل: الفقير، وهذا جائز لأن إبراهيم عليه السلام لم يجعل فقره وفاقته إلا لله تعالى^(٨).

قال ابن جرير رحمه الله: "فإن قال قائل: وما معنى الخلة التي أعطيها إبراهيم عليه السلام؟ قيل: ذلك من إبراهيم عليه السلام العداوة في الله والبغض فيه، والولاية في الله والحب فيه. وأما من الله

(١) أبو إسحاق إبراهيم بن محمد السريّ البغدادي، عالم بالنحو واللغة من كتبه: معاني القرآن، وخلق الإنسان، ت ٣١١هـ. سير أعلام النبلاء ١٤/٣٦٠، بغية الوعاة ١/٤١١-٤١٣، الأعلام ١/٤٠.

(٢) معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق إبراهيم بن السريّ الزجاج، تحقيق: الدكتور، عبد الجليل عبده شليبي، دار عالم الكتب، بيروت، ط: الأولى، ١٤٠٨هـ. ١١٢/٢.

(٣) بشار بن برد في ديوانه ٩٧٩.

(٤) لسان العرب ١١/٢١٦ (خلل).

(٥) تهذيب اللغة، أبي منصور محمد بن أحمد الأزهرى، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: الأولى، ٢٠٠١م. ٦/٥٦٩.

(٦) أخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى، ١٤١١هـ. ، كتاب البر والصلة، (٤/١٨٨، ح رقم ٧٣١٩)، والإمام أحمد في مسند الإمام أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة،

مصر، (٢/٣٠٣ ح رقم ٨٠١٥)، وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح ٤٩٤٦.

(٧) روح المعاني ٥/١٥٤.

(٨) زاد المسير في علم التنفسير، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٣هـ. ٢٨٢.

لإبراهيم فنصرته على من حوله كما فعل بالنمرود وملك مصر، وتصويره إماماً لمن بعده من عباده، وقدوة لمن خلفه في طاعته وعبادته، فذلك معنى مخالته إياه^(١).

أما قوله تعالى: ﴿رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفْعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمْ الظَّالِمُونَ﴾ [سورة البقرة ٢/٢٥٤]. وقوله: ﴿مَنْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَلٌ﴾ [سورة إبراهيم ١٤/٣١]. وقوله: ﴿يُوَلِّتُنِي لِتَنِي لِمَ أَخَذْنَا خَلِيلًا﴾ [سورة الفرقان ٢٥/٢٨]. فإن الله تعالى يخبر أنه في يوم القيامة لا بيع ولا مخاللة بين خليلين تنفع، فلا يمكن أحد أن تُباع له نفسه فيفديها، ولا خليل ينفع خليله يومئذ، إذ إن الخليل قد ينفع صاحبه في الدنيا بنصرته على من حوله أو من أراد به سوء، لكن في الآخرة لا ينفع هذا لأنه لا أحد ينصر أحداً من الله، بل الأخلاء بعضهم لبعض عدو إلا المتقين^(٢). قال تعالى: ﴿الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [سورة الزخرف ٤٣/٦٧].

● لفظ (الصديق):

قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتُمْ أَيْمَانُهُمْ أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾ [سورة النور ٢٤/٦١]. وقال سبحانه: ﴿وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ [سورة الشعراء ٢٦/١٠١].

الصديق لغة: المبالغ في الصدق، ولذا كان نعتاً لمن كثر منه الصدق، وجمع صدقاً إلى صدق في الإيمان بالله ورسوله^(٣). قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ

(١) جامع البيان ٥/١٩١.

(٢) جامع البيان ٣/٣، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٤١٥ هـ. ٢/٢٤٧.

(٣) التفسير الكبير ٢٩/٢٠٢، لسان العرب مادة صدق ١٠/١٩٤.

مِنَ النَّبِيِّنَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴿سورة النساء ٤/٦٩﴾. فالصِّدِّيقون: هم أتباع الأنبياء الذين صدقوهم واتبعوا مناهجهم^(١).

وكذا قوله تعالى: ﴿يُؤَسِّفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ﴾ [سورة يوسف ١٢/٤٦]. أي أيها البليغ في الصدق^(٢). وأما الصداقة، مصدر الصِّدِّيق فهي مشتقة من الصدق في المودة^(٣). والصداقة والمصادقة: المخالفة^(٤)، وصدِّقته النصيحة والإحسان: أمحضه له، وصادقته مصادقة وصادقاً: أي خالته. والصديق: المصادق لك^(٥). ولفظ الصديق يطلق على الذكر والأنثى والجمع، يقال: رجلٌ صديقٌ، وامرأة صديقٌ، كقول القائل^(٦):

كأن لم نقاتل يا بئير لو أتها تُكشِّفُ غمَّها وأنتِ صديقُ

وقيل: الأنثى صديقة، والجمع أصدقاء وأصادق، كقول الشاعر:

فلا زلنَ حَسْرَى ظُلَعاً لِمَ حَمَلْنَهَا إلى بلدٍ ناءٍ قليلِ الأصادقِ^(٧)

وكذا قول الآخر:

فاعجلْ بَعْرَبٍ مثلِ غَرْبِ طَارِقِ يُبْذِلُ للجيرانِ والأصادقِ^(٨)

الصديق أو الصداقة اصطلاحاً:

قال الراغب: "الصداقة صدق الاعتقاد في المودة"^(٩).

(١) جامع البيان ٥/١٠٣.

(٢) الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: عبد

الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي. بيروت ٥١٨.

(٣) مقاييس اللغة ٣/٣٤٠ (صدق).

(٤) مختار الصحاح ٣١٥ (صدق).

(٥) لسان العرب ١٠/١٩٤ (صدق).

(٦) لسان العرب ١٠/١٩٤ (صدق).

(٧) مقاييس اللغة ٣/٣٤٠ (صدق).

(٨) لسان العرب ١٠/١٩٤ (صدق).

(٩) المفردات ٢٨١.

وقال الزمخشري ^(١): "الصديق هو الصادق في ودادك الذي يهمله ما أهمك" ^(٢).

وقيل: "الصديق من استراح إليه القلب" ^(٣).

وقال صاحب التعاريف ^(٤): "الصديق من لم يكذب قط، أو من كثر منه الصدق، أو من صدق في اعتقاده وحقَّق صدقَه فعله، أو لم يدع شيئاً مما يظهره باللسان إلا حققه بقلبه وعمله" ^(٥).

والصدقة من أكد القربة كما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿أَوْصِدِّقْكُمْ﴾.

ف قيل: قرن تعالى في هذه الآية الصديق بالقربة المحضة الوطيدة لأن قرب المودة لصيق.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: الصديق أو أكد من القربة، ألا ترى استغاثة الجهنميين في قوله تعالى:

﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَفْعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صِدِّيقٍ حَمِيمٍ﴾ [سورة الشعراء ٢٦/١٠٠-١٠١] ^(٦). وقد جمع الشفعاء

ووحده الصديق لكثرة الشفعاء في العادة وقلة الأصدقاء ^(٧).

• لفظ (الحميم):

قال تعالى: ﴿وَلَا صِدِّيقٍ حَمِيمٍ﴾ [سورة الشعراء ٢٦/١٠١]. وقال: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْأَزْفَةِ إِذِ

أَلْقُوا بُلْدِي الْحَنَاجِرِ كَظَمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [سورة غافر ٤٠/١٨]، وكذا

(١) محمود بن عمر بن محمد بن عمر، أبو القاسم الزمخشري الخوارزمي، المعتزلي، النحوي اللغوي المتكلم المفسر يلقب بجار الله لأنه جاور بمكة زماناً. وقد كان ممن برع في الأدب والنحو واللغة، لقي الكبار، وصنف التصانيف التي منها؛ الكشف في التفسير، والفائق في غريب الحديث، وأساس البلاغة.. وغيرها. ت: ٥٨٨هـ. طبقات المفسرين للداودي ١٧٢-١٧٣، الأعلام ٧/١٧٨.

(٢) الكشف ٧٦٤.

(٣) فهم القرآن ومعانيه، تأليف: الحارث بن أسد بن عبد الله المحاسبي أبو عبد الله، دار النشر: دار الكندي، دار الفكر - بيروت - ١٣٩٨، الطبعة: الثانية، تحقيق: حسين القوتلي. ٤٦٩.

(٤) عبد الرؤوف بن علي بن محمود، من بني الأمين، عرف بفتى الجبل: شاعر من بلدة الصوانة، بقضاء مرجعيون في لبنان. كان أستاذاً للأدب العربي في العراق، فمفتشاً عاماً بوزارة الشؤون الاجتماعية بلبنان. له: العواطف الثائرة، وصقور قریش، ديوانان، ت: ١٣٩٠هـ. الأعلام ٣/٣٥٣.

(٥) التعاريف ٤٥١.

(٦) الجواهر الحسان في تفسير القرآن، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، دار النشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت، المشهور بتفسير الثعالبي، ٣/١٤٩، المحرر الوجيز ١٣٧٢.

(٧) الكشف ٧٦٤.

قال جل ثناؤه: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [سورة فصلت ٤١/٣٤].

وقال عز وجل: ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هُنَا حَمِيمٌ﴾ [سورة الحاقة ٦٩/٣٥]، وقال: ﴿وَلَا يَسْتَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾ [سورة المعارج ٧٠/١٠].

الحميم: القريب الذي توده ويودك، يقال: حم الشيء وأحم إذا قرب منه، ومنه الحمى لأنها تقرب من الأجل، وسمي القريب حميماً لأنه يحمى ويغضب لصاحبه، فجعله مأخوذاً من الحمية^(١).

وقيل: الحميم: القريب المشفق،^(٢) والصديق اللطيف المودة^(٣).

وقيل: الخاص، ومنه حامة الرجل وخاصته من أهله وولده وذو قرابته، فيقال: هؤلاء حامته أي: أقرباؤه^(٤). وقيل: مأخوذ من الاحتمام، وهو الاهتمام، أي هو الذي يهمله ما أهمك^(٥). وأصل الحميم الماء الحار، ومنه الحمام والحمى، فحامة الرجل الذين يحرقهم ما أحرقه، وهم حزانته أي يجزئهم ما يجزئنه^(٦).

قال الراغب: "الحميم: القريب المشفق الذي يجتد حماية لذويه"^(٧).

وقال ابن عطية رحمه الله: "الحميم: الولي القريب الذي يخصك أمره ويخصه أمره"^(٨). ومعنى الآيات: أنه ليس في الآخرة حميم قريب يدافع عنك ويجزئنه ما أحزنك مع أنهم يبصرونهم بأبصارهم، لكن كل إنسان في ذلك الموقف مشغول بنفسه.

(١) لسان العرب ١٥٢/١٢ (حمم)، الجامع لأحكام القرآن ١١٧/١٣.

(٢) التعريفات ٧٣.

(٣) المحرر الوجيز ١٤٠٣، لسان العرب ١٥٣/١٢ (حمم).

(٤) معاني القرآن الكريم، النحاس، دار النشر: جامعة أم القرى - مكة المكرمة - ١٤٠٩هـ، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمد

علي الصابوني ٩٠/٥، الجامع لأحكام القرآن ١١٧/١٣.

(٥) الكشاف ٣٢٧/٣، مختار الصحاح ١٣٨ (حمم).

(٦) الجامع لأحكام القرآن ١١٧/١٣.

(٧) المفردات ١٣٧.

(٨) المحرر الوجيز ١٤٠٤.

وخص الله جل ثناؤه الصديق والحميم: لأنهم يعلمون أن الصديق إذا كان صالحا نفع، وأن الحميم إن كان صالحا شفع. (١)

● لفظ (القرين):

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا﴾ [سورة النساء ٣٨/٤]. وقال جل ثناؤه: ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ﴾ [سورة الصافات ٥١/٣٧]. وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ يَعْبُدْ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِضَ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ [سورة الزخرف ٣٦/٤٣]. وقال عز اسمه: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَيَتَسَّ الْقَرِينُ﴾ [سورة الزخرف ٣٨/٤٣]. وقال سبحانه: ﴿وَقِيصْنَا لَهُمْ قُرْآنًا فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَسِرِينَ﴾ [سورة فصلت ٢٥/٤١].

قال ابن فارس: " (القاف والراء والنون) أصلان صحيحان، أحدهما يدل على جمع شيء إلى شيء" (٢).

وقال ابن منظور (٣): "قارن الشيء الشيءَ مقارنة وقراناً: اقترن به وصاحبه، واقترن الشيء بغيره، وقارنته قراناً: صاحبتَه، ومنه قران الكواكب، وقرنتُ الشيءَ بالشيء وصلته. والقرين: المصاحب" (٤).

والقرين: فعيل بمعنى فاعل من المقارنة: وهي الملازمة والاصطحاب (٥).

(١) تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبي الفداء، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط: الأولى، ١٤١٨ هـ. المشتهر بتفسير ابن كثير ٣/٣٧٥، التفسير الكبير ٣٠/١١١، من أضواء البيان ٨/٢٦٧ بتصرف.

(٢) مقاييس اللغة ٥/٧٦ (قرن).

(٣) محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل جمال الدين بن منظور، الإمام اللغوي الحجة، ولد بمصر ٦٣٠ هـ، وتوفي بها سنة ٧١١ هـ، من أشهر كتبه: لسان العرب، ومختار الأعاني، وغيرها. الأعلام ٧/١٠٨.

(٤) لسان العرب ١٣/٣٣٦ (قرن).

(٥) المحرر الوجيز ٢/٣٥.

فالقريين: "صاحبك الذي يقارنك، وقريتك الذي يقارنك" ^(١). ومما شئ الإنسان في طريق
يسمى قريناً. قال الشاعر:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي ^(٢)

وقيل: القرينة والقريين: نفس الإنسان كأهما قد تقارنا، يقال: أسمى قرينته: أي ذلت
نفسه وتابعته على الأمر ^(٣).

وقرينة الرجل امرأته لمقارنته إياها. وجمع القريين: قرياء ^(٤).

وقد جاء لفظ القريين في القرآن الكريم على أوجه منها ^(٥):

❖ أن القريين: الشيطان الذي يزين الكفر والعصيان، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنِ

ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِيضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ [سورة الزخرف ٣٦/٤٣]. وقوله جل ثناؤه:

﴿قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطَّغَيْتُهُ وَلَئِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ [سورة ق ٢٧/٥٠].

❖ أن القريين: هو الكاتب والشهيد عليه، وقيل هو الملك .

● لفظ (إخوة والأخوة):

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [سورة الحجرات

١٠/٤٩] جاء في لسان العرب: "الأخ من النسب معروف، وقد يكون الصديق والصاحب" ^(٦).

وقيل: "الإخاء: المؤاخاة والتآخي، والأخوة: قرابة الأخ، والتآخي: اتخاذ الإخوان، ويقال:

بينهما إخاء وأخوة ونحو ذلك" ^(٧). وقد قال رسول الله ﷺ: ((إن أمن الناس عليّ في ماله

وصحبتة أبو بكر، ولو كنت متخذاً خليلاً من أمي لاتخذت أبا بكرٍ ولكن أخوة

(١) لسان العرب ٣٣٧/١٣ (قرن).

(٢) المحرر الوجيز ٤٩١، وتفسير الثعالبي ٤/١٩٩، ديوان طرفة بن العبد ٢٠.

(٣) مقاييس اللغة ٧٦/٥ (قرن)، لسان العرب ٣٣٩/١٣ (قرن).

(٤) مختار الصحاح ٤٦٩، مقاييس اللغة ٧٧/٥ (قرن)، لسان العرب ٣٣٧/١٣ (قرن).

(٥) قاموس القرآن وإصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم ٣٧٨، التفسير الكبير ٢٨/١٤٢.

(٦) لسان العرب ١٤/١٩ (أخا).

(٧) تهذيب اللغة ٧/٦٢٣-٦٢٧.

الإسلام))^(١). وزاد في رواية: ((لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكنه أخي وصاحبي))^(٢).

قال بعض النحويين: سُمي الأخ أحياناً لأن قصده قصد أخيه. وكذلك هو في الصداقة أن تكون إرادة كل واحد من الأخوين موافقة لما يريد صاحبه. والعرب تقول: فلان يتوخى مسار فلان أي يقصد ما يسره^(٣).

ونقل عن أهل البصرة أنهم قالوا: إن الأخوة في النسب، والإخوان في الصداقة، وهذا غلط، لأن الله تعالى قال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ ولم يعن النسب، وقال: ﴿أَوْ بِيُوتٍ إِخْوَانِكُمْ﴾ [سورة النور ٦١/٢٤]. وهذا في النسب^(٤).

وقال الراغب: "الأخ هو المشارك آخر في الولادة، من الطرفين، أو من أحدهما، أو من الرضاع، ويستعار في كل مشارك لغيره في القبيلة أو في الدين أو في صنعة أو في معاملة أو في مودة، وفي غير ذلك من المناسبات. قال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَاقْتَلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحِيءُ وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [سورة آل عمران ١٥٦/٣]، [الإخوانهم] أي: المشاركين لهم في الكفر. وقوله: ﴿وَالِإِخْوَانِهِمْ هُودًا﴾ [سورة الأعراف ٦٥/٧] سماه أحياناً تنبيهاً على إشفاقه عليهم شفقة الأخ على أخيه. وتأخيت: تحريت تحري الأخ للأخ، واعتبر من الأخوة معنى الملازمة فقيل: أخية الدابة"^(٥).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب الخوذة والمرور في المسجد (١/١٧٧ ح ٤٥٤).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر رضي الله عنه (٤/١٨٥٤-١٨٥٥ ح ٢٣٨٢، وح ٢٣٨٣).

(٣) معاني القرآن للزجاج ٤٥١/٢.

(٤) التفسير الكبير ٨/١٤٣، ١٥/١٨٦.

(٥) المفردات ٢٢-٢٣.

● لفظ (المعاشرة) :

ومنه قوله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [سورة النساء ١٩/٤].

العشرة: بالكسر اسم من المعاشرة وهي المخالطة^(١). عاشرته معاشرة و اعتشروا وتعاشروا: تخالطوا، والعشير: القريب والصديق. والجمع منه عُشراء^(٢). والعشير المعاشر قريبا كان أو معارف، والعشيرة: أهل الرجل الذين يتكاثر بهم أي يصيرون له بمنزلة العدد الكامل، وذلك أن العشرة هو العدد الكامل^(٣). وسميت عشيرة الرجل بذلك لمعاشرة بعضهم بعضاً^(٤)، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ﴾ [سورة التوبة ٢٤/٩] وقال: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [سورة الشعراء ٢٦/٢١٤] فصارت العشيرة اسماً لكل جماعة من أقارب الرجل^(٥). والعشير: الزوج والزوجة، لأنه يعاشرها وتعاشره^(٦). ومن ذلك ما روي عن أبي سعيد الخدري^(٧) رضي الله عنه قال: خرج رسول الله ﷺ في أضحى أو فطر إلى المصلى فمر على النساء، فقال: ((يا معشر النساء تصدقن فيني أريتنكم أكثر أهل النار)). فقلن: وبم يا رسول الله؟ قال: ((تُكثرن اللعن وتكفرن العشير))^(٨).

وقال تعالى: ﴿يَدْعُوا لِمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لَيْسَ الْمَوْلَىٰ وَلَيْسَ الْعَشِيرُ﴾ [سورة الحج ١٣/٢٢] العشير: المعاشر.

(١) الصحاح ٦٤١/٢ (عشر).

(٢) لسان العرب ٥٧٤/٤ (عشر).

(٣) المفردات ٣٣٨.

(٤) مقاييس اللغة ٣٢٦/٤ (عشر).

(٥) المفردات ٣٣٨، التعاريف ٥١٥.

(٦) تهذيب اللغة ٤١٠/١، لسان العرب ٥٧٤/٤ (عشر).

(٧) سعد بن مالك بن سنان الأنصاري الخرجي، الصحابي الجليل اشتهر بكنيته، لازم النبي ﷺ، وروى عنه كثيرا من الأحاديث، توفي بالمدينة سنة ٧٤هـ. الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، محمد البجاوي، دار الجليل، بيروت، ١٤١٢هـ. ٧٨/٣، الأعلام ٧٨/٣.

(٨) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الحيض، باب ترك الحائض الصوم (١/١١٦ ح ٢٩٨). وبنحوه عند مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان نقصان الإيمان بنقص الطاعات (١/٨٦ ح ٧٩).

قال مجاهد^(١) رضي الله عنه: يعني الوثن، بئس هذا الذي دعاه من دون الله، مولى يعني: ولياً وناصرأ. **﴿وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ﴾** وهو المخالط والمعاشر^(٢). واختار ابن جرير رضي الله عنه أن المراد: لبئس ابن العم والصاحب^(٣).

• لفظ (زوج):

قال تعالى: **﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾** [سورة الذاريات ٤٩/٥١]. وقوله: **﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾** [سورة النجم ٤٥/٥٣]. وقال: **﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾** [سورة الروم ٢١/٣٠].
قال ابن فارس: الزاء والواو والجيم، أصل يدل على مقارنة شيء لشيء^(٤).
وقيل: كل ما يقترن بأخر مماثلان له أو مضاد. وكذا كل اثنين لا يستغني أحدهما عن صاحبه^(٥).
وقيل: ما لا يكمل المقصود إلا معه على نحو من الاشتراك والتعاون^(٦).
والجمع: أزواج، والمرأة زوج الرجل، والرجل زوج المرأة. ويقال: المرأة زوجة وهي لغة رديئة.
وقد روي عن عمار بن ياسر^(٧) رضي الله عنه قوله عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها:

(١) مجاهد بن جبر أبو الحجاج، مولى السائب، المخزومي المكي، شيخ القراء والمفسرين، أخذ التفسير عن ابن عباس وقرأ عليه، وصحب ابن عمر مدة وأخذ عنه، قال قتادة عنه: أعلم من بقي بالتفسير مجاهد. وقال سفيان الثوري: خذوا التفسير من أربعة: مجاهد، وسعيد بن جبير وعكرمة، والضحاك. توفي سنة ١٠٣هـ، وقيل: ١٠٤هـ. طبقات المفسرين، الداودي ١١، وسير أعلام النبلاء ٤/٤٤٩-٤٥٩.

(٢) تفسير ابن كثير ٣/٢٣٣.

(٣) جامع البيان ١٧/١٢٥.

(٤) مقاييس اللغة ٣/٢٦.

(٥) الكليات ٤٨٦، لسان العرب ٢/٢٩١ مادة (زوج).

(٦) التعاريف ٣٩٠.

(٧) عمار بن ياسر، مولى بني مخزوم، من السابقين للإسلام هو وأبوه وأمه، ومن عذب في الله ونزل فيه قوله تعالى: **﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾** [النحل ١٦/١٠٦] هاجر إلى المدينة، وشهد بدرأ، وأحدأ، والخندق، وبيعة الرضوان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وشهد قتال مسيلمة مع أبي بكر، واستعمله عمر على الكوفة، وصحب عليا، وشهد معه الجمل وصفين، روى عدة أحاديث، قتل في صيفين سنة ٣٧هـ. أسد الغابة، ابن الأثير، تحقيق: عادل الرفاعي، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان ط: الأولى، ١٤١٧هـ. ٤/١٣٩-١٤٥، الإصابة ٤/٥٧٥.

"إني لأعلم أنها زوجته في الدنيا والآخرة ولكن الله ابتلاكم لتتبعوه أو إياها"^(١).

ويطلق لفظ الزوج: على النوع والصفة. ومنه قوله تعالى: ﴿قُلْنَا أَحْمَلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ آتَيْنِ﴾ [سورة هود ٤٠/١١]. وقوله: ﴿وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلْنَا فِيهَا زَوْجَيْنِ آتَيْنِ﴾ [سورة الرعد ٣/١٣]. أي: من كل نوع من أنواع الثمرات الموجودة في الدنيا صنفين؛ إما في اللون كالأبيض والأسود، أو في الطعم كالحلو والحامض، أو في القدر كالصغير والكبير، أو الكيفية كالحار والبارد، وما أشبه ذلك^(٢).

ويطلق الزوج غالباً على الذكر والأنثى من بني آدم المتلازمين بعقدة النكاح، وتوسع في هذا الإطلاق بالاستعارة على الذكر والأنثى من الحيوان الذي يتقارن ذكره وأنثاه لشبهها بالزوجين^(٣).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، باب فضائل عائشة (٣/١٣٧٥ ح ٣٥٦١).

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، لأبي السعود محمد بن محمد العمادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت. المشتهر بتفسير أبو السعود ٤/٥.

(٣) التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٠هـ. ٧/٩٦.

الفصل الثاني: أنواع الصحبة في القرآن

المبحث الأول: الصحبة باعتبار القرابة، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: صحبة الوالدين.

المطلب الثاني: صحبة الزوجين.

المطلب الثالث: صحبة الأقربين.

المبحث الثاني: الصحبة باعتبار المقارنة، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: صحبة الأتباع.

المطلب الثاني: صحبة الجوار.

المطلب الثالث: صحبة السفر.

المطلب الرابع: صحبة غير البشر.

المبحث الأول: الصحة باعتبار القرابة :

المطلب الأول: صحة الوالدين.

المطلب الثاني: صحة الزوجين.

المطلب الثالث : صحة الأقربين .

المطلب الأول: صحبة الوالدين

إن المتأمل في كتاب الله، المتتبع لأوامره ونواهيه على وجه الخصوص، يلحظ أن الله جل جلاله كثيراً ما يقرن الوصية بالوالدين والإحسان^(١) إليهما وبرّهما^(٢) بأمر عظيم، هو رأس الإسلام وقاعدته وعموده، وعليه مدار النجاة؛ ألا وهو الأمر بعبادته وحده لا شريك له، وتوحيده والإخلاص له، واتباع أمره، ونبذ الشرك وكل وسائله ومقدماته وصوره.

قال تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [سورة النساء ٣٦/٤]، وذلك مما يدل على عظم حقهما، وأن الإحسان إليهما يعد أصلاً من أصول الشريعة الإسلامية، بل هو مما دعا إليه الرسل في جميع الشرائع السماوية السابقة؛ فقد جاء الأمر بالإحسان إليهما في الميثاق الذي أخذ على بني إسرائيل في عهد موسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [سورة البقرة ٨٣/٢]، وكذا أشار القرآن الكريم إلى وجوب برهما في سياق الثناء على يحيى - عليه السلام - على أنه أحد النماذج الرضية الراقية في هذا الجانب السلوكي الحميد، قال تعالى: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ [سورة مريم ١٩/٤]، وكذا على لسان عيسى بن مريم - عليه السلام - حباً

(١) الإحسان: ضد الإساءة، وحسنت الشيء تحسناً: زينته، لسان العرب ١١٧/١٣ (حسن). قال الراغب: "الإحسان فعل ما ينبغي فعله من المعروف وهو ضربان: أحدهما الإنعام على الغير، والثاني: الإحسان في فعله، وذلك إذا علم علماً محموداً وعمل عملاً حسناً" المفردات ١٢٦.

(٢) البر: مصدر برّ يبرُّ وهو مأخوذ من مادة (ب ر ر) التي تدل على معان عديدة، منها الصدق، قال القرطبي: البر: اسم جامع للخير. الجامع لأحكام القرآن، ٢/٢٣٨. ومن معانيه حسن الخلق، كما في حديث "البر حسن الخلق" (أخرجه مسلم، في صحيحه، باب تفسير البر والإثم (٤/١٩٨٠ ح رقم ٢٥٥٣). والبر: الصلاح، والبر: الصلة، يقال: بر رحمه إذا وصلها، والبر الطاعة، وأنواع البر نوعان: صلة ومعروف، فأما الصلة فهي التبرع ببذل المال في الجهات المحدودة لغير عوض مطلوب، وأما بر المعروف فهو نوعان: قول وعمل، فأما القول: فهو طيب الكلام وحسن البشر، والتودد بجميل القول وهذا مما يبعث على حسن الخلق ورقة الطبع. وأما العمل فهو بذل الجاه والمساعدة بالنفس والمعونة في النائبات وهذا يبعث على حب الخير للناس وإيثار الصلاح. النهاية لابن الأثير ١/١١٦، لسان العرب ٤/٥١ (برر). أدب الدنيا والدين، أبو الحسن علي بن محمد البصري، البغدادي، الشهير بالماوردي، المتوفى: ٤٥٠ هـ. د. ن. ١٨٤-٢١٥.

ووفاءً لأمه الطاهرة البتول، قال تعالى: ﴿وَبِرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَجْعَلْ لِي جَبَارًا شَقِيًّا﴾ [سورة مريم ٣٢/١٩].

بل إن بر الوالدين ليسمو في عالم العبادات، حتى يكون مقدماً على واحد من أفضل الأعمال والقربات؛ ألا وهو الجهاد في سبيل الله الذي هو ذروة سنام الإسلام، كما روى ذلك عن ابن مسعود رضي الله عنه حيث قال: ((سألت النبي صلى الله عليه وسلم أي العمل أحب إلى الله؟ قال: ((الصلاة على وقتها))، قلت: ثم أي؟ قال: ((بر الوالدين)) قلت: ثم أي؟ قال: ((الجهاد في سبيل الله))^(١). ولما للوالدين من مكانة عظيمة في الإسلام فإن الله - جل ثناؤه - لم يترك الأمر اجتهاداً، بل حدد ورسم لنا معالم هذه العلاقة، وبين الطريقة المثلى للتعامل معهما وكيفية صحبتتهما في الدنيا بالمعروف مؤمنين كانا أو كافرين. وفق الضوابط الشرعية في كتابه الكريم وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، ومن جملة ما جاء في ذلك ما ورد في ثنايا وصايا لقمان العظيمة لابنه.

والناظر في أسلوب سياقها يجد أن الله - جل ثناؤه - قد غير مسار الأفعال، فبعد أن كانت مسندة إلى لقمان - عليه السلام - في فاتحتها في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَبْنِي لَكَ شُرَكَاءَ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة لقمان ٣١/١٣]، حيث أسندت إلى المولى - جل ذكره - حين شرع في الحديث عن حق الوالدين فقال - سبحانه -: ﴿وَوَصَّيْنَا

الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنَا عَلَى وَهْنٍ وَفَصَلَّهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ﴾ [سورة لقمان ٣١/١٤]، فنلاحظ أن الذي تولى الأمر والوصية بهما هو الله - جل ثناؤه - بنفسه، ولم يتركه للقمان ليجري السياق على وتيرة واحدة.

فلو تركه يوصي ابنه لكان من الممكن أن يظن هذا الولد أن والده ما نصحه على هذا الوجه إلا لينتفع هو في المقام الأول، ولكن انتفت المنفعة الشخصية الآنية هنا، فالموصي هو الله - سبحانه - وهو غني عن خلقه، ولا يريد بهم إلا اليسر، والخير والسعادة في الدارين، فظهرت بذلك مكانة الأبوين عند الله تعالى.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأدب، باب البر والصلة (٥/٢٢٢٧ ح ٥٦٢٥). و مسلم في كتاب الإيمان، باب كون الإيمان بالله أفضل الأعمال (١/١٨٩ ح ٨٥) بلفظ أي العمل أفضل؟ .

و كذلك لفظ (وَوَصَّيْنَا) بالتشديد يدل على أن هذا الأمر مهم وشديد، بالإضافة إلى إسناد هذه الوصية إلى ضمير المعظم نفسه (نا)، وهذا غالباً ما يكون في الأمور المهمة وأمور الخير. كذلك اختياره للفظ (بِوَالِدَيْهِ) مع أنه لم يذكر إلا الأم وما يتعلق بالأمومة من الحمل والولادة والرضاعة، ليبين أن نصيب الأم من البر والإحسان وحسن الصحبة مقدم على الأب بثلاثة أضعاف، كما قال النبي ﷺ لمن سأله: من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: ((أمك)). قال: ثم من؟ قال: ((أمك)). قال: ثم من؟ قال: ((أمك)). قال: ثم من؟ قال: ((أبوك))^(١).

ولا عجب أن يكون حقها مقدماً على حق الأب؛ وذلك لأن علاقة الإنسان ورحلته في هذه الحياة تبدأ مع أمه في بطنها؛ منذ أن كان نطفة، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلْطَانٍ مِّن طِينٍ﴾^(١٢) ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾^(١٣) ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [سورة المؤمنون ١٢/٢٣-١٤]. فهو يتكون وينمو شيئاً فشيئاً في بطنها، ويتغذى من دمها، ويتنفس من هوائها، وهي تعاني من الآلام ومشاق الوحم والحمل فتزداد ضعفاً على ضعف، ولا يزال ذلك الضعف يتزايد بامتداد زمن الحمل الذي يتراوح ما بين ستة أشهر إلى تسعة، حتى تحين ساعة الولادة، فيزداد ضعفها، ويتضاعف ألمها^(١٤)، هذا هو الوهن والكره الذي صورته المولى - جل ثناؤه - في قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ [سورة الأحقاف ١٥/٤٦].

وما قول ابن عمر رضي الله عنهما لمن حمل أمه على ظهره، وطاف بها حول الكعبة، حينما سأله: أتراني جزيتها، قال: لا ولا بطلقة واحدة، ولكنك أحسنت، والله يثيبك على القليل كثيراً^(١٥)؛ إلا إعلان صريح لكبير حق الأم على ولدها، مقابل ما قاسته من أجله.

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب من أحق الناس بحسن الصحبة (٢/٧٨ ح ٥٩٧١)، ومسلم في كتاب البر والصلة و الآداب، باب بر الوالدين وأمهما أحق به (٤/٥٦٧ ح ٢٥٤٨).

(٢) زاد المسير ١٠٠٣، تفسير ابن كثير ٣/٤٨٧، لباب التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم، المعروف بالخازن وكتابه اشتهر بتفسير الخازن ٥/٦٠، الكشاف ٨٣٦.

(٣) الكشاف ٥٩٥، روح المعاني ١٥/٥٧.

لكن سرعان ما تزول عنها هذه المشقة، وهذا النصب عندما تسمع صرخة طفلها ساعة خروجه إلى الدنيا من بطنها، فتحمله وتضمه إلى صدرها، وتغمرها فرحة كبيرة تنسيها كل تلك المعاناة.

ثم ها هي ذي ترضعه لبنها وتسهر على راحته مدة عامين، وهي ترقبه بعين الرحمة والشفقة، تمرض لمرضه وتفرح لفرحه، تقوم على خدمته ليلاً ونهاراً، وهي على هذا الحال طوال عمرها، لا تكمل ولا تمل من رعايته والقيام بشؤونه، سواء كان طفلاً صغيراً أم شاباً يافعاً.

ثم ها هي ذي تشارك الأب الذي يسعى ويكدح في سبيل طلب الرزق له، ويلاقي في ذلك ما يلاقي، تشاركه التربية والتوجيه وحسن الرعاية والعناية بهذا الابن طول حياته^(١).

فلا عجب أن يأمر الله بالإحسان إليهما وشكرهما^(٢) كما أمر بذلك حيث قال:

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفَصَّلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَىٰ

الْمَصِيرِ﴾ [سورة لقمان ١٤/٢٣]، فلقد قرن بين شكره وشكرهما، وشتان ما بين الشكرين، إلا أن الثاني داخل في الأول، وأفرد وألحق به وعطف عليه لتشريفه وبيان علو مكانته، فشكر الله يكون بالإيمان، الذي هو الاعتقاد والتصديق والعمل، ومن جملة الأعمال التعبدية التي يجيها الله - سبحانه وتعالى - والتي هي من شكره شكر الوالدين على تربيتهما لهذا الابن وقيامهما على شؤونه حتى استحكمت قواه وبلغ أشده^(٣).

قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفَصَّلَتْهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ

صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [سورة الأحقاف ١٥/٤٦]

(١) بتصرف من تفسير ابن كثير ٤٨٧/٣، بر الوالدين، عبد الحميد كشك ٨٥ .

(٢) الشكر: الوصف الجميل على وجه التعظيم والتبجيل على النعمة، ومقابلتها بالقول والفعل والنية، وقيل: هو الثناء على المحسن بذكر إحسانه، فالعبد يشكر الله أي يثني عليه بذكر إحسانه الذي هو النعمة، والله يشكر العبد أي يثني عليه بقبول إحسانه وهو طاعته . لسان العرب ٤/٢٥ (شكر)، المفردات ٢٦٨، التعريفات ١٦٨ .

(٣) جامع البيان ٧٠/٢١ .

قال القرطبي^(١) رحمه الله: "وأما شكرهما وبرهما فيكون بطاعتهما في غير معصية الله، وأن يحسن إليهما في الأقوال والأفعال، ويسعى في تحصيل مطالبهما والإنفاق عليهما، وعدم الإساءة إليهما بقول أو فعل، قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٍ وَلَا نَهْرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [سورة الإسراء ٢٣/١٧] أي لا تقل لهما ما يكون فيه أدنى تبرم، بل لا بد من إلانة القول لهما واستعمال غاية الأدب في خطابهما، وألا يرفع صوته عليهما، وألا يتكلم معهما بكلام غليظ، بل يقول لهما قولاً كريماً، ولا يدعوهما بأسمائهما مجردة، ولا يحد النظر إليهما، وألا يمشي أمامهما، وأن يدعو لهما كما يدعو لنفسه، وهذا هو حال أولي العزم من الرسل، فهذا نوح - عليه السلام - يدعو فيقول: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ﴾ [سورة نوح ٢٨/٧١]. وهذا إبراهيم - عليه السلام - يقول: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ [سورة إبراهيم ٤١ / ١٤]^(٢).
وقد سئل الحسن البصري^(٣) رحمه الله: "ما بر الوالدين؟ قال: أن تبذل لهما ما ملكت، وتطيعهما فيما أمراك ما لم يكن معصية"^(٤).

(١) محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي، أبو عبد الله، القرطبي: من كبار المفسرين. صالح متعبد، من أهل قرطبة، رحل إلى الشرق واستقر بمنية ابن خصيب في شمالي أسبوط، بمصر، وتوفي فيها سنة ٦٧١هـ. من كتبه: الجامع لأحكام القرآن، وجمع الحرص بالزهد والقناعة، والأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، والتقريب لكتاب التمهيد. طبقات المفسرين الداودي ٢٤٦، الأعلام ٣٢٢/٥.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٠/٢١٣.

(٣) الحسن بن يسار البصري، أبو سعيد: ولد بالمدينة سنة ٢١هـ، وشب في كنف علي بن أبي طالب، كان من سادات التابعين، كان إمام أهل البصرة، وخبير الأمة في زمنه، كان بالغ الفصاحة، وبلغ المواعظ، كثير العلم بالقرآن. عظمت هيئته في القلوب، فكان يدخل على الولاة فيأمرهم وينهاهم، لا يخاف في الحق لومة لائم، قال عنه الغزالي: كان الحسن البصري أشبه الناس كلاماً بكلام الأنبياء، وأقربهم هدياً بالصحابة، وكان غاية في الفصاحة، تنصب الحكمة من فيه، ت ١١٠هـ. طبقات المفسرين الداودي ١٣، الأعلام ٢٢٦/٢.

(٤) الدر المنثور، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٣م. ٢٥٩/٥.

وروي عنه في موضع آخر، أنه قال: البر: الحب والبذل، أما العقوق: فهو أن تحرمهما وتهجرهما، ثم قال للسائل: ويحك ما شعرت أن نظرك في وجه والديك عبادة فكيف بالبر بهما^(١)!

وكذا أمر بالتواضع لهما تواضعاً يبلغ حد الذل، قال تعالى: ﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [سورة الإسراء ١٧/٢٤]، وذلك لإزالة وحشة أنفسهما إن صاروا في حاجة إلى معونتك. وقد خص سبحانه هذه الحالة بالذكر لأنها المرحلة التي يحتاجان فيها إلى البر أكثر من غيرها؛ لتغير الحال عليهما بالضعف والكبر، فألزم في هذه الحالة من مراعاة أحوالهما أكثر مما ألزمه من قبل؛ لأنهما صاروا كلاً عليه، فيحتاجان أن يلي منهما في الكبر ما كان يحتاج في صغره أن يلياً منه^(٢).

ثم بعد موتهما يدعو لهما، ويستغفر لهما، ويقضي عنهما ما كان من دين عليهما لله أو للآدميين، وينفذ وصيتهما، ويتصدق عنهما، ويصل رحمهما وأهل ودهما، وهذا ما قاله النبي ﷺ لمن سأله: ((هل بقي علي من بر أبي شيء أبرهما به بعد موتهما؟ قال: ((نعم، الصلاة عليهما، والاستغفار لهما، وإنفاذ عهودهما من بعدهما، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما، وإكرام صديقيهما))^(٣).

ثم إن مصيرك ومالك أيها الابن إلى الله وهو سائلك عما كان من شركك له على نعمه عليك، وعما كان من شركك لوالديك وبرك بهما على ما لقياً منك من العناء والمشقة في حال طفولتك وصباك وما اصطنعاً إليك في برهما بك وتحننهما عليك^(٤).

(١) البر والصلة (عن ابن المبارك وغيره)، الحسين بن الحسن بن حرب أبو عبد الله المروزي، تحقيق: د. محمد سعيد بخاري، دار الوطن، الرياض، ط: الأولى، ١٤١٩هـ. ٩، الزهد، أحمد بن حنبل، تحقيق: عبد العلي عبد الحميد حامد، دار الريان للتراث، القاهرة، ط: الثانية، ١٤٠٨هـ-٢٦٣.

(٢) بتصرف من تفسير ابن كثير ٣/٤٨٧، تفسير الخازن ٥/٣١، والجامع لأحكام القرآن ١٠/٢١٢-٢١٣.

(٣) أخرجه أبو داود في سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث أبي داود السجستاني الأزدي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر. (٤/٣٣٦-٣٤٢)، والحاكم في المستدرک (٤/١٥٤-٧٢٦). وقال: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، وابن حبان في صحيحه، كتاب البر والصلة، باب ذكر وصف بر الوالدين لمن توفي أبواه في حياته (٢/١٦٢-٤١٨)، وضعفه الألباني في مشكاة المصابيح ٤٨٦٤.

(٤) جامع البيان ٢١/٧٠.

وبهذا تكون علاقة الولد بوالديه علاقة رحمة ومحبة وإحسان وشفقة، وهذه العلاقة محكومة برباط الدين؛ فإذا ما اختلف الدين فإن العلاقة تأخذ شكلاً آخر؛ فبعد أن كانت نابعة من قلب مفعم بالإيمان، معترف بالجميل لهذين الشخصين اللذين نشأه على الإيمان بالله والطاعة له ولرسوله ﷺ، وطاعتها في غير معصية لخالقه، ومن شعور بأن طاعتها والقيام بحقهما من فرائض الدين، تحولت معاملتهما إلى معاملة كريمة و صحبة طيبة في الدنيا فقط دون حب أو ولاء؛ لأن الحب لا يكون إلا في الله والله، والولاء لا يكون إلا لله ولرسوله ﷺ وللمؤمنين، قال تعالى: ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَآتَيْعَ سَبِيلٍ مَنْ أَنَابَ إِلَىٰ تَمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [سورة لقمان ١٥/٣١]، فهذه الآية مما وصى الله به الابن إن كان أبواه غير مؤمنين، وكانا حريصين على أن يتبع ملتتهما، فإن الله يوصيه بهما على رغم ذلك، فيقول له: إنه إن بذلا غايتهما وبالغا في مجاهدتك وإلزامك على أن تشرك بالله وتكفر به كفرًا ليس لك بصحته أو أحقيته علم فلا تطعهما، ولو اجتمعا على ذلك، بل خالفهما وإن أدى الأمر إلى السيف فجاهدهما به؛ لأن أمرهما بذلك مناف للحكمة، حامل على محض الجور والسفه. ومما يدل على شدة المجاهدة وأنها مجاهدة قوية للإشراك بالله إتيانه بحرف الاستعلاء (على) على خلاف ما ورد في موضع آخر حيث قال: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهِدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [سورة العنكبوت ٨/٢٩] (١). وهذا ما كان من حال سعد بن أبي وقاص (٢) حينما قال: (كنت باراً بأمي، فأسلمت. فقالت: لتدعن دينك أو لا آكل ولا أشرب حتى أموت فتعير بي. ويقال: يا قاتل أمه، وبقيت يوماً أو يومين، فقلت: يا أماه! لو كانت لك مئة نفس، فخرجت نفساً نفساً ما تركت ديني هذا، فإن شئت فكلي وإن شئت فلا تأكلي، فلما رأت ذلك أكلت) (٣).

(١) روح المعاني ٨٧/٢١، والتحرير والتنوير ١٦٠/٢١.

(٢) سعد بن مالك، اشتهر بكنية أبيه (أبي وقاص)، أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد سادات الصحابة، وأحد الستة أصحاب الشورى، الذين مات رسول الله ﷺ وهو عنهم راض، شهد بدرًا وأحدًا والمشاهد كلها، وكان قائد المسلمين في غزوة القادسية، توفي سنة ٥٥هـ. أسد الغابة ٤٣٣/٢-٤٣٧.

(٣) تفسير ابن كثير ٤٤٦/٣، الدر المنثور ٥٢١/٦.

ثم إنه لما كان يُفهم من عدم طاعتها في هذا الأمر الإعراض عنهما رأساً في كل أمر إذا خالفا في الدين، أشار سبحانه إلى أن هذا ليس مطلقاً، بل قيد هذا بالأمر بصحبتهما، وإن كانا على غير دينه، فقال: ﴿وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [سورة لقمان ٣١/١٥]، أي: اصحبهما ولازمهما وعاشرهما عشرة جميلة بجسمك وروحك، لا بعقلك؛ لأن حقهما إنما يكون على جسمك؛ لأنهما قاما بتربية هذا الجسم^(١)؛ فتقوم بخدمتهما وتنفق عليهما من مالك، فتطعمهما إذا جاعا وتكسوهما إذا عريا، وهذا من حسن الصحبة، كما قيل: حسن الصحابة أن يطعمهما إذا جاعا وأن يكسوهما إذا عريا.

كذلك جاء الأمر بالقيام بحقوقهما، ومن حقوقهما خدمتهما إذا احتاجا أو أحدهما إلى خدمة، وإجابة دعوتهما، وامتنال أمرهما ما لم يكن معصية، والتكلم معهما بلين^(٢)، فلا يرفعُ صوته عليهما، ولا يقول لهما ما يغضبهما، ولا ينهرهما، ولا يدعوها باسميهما مجردين، بل يبرهما بكل أنواع البر، ويصلهما بكل أنواع الصلوات، ويصبر عليهما ويتحملهما، ويدعوها إلى الإسلام برفق؛ وقد قالت أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما للنبي ﷺ - وقد قدمت عليها حالتها وقيل أمها من الرضاعة-: ((يا رسول الله، إن أُمِّي قدمت علي وهي راغبة أفأصلها؟ قال: (نعم))^(٣). وراغبة قيل معناه: عن الإسلام. قال ابن عطية رحمته الله: "والظاهر عندي أنها راغبة في الصلة، وما كانت لتقدم على أسماء لولا حاجتها"^(٤).

ومن حقهما أن يمرضهما إذا مرضا، ويغسلهما إذا ماتا، ويدفنهما، وير صديقهما، ويفي بعهدهما. أما الدعاء لهما بالرحمة والمغفرة ففي حال حياتهما. أما إذا ماتا على الشرك فينقطع حقهما؛ فلا يدعو لهما لأن الله جل ثناؤه قد نهي خليله وحبيبه ﷺ، وكذا من قبله خليله إبراهيم عليه السلام عن الاستغفار للمشركين، حيث قال في محكم التنزيل: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾^(٥) وَمَا كَانَ

(١) التفسير الكبير ٢٥/١٢٩.

(٢) الدر المنثور ٥/٥٢١، تفسير الخازن ٥/٣١، الجامع لأحكام القرآن، ١٠/٢١٢.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد، باب من عاهد ثم غدر (٣/١١٦٢ ح ٣٠١٢)، وكتاب الأدب، باب صلة الوالد المشرك (٥/٢٢٣٠ ح ٥٦٣٣)، ومسلم باب أفضل النفقة والصدقة على الوالدين ولو كانا مشركين (٢/٦٩٦ ح ١٠٠٣).

(٤) المحرر الوجيز ١٤٨٦.

أَسْتَغْفَرُ إِبْرَاهِيمَ لِأَيِّهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَّهَا إِتْيَاهُ فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ

حَلِيمٌ ﴿سورة التوبة ٩/١١٣-١١٤﴾، فقد روي في سبب نزول هذه الآية، أن رسول الله ﷺ لما فتح مكة أتى قبر أمه، فوقف عليه حتى سخنت الشمس، وجعل يرغب في أن يؤذن له في الاستغفار لها فلم يؤذن له، فأخبر أصحابه أنه أذن له في زيارة قبرها، ومُنِعَ أن يستغفر لها، فما رُئي باكياً أكثر من يومئذ^(١).

وقد حدد الله جل ثناؤه مدة صحبة الوالدين بأنها في الدنيا، أما إذا ماتا وهما على الكفر فينقطع وينتهي حقهما على ولدتهما. فقال: ﴿وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [سورة لقمان ٣١/١٥]. وإنما ذكر (في الدنيا) لتهوين أمر الصحبة، والإشارة إلى أنها في أيام قلائل وشيكة الانقضاء، فلا يضر تحمل مشقتها لقلّة أيامها وسرعة انصرامها، وقيل: إشارة إلى أن الرفق بهما إنما يكون في الأمور الدنيوية دون الدينية^(٢). ولما كان الابن عاجزاً عن الوفاء بجميع الحقوق لعجزه، خفف عليه بالتنكير في قوله: ﴿مَعْرُوفًا﴾^(٣)، أي: يعرفه الشرع ويرتضيه ويقتضيه الكرم والمروءة من إطعامهما وكسوتهما والإحسان إليهما في الأقوال والأعمال^(٤).

وبعد أن نهي سبحانه عن طاعتها إذا كانا يأمران بشيء فيه معصية للخالق، أمره باتباع دين مَنْ أَقْبَلَ خَاضِعاً إِلَى اللَّهِ ولم يلتفت إلى عبادة غيره. وهم المؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسوله، المستسلمون لربهم المنيون إليه، فاتبع سبيلهم واسلك مسلكهم في الإنابة إلى الله، والسعي فيما يرضيه ويقرب منه، ثم إن مرجعكم ومآلكم أيها الطائعون والعاصون إليه سبحانه،

(١) المحرر الوجيز ٨٨٧.

(٢) روح المعاني ٢١/٨٧.

(٣) المعروف: اسم لكل فعل يعرف بالعقل أو الشرع حسنه، وهو ضد المنكر، قال ابن الأثير: المعروف: اسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله والتقرب إليه والإحسان إلى الناس، وكل ما ندب إليه الشرع ونهى عنه من المحسنات والمقبّحات، وهو النصفَةُ وحسن الصحبة مع الأهل وغيرهم من الناس، وقيل: ما تعرفه النفس من خير وتبساً به وتطمئن إليه.

المفردات ٣٣٤، النهاية لابن الأثير ٣/٢١٦ (عرف)، لسان العرب ٩/٢٤٠ (عرف).

(٤) تفسير أبو السعود ٢/١٤٥، وروح المعاني ٢١/٨٧.

فيجازي المؤمن على إيمانه وبره بوالديه، ويجازيهما على كفرهما، ثم يجازي كلاً منهم بما صدر منه من خيرٍ وشرٍ، فلا يخفى على الله من أعمال الخلق خافية^(١).

(١) بتصرف من تفسير ابن كثير ٣/٤٨٧، الكشاف ٨٣٦، تفسير الخازن ٤/٦١، روح المعاني ٢١/٨٧، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: التاسعة، ١٤١٨ هـ. المشتبه تفسير ابن سعدي ٥٩٧.

المطلب الثاني: الصحبة بين الزوجين

إن المتأمل في خلق الله - جل جلاله - للكون وما فيه من مخلوقات؛ ليلحظ ذاك النظام البديع، إنه نظام التزاوج في المخلوقات، فإنه - سبحانه - لم يخلق نوعاً واحداً بل خلق من كل شيء زوجين؛ كما قال تعالى: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [سورة الذاريات ٤٩/٥١].

ومن هذه الأنواع الرجل والمرأة، والناظر في كيفية خلقهما يجد أن الله - سبحانه وتعالى - خلق الرجل أولاً، ثم خلق له زوجته، فإنه عندما اقتضت حكمة الله خلق آدم عليه السلام ليكون خليفة الله في الأرض، يقيم فيها ويعبده وحده؛ خلقه خلقاً مغايراً لما هو موجود من الملائكة والجن، حيث قال: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلِيقٌ بَشَرًا مِّنْ حَمِيمٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [سورة الحجر ٢٨/١٥-٢٩].

ولأنه لن يستطيع تحقيق هذا الهدف بمفرده، خلق له من نفسه من يأنس به، ويألفه، ويسكن إليه، ويقوم معه بما اقتضته حكمة الله وإرادته، فقال - سبحانه - موضحاً خلق حواء عليها السلام: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ [سورة الأعراف ١٨٩/٧]. فقد جاء (أنه كان يمشي في الجنة وحيشاً، ليس له زوج يسكن إليه، فنام نومة، فاستيقظ وعند رأسه امرأة قاعدة خلقها الله من ضلعه، فسألها: ما أنت؟ قالت: امرأة، قال: ولم خلقت؟ قالت: لتسكن إليّ^(١)). وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: خلقت المرأة من الرجل فجعلت نهمتها في الرجل، وخلق الرجل من الأرض فجعلت نهمته في الأرض^(٢).

(والتأمل في كيفية خلق المرأة، يجد أنها خلقت من ضلع آدم وهو أقرب مكان للقلب، وكأن هذا هو المكان الطبيعي من زوجها، أن تكون في قلبه، فيعاملها بالعاطفة، والحب والحنان، ولو خلقت من رأسه لكانت عقله المفكر الذي يسوسه ويقوده، ولو خلقت من يده

(١) انظر تفسير ابن كثير ٩٩/١، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، أبو الفرج، دار صادر، بيروت، ط: الأولى، ١٣٥٨هـ. ٢٠٣/١-٢٠٤.

(٢) تفسير ابن كثير ٥٠٦/١.

لبطش بها، أو تكسب بها، ولو خلقت من رجله لداسها وأهانها واستعلى عليها، ولكنها خلقت من أقرب مكان من قلبه، حتى تكون منبع العواطف الجياشة، والمشاعر الجميلة، ولكي تعلم أن الرجل هو الأصل والمرأة فرع، وأنه هو الكل وهي الجزء ولا حياة للكل إلا بجميع أجزائه، ولا حياة للجزء إلا بانتمائه لأصله^(١).

وهكذا ابتدأت البشرية بأول أسرة مكونة من الزوجين . آدم وحواء - عليهما السلام- ثم تتابعت الذرية، ثم البشرية جميعاً، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَتَقُورَ رَبِّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [سورة النساء ١/٤] .

ولأن الإسلام دين منظم فقد أقام هذه العلاقة بين الرجل والمرأة على أسس وقواعد، فسن الزواج وجعله عبادة يتقرب بها إلى الله.

ولما لهذه العلاقة من أهمية جعلها الله - جل جلاله - آية من آياته الدالة على عظمته وقدرته، فقال - جل ثناؤه -: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُفَكِّرُونَ﴾ [سورة الروم ٢١/٣٠] فكانت هذه الآية من تمام رحمة الله، ومما امتن به على بني آدم، بأن جعل لهم من أنفسهم ومن جنسهم أزواجاً، تسكن إليها نفوسهم، وتألّفها قلوبهم، وتميل إليها، ولو جعل الأزواج من نوع آخر ما حصل الائتلاف والمودة والرحمة، ولكن رحمة الله أن خلق من بني آدم ذكوراً وإناثاً، وجعل الإناث أزواجاً للذكور^(٢)، وجعل بينهما من المودة والرحمة ما يتوادان به ويتراحمان من غير سابق معرفة ولا قرابة بينهما^(٣).

(١) من أخلاقيات الإسلام، ياسين رشدي، نهضة مصر، سلسلة الطريق إلى الله، ط: ٢ . ١٤١٢ هـ . ٤٩ - ٥٠ .

(٢) أضواء البيان ٤١٢/٢ .

(٣) تفسير الخازن ١٣٧/٥ .

ثم جعل لهما أنسا وفرحا، وهذا متحقق في قوله تعالى: ﴿لَيْسَكُنَّ إِلَيْهَا﴾ و﴿لَتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾ فإنه - سبحانه - لم يقل ليسكن معها، وهذا يؤكد معنى الاستقرار، ويحقق الراحة والطمأنينة بأسمى معانيها. فكل من الزوجين يجد في صاحبه الهدوء عند القلق، والبشاشة عند الضيق^(١).

وأما قوله: ﴿مَنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ فهذا بيان لما يجب أن يكون عليه الزوجان من الانسجام والتمازج لأن لكل واحد منهما نفساً، وعند التحقق نلاحظ أن هذه من تلك، كما أخبر الخالق - جل وعلا - فهما نفس واحدة: ﴿هُنَّ لِيَأْسُ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَأْسُ لَهُنَّ﴾ [سورة البقرة ١٨٧/٢] وهذا أبلغ في بث السكينة في قلب الزوج، فكأنه بطريق الإيحاء كأنما يسكن إلى نفسه، وقد جعل السكون مطلوباً من الرجال ولم يطلب من النساء، لأنه فيهن فطرة وطبيعة، وفي الرجال عادة مكتسبة ومغالبة للفطرة^(٢).

وقد قال الرازي: "سكن إليه، للسكون القلبي، وسكن عنده للسكون الجسماني، لأن كلمة (عند) جاءت ظرف مكان، وذلك للأجسام، و(إلى) جاءت للغاية وهي القلوب"^(٣). (وفي جو الأسرة يجد الزوجان كل في رحاب الآخر مشاعر الألفة والحنان، والود والتعاطف، مشاعر لا يجدها كل منهما في مكان آخر. فلا يجدها الرجل عند الرجل، ولا المرأة عند المرأة؛ فالسكن النفسي والمودة والرحمة التي يشعر بها الزوج إزاء زوجته تعتبر من المطالب النفسية التي لا يستغني عنها، ولا يجدها في غير الزواج، إنه سكن لا يعني عنه سكن آخر، فهو سكن روح من جنسه فيصبح الروحان روحاً واحدة ويصبح القلبان قلباً واحداً)^(٤).

ثم بعد السكن والاطمئنان، وبعد أن تهدأ نفوسهما تنشأ بينهما المودة والرحمة؛ ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ .

(١) البيت السعيد وخلاف الزوجين، صالح بن عبد الله بن حميد، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية، ط: الثانية ٢٣٤٢ هـ. ٥.

(٢) القرآن العظيم هدايته وإعجازه في أقوال المفسرين، محمد الصادق عرجون، مكتبة الكليات الأزهرية، ١٣٨٦ هـ. ٣٧، بتصرف.

(٣) التفسير الكبير ١٣/١١١.

(٤) الأخوات المسلمات وبناء الأسرة القرآنية، محمد خيال، ومحمود الجوهري، دار الدعوة مصر، ط: ١، ١٤٠٠ هـ. ١٨٠.

وقيل في معانيهما: إن المودة: هي المحبة، والرحمة: الرأفة، فالرجل يمسك المرأة إما لمحبه لها أو لرحمته بها، أو أن يكون لها منه ولد، ومحتاج إليه في الإنفاق أو للألفة بينهما، وغير ذلك^(١).
وقيل: جعل بينكم أي بالزواج الذي شرعه لكم تواداً وتراحماً، من غير أن يكون بينكم وبينهن سابق معرفة ولا رابطة مصححة للتعاطف من قرابة أو رحم^(٢).
وقيل: جعل بينكم مودة بالمجامعة، ورحمة بالود.

وقيل: محبة حالة حاجة نفسه، ورحمة حالة حاجة صاحبه إليه. ويمكن أن يقال: ذكر من قبل أمرين: أحدهما: كون الزوج من جنسه، والثاني: ما تفضي إليه الجنسية، وهو السكون إليه، فالجنسية توجب السكون، وذكر هنا أمرين أحدهما يفضي إلى الآخر، فالمودة تكون أولاً ثم إنها تفضي إلى الرحمة. ولهذا فإن الزوجة قد تخرج عن محل الشهوة بكبر أو مرض، ويبقى قيام الزوج بها وبالعكس^(٣).

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: "المودة: حب الرجل امرأته، والرحمة: رحمته إياها أن يصيبها بسوء"^(٤).

(والرحمة عاطفة وجدانية، تنزع بصاحبها إلى الرفق بالآخر، والعطف عليه وتقدير ظروفه واحترام مشاعره. وإذا كانت المودة ميلاً نفسياً نحو الآخر، فإن هذا الميل يتولد شيئاً فشيئاً بالباعث على المودة. وإذا قام كل بواجبه نحو الآخر، وكان به رحيماً أمكن أن يميل كل منهما نحو صاحبه بالحب والحنان والمودة. فالرحمة بهذا تصنع المودة وتؤكد لها، ولهذا قيل: العطف أول درجات الحب، والعطف جانب من جوانب الرحمة التي تحرك العواطف النبيلة والمشاعر الحمودة، والدوافع الإنسانية، فتصل القادر بالعاجز، والقوي بالضعيف، والقريب بالبعيد، وتحمل كلاً من الزوجين على التحمل والصبر في رعاية الآخر، كأن يبقى بجانبه باذلاً من نفسه وجهده وماله، ليعوضه عن أي أذى أو مرض أو نقص في النفس والمال، ويسامحه حين تصدر منه بعض الزلات الصغيرة التي قد تتطلب إشغال أحدهما، أو تكليفه جهداً لا يطيقه

(١) تفسير ابن كثير ٣/٤٧٠.

(٢) الكشاف ٨٢٧.

(٣) التفسير الكبير ٢٥/٩٧.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ١٤/١٧.

وحده، فتحفز الرحمة الآخر إلى مشاركته وتخفيف أعبائه؛ فالرحمة ضرورية للحياة الزوجية وعامل مهم من عوامل سعادتها^(١).

(والله - سبحانه وتعالى - لم يأمر بالزواج، ولم يبالغ في الحث عليه، إلا لأنه السبيل الوحيد إلى الحياة الهانئة السعيدة، فهو وحده الذي يكفل للرجل والمرأة على السواء حياة يسودها سكن النفوس، واطمئنان القلوب، وتتوافر فيها الثقة المتبادلة، وهو الذي يكفل لهما المودة الخالصة، والمحبة الصادقة، التي هي أساس الروابط المتينة، وهو الذي يكفل لهما التراحم والتعاون في السراء والضراء. ومتى قامت الحياة على هذه المشاعر كانت كلها خير وبركة لأهلها وأقوامهم)^(٢).

نعم هذه هي الصحبة التي يصورها لنا القرآن الكريم بهذا التعبير اللطيف، ليعين لنا أن ما بينهما من صحبة، هي صحبة تلازم قائمة على الود والأنس والتآلف والتراحم، وأنها أشبه ما تكون بصلة المرء بنفسه، وقد شبهها - سبحانه - باللباس كما قال - جل ثناؤه -: ﴿لِيَسْئَلَهُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾ [سورة البقرة ١٨٧/٢]. فبهذا التصوير البارع يجسد لنا مدى العلاقة بينهما إنها علاقة جسد وروح في آن واحد، (فكل من الزوجين لباس للآخر، واللباس هو الشيء الذي يلتصق بجسد الإنسان ويستره، ويحميه من العوامل الخارجية الضارة. والمقصود من استخدام كلمة اللباس للزوجين؛ أن علاقة الزوجين بينهما من الناحية المعنوية يجب أن تكون مثل ما بين اللباس والجسد من علاقة، فتتصل قلوبهما وأرواحهما كل بالآخر، وأن يستر كل منهما الآخر، فهما من الناحية الجسدية ستر وصيانة، وهما ستر روحي ونفسي، فكل منهما يحمي قرينه من المؤثرات التي تفسد أخلاقه وتحط من عزته وكرامته، وهذا هو مقتضى المودة والرحمة، فليس أحد أستر لأحد من الزوجين المتآلفين يحرص كل منهما على عرض الآخر وماله ونفسه وأسراره أن تنكشف)^(٣).

(١) الأسرة المثلى في ضوء القرآن والسنة، د: عمارة نجيب، مكتبة المعارج، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط: الأولى، ١٤٠٠هـ-٣٣-٣٤.

(٢) عوامل استقرار الأسرة، كوثر محمد، دار خضر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط: الأولى، ١٤١٧هـ. ٤٠-٤١.

(٣) عوامل استقرار الأسرة ١٥-١٦، دستور الأسرة في ظلال القرآن، أحمد فائز، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٣٥٩هـ. ١٥٥.

ولما لهذه العلاقة من أهمية كبيرة في الإسلام - إذ هي قاعدة الصلابة بينهما - لم تترك مبهمة، بل حدها الشرع الكريم بحقوق وواجبات على كل من الزوجين، إذا قاما بها تحققت لهما المودة والرحمة والسكن والاطمئنان؛ وقامت صحبتهما على خير حال، وأثمرت السعادة والولد الصالح والمجتمع الآمن السعيد.

هذا وقد جاءت هذه الحقوق موضحة في قاعدة تشريعية دقيقة هي قوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [سورة البقرة ٢/٢٢٨]. فهذه الآية بينت أن لكل واحد من الزوجين على صاحبه حقاً^(١)، فليؤد كل واحد منهما إلى الآخر ما يجب عليه بالمعروف^(٢)، غير أن الزوج محتص بحق له على الزوجة ليس لها عليه مثله^(٣). والناظر في هذه الحقوق يجد أن من بينها حقوقاً خاصة بالزوج على زوجته، وحقوقاً أخرى خاصة بالزوجة على زوجها، بالإضافة إلى حقوق مشتركة بينهما.

إذا قام كل منهما بما يجب للآخر كان هذا بمثابة السياج الآمن الذي يحفظ الصلابة والعشرة بينهما حتى تستمر محفوفة بالبركة والتوفيق وفق ما يحب الله ويرضى، فلا تزيغ بمشيئة الله عن صراطه المستقيم.

حقوق الزوجة على زوجها

ومن هذه الحقوق الواجبة على الزوج لزوجته:

أ- حق النفقة: وهو من أهم الحقوق وأوجبها على الزوج، قال تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ [سورة النساء ٤/٣٤]. ففي هذا بيان لما فضّل به الرجال على النساء وهو النفقة عليهن، ومن النفقات ما هو فرض قبل الدخول بها، وهو ما يُعرف بالصدّاق، فهذا الحق مما امتازت به الشريعة الإسلامية في

(١) أحكام القرآن، أحمد بن علي الرازي الجصاص أبي بكر، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ. ٦٨/٢.

(٢) تفسير ابن كثير ٣١١/١.

(٣) أحكام القرآن، للجصاص ٦٨/٢.

تكريمها للمرأة على جميع الشرائع والنظم التي يجري عليها البشر في الزواج؛ حيث فرضت على الرجل أن يدفع لمن يقترب بها مهراً مقدماً على البناء بها^(١).

كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾ [سورة النساء ٤/٤] أي: أعطوا النساء مهورهن عطية واجبة، وفريضة لازمة^(٢).

"وهذا الحق الذي فرض لها إنما يكون تعبيراً عن رغبة الرجل في الارتباط بها، ورمزاً لتكريمها وإعزازها، لأن العطاء آية من آيات المحبة وصلة القربى، وتوثيق عرى المودة والرحمة. ولم يرد في الشرع حد للصداق الذي يدفع للمرأة أقله أو أكثره، بل جاء الحث عليه ولو كان خاتماً من حديد، أو شيئاً معنوياً كحفظ شيء من القرآن"^(٣). ومن ذلك ما روي عن سهل بن سعد^(٤) قال: كنا عند النبي ﷺ جلوساً فجاءته امرأة تعرض نفسها عليه، فخفض فيها النظر ورفعها فلم يردّها. فقال رجل من أصحابه: زوجنيها يا رسول الله. قال: ((أعندك من شيء؟)) قال: ما عندي من شيء. قال: ((ولا خاتماً من حديد)) قال: ولا خاتماً من حديد. ولكن أشق بردي هذه فأعطيها النصف وأخذ النصف. قال: ((لا، هل معك من القرآن شيء؟)) قال: نعم قال: ((اذهب فقد زوجتكها بما معك من القرآن))^(٥). وكذا قال ﷺ: ((أعظم النساء بركة أيسرهن صداقاً))^(٦).

ومن النفقات الواجبة للزوجة بعد البناء بها، نفقة الطعام، والشراب والكساء، قال تعالى:

﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ

وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ^٤﴾ [سورة البقرة ٢/٢٣٣]. فقد أوجبت الشريعة الإسلامية النفقة للزوجة

(١) عوامل استقرار الأسرة ١٠٩.

(٢) جامع البيان ٦/٣٢٧. وقيل: نحلة يعني عن طيب نفس، وأصل النحلة العطية على سبيل التبرع وهي أخص من الهبة. تفسير الخازن ٢/٣٢.

(٣) ماذا عن المرأة؟، الدكتور: نور الدين عتر، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط ٤، ١٤٠٢ هـ. ٦٠.

(٤) سهل بن سعد الخزرجي الأنصاري، من بني ساعدة، صحابي جليل، وإمام فاضل، روى عدداً من الأحاديث، ت ٩١ هـ، وقيل ٨٨. سير أعلام النبلاء ٣/٤٢٢، الأعلام ٣/٤٤٣.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب إذا كان الولي هو الخاطب (١٩٧٢/٥ ح ٤٨٣٩).

(٦) أخرجه الحاكم في المستدرک (٢/١٩٤ ح ٢٧٣٢)، والبيهقي في السنن الكبرى (٧/٢٣٥ ح ١٤١٣٤) وقال: وفي رواية: يزيد بن هارون "أيسرهن مؤنة". وضعف الألباني الزيادة في ضعيف الجامع ٩٦٢.

ولو كان لها مال خاص تنفق منه، وإذا كانت هذه النفقة واجبة في حق المطلقات فإنها في حق الزوجة من باب أولى، وتجب بقدر الحاجة، و باعتدال وعلى وسع الزوج وطاقته، قال تعالى: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِمَّنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِضَيْقِوَعَلَيْهِنَّ﴾ [سورة الطلاق ٦/٦٥].

وقوله: (بِالْمَعْرُوفِ) أي المتعارف عليه من غير تفريط ولا إفراط، وأنها على قدر غنى الزوج ومنصبه. قال ابن كثير رحمه الله^(١): "أي بما جرت به عادة أمثالهن في بلدهن من غير إسراف ولا إقتار، بحسب قدرته في يساره وتوسطه وإقتاره، كما قال تعالى: ﴿لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَاءً آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [سورة الطلاق ٧/٦٥]"^(٢).

وقد روي عن الرسول صلى الله عليه وسلم في ذلك أحاديث منها: ما روي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه^(٣): أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في خطبة حجة الوداع: ((اتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهن بأمان الله)) إلى أن قال: ((ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف))^(٤). وفي رواية أنه قال: ((قال: قلت يا رسول الله، ما حق زوجة أحدنا عليه؟ قال: ((أن تُطعمها إذا طعمت، وتكسوها إذا اكتسيت، ولا تضرب الوجه ولا تقبح، ولا تهجر إلا في البيت))^(٥).

(١) عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، أبو الفداء، ولد سنة ٧٠١هـ في بصرى الشام، ورحل في طلب العلم، وصنف التصانيف التي من أهمها: تفسير القرآن العظيم المعروف بتفسير ابن كثير، والبداية والنهاية في التاريخ، وشرح صحيح البخاري، وغير ذلك، توفي في دمشق سنة ٧٧٤هـ. الأعلام ١/٣٢٠.

(٢) تفسير ابن كثير ١/٣٢٥.

(٣) بن عمرو بن حرام الأنصاري، أحد المكثرين عن النبي صلى الله عليه وسلم وروى عنه جماعة من الصحابة، له ولأبيه صحبة، شهد العقبة الثانية، ولم يتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أحد، قيل شهد ثمان عشرة عروة معه صلى الله عليه وسلم، وشهد صفين مع علي رضي الله عنه، توفي بالمدينة سنة ٧٧هـ، وقيل ٧٧هـ. أسد الغابة ١/٣٧٧-٣٧٩، الإصابة ١/٤٣٤.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم (٢/٨٩٠، ح ١٢١٨).

(٥) رواه أبو داود في سننه (٢/٢٤٥ ح ٢١٤٣)، والنسائي في السنن الكبرى (٦/٤٣٩ ح ١١٤٣١)، والبيهقي في السنن الكبرى (٧/٣٠٥ ح ١٤٥٥٦)، والإمام أحمد في مسنده (٥/٣٠٣ ح ٢٠٠٣٦)، وقال الألباني إسناده حسن في مشكاة المصابيح ٣١٩٥.

والإسلام يبيح للمرأة الحصول على نفقتها، ونفقة أولادها من مال زوجها ولو بغير علمه إن كان شحيحاً أو مقصراً، كما جاء ذلك في قصة هند بنت عتبة^(١) رضي الله عنها قالت: ((يا رسول الله، إن أبا سفيان رجل شحيح، وليس يعطيني ما يكفيني وولدي إلا ما أخذت منه وهو لا يعلم، فقال: ((خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف))^{(٢)(٣)}.

ب- حسن المعاشرة بالمعروف:

عندما بدأ الإسلام بناء الأسرة، غرس في نفوس الزوجين بذرة الحب، ونسم بنسمة الرحمة بينهما. ولكي يحقق الحب والصفاء في النفوس والقلوب؛ وجه إلى الآداب النفسية والاجتماعية التي تعين على تحقيق هذه الغاية، وإذ هو يدعو إلى ترك الكبر والخيلاء، ويحرم كل ما يمس بكرامة الإنسان وأحاسيسه. ولا يقف عند هذا الحد بل يدفع إلى استجاشة الود وأحاسيس الألفة، ويدعو إلى إشاعة الكلمة الطيبة. ورد مقابلة السيئة بالحسنة، فينشر في جو البيت السعادة والطمأنينة، كما يدعو إلى الصبح عن المساءة، وضبط النفس عند الغضب، وجهادها لكيلا تضرن وتحقد، ولكن لتعفو وتغفر. ومن ذلك توجيهه إلى إحسان العشرة بين الزوجين، فقال - جل ثناؤه -: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [سورة النساء ١٩/٤]. فها هو ذا سبحانه يخاطب الأزواج عموماً ويأمرهم بحسن صحبة النساء إذا عقدوا عليهن لتكون أدمة ما بينهم وصحبتهم على الكمال، فإنه أهدأ للنفس وأهنأ للعيش^(٤).

وقد قال أهل التفسير في معنى العشرة أقوالاً، منها:

(١) هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف، صحابية، قرشية، أسلمت عام الفتح، وهي أم الخليفة معاوية بن أبي سفيان، شهدت معركة اليرموك، ت ١٤ هـ. الأعلام ٩٨/٨.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النفقات، باب إذا لم ينفق الرجل فللمرأة أن تأخذ بغير علمه (٥/٢٠٥٢، ح ٥٠٤٩٠).

(٣) عوامل استقرار الأسرة ١٣٠.

(٤) المحرر الوجيز ٤١٦، والجامع لأحكام القرآن ٩٣/٥ بتصرف.

ما نقل عن ابن جرير رحمه الله: " خالقوا أيها الرجال نساءكم وصاحبوهن بالمعروف، يعني بما أمرتم به من المصاحبة، وذلك إمساكنهن بأداء حقوقهن التي فرض الله لهن عليكم أو تسريحهن بإحسان" ^(١).

(ومن هذه الفروض التي فرض الله لهن، أن توفيهن حقها من المهر، والنفقة، و القسم في المبيت في حال تعدد الزوجات، والإجمال في القول والفعل، وذلك بترك أذاها بالكلام الغليظ، والإعراض عنها، والميل إلى غيرها، والعبوس والقطوب في وجهها بغير ذنب) ^(٢).
وقال ابن كثير رحمه الله: " (وعاشروهن بالمعروف) أي: طيبوا أقوالكم لهن، وحسنوا أفعالكم وهيئاتكم بحسب قدرتكم كما تحب ذلك منها، فافعل أنت بما مثله، كما قال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [سورة البقرة ٢/٢٢٨] " ^(٣).

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: إني أحب أن أتزين لامرأتي كما أحب أن تتزين لي ^(٤).
وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي)) ^(٥). وكان من حسن صحبته صلى الله عليه وسلم أنه كان جميل العشرة، دائم البشر، يداعب أهله ويتلطف لهم، ويوسع عليهم نفقته، ويضاحك نساءه، وقد جاء عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر، وكنت جارية (قالت : لم أحمل اللحم ولم أبذن) فقال لأصحابه : تقدموا فتقدموا ثم قال : تعالي أسابقك فسابقته فسبقته على رجلي . فلما كان بعد (وفي رواية: فسكت عني حتى إذا حملت اللحم وبدنت ونسيت) خرجت معه في سفر فقال: لأصحابه تقدموا فتقدموا ثم قال : تعالي أسابقك- ونسيت الذي كان وقد حملت اللحم-

(١) جامع البيان ٤/٣١٢.

(٢) التفسير الكبير ١٠/١١، وأحكام القرآن للحصاص ٣/٤٧.

(٣) تفسير ابن كثير ١/٥٣٧.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ٥/٩٧.

(٥) أخرجه ابن حبان في صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان التميمي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: الثانية، ١٤١٤هـ. ٩/٤٨٤، باب ذكر استحباب الاقتداء بالمصطفى صلى الله عليه وسلم للمرء في الإحسان إلى عياله، (٤/٤٨٤ ح ٤١٧٧)، والترمذي في الجامع الصحيح سنن الترمذي، محمد بن عيسى أبي عيسى الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت. كتاب المناقب، باب فضل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم (٥/٧٠٩ ح ٣٨٩٥)، وقال حديث حسن غريب، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٣٣١٤.

فقلت كيف أسابقك يا رسول الله وأنا على هذا الحال ؟ فقال : لتفعلن، فسابقته فسبقني، فجعل يضحك وقال : هذه بتلك السبقة^(١).

(وإنما وجه سبحانه وتعالى الخطاب للرجال لأنهم الذين بيدهم عقدة النكاح، وهم الذين يملكون إمساكهن بمعروف، أو تسريحهن بإحسان. والمعاشرة بالمعروف كلمة جامعة لكل ما فيه الخير والإحسان والإكرام)^(٢).

وقد أوصى الله - سبحانه وتعالى - بالإحسان إليهن كما أوصى بالإحسان إلى الوالدين حيث قال - جل ثناؤه - : ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾ [سورة النساء ٤/٣٦]. على ما فسر به قوله: (وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ) بأنه امرأة الرجل التي تكون معه إلى جنبه^(٣).

ومن إحسان العشرة بالزوجة أن يراعي الزوج فطرتها، وأنها خلقت مرهفة الحس، رقيقة المشاعر، فلا بد له أن يسوسها بلين ورفق، ويتحمل منها الأذى المحتمل في حلم وهوادة، كما قال الإمام الغزالي رحمه الله: "إن من الآداب حسن الخلق معهن، واحتمال الأذى منهن ترحماً، وليس حسن الخلق معها كف الأذى عنها، بل احتمال الأذى منها، والحلم عند طيشها وغضبها، اقتداءً برسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد كانت أزواجه يراجعنه، وتهجره الواحدة منهن إلى الليل، ورغم ذلك كان يزيد على احتمال الأذى بالمداعبة والمزاح والملاعبة، لأنها هي التي تطيب قلوب النساء، فقد كان يخرج معهن وينزل إلى درجات عقولهن في الأعمال والأخلاق"^(٤).

(١) رواه النسائي في السنن الكبرى (٣٠٤/٥ ح ٨٩٤٤)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/١٨١ ح ١٩٥٤٤)، وصححه الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، ط: الأولى، ٢٥٤/١، والحديث: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٢) عوامل استقرار الأسرة ١٣٤.

(٣) جامع البيان ٨١/٥.

(٤) إحياء علوم الدين، محمد بن محمد الغزالي أبي حامد، دار المعرفة، بيروت، دار الكتاب العربي، بيروت، ط: الأولى، ١٤٢٥هـ-٤٩٨-٤٩٩.

ومن ذلك ما روي عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها حيث قالت: ((كنت ألعب بالبنات عند النبي صلى الله عليه وسلم، وكان لي صواحب يلعبن معي، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل يتقمعن^(١) منه، فيسربهن إليّ فيلعبن معي))^(٢).

وما زال سياق الخطاب للأزواج.. فهذا هو ذا يخاطبهم بقوله: ﴿فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [سورة النساء ١٩/٤]، أي: إن كرهتم عشرتهن وسئتم صحبتهن، وإمساكنهن بمقتضى الطبيعة من غير أن يكون من قبلهن ما يوجب ذلك، وآثرتم فراقهن، فإنه ينبغي لكم أن تمسكوهن مع الكراهة، ولا تفارقوهن مجرد كراهة النفس لأن النفس قد تكره لدمامة أو سوء خلق، من غير ارتكاب فاحشة أو نشوز، ولا تحملكم الكراهة على سوء المعاشرة لأن الكراهة لا تدل على انتفاء الخير منهن، فلعل لكم فيما تكرهونه خيراً كثيراً. وقد جاء تنكير لفظي (شَيْئًا) و (خَيْرًا) ووصفه بما وصفه مبالغة في حمل الزوج على ترك المفارقة، وتعميماً للإرشاد^(٣).

وقد فسر ابن عباس رضي الله عنهما: الخير بالولد الصالح، فبه تنقلب الكراهة إلى محبة، والنفرة إلى رغبة. وهذا على سبيل التمثيل لا الحصر، وإذا نظرنا إلى فصاحة قوله تعالى: (فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا) نجد أنه علق الكراهة بلفظ (شيء) الشامل شمول البدل، ولم يعلقها بضمير (هن)؛ ليدل على أن المعنى الحثُّ على إمساكنهن، وعلى صحبتهن، وإن كره من أخلاقهن شيئاً^(٤). وهذا مصداقاً لقوله صلى الله عليه وسلم: ((لا يَفْرَكُ مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقاً رضي منها آخر))^(٥).

ثم إذا تبين بعد الصبر والتحمل والمحاولة والرجاء، أن الحياة غير مستطاعة بينهما، وكان الفرق من اختيار الزوج، و أراد أن يستبدل بها أخرى، فمن حقها عليه ألا يأخذ مما أعطها

(١) معناه: أهن يتغيين منه، ويدخلن من وراء الستر، وأصله من قمع التمرة، أي يدخلونها في الستر كما تدخل التمرة في قمعها، (فتح الباري ١٠/٥٢٧).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب الانبساط إلى الناس (٥/٢٢٧٠ ح رقم ٥٧٧٩).

(٣) انظر التفسير الكبير ١٠/١١، والجامع لأحكام القرآن ٥/٩٧، روح المعاني ٤/٢٤٣.

(٤) انظر تفسير ابن كثير ١/٥٢٧، تفسير البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، وآخرون، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ. ٣/٢١٤.

(٥) أخرجه الإمام مسلم في كتاب الرضاع، باب الوصية بالنساء (٢/١٠٩١ ح ١٤٦٩).

شيئاً، ولو كان قنطاراً من ذهب، قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَسْتَبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَاتٍ زَوْجٍ

وَأَنْتُمْ أَحَدَلُهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بِهْتِنًا وَإِنَّمَا مِيثَاقُكُمْ عَلَيْهِ

تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْتُ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [سورة النساء

٤/٢٠-٢١]. وهنا يبين المولى جل ثناؤه الحكمة من عدم أخذ شيء مما قد وهبه لها بقوله:

﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ أي: بالدخول بها ومباشرتها المباشرة التي

كانت محرمة عليه قبل ذلك، ثم عطف على الإفضاء عاملاً آخر، وهو قوله: ﴿وَأَخَذْتُ

مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ أي: أخذت منكم عهداً وثيقاً وهو الحق من الصحبة والمعاشرة

والمضاجعة، وإفضاء بعضكم لبعض، وقد وصفه بالغليظ لقوته وعظمته، فقد قالوا: صحبة

عشرين يوماً قرابة. فكيف بما جرى بين الزوجين من الاتحاد والامتزاج^(١).

وقيل: هو كلمة الله، كما قال ﷺ: ((اتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهن بأمان الله

واستحللتم فروجهن بكلمة الله))^(٢). فهذا الميثاق الغليظ الذي لا يستهين بجرمته قلب

مؤمن^(٣).

ج- حق القوامة :

إن الله سبحانه وتعالى عندما خلق الزوجين الذكر والأنثى، جعل لكل منهما خصائص

ووظائف تناسب استعدادهما الفطري والجسدي، ولما كان من صفات الرجال كمال العقل،

وحسن التدبير، ورزانة الرأي وما لديهم من القوة والصبر على تحمل متاعب الحياة، والقدرة

على الكفاح المستمر، أسند إليهم قيادة هذه الرحلة، وتدبير شؤونها، والدفاع عنها، ولما تتطلبه

هذه المهمة من الصفات التي لا تتوافر إلا في الرجل جعلت له القوامة على الأنثى، قال تعالى:

﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ [سورة

النساء ٤/٣٤]. فالرجل قيم على المرأة، وهو رئيسها وكبيرها، والحاكم عليها، ومؤدبها إذا

اعوجت، وذلك بما فضله الله به. فقد اختص الرجال بخصائص لا توجد في النساء،

(١) انظر: التفسير الكبير ١٠/١٥، تفسير أبي السعود ٢/١٥٩، تفسير ابن سعدي ١٣٨.

(٢) سبق تخريجه ص ٤٦.

(٣) الكشف ٢٢٨، والبحر المحيط ٣/٢١٤.

كاختصاصهم بالنبوة، والإمامة، و الولاية وغير ذلك من الأمور. وكذا بما أنفقوا من أموالهم، كدفع المهر، أو النفقات الأخرى، أو التكاليف التي أوجبها الله لهم عليهم في كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، فالرجل أفضل من المرأة في نفسه، وله الفضل عليها؛ فناسب أن يكون قيماً عليها^(١).

وليست قوامة الرجل على المرأة قوامة استبداد واستعباد، وإنما هي قوامة توجيه وإرشاد، "و النطاق الذي تشمله قوامة الرجل، لا يمس حرمة كيان المرأة ولا كرامتها، وهذا هو السر العظيم في أن الله - جل ثناؤه - لم يقل (الرجال سادة على النساء) وإنما اختار هذا اللفظ الدقيق (قوامون) ليعين لنا معاني عالية، فهم يصلحون ويعدلون ولا يستبدون ولا يتسلطون، إنما نطاق القوامة محصور في مصلحة البيت واستقامته على أمر الله، وإن صلاحية القوامة للرجل مهمتها حفظ الحقوق، وتنظيم الأسرة، فإذا لم تخل الزوجة بحق الله أو حق الزوج فليس له عليها سبيل إلا سبيل الكرامة والاحترام"^(٢). وتختلف القوامة ليناً و خشونة باختلاف سلوك النساء إزاء أزواجهن، فتكون قوامة قيادة وإشراف مصحوبة بالرفق واللين، وتلك قسمة الصالحات القانتات الحافظات للغيب، وقد جعل الله هذه الأوصاف الثلاثة (الصلاح^(٣))، والقنوت^(٤))، وحفظ الغيب) المؤهلات التي لا بد للمرأة من الحصول عليها إذا أرادت أن تمتلك ناصية حياة زوجية موفقة، و أن يقف منها القيم عليها موقف المسجل لها المعترف بحقها^(٥).

أما إذا حصل خلافٌ هذا، و بدأت تلوح علامات النشوز، وعدم الطاعة، ففي هذه الحالة لا بد من المبادرة إلى الإجراءات المتدرجة في علاج هذه الظاهرة، وقد أبيض (للمسؤول الأول عنها أن يزاول بعض أنواع التأديب المصلحة لحالات كثيرة، لا للانتقام، ولا للإهانة، ولكن للإصلاح، ورأب الصدع في هذه المرحلة المبكرة من النشوز. قال تعالى: ﴿وَاللَّي تَخَافُونَ

(١) انظر: تفسير ابن كثير ٥٥٦/١، تفسير أبي السعود ١٧٣/٢.

(٢) ماذا عن المرأة، الدكتور: نور الدين عتر ١١٤.

(٣) والصلاح: هو سلوك طريق الهدى، وقيل: هو استقامة الحال على ما يدعو إليه العقل، والصلاح: المستقيم الحال في نفسه. وقال بعضهم: القائم بما عليه من حقوق الله وحقوق العباد. كتاب الكليات ٥٦١.

(٤) القنوت: لزوم الطاعة مع الخضوع، المفردات ٤١٣، قيل: القانت؛ الثابت القائم بالأمر على قيامه تحقفاً بتمكّنه فيه، التعاريف ٥١٩.

(٥) بتصرف من كتاب عوامل استقرار الأسرة ١٨٨-١٩٨.

نُشِزُهُنَّ بِفِعْظُهُنَّ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا ﴿[سورة النساء ٤/٣٤].

فجاء الإجراء الأول: (فِعْظُهُنَّ) الموعظة: النصيح والتذكير بالعواقب^(١). هذا هو أول واجبات القيم ورب الأسرة، عمل تهمذيي، مطلوب منه في كل حالة، امتثالاً لقوله: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا فَأَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيكُم نَارًا وَقَوْدُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [سورة التحريم ٦٦/٦]، لكنه في هذه الحالة بالذات يتجه اتجاهها معينا لهدف معين وهو علاج النشوز، ولأن العظة قد لا تنفع، فإنه يأتي الإجراء الثاني: وهو حركة استعلاء نفسية من الرجل على كل ما تُدَلُّ به المرأة من جمال وجاذبية، قال تعالى: (وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ)، الهجر: ضد الوصل، وهو مفارقة الرجل صاحبه إما بالبدن أو باللسان أو بالقلب^(٢). والمضجع موضع الإغراء والجمادية، التي تبلغ فيها المرأة الناشز المتعالية قمة سلطاتها، فإذا استطاع الرجل أن يقهر دوافعه تجاه هذا الإغراء فقد أسقط من يد المرأة الناشز أمضى أسلحتها التي تعتز بها. وكانت أميل إلى التراجع والملاينة. على أن هناك أدباً معيناً في هذا الإجراء، وهو ألا يكون هجراً ظاهراً في غير مكان خلوة الزوجين... فلا يكون هجراً أمام الأطفال فيورث في نفوسهم شراً وفساداً، ولا هجراً أمام الغرباء يذل الزوجة، أو يستثير كرامتها، فتزداد نشوزاً. فالمقصود علاج النشوز لا إذلال الزوجة، ولا إفساد الأطفال.

أما إذا لم ينفع هذا العلاج، فهناك إجراء آخر^(٣). وهو قوله: (وَأَضْرِبُوهُنَّ) (ذلك أن الضرب هو الذي يصلحها له، ويحملها على توفية حقه، والضرب في هذه الآية ضرب التأديب غير المبرح؛ وهو الذي لا يكسر عظماً ولا يشين جارحة. كاللكزة ونحوها، فإن المقصود منه الإصلاح لا غير، وقد قال رسول الله ﷺ: ((اتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمان الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضرباً غير مبرح))^(٤).

(١) وقيل التذكير للإنسان بما يلين قلبه من ثواب وعقاب. لسان العرب ٧/٤٦٦ (وعظ).

(٢) لسان العرب ٥/٢٥٢ (هجر)، التعريف ٧٣٨.

(٣) دستور الأسرة في ظلال القرآن ١٩٥.

(٤) سبق تخرجه ص ٤٦.

وقال: ((ألا واستوصوا بالنساء خيراً فإنما هن عَوَانٌ عندكم، ليس تملكون منهن شيئاً غير ذلك، إلا أن يأتين بفاحشة مبينة، فإن فعلن فاهجروهن في المضاجع واضربوهن ضرباً غير مبرح، فإن أظعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً))^(١) (٢).

وبعد أن تتحقق الغاية وهي غاية الطاعة، طاعة استجابة لا طاعة الإرغام، تتوقف هذه الإجراءات، لأن المضي فيها بعد تحقق الغاية يعد من البغي المنهي عنه.

ومن حقوق الزوجة على زوجها: ترك إظهار الميل إلى غيرها، وكذا حقها في القسم بينها وبين سائر نساءه، في حال التعدد، وكذا عليه أن يؤتيها حقها من الوطاء، فلا يدعها فارغة فتتزوج، ولا ذات زوج إذا لم يوفها حقها من الوطاء، ومن حقها أن لا يمسكها ضراً، وإنما عليه أن يمسكها بمعروف، أو يسرحها بإحسان، قال تعالى: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ [سورة البقرة ٢/٢٢٩] (٣).

حقوق الزوج على زوجته:

وفي مقابل هذه الحقوق التي للزوجة على زوجها، فإن الله قد أوجب حقوقاً للزوج على زوجته، ومن المعلوم أن حق الزوج على الزوجة أعظم من حقها عليه، بدلالة قوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [سورة البقرة ٢/٢٢٨]. وقال ﷺ: ((لو كنت أمراً أحداً أن يسجد لأحد؛ لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها))^(٤). وهذا يدل على أن حق الزوج عظيم. ومن أهم حقوقه:

أ- وجوب طاعته في غير معصية الخالق: فعلى الزوجة أن تجتهد في تلبية جميع حاجاته، واضعة نصب عينها ما وصف الله به الزوجات الصالحات: من أهن مطيعات

(١) رواه النسائي في السنن الكبرى (٣٧٢/٥ ح ٩١٦٩)، والترمذي في سننه، باب ما جاء في حق المرأة على زوجها، (٤٦٧/٣ ح ١١٦٣) وقال: حديث حسن، وحسنه الألباني في صحيح الجامع ٧٨٨٠.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٧٣/٥.

(٣) أحكام القرآن للحصاص ٦٨/٢ بتصرف.

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرک، كتاب البر والصلة، (١٩٠/٤ ح ٧٣٢٥) وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه. وابن ماجه في سننه (٥٩٥/١ ح ١٨٥٣)، البيهقي في السنن الكبرى (٢٩١/٧ ح ٢٤٤٨١)، والترمذي في سننه (٤٦٥/٣ ح ١١٥٩)، وقال: حسن غريب، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٥٢٩٤.

لأزواجهن، كما قال - جلا جلاله- : ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ [سورة النساء ٣٤/٤]. فإنه قد جعل أول صفة للزوجات الصالحات أنهن قانتات، "والقنوت: الطاعة عن إرادة، وتوجه ورغبة ومحبة، لاعتن قسر و إرغام، وأنه عندما وصفهن بأنهن قانتات ولم يقل طائعات، لأن هذا هو الذي يليق بالسكن والمودة والستر والصيانة بين شطري النفس الواحدة. ومن طبيعة المؤمنة الصالحة أن تكون حافظة لحرمة الرباط المقدس بينها وبين زوجها في غيبته - وبالأولى في حضوره - فلا تبيح من نفسها في نظرة أو نبرة ما لا يباح إلا له، بحكم أنه الشطر الآخر للنفس الواحدة^(١). وقد قال رسول الله ﷺ: ((خير النساء من تسرك إذا أبصرت، وتطيعك إذا أمرت، وتحفظ غيبتك في نفسها و مالك))^(٢).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: "يقتضي وجوب طاعتها لزوجها مطلقاً، من خدمة، وسفر معه، وتمكين له، وغير ذلك، كما دلت عليه سنة رسول الله ﷺ، كما تحب طاعة الأبوين، فإن كل طاعة كانت للوالدين انتقلت إلى الزوج ولم يبق للأبوين عليها طاعة. تلك وجبت بالأرحام، وهذه وجبت بالعهود"^(٣).

وللطاعة وجوه تتمثل فيما يأتي:

١- إجابة الزوج إذا دعاها إلى فراشه، وتمكينه من الاستمتاع، دون ضجر أو ترم، ولا يحق لها الامتناع إلا للمانع قاهر، أو مانع شرعي، لقوله ﷺ: ((إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت فبات غضبان لعنتها الملائكة حتى تصبح))^(٤). وقال: ((لا تجد امرأة

(١) دستور الأسرة في ظلال القرآن ١٥٧.

(٢) ذكره الألباني في صحيح الجامع ٣٢٩٩، وقال حديث صحيح.

(٣) كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه، ٢٦١/٣٢.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، باب إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء (٣/١١٨٢)، ح رقم ٣٠٦٥.

- حلاوة الإيمان حتى تؤدي حق زوجها ولو سألها نفسها وهي على ظهر قَتَب))^(١).
 وفي رواية: ((إذا الرجل دعا زوجته لحاجته فلتأته وإن كانت على التنور))^(٢).
 ٢- ألا تصوم تطوعاً إلا بإذنه، فقد جاء النهي عن ذلك، لما فيه من تفويت لحقه، كما في قول الرسول ﷺ: ((لا تصوم المرأة وبعلمها شاهد إلا بإذنه))^(٣).
 ٣- ألا تدخل بيته أحداً يكرهه، لنهيهِ ﷺ عن ذلك، كما في قوله: ((وإن لكم عليهن ألا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه، فإن فعلن فاضربوهن ضرباً غير مبرح))^(٤).
 ٤- ألا تخرج من بيتها إلا بإذنه، وذلك لما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما: ((أن امرأة أتت النبي ﷺ، فقالت: يا رسول الله ما حق الزوج على زوجته؟ فقال: ((لا تخرج من بيتها إلا بإذنه، فإن فعلت لعنتها ملائكة السماء، وملائكة الرحمة، وملائكة العذاب، حتى ترجع))^(٥).
 ٥- وألا تصدق من ماله إلا بإذنه، فقد جاء عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: ((جاءت امرأة للنبي ﷺ، فقالت: يا رسول الله ما حق الزوج على زوجته؟ فذكر أشياء ومنها ((لا تصدق بشيء من بيته إلا بإذنه، فإن فعلت كان له الأجر وعليها الوزر))^(٦).

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک، کتاب البر والصلة، (٤/١٩٠، ح رقم ٧٣٢٥) وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، وقال: الألباني حسن صحيح كما في صحيح الترغيب ١٩٣٩.
 (٢) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (٥/٣١٣ ح ٨٩٧١)، والترمذي في سننه (٣/٤٦٥ ح ١١٦٠) وقال: حديث حسن غريب، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٥٣٤.
 (٣) أخرجه البخاري في صحيحه، باب صوم المرأة بإذن زوجها تطوعاً (٥/١٩٩٣ ح ٤٨٩٦).
 (٤) تقدم تخريج الحديث ص ٥٣.
 (٥) رواه الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الريان للتراث، دار الكتاب العربي، القاهرة، بيروت، ١٤٠٧ هـ. (٤/٣٠٧)، وفيه حسين بن قيس، المعروف بجنش وهو ضعيف، وقد وثقه حصين بن نمير، وبقية رجاله ثقات.
 (٦) رواه عبد بن حميد، في مسنده، أحاديث عمر، ٢٥٨.

وإذا قامت الزوجة بهذا الحق وهو الطاعة، فقد استحقت ما وعد به الرسول ﷺ، حيث قال: ((إذا صلت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحصنت فرجها، وأطاعت بعلها، دخلت من أي أبواب الجنة شاءت))^(١).

ب - حفظ الغيب: كما قال تعالى: ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَنِينَتٌ حَفِظَتْ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ [سورة النساء ٣٤/٤]. هذه الصفة الثانية للزوجة الصالحة، وهي حفظ نفسها وماله، في حال غيبته وحضوره، لقوله ﷺ: ((خير النساء التي إذا نظرت إليها سرتك وإذا امرتها أطاعتك وإذا غبت عنها حفظتك في نفسها ومالك))^(٢).

وحفظها للغيب من وجوه:

١ - أنها تحفظ نفسها عن الزنى لئلا يلحق الزوج العارُ بسبب زناها، ولئلا يلحق به الولد المتكون من نطفة غيره.

٢ - حفظ ماله من الضياع، وقد تقدم أنها لا تتصرف في ماله إلا بإذنه.

٣ - حفظ منزله عما لا ينبغي، فلا تُدخل بيته من يكرهه.

وقد قيد حفظ الغيب بـ(بِمَا حَفِظَ اللَّهُ) أي أن عليها أن تحفظ حقوق زوجها، في مقابل ما حفظ الله لها من حقوق عليه، حيث أمره بالعدل والإمساك بالمعروف، وإعطائها ما فرض لها؛ فكأن قوله: (بِمَا حَفِظَ اللَّهُ) يجري مجرى ما يقال: هذا بذاك، أي مقابل ذلك^(٣).

ج- العدة والحداد إذا مات عنها: وحق العدة في حال افتراقهما بسبب من أسباب انقطاع عقد الزوجية من طلاق، أو خلع أو وفاة الزوج. والعدة تختلف بحسب الحالة القائمة في العلاقة بين الزوجين، وحالة الزوجة كذلك في نفسها بالتفصيلات المذكورة في مظانها من كتب الفقه^(٤)، وحق الزوج على الزوجة هنا أن تفي بما أمرها الشرع الحكيم من العدة امتثالاً لأمر

(١) رواه ابن حبان في صحيحه، باب ذكر إيجاب الجنة للمرأة إذا أطاعت زوجها، (٩/٤٧١، ح ٤١٦٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٦٦١.

(٢) مسند أبي داود الطيالسي، سليمان بن داود أبي داود الفارسي البصري الطيالسي، دار المعرفة، بيروت، ٣٠٦/١.

(٣) بتصرف من التفسير الكبير ١٠ / ٧٢.

(٤) يراجع إلى ما كتب حول أحكام العدة في كتب الفقه.

الله سبحانه وتعالى، ووفاء للزوج بحقه عليها، فعليها أن تراعي هذه المدة التي قررها الشرع الحكيم فلا تزيد ولا تنقص، ولا تتعرض للخطبة، ولا تتشوق للزواج، إلا بعد انقضاء المدة المحددة، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [سورة البقرة ٢٣٤/٢] فهذا أمر من الله تعالى للنساء بالتربص، والتأني، والتصبر عن النكاح، وترك الخروج من سكن النكاح، وذلك يدل على أن هذا من حقوق الزوج على زوجته. وعليها أن تحد عليه في هذه المدة، فلا تتزين ولا تلبس الحلي ولا تتعطر؛ وذلك لإعلان حالة الحداد وفاء للزوج، وتعظيمًا لحقه عليها حتى بعد وفاته، و تطيباً لحاظر أهله وعشيرته^(١).

وهناك واجبات وآداب عامة للزوج على زوجته، لا يتسع المقام لذكرها. يرجع لها في مظانها.

ثم إذا عرف كل من الزوجين ما له و ما عليه من الحقوق إزاء الآخر، وعرف الغاية من هذا الاجتماع، واستحضر كل منهما المقاصد من هذا الزواج، والتي منها تكوين بيت مسلم يكون محضناً ينشأ فيه جيل صالح يعبد الله على حق، ويؤدي مهمته في خلافة الأرض، كما أراد الخالق سبحانه وتعالى، وتشيع فيه السكينة والطمأنينة والمودة والرحمة، وهذه الغاية التي يسعى إليها كل إنسان صالح على وجه الأرض، ولا يمكنهما تحصيل ذلك إلا بالزواج.

وقد ذكر الإمام الغزالي رحمه الله أن للزواج فوائد؛ "طلب الولد، وكسر الشهوة، وتديبر للمنزل، وكثرة العشيرة، ومجاهدة النفس بالقيام بهن"^(٢). وبهذا تتبين لنا الأهداف التي من أجلها قامت الأسرة، فطلب الولد، هو الأصل الذي وضع له النكاح، والمقصود منه تكثير النسل، (وإبقاء نوع المتفكرين، الذين يؤدي بهم الفكر إلى المعرفة والعبادة التي ما خلقت السماوات والأرض إلا لها)^(٣). ولا يخلو العالم من جنس الإنس، وإنما الشهوة خلقت باعثة مستحثة له، وفي الزواج إشباع الرغبة الفطرية، والميل الغريزي لدى الإنسان في أن يكون له نسل وذرية، ففي جيلة الإنسان حب الامتداد، واستمرار الأثر، وهذا سنة ماضية في الإنسان، حتى في أرقى صورها

(١) عوامل استقرار الأسرة ٢٨٣-٢٨٨.

(٢) إحياء علوم الدين ٤٧٥.

(٣) روح المعاني ٣١/٢١.

مثلة في الأنبياء والرسل، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾

[سورة الرعد ١٣/٣٨]، وفي التوصل للولد قرابة من أربعة أوجه، هي:

الأول: موافقة محبة الله بالسعي في تحصيل الولد لإبقاء جنس الإنسان.

الثاني: السعي في محبة الرسول ﷺ ورضاه بتكثير ما به مباهاته.

الثالث: طلب التبرك بدعاء الولد الصالح بعده. كما قال ﷺ: ((إذ مات الإنسان انقطع عمله

إلا من ثلاث)) وذكر منها ((أو ولد صالح يدعو له))^(١).

الرابع: عمارة الكون والقيام بوظيفة الخلافة التي شرف الله بها الإنسان عن سائر المخلوقات^(٢).

(ولتتحقق هذه الأهداف والمقاصد، لا بد أن يسعى كل من الزوجين في الحفاظ على هذه

العلاقة، كل بحسب ما وهب له من مؤهلات جسمانية، و عقلانية، ونفسية. فالرجل وما امتاز به

من راحة عقل ونضج فكر، عليه أن يتقبل المضايقات، ويغض الطرف عن بعض المنغصات،

فهو مطالب بتصبير نفسه أكثر من المرأة؛ لما علم من ضعفها، متذكراً في ذلك قول النبي ﷺ:

((واستوصوا بالنساء خيراً؛ فإنهن خلقن من ضلعٍ، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت

تقييمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء خيراً))^(٣).

فالأعوجاج في المرأة من أصل خلقتها فلا بد من مسايرتها و الصبر عليها. وعلى الرجل ألا يظهر

مشاعر الضيق من أهله، وأن يصرف النظر عن بعض جوانب النقص فيهم، وعليه أن يتذكر

جوانب الخير فيهم، فهو لا يدري أين أسباب الخير و موارد الصلاح.

وعلى المرأة أن تعلم أن السعادة و المودة والرحمة لا تتم إلا حين تكون ذات عفة ودين تعرف

ما لها وما عليها، فلا تتجاوزها ولا تتعداه، تستجيب لزوجها لأنه له القوامه عليها، يصونها

ويحفظها، وينفق عليها، فتطيعه، وتحفظه في نفسها وماله، وتتقن عملها وتقوم به على أكمل

وجه، وتعتنى بنفسها وبيتها، فهي الزوجة الصالحة والأم الشفيقة، وهي الراعية في بيت زوجها

ومسؤولة عن رعيته، تعترف بجميل زوجها، ولا تنتكر للفضل والعشرة الحسنة، وقد حذر النبي

ﷺ من هذا التنكر فقال: ((ورأيتُ النار فإذا أكثر أهلها النساء، يكفرن)) قيل: أيكفرن بالله؟

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته (٣/١٠١٦ ح ١٦٣١).

(٢) إحياء علوم الدين ٤٧٦، وعوامل استقرار الأسرة ٣١-٣٤.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب الوصاة بالنساء، (٥/١٩٨٧ ح ٤٨٩٠).

قال: ((يكفرن العشير، ويكفرن الإحسان، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر ثم رأيت منك شيئاً قالت: ما رأيت منك خيراً قط))^(١). فلا بد من غفران الزلات، والغض عن الهفوات، فلا تسيء إليه إذا حضر، ولا تخونه إذا غاب)^(٢). وعليها القيام بتدبير المنزل، والتكفل بجميع ما يخصه من طبخ، وكنس، وتنظيف، وهيئة أسباب المعيشة، فلو اشتغل الرجل بهذه الأعمال لضاع وقته، ولم يتفرغ للعلم والعمل، لكن المرأة الصالحة المصلحة للمنزل عون على الدين بهذه الطريقة^(٣). وقد قال النبي ﷺ: ((الدنيا متاع، وخير متاعها المرأة الصالحة))^(٤).

(فيها تجد الأسرة سعادتها، فهي قوة الرجل وعدته، يأوي إليها بعد الكد والتعب، فيجد عندها ما يذهب آلامه، ويخفف هوجه، فينطلق من جديد إلى الحياة، وقد تجدد فيه الأمل وازداد نشاطاً. وقد رأينا ذلك واضحاً جلياً في حياة المصطفى ﷺ، وصحبته لأم المؤمنين السيدة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها زوج النبي ﷺ، لقد وجد عندها الطمأنينة والرضا، والهدوء والسكينة، حينما أصابه الخوف والفرع، فهي التي ثبتت فؤاده عندما نزل عليه الوحي، وهدأت خاطره من عوامل القلق والحرع التي كانت تساوره، فأقبلت عليه تمسح وجهه، وتزكي روحه، وتبسط أمامه الأمل، وتصور له العاقبة الطيبة، بحكمة بالغة، وبكلمة رقيقة، مما أبعد عن قلبه كل بواعث الخوف والاضطراب، وبعث فيه الشجاعة والإقدام)^(٥). وقد كان ﷺ يقول في شأنها: ((ما أبدلني الله خيراً منها! قد آمنت بي إذ كفر بي الناس وصدقتني إذ كذبتني الناس وواستني بما لها إذ حرمني الناس ورزقني الله أولادها وحرمني أولاد النساء))^(٦).

أليس في هذا الجو المفعم بالمحبة والألفة والرحمة ينشأ جيل مسلم سوي ناجح في تعليمه وعمله، بار بوالديه، داع إلى ربه، شاكر له على نعمائه. نعم هكذا تدوم العشرة والصحبة، وتسود الألفة والمودة والرحمة بين الزوجين، لأن العلاقة بينهما ليست علاقة دنيوية مادية، ولا شهوانية بهيمية، إنما علاقة روحية كريمة، وحينما تصح هذه العلاقة، وتصدق هذه الصلة، فإنها

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب كفران العشير، (١٩/١ ح ٢٩).

(٢) البيت السعيد ٨-١٤.

(٣) إحياء علوم الدين ٤٧٨.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، باب خير متاع الدنيا المرأة الصالحة (٢/١٠٩٠ ح ١٤٦٧).

(٥) عوامل استقرار الأسرة ٣٠١.

(٦) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٦/١١٧ ح ٢٤٩٠٨)، والهيتمي في مجمع الزوائد (٩/٢٢٤) وقال: إسناده حسن.

تمتد إلى الحياة الآخرة بعد الممات، قال تعالى: ﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [سورة الرعد ٢٣/١٣ - ٢٤] (١).

(١) انظر: البيت السعيد ٨.

المطلب الثالث: صحبة الأقربين

ما زال السياق القرآني يمضي بنا إلى علاقة جديدة، علاقة تعد من أفضل الأعمال، وأعظمها عند الله؛ حتى إنه وعد بصلة من يصلها، وبقطع من يقطعها. علاقة تقرب من الله وتبعد عن النار، علاقة تأتي بعد برِّ الوالدين وإحسان صحبتتهما، وبعد إحسان العشرة والصحبة بين الزوجين، تلك هي العلاقة القائمة بين كل من يجمعهم رحم واحد^(١).

قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [سورة النساء ١/٤]. هذه الآية تبين أن الله - سبحانه وتعالى - خلق الإنسان من نفس واحدة، وخلق من هذه النفس زوجها، ثم تابعت الذرية بين رجال ونساء، ثم أمر سبحانه (بتقواه وذلك بالتزام طاعته واجتناب معصيته، ثم عطف عليها بالأمر باتقاء الأرحام وذلك بأن توصل ولا تقطع)^(٢). في إشارة منه - سبحانه - إلى فضيلة البر بمؤلاء والإحسان إليهم.

ولما لصلة الرحم من مكانة عظيمة، فقد أمر بها المولى - جل ثناؤه - في شرائعه التي ارتضاها؛ فقد جاء الأمر بها في الميثاق الذي أخذ على بني إسرائيل، في شريعة موسى - عليه السلام - حيث قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ﴾ [سورة البقرة ١٨٣/٢].

ولما كانت هذه الشرائع من أصول الدين الصالحة لكل زمان ومكان، ومما لا يدخله نسخ؛ فقد جاء الأمر بها في شريعتنا^(٣)، في أكثر من آية، وفي صور شتى؛ فتارة يأتي الأمر بها مقرونة بالعبادة والإحسان بالوالدين، كما في قوله - جل ذكره - : ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ

(١) الرحم: قال ابن فارس: (رح م) أصل واحد يدل على الرقة، والعطف، والرأفة، والرحم والرحم علاقة القرابة، وسميت رحم الأنثى رحماً من هذا، فهو المكان الذي ينشأ فيه الجنين، وقيل: اسم الرحم مشتق من الرحمة التي هي النعمة مقاييس اللغة ٤٩٨/٢، و المفردات ٩٧، ومن أخلاقيات الإسلام ١٩، والتفسير الكبير ٣٤/٩.

(٢) انظر: التفسير الكبير ١٣٤/٩.

(٣) انظر: تفسير ابن سعدي ٣٩.

وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ [سورة النساء ٣٦/٤].

وقال: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [سورة الإسراء ٢٣/١٧]، ثم عطف عليه بقوله: ﴿وَأَتَىٰ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ [سورة الإسراء ٢٦/١٧]، فكأنه سبحانه جعل حياة المؤمن ذات رباطين: رباط بالخالق عن طريق العبادة الخالصة، ورباط بالمخلوق عن طريق الإحسان الخالص. وأولى الناس بالإحسان هم الوالدان، ثم ذوو القربى^(١)^(٢). فجعل حق ذوي القربى كالتابع لحق الوالدين؛ لأن الإنسان إنما يتصل به أقرباؤه بواسطة اتصالهم بالوالدين^(٣).

وتارة يقرؤها بأفضل الأخلاق؛ كما جاء في تخصيصهم في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [سورة النحل ٩٠/١٦]. فبعد أن أمر بالعدل الذي هو الإنصاف، والقسط والموازنة، وترك الظلم، وإعطاء الحقوق كاملة موفورة، سواء كان ذلك في حق الله أو في حق النفس أو حق العباد^(٤)، ثم تنبأ بالإحسان بوصفه فضيلة مستحبة، ينتفع به الناس. والإحسان يكون بالمال أو البدن أو العلم، أو غير ذلك من أنواع النفع^(٥). ثم هاهو ذا يأمر ويعطف على هذه الأخلاق الفاضلة بخلق عظيم، ألا وهو (إيتاء وإعطاء ذوي القربى حقوقهم التي أوجبها لهم عليه بسبب القرابة والرحم)^(٦).

(١) ذوو القربى: هم الذين يقربون من الإنسان بولادة الأبوين، أو بولادة الجددين، كالإخوة والأخوات، أو متوسطة كالأعمام والعمات والأخوال والخالات، أو بعيدة كسائر من يمت إلى الإنسان بصلة مع صدق كونها رحماً في العرف. والقرابة لفظ لغوية موضوعة للقرابة في النسب، وإن كانوا يتفاوتون في القرب والبعد. بتصرف من التفسير الكبير ٣٧/٥، والكشاف ٥٤١. وقال ابن حجر في فتح الباري ٤١٤/١٠: "الأقارب: من بينه وبين الآخر نسب سواء كان يرثه أم لا، سواء كان ذا محرم أم لا. وقيل: هم المحارم فقط، والأول هو المرجح؛ لأن الثاني يستلزم خروج أولاد الأعمام وأولاد الأخوال من ذوي الأرحام وليس كذلك".

(٢) انظر: (رسالة المسجد، العدد ١١١ صفر ١٤٢٥ هـ بقلم: زكية بنت خميس الخنوصية، من شبكة الحكمة)

http://hikmaweb.net/selat_alarham.htm

(٣) التفسير الكبير ٣/١٥٢.

(٤) انظر: جامع البيان ١٤/١٦٢، المحرر الوجيز ١١١١، تفسير ابن كثير ٢/٦٤٢.

(٥) تفسير ابن سعدي ٣٩٩ بتصرف.

(٦) جامع البيان ١٤/١٦٣.

قال ابن عطية رحمته الله: " (وَإِنِّي ذِي الْقُرْبَىٰ) لفظة تقتضي صلة الرحم، وتعم جميع إسداء الخير إلى القرابة، وتركه مبهماً أبلغ، لأن كل من وصل في ذلك إلى غاية - وإن علت - يرى أنه مقصّر، وهذا المعنى المأمور به في جانب ذوي القربى داخل تحت العدل والإحسان، لكنه خصه بالذكر اهتماماً به وحثاً عليه"^(١).

وقال القرطبي رحمته الله: " وإنما خص ذا القربى لأن حقوقهم أوكد، وصلتهم أوجب؛ لتأكد حق الرحم التي اشتق الله اسمها من اسمه، وجعل صلتها من صلته"^(٢). كما في قوله عليه السلام: ((إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ من خلقه، قالت الرحم: هذا مقام العائذ بك من القطيعة. قال: نعم، أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى يا رب))^(٣).

وكذا قوله عليه السلام فيما يرويه عن ربه، حيث قال: ((قال الله تبارك وتعالى أنا الله، وأنا الرحمن، خلقت الرحم و شققت لها من اسمي؛ فمن وصلها وصلته، ومن قطعها قطعته))^(٤).

وتارة يأتي الأمر بالوصية لهم كما قال - جل ثناؤه -: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴾ [سورة البقرة ١٨٠/٢].

وتارة يعطائهم نصيباً من الإرث، كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينُ فَأَرْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴾ [سورة النساء ٨/٤]. هذا إن لم يكونوا من الوارثين، أما إن كانوا وراثين فقال في حقهم: ﴿ وَإِن كَانِ رَجُلٌ يُوْرَثُ كَدَلَةً أَوْ امْرَأَةً وَلَهُ أُخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا الشُّدُسُ فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرِ مُضْكَرٍ وَصِيَّةٍ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴾ [سورة النساء ٤/١٢].

(١) المحرر الوجيز ١١١٢.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٠/١٤٩.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب من وصل وصله الله (٥/٢٢٣٢ ح رقم ٥٦٤١)، ومسلم، باب صلة الرحم وتحریم قطيعتها (٤/١٥٧٢ ح ٢٥٥٤) بنحوه.

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرک، كتاب البر والصلة (٤/١٧٤ ح ٧٢٦٨)، وابن حبان في صحيحه (٢/١٨٦ ح ٤٤٣)، والترمذي في سنن الجامع (٤/٣١٥ ح ١٩٠٧)، وأحمد في مسنده (١/١٩٤ ح ١٦٨٠) وصححه الألباني في مشكاة المصابيح ٤٨٥٨.

وكذلك جعل نبي الرحمة - صلوات الله وسلامه عليه - صلةً الرحم شعاراً للإيمان؛^(١) فقال: ((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه))^(٢). وجعلها من الأعمال التي تُقرب من الجنة وتبعد عن النار، فقد قال ﷺ، لمن سأله عن عمل يدخله الجنة: ((تعبد الله ولا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصل الرحم))^(٣). وهي من الأعمال التي تزيد في الرزق وتُطيل في العمر وتبارك فيه، قال ﷺ: ((من أحب أن يبسط له في رزقه، وينسأ له في أثره فليصل رحمه))^(٤).

(فصلة الرِّحْمِ عبادة سريعة الثواب، عاجلة البركة، يُرى أثرها في الدنيا إلى جانب ما يدخره الله في الآخرة، وهي من صفات المؤمنين؛ إذا تخلقوا بها كَوْنُوا بذلك مجتمعاً مترابطاً متحاباً، متوادداً، متعاوناً يشد بعضه بعضاً، ويدفع أفراده للعيش بسهولة ويسر في حياة خالية من التعقيد، لأن كل إنسان يجد حوله أهله وأقرباءه يساعدونه ويساندونه في أحواله الصعبة، ويشاركونه في أفراحه ومناسباته، وهم معه خطوة بخطوة، فتكون حياتهم سعيدة مشرقة، فإذا وجد منهم هذا كان دافعاً له لأن يقف معهم ويساعدهم ويتفانى في خدمتهم، وينفق عليهم ويبدل لهم الغالي والنفيس)^(٥). فتكون بينهم صحبة قوية الرابطة، تسودها الألفة والرحمة؛ إذ إن هذه الصحبة ليس لها غاية إلا وجود المحبة والصفاء بين من جمعت بينهم هذه الرابطة. قال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ [سورة الشورى ٤٢/٢٣]. وهذا من محاسن الدين الإسلامي الذي أمر بالصلة، ونهى عن القطيعة، وعدّها كبيرة من كبائر الذنوب الموجبة

(١) انظر: رسائل في التربية والأخلاق والسلوك، محمد الحمد، دار ابن خزيمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط: الأولى: ١٤٢٢هـ. ٧٦، الأخلاق في الشريعة الإسلامية، أحمد عليان، ط: ١٤٢٠هـ. ١٩٨.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب حق الضيف (٥/٢٢٧٣ ح ٥٧٨٧).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب النبي يأمر بالصلاة والزكاة والصلة (٥/٢٠٥ ح ١٣٣٢) وفي باب فضل صلة الرحم (٥/٢٢٣١ ح رقم ٥٦٣٧). ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان الذي يدخل به الجنة، وأن من تمسك بما أمر به دخل الجنة (١/٥٠ ح ١٣).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب من بسط له في الرزق لصلة الرحم (٥/٢٢٣٢ ح ٥٦٤). ومسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب صلة الرحم وتحريم قطعها (٤/١٥٧٣ ح ٢٥٥٧).

(٥) (رسالة المسجد، العدد ١١١ صفر ١٤٢٥هـ بقلم: زكية بنت خميس الخصروصية، من شبكة الحكمة)

لغضب الله وعقابه، قال - ﷺ -: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ

﴿ ٢٢ ﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ ﴾ [سورة محمد ٤٧/٢٢-٢٣] (١).

ولما لهذه الخصلة الحميدة من المنزلة، والمكانة العظيمة، فقد بين لنا المولى - جل ثناؤه - معالم وأسسا تقوم عليها الصحة فيما بين الأقارب بعضهم لبعض. والمتأمل في آيات الله يجد أن هذه الصحة والعلاقة القائمة بين الإنسان ومن يحيط به في أسرته الصغيرة، أو في أسرته الكبيرة، إنما تأخذ شكلاً خاصاً في التعامل؛ فقد يكون تعاملًا مادياً أو معنوياً (٢).

فمن صور التعامل المادي فيما بين الأقارب:

١- أمر الخالق - سبحانه وتعالى - بالإنفاق عليهم، وقد جاء هذا الأمر جواب استفهام؛ وذلك عندما سأل المؤمنون الإنفاق، وعن الجهات التي يُنفق فيها. فأجابهم بقوله - جل ذكره:

﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾ [سورة البقرة ٢/٢١٥]. فبين من خلال ذلك أن أولى الناس

وأحقهم بالنفقة هم الوالدان - وقد تقدم أن النفقة من أهم الواجبات على الولد لوالديه - وتركها يعد من العقوق بهما. ثم هاهو ذا يمد حبه وحميته بعد ذلك إلى أهله الأقربين على اختلاف طبقاتهم الأقرب فالأقرب على حسب القرب والحاجة، والإنفاق عليهم يكون من باب الصلة والصدقة، فهي بذلك أفضل كما قال رسول الله ﷺ: ((الصدقة على المسكين صدقة، وهي على ذي الرحم اثنتان: صدقة وصله)) (٣).

أخذهم من القريب إكراماً لهم من أخذهم من البعيد، وتقوية لأواصر المحبة، وترباط العرى وتوثيقاً للصلوات (٤).

(١) (رسالة المسجد، العدد ١١١ صفر ١٤٢٥ هـ بقلم: زكية بنت خميس الخنصرورية، من شبكة الحكمة)

http://hikmaweb.net/selat_alarham.htm

(٢) بتصرف من كتاب الأسرة المثلى في ضوء القرآن والسنة ١٥٦.

(٣) أخرجه الحاكم في صحيحه (١/٥٦٤ ح ١٤٧٦)، وابن حبان في صحيحه (٨/١٣٣ ح ٣٣٤٤)، والترمذي في سننه باب ما جاء في الصدقة على ذي القرباة (٣/٤٧ ح ٦٥٨)، وأحمد في مسنده (٤/١٨ ح ١٦٢٧٨) وصححه الألباني في صحيح الجامع ٣٨٥٨.

(٤) تفسير ابن سعدي ٧٩.

وقد جعل الله - سبحانه وتعالى - الإنفاق على الأقربين من أنواع البر التي بينها في قوله: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْكَفِّ وَالنَّيِّبِينَ وَعَاقَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ﴾ [سورة البقرة ١٧٧/٢].

قال ابن عطية رحمه الله: "هذه كلها حقوق المال سوى الزكاة، وبها كمال البر، و مجيء قوله (على حبه) اعتراضاً بليغاً أثناء القول" (١). والمعنى "أنه يعطي المال محبباً له حريصاً على جمعه شحيحاً به على ذوي قرابته، فيصل به رحمه" (٢).

وكما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، عندما سئل: ((أي الصدقة أعظم؟ فقال: ((أن تصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى)) (٣).

ومنهم من قال: "إنه يعطي المال محبباً له في حال محبته للمال واختياره وإيثاره، وهذا وصف عظيم؛ أن تكون نفس الإنسان متعلقة بشيء تعلق الحب بمحبوبه، ثم يؤثر به غيره ابتغاء وجه الله" (٤).

"و قد قدم (ذوي القربى) لأنهم أحق، فهم الذين يتوجع لمصائبهم ويفرح لفرحهم، وهم الذين يناصرونه و يتعاقلون لأجله، فمن أحسن البر وأوقفه سد خلَّتْهم (٥) ومواساتهم عند الحاجة بالمال والمعونة، وبكل وجه من وجوه الإحسان الفعلي أو القولي" (٦).

فالإنفاق وجه من الوجوه المعينة على ترسية قواعد الصحبة بين الأقارب ودوام استمرارها.

٢- أمره - سبحانه وتعالى - بالوصية بهم، قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ

الْمَوْتُ أَنْ تَرَكَ حَيْرًا لَوَّالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ [سورة البقرة ١٨٠/٢]

(١) المحرر الوجيز ١٥٧.

(٢) جامع البيان ٩٧/٢.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب فضل صدقة الشحيح الصحيح (٢/٥١٥ ح رقم ١٣٥٣)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب بيان أن أفضل الصدقة صدقة الشحيح الصحيح (٢/٥٩١ ح ١٠٣٢).

(٤) البحر المحيط ٦/٢.

(٥) الحلة هنا بمعنى الحاجة والفاقة، لسان العرب ١١/٢١٥٠ (خلل).

(٦) تفسير ابن سعدي ٦٥ بتصرف.

٣- فرض لهم نصيباً من الميراث ، سواء أكانوا من أهل الفروض أم العصابات، فقال تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ آبَاؤُهُ فَلَهُمُ الثُّلُثُ إِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمَّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دِينٍ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفَعًا فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ إِنْ اللَّهُ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿سورة النساء ١١/٤﴾. وقال: ﴿وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَلَةً أَوْ امْرَأَةً وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ إِنْ كَانَ لَهُ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دِينٍ غَيْرِ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ [سورة النساء ١٢/٤]. وإن لم يكونوا من أهل الفروض، وحضروا القسمة استحباب أن يعطوا شيئاً منها، قال تعالى: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينُ فَأَرْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [سورة النساء ٨/٤].

٤- وهناك صورة أخرى إذا اعتُني بها قامت على إثرها صفة قوية؛ ألا وهي أداء الحقوق المعنوية لذوي القربى؛ والتي تتدرج وتختلف بحسب قربهم من الله، فإن كانوا من أهل الاستقامة والدين والتقوى^(١)؛ فتكون الصفة بينهم قائمة على حسن المعاشرة، وطيب المعاملة، والمودة والعطف والرحمة، ولين القول، والمواساة في اليسر، والمؤازرة في السراء والضراء، والمعاذرة،^(٢) "والمداورة، وسعة الخلق بالنفس وتمام الشفقة، وتعليمهم من الآداب والأخلاق ما يحملهم على طاعة خالقهم والوقاية من ناره، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [سورة التحريم ٦/٦٦]. وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، والصفح عن عثراتهم، والغض عن مساوئهم، وتحمل الأذى منهم وكفه عنهم، ودوام البشر لهم، وبذل المعروف لهم، ونشر

(١) انظر: رسائل في التربية والأخلاق والسلوك، رسالة قطيعة الرحم ٧٤، و(الملف العلمي من موقع المنبر، بحث بعنوان

صلة الرحم) <http://alminbar.net/malafilmy/ra7em/1.HTM>

وكذا موقع الدين النصيحة، بحث بعنوان صلة الرحم وقطعها:

<http://www.islamadvice.com/nasiha/nasiha18.htm>

(٢) المحرر الوجيز ١٤٧٤، والكشاف، ٥٩٥.

محاسنهم، وستر قبائحهم، وترك الحسد، وما يكرهونه من جميع الوجوه^(١). والقيام بحقوقهم الواجبة على قدر الطاقة.

وقد قيل: "إن صلة الرحم واجبة ولو كانت بسلام، وتحية وهدية ومعونة، ومجالسة ومكالمة، وتلطف وإحسان، وإن كان غائباً يصلهم بالمكتوب إليهم، وإن قدر على السير كان أفضل"^(٢). وفي عصرنا حل التواصل عن طريق وسائل الاتصال الحديثة؛ من الهاتف الثابت، والجوال، والبريد الإلكتروني، محل إرسال المكتوب قديماً، ويتعين هذا في المناسبات مثل؛ الأعياد وغيرها.

وقال النووي^(٣) رحمته الله: "صلة الرحم هي الإحسان إلى الأقارب على حسب الواصل والموصول، فتارة تكون بالمال، وتارة تكون بالخدمة، وتارة بالزيارة والسلام وغير ذلك"^(٤). فإذا تزاومت الأرحام فيصل الأقرب فالأقرب، كما بيّن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، حيث قال لمن سأله: ((من أحق الناس بحسن الصحبة؟ قال: ((أمك ثم أمك ثم أمك ثم أبوك ثم أدناك أدناك))^(٥).

وإن كانوا من أهل البدع والفسق والفجور، فإما أن يكونوا من المجاهرين ببدعهم وفسقهم، فهؤلاء لا يصحبهم وإنما يكون التواصل معهم بقدر للنصح والإرشاد. إلا أن يكون في مداراتهم واتقائهم درء مفسدة أو جلب منفعة فتستحب مداراتهم واتقاؤهم حسب الحاجة لذلك. وإن كانوا متسترين ببدعتهم وفسقهم فيعاملون معاملة المسلم مستور الحال.

(١) آداب العشرة وذكر الصحبة والأخوة، بدر الدين محمد الغزي، تحقيق: علي حسن عبد الحميد، المكتب الإسلامي: بيروت، دار عمارة، عمان، ط: الأولى ١٤٠٧ هـ. ٥٥.

(٢) موقع الدين النصيحة، بحث بعنوان صلة الرحم وقطعها:

<http://www.islamadvice.com/nasiha/nasiha18.htm>

(٣) يحيى بن شرف بن مري بن حسن الحزامي الحوراني، النووي، الشافعي، أبو زكريا، محيي الدين: علامة بالفقه والحديث. ولد سنة ٦٣١ هـ. تعلم في دمشق، وأقام بها زمناً طويلاً. من كتبه: تهذيب الأسماء واللغات، ومنهاج الطالبين، و تصحيح التنبيه في فقه الشافعية، والمنهاج في شرح صحيح مسلم وغيرها. ٦٧٦ هـ. الأعلام ١٤٩/٨.

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي، أبي زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: الثانية، ١٣٩٢ هـ. ٢٠١/٢.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه، باب بر الوالدين وأمهما أحق به (٤/١٥٦٧ ح ٢٥٤٨).

وأما إن كانوا من الكفار ، فإما أن يكونوا محاربين أو غير محاربين، فإن كانوا محاربين؛ فيقاتعون ولا يصحبون ولا يوصلون إلا من باب المداراة واتقاء لشركهم. كما قال تعالى على لسان خليله إبراهيم عليه السلام ومن معه: ﴿ قَد كَانَتْ لَكُمْ أَسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ ﴾ [سورة الممتحنة ٤/٦٠].

وإن كانوا غير محاربين؛ فهؤلاء يصحبون ويوصلون بالإحسان وبجسـن المعاملة بالمعروف، ونحو ذلك، ومن صور إحسان صحبة هؤلاء^(١):

١- أن يبذل الصاحب لقرابته الجهد في وعظهم وتذكيرهم ومناصحتهم ودعوتهم للإسلام وإلى الاستقامة بشتى الطرق، بالحكمة والموعظة الحسنة، قال تعالى: ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ [سورة الشعراء ٢٦/٢١٤]. وكما كان من حال رسولنا ﷺ مع عمه أبي طالب^(٢)، وحرصه على هدايته حتى في آخر حياته، ولم ييأس من ذلك بل حرص على دعوته، لكن صحبة السوء حالت دون ذلك؛ فمات على الكفر. فأنزل الله على نبيه قوله: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ [سورة القصص ٢٨/٥٦].

٢- الدعاء لهم بالهداية في ظهر الغيب، كما كان من حال خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام، حيث قال لأبيه بعد ما ينس منه: ﴿ الْإِقْوَلِ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ وَإِنِّي نَادَيْتُكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنبَأْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ [سورة الممتحنة ٤/٦٠].

٣- برهم وصلتهم وإحسان معاشرتهم ومصاحبتهم بالمعروف، قال تعالى: ﴿ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [سورة لقمان ٣١/١٥].

وكما كان من حال أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها عندما سألت رسول الله ﷺ عن أمها من الرضاعة التي قدمت عليها وهي مشركة، فقالت: ((يا رسول الله، إن أُمِّي قدمت عليّ وهي

(١) موقع الدين النصيحة، بحث بعنوان صلة الرحم وقطعها، رسالة قطيعة الرحم بتصرف.

(٢) كما سيأتي الحديث عنه في مبحث صحبة النبي ﷺ.

راغبة أفأصلها؟ قال: ((نعم))^(١). فأنزل الله في ذلك قوله: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي

الَّذِينَ وَلَّمْ تَخْرِجُوهُمْ مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [سورة الممتحنة ٦٠/٨].

"فإن أعيته الحيلة في هدايتهم فلينأ عنهم، وليهجرهم الهجر الجميل، الذي لا أذى فيه بوجه من الوجوه، ويكثر لهم من الدعاء في ظهر الغيب"^(٢). إلا إذا ماتوا على الكفر فهنا تنتهي علاقته بهؤلاء الأقارب كما تقدم في - مطلب صحبة الوالدين - .

والناس في صحبتهم وصلتهم بأرحامهم أصناف^(٣): فمنهم الواصل الذي يصل من قطعه، وهذا قد وصل إلى درجة رفيعة قال عنها المصطفى ﷺ: ((ليس الواصل بالمكافئ، ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها))^(٤). ولا يقدر على هذا إلا الصابر المحتسب الأجر من الله . وفي مقابله المكافئ: الذي يصل من وصله ويقطع من قطعه. ولكن هناك من هو أفضل من هذا وذاك؛ إنه الواصل الذي يصل من أساء إليه، وهذا ما كان من حال رُسل الله صلوات الله وسلامه عليهم، وأتباعهم، حيث كانوا يقابلون إساءة أقوامهم بالإحسان إليهم ودعوتهم إلى الهدى، ومن ذلك ما كان من حال نبينا محمد ﷺ، حيث قابل إساءة كفار قريش بإحسانه إليهم وإطلاقهم يوم فتح مكة، إذ قال لهم: ((اذهبوا فأنتم الطلقاء))^(٥). وما كان من صاحبه أبي بكر الصديق رضي الله عنه حينما أقسم ألا ينفق على قريبه الذي خاض في حديث الإفك على الصديقة بنت الصديق رضي الله عنها، حتى أنزل الله فيه قوله: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [سورة النور ٢٤/٢٢]. فعندها أعاد النفقة وقال ﷺ: إني لأحبُّ أن يغفر الله لي^(٦).

(١) سبق تخريجه ص ٣٦.

(٢) رسائل في التربية والسلوك، قطيعة الرحم ٧٥.

(٣) انظر: المصدر السابق، رسالة قطيعة الرحم، من موقع الدين النصيحة، و صلة الرحم في شبكة الحكمة .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب ليس الواصل بالمكافئ، (٥/٢٢٣٣ ح ٥٦٤٥).

(٥) انظر فتح الباري، باب دخول النبي ﷺ من أعلى مكة (٨/١٨) ح رقم ٤٠٣٨، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة ١١٦٣.

(٦) المحرر الوجيز، ١٣٥٣ بتصرف.

ومنهم من يقطع من يصله، ومنهم من يسيء إلى من أحسن إليه، وهذان من أعظم الذنوب، عافانا الله منها.

وبعد أن تبين لنا عظم هذه العلاقة وهذه الصحبة ومكانتها، وأنها إذا قامت على الإخلاص والحب شاع فيما بين الأقارب الحب والصفاء، وسادت المودة والألفة، فتصفو العشرة، وتكثر المسرات، ويعلو قدر من وصل، ويرتفع ذكره، ويبارك في رزقه، وإذا لم توصل فإنها لا تُثمر إلا العداوة والبغضاء والقطيعة^(١).

(١) الأسرة المثلى في ضوء القرآن والسنة ١٦١.

المبحث الثاني: الصحة بالنظر للمقارنة :

المطلب الأول: صحة الاتباع.

المطلب الثاني: صحة الجوار.

المطلب الثالث: صحة السفر.

المطلب الرابع: صحة غير البشر.

المطلب الأول: صحبة الاتباع^(١)

إن الله - سبحانه وتعالى - منذ أن خلق هذا الكون وسن فيه سننه، وكل ما فيه خاضع له ومنقاد إليه طوعاً وكرهاً، لا يشذ منه شيء، ومضى حكمه وقضاؤه في أم الكتاب أن من كفر به، وعصى رسله، حلت عليه لعنته وغضبه، كحال إبليس اللعين، حيث خالف أمر الله حين أمر بالسجود لآدم - عليه السلام - كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [سورة البقرة ٣٤/٢]، فكان جزاء عصيانه ومخالفته أن حلت عليه لعنة الله وغضبه والناس أجمعين إلى يوم الدين، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [سورة ص ٣٨/٧٨]. في إشارة منه - سبحانه وتعالى - لآدم عليه السلام وذريته من بعده إلى وجوب الانصياع و الاتباع لما يأمر به أو ينهى عنه والحذر من مخالفة أمره.

فها هو ذا سبحانه يحذر آدم - عليه السلام - من العدو المتربص به وبذريته الذي ملأ الحقد والحسد قلبه، وصدده عن اتباع أمر الله فيقول له: ﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ [سورة طه ١١٧/٢٠]. ولكن هذا العدو استطاع بمكره وخداعه استمالة آدم - عليه السلام - ليخالف أمر الله - سبحانه وتعالى - فكانت نتيجة هذه المخالفة أن عاقبه الله بالخروج من الجنة، والهبوط إلى الأرض. إلا أنه لم يتركه بلا هدى، بل أرشده إلى طريق الخلاص من ذلك، حيث قال تعالى: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [سورة البقرة ٣٨/٢]، فكانت هذه الآية إرشاداً لآدم - عليه السلام - و ذريته من بعده، إلى أنه متى ما اتاهم من الله بيان، وأمر بطاعة وارشاد وهدى،

(١) التبعية: التلؤ والقفو. تقول: تبعت فلاناً، إذا تلوته، وتقول: أتبعته فلاناً: إذا لحقته. مقياس اللغة ٣٦٢/١. قال الراغب في المفردات ٨٠: "يقال تبعه واتبعه: قفا أثره، وذلك تارة بالارتسام والائتمار، ومنه قوله تعالى: ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [سورة البقرة ٣٨/٢] وتارة بالالحق، فيقال: أتبعه إذا لحقه - بالجسم - ومنه قوله تعالى: ﴿فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ﴾ [سورة الشعراء ٦٠/٢٦]. وتبع: كانوا رؤساء سمووا بذلك لاتباع بعضهم بعضاً في الرياسة والسياسة. وقيل: تبع ملك يتبعه قومه. والجمع منه تباعة. والتبعية: الظل، سمي بذلك لأنه يتبع صاحبه ولا يفارقه.

ودلالة إلى الخير والدين الحق فعليهم اتباعه، والسير في ركابه. ثم بين عاقبة هذا الاتباع؛ من نفي الخوف والحزن^(١)، ونفي الضلال والشقاء عنهم، فمن اتبع هدى الله حصل له الأمن التام، والسعادة الكاملة في الدنيا والآخرة، وانتفى عنه كل مكروه، واندفع عنه كل مرهوب، وحصل له كل مرغوب. وعكس هذا من لم يتبع الهدى، فكفر وكذب، فإن عاقبته لا محالة الخوف والحزن والشقاء في الدنيا والآخرة^(٢).

والناظر في كتاب الله يجد أن الله - سبحانه وتعالى - بيّن قضية الاتباع وحقيقتها وأرشد إلى من تجب متابعتها وبين أنواع الاتباع، والأسس التي ينبغي أن تُبنى عليها علاقتنا بمن نتابعه ونتبعه، وعاقبة الاتباع؛ سواء أكان محموداً أم مذموماً، في الدنيا والآخرة، وهو ما يبين عظم هذه القضية، وأنها من أخطر أنواع العلاقات، كيف لا وهي التي تحدد شخصية الإنسان ومنهجه وطريقته في الحياة وتحكم على تصرفاته، لأن الإنسان بطبيعته البشرية لا يتخلى عن المتابعة والتبعية، فهي ملازمة له في كل زمان ومكان، سوء كان هذا الاتباع صالح أم فاسداً، فهو منذ ولادته يكون تابِعاً لوالديه، وهذا الاتباع غريزة عنده فهو يتبعهما في شتى الأمور سواء في العقائد أو العادات، على الرغم من أنه يولد على الفطرة، إلا أنهما يؤثران فيه وعليه، فيتحول عنها نتيجة اتباعه لهما، كما جاء ذلك في حديث النبي ﷺ، أنه قال: ((كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرّانه أو يمجّسانه))^(٣). فالعلاقة بين الولد والوالد في البداية علاقة تبعية وليست اتباعية، لأنها ارتباط قسري لا طوعي، والاتباع طوعي، فإذا كبر الولد انقلبت العلاقة إلى اتباعية، كما قال تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ﴾ [سورة الزخرف ٢٢/٤٣].

ثم يكون تابِعاً لإمامه في مسجده في أثناء صلاته، ومعلميه في مدرسته ودراسته، ورؤسائه في العمل، وربما لصاحبه أو صديقه أو رفيقه في الحي أو المدرسة أو الشارع، وربما امتدت التبعية والاقتران طوال الحياة وإلى نهاية العمر، أو لحاكم أو مسؤول في بلده... وهكذا.

(١) جامع البيان ١/٢٤٧.

(٢) بتصرف من تفسير ابن سعدي ٣٢.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب ما قيل في أولاد المشركين، (١/٤٦٥ ح ١٣١٩)، ومسلم في صحيحه باب معنى كل مولود يولد على الفطرة (٤/٢٠٤٧ ح ٢٦٥٨).

فالتبعية أو المتابعة في صورها المختلفة ومستوياتها المتعددة وأهدافها المتباينة تشمل جميع من يختلط بهم الإنسان، ويرتبط بهم. بموجب علاقة ما أو مصلحة، سواء كانت في محيط مجتمعه الأسري الصغير أم مع من يُعاملهم في محيطه الخارجي الكبير، الذي يتجاوز المجتمع أو القرية أو المدينة والدولة إلى الأمة و إلى العالم أجمع .

وقد جاء التحذير من هذا الاتباع إن خالف أمر الله حتى وإن كان صادراً من الوالدين اللذين هما أرحم الناس به، وأقربهم إليه، فرمما ظن أنهما مهتديان، وهما على ضلال، فيتخذهما قدوة، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ [سورة البقرة ٢/١٧٠]، وقال سبحانه وتعالى : ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىٰ تَمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [سورة لقمان ٣١/١٥].

فهو وإن أمر بحسن الصحبة لهما إلا أنه نهي عن اتباعهما في حالة الكفر والمعاصي، وأمر باتباع سبيل من أناب إليه من المؤمنين بالله وملائكته وكتبه ورسله، المسلمين لربهم، النبيين إليه^(١). وأنه لا بد أن يكون المتبع ذا معرفة بالشيء ، عاملاً به، ممارساً له بنفسه، لا أن يكون جاهلاً به، وأن من اتبع جاهلاً فيما هو به جاهل فإنه يحسب في جملة من لا عقل له ولا تمييز^(٢) .

ثم أرشد سبحانه إلى الطريق الصحيح الموصل إلى مرضاته، وهو اتباع هديه سبحانه الذي جاء به رسله الكرام عليهم السلام، وذلك باتباع ما أنزل عليهم من النور المبين، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [سورة آل عمران ٣/٣٣] وهذا إشارة منه إلى بيان من اصطفاهم وجعلهم متبوعين، وأنهم خلق من خلقه اصطفاهم، واختارهم، وخصهم بخصائص وأمرهم بأوامر خاصة لهم وعمامة لكل من تابعهم وصاحبهم. وهذا من عظيم منته سبحانه أن جعلهم بشراً من جنس أتباعهم لتكون بينهم الموافقة والمتابعة. وبين أن القاسم المشترك بين هؤلاء الأنبياء والرسل هو اتحاد دعوتهم إذ يدعون جميعاً إلى إله

(١) انظر تفسير ابن سعدي ٥٩٧.

(٢) بتصرف من جامع البيان ٧٩/٢.

واحد، و يدعون إلى إعمال العقل وتوظيفه للاستدلال والاستكشاف بالنظر في سنن الكون وعبره وعظاته، ليصلوا بعد ذلك إلى حقيقة الربوبية والألوهية، فيعبدوا الله الواحد، ويخلصوا البشرية من الظلم والكفر في الدنيا، ويهدوهم إلى السعادة والفوز والفلاح في الدنيا والآخرة. فهذا نوح - عليه السلام - يدعو قومه إلى عبادة الله وترك عبادة ما سواه، ولكنهم لم يتبعوه وأصروا على ما هم عليه فكانت عاقبتهم أن أخذهم الطوفان فكانوا من المغرقين، ونجى الله رسوله ومن اتبعه من المؤمنين، حيث قال: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ [سورة هود ٤٠/١١].

وهذا إبراهيم الخليل - عليه السلام - يدعو قومه، ومن قبلهم والده، فيقول له طالباً منه أن يتبعه: ﴿ يَتَّبِعْ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴾ [سورة مريم ٤٣/١٩]. لكنه لم يرع سمعه ولم يتبع ابنه على ما كان عليه من الحق. وجميع من أرسلهم الله من الرسل كلهم يدعون إلى إله واحد، و يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر و يجلون الطيبات ويحرمون الخبائث، و يضعون الأغلال عن أمهم التي سببها اتباع الأهواء و الشيطان.

وها هو ذا الحق جل ثناؤه يصف النبي ﷺ و يصف دعوته و عاقبة من اتبعه و يأمر جميع البشر باتباعه، كما في قوله: ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا التَّوْرَ الَّذِي أَنْزَلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [سورة الأعراف ١٥٧/٧].

وقال: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [سورة آل عمران ٣١/٣]. وقال: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴾ [سورة النساء ١٢٥/٤]. "أي: اتبع في عمله ما شرعه الله له، وما أرسل به رسوله من الهدى ودين الحق. وهذان الشرطان لا يصح عمل عامل بدوئهما، أي لا يكون خالصاً صواباً، والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون موافقاً للشريعة، فيصح

ظاهره بالمتابعة وباطنه بالإخلاص، ومتى فقد المتابعة كان ضالاً جاهلاً^(١). فجعل المتابعة للرسول شرطاً لقبول العبادة، وما خالفها فهو مردود كما قال ﷺ: ((من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد))^(٢).

ثم بين سبحانه في مواضع أخرى من القرآن الكريم كيف استطاع هؤلاء الأنبياء أن يؤثروا في أتباعهم في إشارة منه سبحانه إلى اتباع طريقتهم في الدعوة إليه، ومن ذلك اتصافهم بصفات وأخلاق قلما توجد في شخص ما، فقال جل ثناؤه في وصف خاتم الرسل والأنبياء محمد ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [سورة القلم ٤/٦٨]. وقال عن علاقته مع أتباعه: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِن لَّهُمْ لَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَفْنَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [سورة آل عمران ٣/١٥٩]. فبين أنه اتصف بصفة الرحمة والمودة وكريم الأخلاق فلم يتكبر على أحد، وإنما كان متواضعا يعامل من حوله بأحسن الأقوال والأفعال. وكذا جميع الرسل من قبله.

وبين عدم اغترارهم بما وصلوا إليه من مكانة وعلم، وإنما هم في طلب للعلم كما قال تعالى عن موسى عليه السلام عندما صحب العبد الصالح ابتغاء أن يعلمه مما علمه الله فقال: ﴿قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَني مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [سورة الكهف ١٨/٦٦]. وكذلك طلبهم للنصح والمشورة من أقوامهم وأخذهم للآراء التي يجدون فيها الخير لهم ولأتباعهم، فلم يستقلوا بآرائهم ولم يفرضوها على أتباعهم، بل ربوا فيهم الرغبة في العلم وإعمال العقل حتى تصبح هذه العقول قادرة على أن تنقاد للحق وتقود غيرها، وتنتهي عن الباطل لتصل في النهاية إلى ما تصبو إليه من الفوز والفلاح في الدنيا والآخرة.

كذلك حرصهم على إنارة الطريق لأتباعهم وتخليصهم مما هم فيه من الضلال في الدنيا والعذاب في الآخرة، بما وهب الله لهم من العلم والحكمة، كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّوْنُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

(١) تفسير ابن كثير ١/٥٦٠.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح الجوار (٢/٩٥٩ ح ٢٥٥٠ ب)، ومسلم كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور (٣/١٠٨٢ ح ١٧١٨).

[سورة الأنعام ١٥٣/٦]، وقال: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [سورة الحديد ٢٥/٥٧].

ثم إنهم ليس لهم أي مطلب من مطالب الدنيا الفانية، فلا يريدون أجراً على دعوتهم لأقوامهم، ولا يرجون نفعاً ممن صاحبهم، كما قال تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [سورة يونس ٧٢/١٠].

وقال: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْئَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [سورة يس ٢٠/٣٦-٢١].

وإنما عليهم البلاغ والإرشاد إلى الطريق المستقيم الموصل إلى رضا الرحمن ثم إلى جنانه: ﴿فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [سورة آل عمران ٢٠/٣]. وإن كان قد انقطع الطريق الموصل لمعرفة الله بواسطة إرسال الرسل، بخاتمهم محمد ﷺ فإن وحيه المبين المتمثل في الكتاب والسنة باقٍ ومحفوظ إلى قيام الساعة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [سورة الحجر ٩/١٥]، فهذا هو المعين الذي يغرف منه المتعطشون ليرووا به عطشهم، وكذلك أمرنا باقتفاء أثر من تبع الرسل وسار على نهجهم وصاحبهم واتبع ملتهم: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة يوسف ١٠٨/١٢]. وقال في وصفهم: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَدَّمُونَ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْتَمَرُونَ﴾ [سورة التوبة ١٠٠/٩]. وقال رسول الله ﷺ: ((عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ))^(١).

وفي مقابل هؤلاء الأنبياء وأتباعهم نجد هناك من وقف ضدهم وعاداهم واستكبر وتولى عن دعوتهم؛ من الرؤساء والطغاة والقادة الذين غرهم الكبر، وملاً قلوبهم الحقد والحسد،

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک (١/١٧٤ ح ٣٢٩) كتاب العلم، وابن حبان في صحيحه (١/٧٩ ح ٥) ذكر صفة الفرقة الناجية، وأبو داود في سننه (٤/٢٠٠ ح ٤٦٠٧) باب لزوم السنة، والترمذي في سننه (٥/٤٤٦ ح ٢٦٧٦) باب ماجاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع، وقال: حديث حسن صحيح، وكذا في السلسلة الصحيحة للألباني ٢٧٣٥.

واغترخوا بما وهبهم الله من قوة في العلم والجاه والسلطان، فكفروا بالله واتبعوا سبل الشيطان وأساليبه في رد الهدى الذي أنزله الله في كتبه وعلى لسان أنبيائه، فقابلوا النعمة بالجحود، وقابلوا الرسل الذين أرسلهم الله لهم بالحرب والتقتيل والعداوة.

والقرآن الكريم يصور لنا صنوفاً وصوراً من هذه التبعية والصلاة؛ فمن أهم الصنوف والصور تلك التبعية التي "تكون من الأبناء للآباء والأجداد"^(١). فلطول مدة الصحبة والملازمة فيما بينهم عمد الأبناء إلى النظر إلى الآباء على أنهم القدوة والمثل الأعلى، وأن كل ما يقومون به هو الصواب، فانساقوا وراءهم بلا تفكير ولا تدبر، وهذا خلاف المنهج الرباني.

ولكن كثيرٌ ممن غيبت عقولهم عن اتباع الحق آثروا اتباع الآباء وتقليدهم على ما كانوا عليه من كفر وضلال، حتى وإن استبان لهم الحق، كما قال تعالى عنهم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ [سورة البقرة ١٧٠/٢]، وقال: ﴿قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُم بِمُؤْتَبِرِينَ﴾ [سورة الأنبياء ٥٣/٢١] وقال - جل ثناؤه -: ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ﴾ [سورة الزخرف ٢٢/٤٣]. "أي: إنا على مناهجهم وطريقتهم، مقتدون بفعلهم، نفعل الذي يفعلون، ونعبد ما كانوا يعبدون"^(٢). فجاء التنديد بهم وبآبائهم، فقال تعالى منكرًا عليهم هذا التقليد: ﴿أَوَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ لَيَحْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [سورة البقرة ١٧٠/٢]. "أي: إن هؤلاء الآباء ليس لهم فهم ولا هداية، ولا يعقلون شيئاً من أمر الله ولا دينه، فكيف تتبعونهم وهم ليسوا مصيبين في آرائهم"^(٣).

وقال في موضع آخر: ﴿قُلْ أُولَٰئِكَ جَاهِلُونَ بِمَا يَدْعُونَ وَمَا يُدْعَوْنَ بِهِ كَمَا لَا يَدْعُونَ إِلَّا بِآبَائِهِمْ كَبُرُوا شَيْئًا﴾ [سورة الزخرف ٢٤/٤٣]. "مما يبين أنهم لم يريدوا اتباع الحق والهدى، وإنما أرادوا اتباع الباطل"^(٤).

(١) الأتباع والمتبوعين في القرآن، الدكتور: صلاح الخالدي، دار المنار، عمان، الأردن، ط: الأولى، ١٤١٧هـ. بتصرف ١٨٩.

(٢) جامع البيان ٦١/٢٥.

(٣) انظر: جامع البيان ٧٩/٢، تفسير ابن كثير ٢٠٥/١.

(٤) تفسير ابن سعدي ٧٦٤.

ومن خلال ما تقدم يمكن أن نجمل صور الاتباع في القرآن الكريم سواء كان اتباعاً صالحاً أم اتباعاً فاسداً إلى ما يلي:

١- "صورة الاتباع العقدي" ^(١) : المتمثل في تلقي الأفكار والآراء من السادة والكبراء" ^(٢). كما بين تعالى ذلك في قوله: ﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبْرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا ﴾ [سورة الأحزاب ٣٣/٦٧]. (أي: اتبعنا السادة وهم الأمراء والكبراء من أهل المشيخة، وخالفنا الرسل، واعتقدنا أن عند هؤلاء شيئاً. وصحبناهم على هذا، فإذا هم ليسوا على شيء، فأضلونا عن السبيل، وأزلونا عن المحجة الحقة وطريق الهدى والإيمان) ^(٣). كذلك ما كان من فرعون ومن تبعه، كما قال تعالى: ﴿ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمْ الْغَالِبِينَ ﴾ [سورة الشعراء ٢٦/٤٠]. كذلك قوله تعالى عن بعض من أرسل إليهم الرسل: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِمْ آبَاءَنَا أَوْ لُوكَانَ آبَاءَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [سورة البقرة ٢/١٧٠].

٢- اتباع خطوات الشيطان، وطرائقه ومسالكه وما يأمر به، ولبيان خطورة هذا النوع من الاتباع، جاء تحذر المولى جل ثناؤه من ذلك حيث قال تعالى: ﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّهُمْ مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَّالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ [سورة البقرة ٢/١٦٨]. وقال: ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [سورة النور ٢٤/٢١]. وبين نتيجة اتباعه، وأنه لا محالة سيتخلى عن اتباعه، وخاصة في أصعب المواقف، في الدنيا والآخرة، ولا أشد وأفظع من يوم العرض الأكبر، يوم الرجوع إلى الله، حيث يتبرأ الشيطان ممن تبعه وأفنى عمره في اتباعه وطاعته، فهذا هو ذا الخبيث ينأى بنفسه، موجهاً أصحابه، مشنعاً عليهم، وفاضحاً لهم: ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لِمَ أَفُضِيَ الْأَمْرُ إِلَى اللَّهِ وَعَدَّكُمْ وَعَدَّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾

(١) الأتباع والمتبوعين في القرآن ١٩٢.

(٢) المصدر السابق ١٩٢.

(٣) انظر جامع البيان ٥٠/٢٢، تفسير ابن كثير ٥٢٠/٣.

مَا أَنَا بِمُصْرِحِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِحِي ۖ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونَ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿ [سورة إبراهيم ١٤/٢٢].

٣- اتباع الهوى والشهوات، قال تعالى: ﴿ فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىَٰ أَنْ تَعْدِلُوا ﴾ [سورة النساء ١٣٥/٤] وذلك أن " اتباع الهوى يطمس نور العقل ويعمي بصيرة القلب، ويصد عن اتباع الحق، ويضل عن الطريق المستقيم، فإذا اتبع العبد هواه فسد رأيه ونظره، فيرى الحسن في صورة القبيح، والقبيح في صورة الحسن، فيلتبس عليه الحق بالباطل، فأنى له الانتفاع بالتذكر، والتفكير والعظة" (١).

٤- " الاتباع الأخلاقي: ويتمثل في الاقتداء بالمتبوعين في مظاهر السلوك والأخلاق" (٢)، فإذا كان المتبوعون ممن اتصف بالأخلاق الكريمة كان أتباعهم مثلهم، ومن ذلك ما جاء في وصف الحواريين الذين صحبوا عيسى - عليه السلام- فقال تعالى عنهم: ﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً ﴾ [سورة الحديد ٥٧/٢٧]. وقال في وصف الصحابة - رضوان الله عليهم - أتباع المصطفى

ﷺ: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۚ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَرَزَجٍ أُخْرِجَ شَطْرَهُ ۚ فَتَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوْقِهِ ۖ يُعْجِبُ الرُّزَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [سورة الفتح ٤٨/٢٩]. وهذا عام في جميع من يسير على نهجهم.

أما إذا كان المتبوعون ممن اتصفوا بالانحراف الأخلاقي فإن الأتباع يكونون مثلهم خاصة إذا لم ينكر عليهم أحد، ومن ذلك ما كان عليه قوم لوط عليه السلام، فقد شاعت فيما بينهم الرذيلة والفاحشة ولم ينكرها أحد من أصحاب العقول السليمة إلا لوط - عليه السلام - كما قال تعالى عنه: ﴿ أَيُنْكُمُ لِلتَّائِبِينَ الرِّجَالُ وَتَقَطُّعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ ۚ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ ۚ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَتَيْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ [سورة العنكبوت

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط: الرابعة ١٤١٧ هـ. ٤٤٩/١.

(٢) الأتباع والمتبوعين في القرآن ١٩٢.

[٢٩/٢٩]، فما كان إلا أن أبحاه الله وأهله إلا امرأته من هذا، وأنزل عليهم سخطه و عذابه فحسف بهم الأرض فجعل عاليها سافلها، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَابًا مِّن سِجِّيلٍ مَّنصُودٍ﴾ [سورة هود ٨٢/١١]. في إشارة منه - سبحانه وتعالى - وزجر وتحذير للعباد من أن يفعلوا فعلهم ويقتفوا أثرهم فيصيبهم ما أصابهم^(١).

٥- "الاتباع السياسي: وذلك بالانحياز إلى جانب المتبوعين ومواليتهم والتحالف معهم وربط المصير بهم والتأييد لكل ما يصدر عنهم"^(٢). ويظهر هذا في قول الملائكة من يقوم ملكة سبأ حين استشارتهم في أمر سليمان عليه السلام، كما قال تعالى: ﴿قَالَتِ يَأْتِيهَا الْمَلَكُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾ [٣٣] قَالُوا نَحْنُ أَوْلُو قُوَّةٍ وَأَوْلُوا بِأَسْ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ [سورة النمل ٣٢/٢٧-٣٣].

ثم بين المولى - جل ثناؤه - المصير والمآل الذي يؤول إليه هذا النوع من العلاقة والصحة والمعاشرة بين الأتباع والمتبوعين، وعرض النتيجة والعاقبة الحسنة لمن اتبع الحق المنزل من عند الله - جل جلاله - في كتبه وسار على خطا أنبيائه ورسله، وحكم عقله وصحب وتابع من كان لله عابداً وموحداً وداعياً إليه على بصيرة وعلى علم، ولم يطلب منه أجراً، وإنما صحبه ولازمه لهدف واحد هو عبادة الله والخلوص من عذابه والوصول إلى مغفرته وجنانه؛ فتكون عاقبته السعادة والفوز في الدنيا والآخرة.

أما في الدنيا فقد بين - سبحانه - صوراً لهذا الفوز، وذكر منها: أنه يحصل له الأمن، والنصر على الأعداء، والتمكين في الأرض، والظفر والفتح، والعاقبة الحسنة^(٣)، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ [سورة غافر ٥١/٤٠].

وقال جل ثناؤه: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [سورة المجادلة ٢١/٥٨]، كل هذه الآيات وغيرها، وعد من الله متحقق لأتباع دينه بالنصر والغلبة لهم على من عاداهم،

(١) بتصرف من تفسير ابن سعدي ٣٤٢.

(٢) الأتباع والمتبوعين في القرآن ١٩٢.

(٣) انظر جامع البيان ١/١٤٧، ٤/١٢١، تفسير ابن كثير ١/٤١٢، ٢/١٣١.

فها هو ذا المولى - جل جلاله - ينجي نوحاً والذين آمنوا معه في الفلك المشحون، وشعبياً ومن معه، وصالحاً، وهوداً، وإبراهيم، و لوطاً،... وغيرهم عليهم السلام.

ثم يوم القيامة يُدخلهم الجنة، فيتنعمون بنعيمها هم وأزواجهم وذرياتهم الذين اتبعوهم على الإيمان، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [سورة الطور ٥٢/٢١]. فيحصل لهم النصر وحسن الثواب في الدنيا، ويحصل لهم الرضا والمغفرة والرحمة والأجر الحسن منه سبحانه في الآخرة. كما قال: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [سورة غافر ٧/٤٠].

و أما من أعرض عن الله، واتبع الشيطان، واتبع هواه وشهوته، وصحب أهل الكفر والفجور والباطل والضلال، وغيب عقله عن التفكير في آيات الله ونعمه الموصلة إلى عبادته، وجهل بالله وآثر حب الدنيا وملذاتها وشهواتها من حب جاهٍ أو سلطانٍ، على حب الله، وأنكر البعث والنشور، فإن عاقبته الخسران والهلاك واللعنة في الدنيا، ثم اللعنة والعذاب المقيم في الآخرة.

والمستبح لآيات الذكر الحكيم، يجد أن مصير ومآل من أعرض عن الله وعن رسله، الخسران والهلاك في الدنيا قبل الآخرة. فهؤلاء قوم نوح - عليه السلام - أغرقهم الله بالطوفان، ولم ينج منهم أحد إلا من آمن معه، وها هو الحق تبارك وتعالى يصور لنا حال نوح مع ابنه الذي لم يتبع هدى الله، وأصر واستكبر فكانت عاقبته؛ أن أغرقه الله مع من أغرقهم. فقال: ﴿وَهِيَ

تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ، وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَبْنِي أَرْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ

﴿٤٢﴾ قَالَ سَاوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَجَعُ وَحَالَ بَيْنَهُمَا

الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُعْرِقِينَ﴾ [سورة هود ٤٢/٤٣]. ثم نفى عنه وشيخة الدم والنسب وبين أن الوشيخة الحقيقية هي وشيخة الإسلام والإيمان والطاعة. فقال: ﴿قَالَ يَنْوُحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْتَلِنْ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعْظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [سورة هود ٤٦/١١].

وهؤلاء قوم لوط، الذين خسف الله بهم الأرض، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَيْهِمَا سَافِلِهَآ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِآ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ﴾ [سورة هود ١١/٨٢].

وهذا فرعون ومن تبعه وصحبه على كفره وغيه، لقد أغرقه الله هو وجنوده ليكون عظة وعبرة وآية لمن خلفه ممن يكفر بالله ويتكبر عليه، فقال جل ثناؤه في معرض امتنانه على بني إسرائيل بعد أن أنجاهم منه: ﴿فَأَنْبَأَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِّنَ اللَّيْلِ مَا عَاشَيْهِمْ﴾ [سورة طه ٢٠/٧٨]. نعم هذه نهاية كل من يكفر بالله ولا يتبع رسله.

ثم يوم القيامة يزيدهم الله خسراً على خسرتهم، فيدخلهم النار هم ومن اتبعهم على ما هم عليه، فيجتمعون جميعاً الأتباع والمتبوعون في النار.

ثم إن من أهم مرتكزات الصحبة بين الأتباع والمتبوعين:

- العناية والاهتمام بقضية المتابعة والاتباع، وبيان الأسس القويمة التي تقوم عليها هذه العلاقة، وبيان النتيجة والعاقبة المترتبة على هذا النوع من الصلات. وما ذاك إلا أن المتابعة أو التبعية والإقتداء غريزة فطرية لدى الإنسان في جميع مراحل حياته، من المهد إلى اللحد، هذه الصلة الناشئة عن عدة علاقات مترابطة بعضها مع بعض، وتختلف باختلاف الشخص المتبوع والهدف من هذه التبعية، فإذا كان الاتباع لمن يأمر بأمر الله، ويراعي الحقوق والواجبات. فإن نتيجة هذه الاتباع ستكون خيراً وسعادةً على الجميع في الدنيا والآخرة. أما من كان الاتباع لمن خالف أمر الله وعصاه فإن نتيجة ذلك ستكون وبلاً عليه في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى عن اتباع قوم فرعون له: ﴿يَقْدُمُ قَوْمُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأُورِدُهُمُ النَّارَ وَيَبئسَ الْوَرْدَ الْمَوْرُودُ﴾ [سورة هود ١١/٩٨].

- أرشد الله - سبحانه وتعالى - إلى الطريق الصحيح الموصل إلى مرضاته، وذلك باتباع شرعه المتمثل في رسله - عليهم السلام - وما جاؤوا به من النور المبين، وجعل إخلاص العبودية له ومتابعة رسله من شروط قبول العمل، وما خالف هذين الشرطين فهو رد على صاحبه. ثم بين حقيقة هؤلاء الرسل؛ فبين أن ما جاؤوا به هو الدعوة إلى إله واحد، ودعوتهم إلى توظيف العقل؛ للاستدلال والاستكشاف، والنظر في السنن الكونية؛ للوصول إلى حقيقة الربوبية والألوهية الحققة له وحده، والخلوص من الظلم والكفر، وذلك للوصول إلى السعادة والفوز والفلاح في الدنيا والآخرة.

- من خلال النظر في قصص الرسل والأنبياء - عليهم السلام - مع أقوامهم نستطيع استنباط الصفات التي يجب أن يتحلى بها المتبوع الصالح ، والتي من خلالها يستطيع التأثير على من حوله. وهي كثيرة، ومن أهمها:

١. التحلي بالأخلاق الفاضلة التي تحلى بها رسل الله.
٢. جعل المودة والرحمة أساس العلاقة بينه وبين أتباعه.
٣. عدم الاغترار بما يصل إليه من العلم، وإنما عليه الاستمرار في الطلب.
٤. عدم الاستقلالية في اتخاذ القرارات، بل جعلها محلاً للمشورة، و من ثم اتخاذ ما كان صواباً.
٥. الحرص على إنارة الطريق للاتباع وتخليصهم من الضلال والجهل، بالبلاغ والإرشاد إلى الطريق المستقيم.
٦. جعل القرآن الكريم والسنة النبوية، وما ورد فيهما من قصص عن الرسل عليهم السلام، ومن سار على نهجهم هو المصدر الأساس للتلقي في منهج المتابعة الذي يُؤخذ منه ويرجع إليه.

ثم بين الحق - سبحانه وتعالى - المعوقات التي واجهت الأنبياء والرسل - عليهم السلام - لتكون بمثابة التسلية لجميع الدعاة من بعدهم، والتي منها:

١. وقوف الغالبية العظمى من الرؤساء والطغاة والقادة ضد أنبياء الله ورسله - عليهم السلام -.
 ٢. انتشار الحقد والحسد والجهل، وحب الجاه والسلطان بين هؤلاء الطغاة.
 ٣. الكفر بالله واتباع الشيطان وطرقه، والصد عن الحق والهدى المنزل من عند الله.
 ٤. مقابلة نعم الله بالجحود، ومقابلة رسله بالمحاربة، والعداوة وغيرها من المعوقات.
- ثم بين سبحانه أنه مهما بلغت هذه المعوقات إلا أن النتيجة والعاقبة لله فهو غالب على أمره وناصر رسله ودعائه ومن سار على نهجهم إلى يوم الدين.

- جاء في القرآن الكريم بيان لبعض قصص الطغاة مع أنبيائهم، وكيف وقفوا ضدهم

ولم يصاحبوهم على ما هم عليه من الهدى والنور المين. قال تعالى: ﴿قَالُوا يَشْعِبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرُّكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بَعِزِينَ﴾ [سورة هود ٩١/١١] فبين المولى جل ثناؤه كيف كانت عاقبة صدهم، في إشارة منه سبحانه إلى اتخاذ العظة والعبرة من هذا القصة، والوقوف على الأسباب التي أدت بهؤلاء إلى هذا المسلك، وبين ماهية تلك العلاقات التي كانت بينهم وبين أقوامهم ومن تابعهم على غيهم وطغيانهم، وبين الأساليب التي استخدموها في سبيل إغوائهم لهؤلاء الاتباع.

- وبين حال الاتباع الذين طغى عليهم الضعف والذلة والخوف على أنفسهم وأموالهم ومناصبهم، وحبهم وإقبالهم على الدنيا وملذاتها، مما صرفهم عن الحق واتباعه، وجعلهم متبعين للباطل وأهله. كما قال تعالى: ﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعَ السَّحَرَةَ إِن كَانُوا هُمْ الْغَالِبِينَ﴾ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَإِنَّا لَنَأْجُرُكَ إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ [سورة الشعراء ٤٠/٢٦-٤٣] في جملة من الصور، حيث كان الغرض من عرض هذه الصور الوصول إلى معرفة حقيقة من نتبع أو من نصحب، ومعرفة الغاية المتحققة من هذا الاتباع وكيفية التعامل بين التابع والمتبوع، للوصول إلى الغاية المرجوة في الدنيا من النصر والتمكين والفوز والفلاح ودخول الجنة في الآخرة.

- ثم بين لنا المصير والمآل لهذا النوع من العلاقات الكامنة بين الأتباع والمتبوعين، فعرض العاقبة الحسنة؛ لمن اتبع الحق، وصحب أهل التوحيد، ولازمهم على ما هم عليه من الهدى والتقى. فكانت عاقبته أن حصل له الأمن والنصر والتمكين، والظفر والغلبة على من عاداه في الدنيا قبل الآخرة. أما من أعرض عن الحق وصد عنه واتبع أهل الزيغ والباطل وصحب الشيطان وأتباعه فقد خسر الدنيا والآخرة.

حقوق وواجبات:

- نظراً لأهمية هذا النوع من الصحبة فإنه يتعين لأصحابها حقوقاً وواجبات. من هذه الحقوق الحقوق الواجبة على المتبوع؛ سواء كان قائداً أم معلماً، نحو تابعيهم ومن صاحبهم ولازمهم:

١. الإحسان إليهم في الأقوال والأفعال، ويتضح ذلك من خلال النظر في سير الأنبياء والرسول عليهم السلام وحالهم مع تابعيهم. فقد كانت العلاقة قائمة فيما بينهم على المحبة والود والتراحم والتواضع.

٢. الحرص على هداية من تابعه ولزمه، وحفظ دينهم وأخلاقهم، وإصلاح سلوكهم وفق منهج الله، وألا يعتمد الإساءة إليهم أو جرح مشاعرهم، أو التقليل من شأنهم، بأي صورة كانت، كما قال تعالى عن مؤمن بني إسرائيل: ﴿ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَنْقُومُ اتَّبِعُونَ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ [سورة غافر ٤٠/٣٨].

٣. الحرص على تحصيل مصالحهم وإرشادهم للخير، قال تعالى واصفاً رسوله ﷺ وحاله مع أتباعه: ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [سورة التوبة ٩/١٢٨].

٤. مواساتهم والتخفيف عنهم في حال الملمات والمدهومات، ومن ذلك ما حكاه المولى - جل ثناؤه - عن نبينا محمد ﷺ حين قال لصاحبه في الغار: ﴿ إِلَّا نَصْرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَمْخُزْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ [سورة التوبة ٩/٤٠]. ومن ذلك ما روي عنه ﷺ، أنه مر بعمار بن ياسر وأهله رضي الله عنهم، وهم يعذبون، فقال لهم: ((صبرا آل ياسر فإن موعدكم الجنة))^(١).

٥. تفقد من كان تحت رعايتهم، والسؤال عنهم إذا غابوا عن مشهد من المشاهد، أو مناسبة من المناسبات، أو عمل من الأعمال الدينية أو الدنيوية، كما كان من حال سليمان - عليه السلام - حينما كان يتفقد جنوده، فكشف غياب الهدهد، كما قال تعالى عنه:

﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَأَ أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴾ [سورة النمل ٢٧/٢٠].

٦. من حق الأتباع على المتبوعين مشاورتهم والأخذ برأيهم إن كان صواباً، وألا يستبد المتبوع برأيه، استناداً لقوله تعالى: ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحین (٣/٤٣٢-٤٣٦) وفي رواية: (اصبروا) كما جاء في مجمع الزوائد (٩/٢٩٣) وقال رجاله رجال الصحيح، وقال الألباني في فقه السيرة ١٠٣ حسن صحيح.

﴿سورة آل عمران ٣/١٥٩﴾. وقال تعالى عن ملكة سبأ: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُون﴾ [سورة النمل ٢٧/٣٢].

٧. وكذلك على المتبوع بيان ما يحتاج إليه الأتباع في بعض الأفعال التي يقومون بها، خاصة إذا كانت موهمة أو ملبسة، أو خفية العلة أو الغاية أو الحكمة؛ ليزيل ما لديهم من ظنون وشكوك قد توقعهم في حيرة من أمرهم، أو في سوء ظنٍ، كما فعل العبد الصالح مع موسى عليه السلام عندما تبعه، ثم لما حان وقت الفراق بين له تلك الأمور التي جهل الحكمة منها، كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِمَا أُوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ [سورة الكهف ١٨/٧٨].

٨. كذلك من الحقوق كف الأذى عنهم وحمايتهم، وهذا كان واضحاً من حال جميع الرسل والأنبياء عليهم السلام في حال دعوتهم.

وأما الحقوق المتعينة على الأتباع أو الأصحاب تجاه متبوعهم فهي :

١. الإحسان إليهم؛ وذلك بالسمع والطاعة، ومراعاة الآداب والأخلاق الحسنة في التعامل معهم، سواء أكان هذا المتبوع أباً أو معلماً أو رئيساً أو غير ذلك. والمتبع لآيات القرآن الكريم يجد الحث من الله على هذا الحق، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [سورة النساء ٤/٥٩].
٢. عدم التعرض لهم بالأذى، والذب عن أعراضهم وحمايتهم، كما فعل أبو أيوب الأنصاري^(١) رضي الله عنه عندما ذب عن عرض أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في (حادثة الإفك).
٣. الحرص على تقديم النصح لهم وتقويم أعمالهم، وبيان ما فيها من خطأ أو قصور بحسب الطاقة، امثالاً للحديث المتقدم، ونشر محاسنهم بين الخلق، والسكوت عن عيوبهم ومثالبهم أمام العامة والخاصة، ما وسع الأمر ذلك، ويكون النصح لهم بالسر وفي غاية الأدب.

(١) خالد بن زيد بن كليب، الخزرجي النجاري، اشتهر بكنيته، شهد بدرًا والمشاهد كلها، لما قدم النبي ﷺ المدينة نزل عليه وأقام عنده حتى بنى حجره، كان شجاعاً صابراً تقياً محباً للغزو والجهاد، عاش إلى زمن بني أمية، ولما غزا يزيد القسطنطينية صحبه أبو أيوب فحضر الوقائع، ومرض فأوصى أن يدفن فيه، فدفن في حصن قسطنطينية سنة ٥٠ هـ، وقيل ٥٣ هـ. الإصابة ٢/٢٣٤، أسد الغابة ٢/١١٦-١١٨، سير أعلام النبلاء ٢/٤١٢.

٤. الدعاء لهم بظهر الغيب وفي حضرتهم بالسداد و الثبات على الحق.
٥. الثناء على أعمالهم الحسنة الطيبة، وشكرهم على كل إحسان قدموه بالقول والفعل.
٦. تقديم النصرة لهم عند الحاجة والضرورة بكل ما يستطيع، حتى ولو لم يطلبوا ذلك .

ومما تقدم نخلص إلى أن هذا النوع من العلاقات والصحية من أهم وأخطر أنواع الصحية. لذا يجب أن نحسن اختيار من نتبع ومن نصاحب، ونحسن التعامل والمعاشرة معه، ونجعل الفيصل بيننا وبين من نتبع هو اتباع شرع الله للوصول إلى الغاية المرجوة في الدنيا والآخرة.

المطلب الثاني: صحبة الجوار^(١)

إن مما أمر الله - سبحانه وتعالى - به عباده الاجتماع على الخير، والتقارب والتعارف والمعاشرة فيما بينهم بالمعروف، وقيام العلاقات فيما بينهم، وأن يكون أساس قيامها على الألفة والمحبة والترابط، لأن في الاجتماع قوة وعزة، فقال - جل ثناؤه -: ﴿يَتَأَيَّمُ النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَعَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [سورة الحجرات ١٣/٤٩]، وقال: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [سورة آل عمران ١٠٣/٣]. فبين أن الغاية من هذا هي التعارف والتعاون والوثام على أساس من التقوى والعبودية لله تعالى.

وإن من جملة العلاقات التي تؤدي إلى التعارف وقيام وشائج الصحبة بين بني البشر، علاقة الجوار، تلك العلاقة التي (جاء الإسلام بالوصاية بها، والإعلاء من قدرها، وذلك لأن مفهوم الجار في الإسلام لا يقتصر على الجوار المتعارف عليه، وهو جوار المسكن أو السكن فحسب، بل هو أعم من ذلك فالجار؛ معتبر في المتجر، والسوق، والمزرعة، والمكتب، ومقعد المدرس، والرفيق في السفر فإنه مجاور لصاحبه مكاناً وبدناً، وكذلك ما يكون بين الدول والممالك، إلى غير ذلك.. ثم إن لكل واحد من هؤلاء حقاً على صاحبه، وله حرمة مصونة، وحقوقاً كثيرة لم تعرفها قوانين الأخلاق وشرائع البشر.

(١) الجار لغة: قال الراغب: "الجار: من يقرب مسكنه منك". المفردات ٩١. وقال ابن منظور: والجوار: المجاورة، والجار: الذي يجاورك. وجاور الرجل مجاورة وجواراً، الجمع: أحوار، وجيرة، وجيران. ولمادة "جار" في اللغة معان عدة يرجع لها في لسان العرب ١٥٣/٤-١٥٤ (جار).

و الجار اصطلاحاً: اسم يشمل جميع من جاورك، سواء كان مسلماً أو كافراً، عابداً أو فاسقاً، صديقاً أو عدواً، غريباً أو بلدياً، نافعاً أو ضاراً، قريباً أو أجنبياً، الأقرب داراً والأبعد.

وله مراتب بعضها أعلى من بعض، فأعلاها من اجتمعت له الصفات الأولى كلها، ثم أكثرها، وهلم جرأً إلى الواحد وعكسه، وهذه المراتب تزيد وتنقص بحسب قربه، وقربته، ودينه، وتقواه، ونحو ذلك، فيعطى كل بحسب حاله ما يستحق. فتح الباري ٤٤١/١٠.

و لقد بلغ من تعظيم حق الجار في الإسلام أن قرن حقه بعبادة الله تعالى وتوحيده، وأدرج في سياق مجموعة من أفضل الأعمال وأجلّها، ألا وهي بر الوالدين، والإحسان إلى ذوي القربى، واليتامى، والمساكين، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنْبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ (١).

قال القرطبي رحمه الله: "أما الجار فقد أمر الله تعالى بحفظه، والقيام بحقه، والوصاية برعايته ذمته في كتابه، وعلى لسان نبيه صلى الله عليه وسلم، فأكد ذكره بعد ذكر الوالدين والأقربين" (٢). وما ذاك إلى لعظم مكانته وعلو قدره.

وإذا أردنا أن نتعرف على ماهية هذا الجوار، وما يتعلق به، فلا بد من معرفة مدلولات قوله تعالى: ﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنْبِ﴾.

اختلف المفسرون في تأويل هذه الآية؛ فقد قالوا في تفسير قوله: ﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾:

- هو الجار القريب السكن منك، الذي له حق القرابة من الرحم. وقد قرئ بالنصب تعظيماً لحقه، فقد اجتمع له واجبان أو حقان؛ الجوار والقرابة (٣).
- ومنهم من قال: إن المراد به الزوج أو الزوجة؛ وذلك لأنه يجيرها ويمنعها، ولا يتعدى عليها، وهي جارتها؛ لأنه مؤتمن عليها، وأمر بالإحسان إليها وعدم التعدي عليها (٤).
- ومنهم من قصر المراد به على الجار المسلم، أي: القريب منك بالإسلام (٥).

قال ابن جرير رحمه الله: "وهذا مما لا معنى له؛ لأن المتعارف عليه من كلام العرب أنه إذ قيل: فلان ذو قرابة، إنما يعني به أنه قريب الرحم منه، دون القرب بالدين، فكان صرفه إلى القرابة بالرحم أولى من صرفه إلى القرب بالدين" (٦).

(١) رسائل في التربية والأخلاق والسلوك، رسالة التقصير في حقوق الجار ١٦٣-١٦٤ بتصرف.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، ١٧٥/٥.

(٣) جامع البيان ٧٨/٥، المحرر الوجيز ٤٣٣، التفسير الكبير للرازي ٧٨/١٠، أحكام القرآن الجصاص ١٥٧/٣،

(٤) تفسير ابن كثير ٥٥٩/١، فتح الباري ٤٤١/١٠، لسان العرب ١٥٣/٤.

(٥) جامع البيان ٧٩/٥، المحرر الوجيز ٤٣٣، تفسير ابن كثير ٥٥٩/١، الجامع لأحكام القرآن، ١٧٥/٥.

(٦) جامع البيان ٧٩/٥.

وكذا اختلف في قوله: ﴿وَالْجَارِ الْجُنْبِ﴾ على أقوال:

- منهم من قال: إن الجار الجنب: هو البعيد الذي لا قرابة بينك وبينه، كما روي ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما ، وفي رواية من قوم جنب، وروي عن مجاهد رضي الله عنه قوله: جارك من قوم آخرين.
- منهم من قال: هو الجار المشرك. ومنهم من قال: اليهودي والنصراني^(١).

قال ابن جرير رضي الله عنه: "وأولى القولين بالصواب: قول من قال: معنى الجنب: الغريب البعيد مسلماً كان أو مشركاً، يهودياً كان أو نصرانياً؛ لأن الجنب في كلام العرب البعيد، فمعنى ذلك: والجار المجانب للقرابة"^(٢).

ومما تقدم يتبين أن الجوار في الإسلام ثلاثة أنواع سواء قُرباً أو بُعداً، وسواء طالمت مدته أو قصرت، وهذه الأنواع هي^(٣):

١. الجار المسلم القريب، وهو من اجتمعت له ثلاثة حقوق؛ حق الجيرة، وحق الإسلام، وحق القرابة على وجه الخصوص.

٢. الجار المسلم، وهو من اجتمع له حقان؛ حق الجيرة، وحق الإسلام.

٣. الجار الكافر. سواء كان يهودياً أو نصرانياً أو غير ذلك فهذا ليس له إلا حق الجيرة.

ثم إن لكل نوع من هذه الأنواع حقوقاً وواجبات لا بد من القيام بها، لأن القيام بحقهم يعتبر عبادة يتقرب بها إلى المولى - جل ثناؤه - وليس تكليفاً اجتماعياً، وإن التهاون في ذلك يعد كبيرة من كبائر الذنوب. بل عُد من الخلل في العقيدة، يتضح ذلك من قوله - جل

جلاله - : ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّينِ ﴿١﴾ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحْضُ عَلَيَّ

طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ هُمْ يَرَاءُونَ ﴿٦﴾

وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴿٧﴾ [سورة الماعون ١٠٧/١-٧].

(١) انظر: جامع البيان ٥/٧٩-٨٠، المحرر الوجيز ٤٣٣، تفسير ابن كثير ١/٥٥٩، الجامع لأحكام القرآن ٥/١٧٥.

(٢) جامع البيان ٥/٨٠.

(٣) فتح الباري ١٠/٤٤٢.

فقد عُدد من صفات الكفار والمنافقين الذميمة، أنهم لا يفعلون المعروف، ولا يحسنون إلى عباد الله حتى ولو بالتذكير بحق الفقير والمسكين، أو بإعارة ما ينتفع به من الأشياء، فلا هم أحسنوا عبادة ربهم، ولا أحسنوا إلى خلقه^(١).

(أما السنة النبوية فقد استفاضت نصوصها في بيان رعاية حقوق الجار، والوصاية به، وصيانة عرضه، والحفاظ على شرفه، وستر عورته، وسد خلته، وغض البصر عن محارمه، والبعد عن ما يريبه ويسيء إليه)^(٢). فقد جاء الأمر بإكرامه والإحسان إليه، وعدم إيذائه بأي شكل من الأشكال، وجعل ذلك علامةً و دليلاً على إيمان فاعله، ومظهراً من مظاهر كمال إيمانه، فقد قال رسول الله ﷺ: ((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره))^(٣). وفي رواية قال: ((فليحسن إلى جاره))^(٤).

بل نفى الإيمان عن من تسبب في أذية جاره سواء كانت هذه الأذية قليلة أم كثيرة، فقال ﷺ: ((والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن! قيل: من يا رسول الله؟ قال: الذي لا يأمن جاره بوائقه))^(٥).

وبين أن دخول الجنة مرتبط بكف الأذى عن الجار، كما في قوله ﷺ: ((لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه))^(٦).

ولقد بالغ في الوصية به حتى ظنَّ أنه سيورثه، كما تجلَّى ذلك في قوله ﷺ: ((ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه))^(٧). إلى غير ذلك من الأحاديث^(٨).

(١) الجار حقوقه وواجباته، أحمد السيد ويوسف بديوي، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط ١: ١٤١٧ هـ-١٣٠٤ بتصرف.

(٢) رسالة التقصير في حق الجار ١٦٥.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره (٥/٢٢٤٠ ح ٥٦٧٣)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب تحريم إيذاء الجار (١/٧٠ ح ٤٧).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، باب تحريم إيذاء الجار (١/٧٠ ح ٤٨).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب إثم من لا يأمن جاره بوائقه (٥/٢٢٤٠ ح ٥٦٧٠).

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه، باب بيان تحريم إيذاء الجار (١/٦٩ ح ٤٦).

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب الوصاءة بالجار، (٥/٢٢٣٩ ح ٥٦٦٨) ومسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب الوصية بالجار والإحسان إليه (٤/١٦٠٧ ح ٢٦٢٥).

(٨) للاستزادة ينظر: كتاب الجار حقوقه وواجباته، ورسالة التقصير في حق الجار.

وبناءً على ما تقدم فإن للجار حقوقاً يتوجب القيام بها، وينبغي مراعاتها، لتحقيق الألفة والمحبة، وتقوى الصحبة و الإخاء بين المتجاورين، فيحب بعضهم بعضاً، ويعطف بعضهم على بعض. وإن من هذه الحقوق؛ ما هو عام، كما في قول رسول الله ﷺ: ((حق المسلم على المسلم خمس: رد السلام، و عيادة المريض، و إتباع الجنائز، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس))^(١).

و منها: ما يتعلق بحق القرابة من صلة الرحم وما يتعلق بها من حقوق، قد سبق الحديث عنها. و منها: ما يتعلق بحق غير المسلم من أهل الذمة؛ كحق الأمن، وحق حفظ العهد معه، ما لم يقع منه خيانة، و حمايته من كل ما يسوؤه، سواء كان ذلك في دمه أم ماله أم عرضه، والإحسان إليه، ودعوته إلى الإسلام برفق ولين. كما كان من حال نبينا ﷺ، وصحبه الكرام رضوان الله عليهم أجمعين.

وعليه فقد قيل: إن "حقوق الجار على وجه التفصيل كثيرة جداً، أما أصولها فتكاد ترجع إلى أربعة حقوق" ^(٢) هي:

١. حق الإحسان إلى الجار وإكرامه: وهذا منبثق من المكانة العالية التي وصل إليها، حيث قرن حقه بأمر جليل، ما خلق الله الإنس والجن إلا لأجله؛ ألا وهو عبادة الله، ثم عطفه على أعظم الحقوق بعد عبادة الله، الإحسان إلى الوالدين، وإيتاء حق اليتامى والمساكين. فكان من حقه الإحسان إليه من جميع الوجوه، كذلك ما جاء في حقه من الأحاديث النبوية الكثيرة التي تبين منزلة ومكانة المحسن لجاره.

وعليه فإنه يحصل امتثال الوصية بالجار، بالاهتمام "بإيصال ضروب الإحسان إليه بحسب الطاقة؛ كالهديّة والسلام، وطلاقة الوجه، وتفقد أحواله، ومعاونته فيما يحتاج إليه"^(٣). ومن

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب الأمر باتباع الجنائز (٤١٨/١ ح ١١٨٣) ومسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب حق المسلم للمسلم رد السلام (٤/١٣٦٠ ح ٢١٦٢).

(٢) رسالة التقصير في حق الجار، ١٦٦.

(٣) فتح الباري ٤٤١/١٠.

ذلك ما روي عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه ^(١) أنه قال: ((قال لي رسول الله ﷺ: يا أبا ذرٍّ! إذا طبخت مرقةً فأكثر ماءها، وتعاهد جيرانك)) ^(٢). كذلك من الإحسان إلى الجار "مشاركته أفراحه وأحزانه، وإرشاده إلى ما ينفعه من أمر دينه ودنياه" ^(٣).

٢. حق كف الأذى عن الجار: (تقدم أن للجار مكانة عالية، وحرمة مصونة، ومن أجل ذلك جاءت الوصية به، والزجر الأكيد والتحذير الشديد من أذيته. والناظر في الأدلة الشرعية المحذرة من أذيته يجد أنه يترتب على أذيته أمور عدة، منها:

❖ نقصان الإيمان، كما روى عن النبي ﷺ قوله: ((والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن! قيل: من يا رسول الله؟ قال: الذي لا يأمن جاره بوائقه)) ^(٤).

❖ الحرمان من دخول الجنة، لقول النبي ﷺ: ((لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه)) ^(٥).

❖ أذية الجار موجبة لدخول النار: كما ((سئل ﷺ، عن المرأة التي تقوم الليل، وتصوم النهار، وتتصدق، وتؤذي جيرانها بلسانها؟ فقال ﷺ: ((لا خير فيها، هي من أهل النار)) ^(٦).

(١) اختلف في اسمه واسم أبيه، والأصح جندب بن جنادة من بني غفار، من كبار الصحابة وفضلائهم، ومن أقدم من أسلم، روى عن الرسول ﷺ عدداً من الأحاديث، توفي سنة ٣١، وقيل ٣٢ هـ. انظر: أسد الغابة ١٠٦/٦-١٠٨، الإصابة ١٢٦/٧.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، باب الوصية بالجار والإحسان إليه (٤/٢٥٠٢ ح ٢٦٢٥).

(٣) بتصرف من رسالة التقصير في حق الجار ١٧١.

(٤) سبق تخريجه ٩٤.

(٥) سبق تخريجه ٩٤.

(٦) أخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين، (ج ١٨٣/٤ ح ٧٣٠٤) كتاب البر والصلة، وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وأحمد في مسنده (ج ٢/٤٤٠ ح ٩٦٧٣) مسند أبي هريرة، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٣٦٩/١.

وفي مقابل ذلك ((سئل عن امرأة تصلي المكتوبة، وتتصدق، ولا تؤذي أحداً؟ فقال: ((هي من أهل الجنة))^(١).

٣. تحمل أذى الجار: قال الإمام الغزالي رحمه الله: "اعلم أنه ليس حق الجار كف الأذى فقط، بل احتمال الأذى منه"^(٢). وذلك بالغض عن الهفوات، والصفح عن الزلات، وترك المقابلة بالمثل، وهذا من أرفع الأخلاق وأعلى الشيم. ولقد فقه السلف هذا المعنى و عملوا به، فقد روي عن الحسن البصري رحمه الله قوله: " ليس حسن الجوار كف الأذى، حسن الجوار الصبر على الأذى"^(٣).

٤. حماية الجار: حماية عرضه ودمه وماله، ويتمثل ذلك في صور مختلفة منها:

حماية عرضه، من الزنا، بكل أشكاله، ودواعيه وذلك بغض بصره عن حرمت جاره، وحفظ أسرار. لقوله عليه السلام: ((لأن يزني الرجل بعشر نسوة أيسر عليه من أن يزني بامرأة جاره))^(٤). وكذلك يجب على الجار حماية دم جاره، من القتل أو أن يصيبه أي أذى يضر به أو بأهله، ولو كان كافراً، لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ اتَّبِعْهُ مَأْمُومًا، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة التوبة ٦/٩] وهذا مما أقره النبي صلى الله عليه وسلم بقوله يوم فتح مكة: ((أجرنا من أجزت يا أم هانئ))^(٥).

وحماية ماله، من السرقة، لقوله عليه السلام: ((لأن يسرق الرجل من عشرة أبيات أيسر من أن يسرق من بيت جاره))^(٦) أو الحرق أو أي آفة تفتك بماله، ومساعدته إذا احتاج إلى مال أو غير ذلك. ولقد كانت حماية الجار من أشهر مفاخر العرب، ومن ذلك قول شاعرهم^(٧):

(١) الحديث المتقدم حاشية رقم (٧) ٩٢.

(٢) إحياء علوم الدين ٧٠١.

(٣) انظر جامع العلوم والحكم ١/١٤١، الآداب الشرعية والمنح المرعية، لأبي عبد الله محمد بن مفلح المقدسي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط و عمر القيام، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: الثانية، ١٤١٧هـ. ١٦/٢.

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٦/٨١ ح ٢٣٩٠٥) من حديث المقداد بن الأسود رضي الله عنه. والطبراني في المعجم الكبير (٢٠/٢٥٦ ح ٦٠٥).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، باب أمان النساء وجوارهن (ج ٣/١١٥٧ ح رقم ٣٠٠٠).

(٦) حديث المقداد السابق حاشية رقم (٤).

(٧) ديوان عنتر بن شداد ٢٩.

وإني لأحمي الجارَ من كلِّ ذلَّةٍ وأفرحُ بالضيِّفِ المقيمِ وأهجعُ

وقال^(١):

وأغضُّ طرفي ما بدت لي جارتي حتى يُواري جارتي مأواها

وقال أبو البركات الغزي رحمته الله: " إن حسن الجوار، أن يأمنك جارك في أسبابه، في نفسه ودينه، وأهله وماله وولده، فلا تؤذّه بقتار قدرك، ولا بلسانك، ولا تحسده في شيء من أحواله وأفعاله، وأشفق عليه وعلى أهله وولده كشفقتك على نفسك وأهلك، وأحفظ ماله كحفظ مالك"^(٢).

مرتكزات الصحبة الناجحة بين الجيران في الإسلام :

● الإسلام دين الترابط والتآلف، دين يدعو إلى المحبة والألفة، فقد ألفت بين القلوب، وجمع الشتات، ولم الشعث، وجعل ذلك منةً منه سبحانه وتعالى، فقال: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [سورة الأنفال ٦٣/٨]، وقد شرع لتحقيق ذلك شرائع، وحدد حدوداً، وأوجب واجبات للمؤمنين بعضهم على بعض، والتي من شأنها إصلاح ذات البين، وجمع القلوب، وتأليف بينها، فكان منها حق الجوار.

● عظم حق الجار في الإسلام، حيث قرن بعبادة الله سبحانه وتعالى، وبجملة من الأعمال الفاضلة كما في قوله تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾ [سورة النساء ٣٦/٤]. فجاءت الوصية به قريباً كان أو بعيداً، مسلماً كان أو كافراً.

● جاء التأكيد على حقه في كثير من الأحاديث النبوية الشريفة، تأكيداً عظيماً، حتى ظن من تكرر الوصية به أن له نصيباً من الميراث.

● ولما لهذه العلاقة من أهمية كبيرة تعود على المجتمع بالألفة والمحبة والتعاون فيما بين أفرادها، حتى يكونوا حصناً حصيناً في وجه الأعداء، فقد رسم الإسلام الطريق لهذه العلاقة وصانها بحقوق، ينبغي مراعاتها، والقيام بها على أتم وجه، فكان من جملتها: الإحسان إلى الجيران

(١) ديوان عنتره بن شداد ٢٢٦.

(٢) آداب العشرة وذكر الصحبة والأخوة ٣٧.

وإكرامهم؛ وسلامة القلب عليهم، وحب الخير لهم، والحرص على بذل المعروف لهم، وتعهدهم بالهدية ولو كانت يسيرة، كما أوصى بذلك رسول الله ﷺ، النساء بقوله: ((يا نساء المسلمين لا تحقرن جارة ل جارها ولو فرسن^(١) شاه))^(٢). أي: لا تحقرن أن تهدي جارها شيئاً ولو أنها تهدي ما لا ينتفع به في الغالب^(٣). إنما المقصود تواصل الخير والود والبر فيما بينهم.

● ومن الحقوق كف الأذى عنه، بكل صورته، و ليعلم أن الإضرار به يعد من كبائر الذنوب المهلكات وعظائم المعاصي، فقد عظم الله من إلحاق الأذى به، وغلظ في العقوبة على ذلك كما في قوله ﷺ عندما ((سئل: أيُّ الذنب أعظم؟ قال: (أن تجعل لله نداً وهو خلقك)، قيل ثم أيُّ؟ قال: (وأن تقتل ولدك تخاف أن يطعم معك)، قيل: ثم أيُّ؟ قال: (أن تزاني حليلة جارك))^(٤).

● كذلك من الحقوق احتمال الأذى منه، ومقابلة ذلك بالصبر وكظم الغيظ، والصفح عن الزلات، امتثالاً لقوله تعالى: ﴿فَأَصْفَحْ أَلصَّفْحَ الْجَمِيلِ﴾ [سورة الحجر ١٥/١٥]. وبناءً على ما تقدم فإن من حقوق الجار على جاره: بدؤه بالسلام، والسؤال عن حاله من غير إطالة، وعيادته إذا مرض، وتعزيته عند المصيبة، والوقوف بجانبه في المصائب، وإعانتته بالمال إن احتاج. و مشاركته أفراحه؛ بالتهنئة، وإظهار السرور بذلك، ومساعدته. وإرشاده إلى ما يجهله من أمر دينه ودنياه، فإن رآه على منكر نهاه، وإن رآه على معروف أعانه عليه، وعليه أن يتحسس أحوال جاره ومعاشه فلا يبيت شبهان وجاره جائع^(٥). إلى غير ذلك من الحقوق. ولكي تؤتي هذه العلاقة ثمارها المرجوة منها لا بد من مراعاة بعض الآداب التي أمر الله بها والتي من جملتها^(٦):

(١) عظم قليل اللحم وهو للبعير موضع الحافر للفرس، ويطلق مجازاً على الشاة. فتح الباري ١٩٨/٥.
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الهبة، باب فضلها والتحريض عليها (٢/٩٠٧ ح ٢٤٢٧). ومسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بالقليل (٢/٥٩٠ ح ١٠٣٠).
(٣) انظر فتح الباري ٤٤٥/١٠.
(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله: (فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون) (٤/١٦٢٦ ح ٤٢٠٧). ومسلم في صحيحه كتاب الإيمان، باب كون الشرك أقيح الذنوب (١/٩٠ ح ٨٦).
(٥) إحياء علوم الدين ٧٠١ بتصرف.
(٦) بتصرف من: الجار حقوقه وواجباته.

حُسن الخلق، والصفح عن الزلات، وقلة الخلاف مع الجيران ولزوم موافقتهم فيما يبيحه الدين. والبشاشة في الوجه ولطف اللسان، وسعة الصدر، والكرم، وكظم الغيظ، و التواضع. والتناصح فيما بينهم، واجتناب الآفات التي من شأنها إحداث الشقاق والتفرق فيما بين المتجاورين مثل الغيبة والنميمة والحسد.

ثم إذا عرف كل من المتجاورين ماله وما عليه من حقوق، قامت بينهم الصحبة على أسس قوية وممتينة، وارتقت فيما بينهم هذه العلاقة، وصار ما بينهم قرابة يتقرب بها العبد إلى ربه.

ومن ثمرات هذه الصحبة:

- حصول السعادة لكل من الجارين؛ لأن الجار الصالح نعمة من نعم الله على عباده، كما قال رسول الله ﷺ: ((أربع من السعادة: المرأة الصالحة، والمسكن الواسع، والجار الصالح، والمركب الهنيء. وأربع من الشقاوة: الجار السوء، والمرأة السوء، والمسكن الضيق، والمركب السوء))^(١).
- تحقق الأمن النفسي و الاجتماعي والطمأنينة لكل من الجارين.
- إشاعة روح الألفة و المحبة و المودة.
- بث روح التعاون مما ينعكس على المجتمع بالتماسك و الخيرية للجميع.
- حفظ العهود و الموائيق؛ كحفظ حقوق المسلمين عامة و حقوق أهل الذمة خاصة، وهذا مما دعا إليه رسولنا ﷺ، وأوصى به صحبه الكرام.

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه (٩/٣٤٠ ح ٤٠٣٢)، والألباني في السلسلة الصحيحة ٢٨٢، إسناده صحيح على شرط الشيخين.

المطلب الثالث: الصحبة في السفر^(١)

إن المتأمل في حياة الإنسان من بداية خلقه إلى دُنُو أجله يجد أنه في رحلة سفر، وتنقل من مكان إلى آخر؛ فهو جنين في بطن أمه، ثم يخرج إلى هذه الدنيا، فيعيش طفولته في مكان، وشبابه في آخر، وهرمه في مكان آخر، إلى أن يستقر به المقام في القبر إلى قيام الساعة. والسفر بمعناه المتعارف من الأمور المتكررة في حياة الإنسان التي قد تطرأ عليه في بعض الأوقات. ولما له من أهمية فقد عني الإسلام به فشرع له أحكاماً وآداباً عامة وخاصة. حتى إن علماء المسلمين أفردوا له أبواباً في كتبهم شرحوا فيها الأمور المتعلقة به؛ من حيث الأحكام الفقهية الخاصة به؛ كقصر الصلاة، وإطالة مدة المسح على الخفين، وغيرها من الأحكام، وبينوا آدابه وأنواعه ومقاصده، والفوائد المرجوة منه، وآفاته. وقد نقل عن الإمام الغزالي رحمته الله قوله: "اعلم أن السفر نوع حركة ومخالطة، وفيه فوائد، وله آفات، وهو وسيلة إلى الخلاص عن مهروب، أو الوصول إلى مطلوب ومرغوب فيه"^(٢).

وقد قسم رحمته الله السفر من حيث مقاصده إلى قسمين:

الأول: الهروب من أمر ما.

الثاني: طلب وقصد أمر ما.

❖ "فالمهروب منه إما أمر له نكايه في الأمور الدنيوية"^(٣)، سواء كان مما يقدر في

البدن؛ كانتشار الأمراض، أو خوف قتل، أو غلاء أسعار، أو ما يجري مجراها. فيختلف حكم الهرب منها، فيمنع الهرب والخروج من الأرض التي ينتشر فيها الطاعون، كما نهي عن ذلك عليه السلام

(١) السَّفَر: جمع مسافر، وسَفَر أيضاً، ورجل سَفَر إذا كان قويا على السَّفَر، قال الجوهري: السفر قطع المسافة، والجمع أسفار، والمسفر الكثير الأسفار، القوي عليها، وسمي المسافر مسافراً لكشفه قناع الكنه عن وجهه ومنازل الحضر عن مكانه، ومنزل الخفض عن نفسه، وبروزه إلى الأرض الفضاء، وسمي السفر سفراً لأنه يسفر عن وجوه المسافرين وأخلاقهم فيظهر ما كان خافياً منهم. تهذيب اللغة ١٢/٢٧٩، لسان العرب ٤/٣٦٨.

(٢) إحياء علوم الدين ٧٣٩.

(٣) المصدر السابق ٧٣٩-٧٤٠.

فقال: ((إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها))^(١).

• كذلك صور القرآن الكريم حالة الفرار خوفاً من القتل؛ كما في قصة موسى -

عليه السلام - عندما فر إلى مدين خوفاً من القتل، فقال تعالى: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَائِكَةَ آمَتُوا بِكَ لِيُقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢١﴾﴾ [سورة القصص ٢٠-٢١].

• وقد يكون السفر للهرب من سبب مشوش للدين. وهذا من سنن الأنبياء والمرسلين

عليهم السلام، فهذا إبراهيم الخليل عليه السلام، يقول لقومه: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّدِينَ﴾ [سورة الصافات ٣٧/٩٩] فيخرج مهاجراً إلى الأرض المباركة، ومعه لوط - عليه السلام - كما قال تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ [سورة الأنبياء ٧١/٢١].

وها هو ذا رسولنا الكريم ﷺ يأمر أصحابه بالهجرة إلى الحبشة بعدما ضيق عليهم المشركون في مكة، ثم يأمرهم بالهجرة إلى المدينة، ثم يخرج منها مهاجراً بدينه، في مشهد يجسد صورة الصحبة الحقة، فقد خرج ﷺ ومعه رفيقه وصاحبه أبو بكر الصديق رضي الله عنه كما قال تعالى: ﴿إِلَّا نَضُرُّوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّا نَرَى اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [سورة التوبة ٤٠/٩]. ومن شدة حبه ﷺ لهذا البلد فقد روي عنه أنه قال عند خروجه منها: ((ما أطيبك من بلد! وأحبك إلي؛ ولولا أن قومي أخرجوني منك ما سكنت غيرك))^(٢).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الطب، باب من خرج من أرض لا تلائمه. (٥/٢١٦٣ ح ٥٣٩٦).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک (١/٦٦١ ح ١٧٨٧٩) وقال حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وابن حبان في صحيحه، ذكر بيان أن مكة كانت أحب الأرض إلى رسول الله ﷺ، (٩/٢٣ ح ٣٧٠٩)، والألباني في صحيح الجامع ٥٥٣٦، حديث صحيح.

فإذا وجد في بلد ما أمرٌ يشوش على المرء دينه، أو تنتشر فيه البدع والمخالفات التي تؤثر على الدين أو تصرف عن التجرد لله وحب الخروج من هذا البلد.

❖ أما السفر لمطلوب؛ فإما أن يكون لأمر دنيوي أو لأمر ديني.

فالسفر لأمر دنيوي؛ كالسفر في طلب التجارة والتكسب، وهذا من المتعارف عليه قديماً وحديثاً. وقد جاء هذا في معرض امتنان الله على كفار قريش حيث قال: ﴿لَا يَلْفُ قُرَيْشٍ

﴿١﴾ إِيَّاهُمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ

وَأَمَّنَّهُمْ مِنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾ [سورة قريش ١٠٦/١-٤]. أو السفر لطلب العلاج أو ما أشبه ذلك.

و" أما السفر لطلب أمر ديني؛ كطلب علم أو عمل. " فالعلم: إما علم من العلوم الدينية، وإما علم بأخلاق النفس وصفاتها على سبيل التجربة، وإما علم بآيات الأرض وعجائبها" (١).

وطلب العلم من الأمور التي دعا إليها ديننا الحنيف وحث عليه النبي ﷺ حيث قال:

((من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة)) (٢).

و صور القرآن الكريم رحلة موسى - عليه السلام- في طلبه للعلم، عندما أخبره الله أن هناك من هو أعلم منه فخرج يطلبه ليتعلم منه، كما حدث بذلك المصطفى ﷺ بقوله: ((بينما موسى في ملاء من بني إسرائيل إذ جاءه رجل، فقال: أتعلم أحداً أعلم منك؟ قال موسى: لا، فأوحى الله -عز وجل- إلى موسى، بلى عبدنا خضر، فسأل السبيل إلى لقياه... الحديث)) (٣).

و سيأتي بيان ذلك في مبحث صحبة موسى عليه السلام للعبد الصالح، في الباب الثاني.

وقد كان السلف الصالح يسافرون في طلب العلم فيقطعون الصحاري والقفار في طلب الحديث ولو كان حديثاً واحداً.

(١) إحياء علوم الدين ٧٤٠.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک (١/١٦٥ ح ٣٠٠ كتاب العلم، وقال حديث على شرط الشيخين ولم يخرجاه)، وابن حبان في صحيحه، (١/٢٨٤ ح ٨٤ كتاب العلم)، الترمذي في سننه (٥/٢٨ ح ٢٦٤٦ باب فضل طلب العلم، وقال حديث حسن)، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٦٥٧٧.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب الخروج في طلب العلم (١/٤١ ح ٧٨).

وقد نقل عن الشعبي^(١) رضي الله عنه قوله: " لو سافر رجل من الشام إلى أقصى اليمن في كلمة تدله على هدى أو ترده عن ردى ما كان سفره ضائعاً". ورحل جابر بن عبد الله رضي الله عنه من المدينة إلى مصر مع عشرة من الصحابة فساروا شهراً في حديث بلغهم عن صحابي يحدث به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سمعوه.

والسفر طريقة لمعرفة النفس وأخلاقها، لأن الطريق إلى الآخرة لا يمكن سلوكه والنجاة منه إلا بتحسين الخلق وتهذيبه، ومن لا يطلع على أسرار باطنه وخبائث صفاته لا يقدر على تطهير قلبه منها، فعليه التعرف على نفسه لكي يهذبها. ولا سبيل لمعرفة هذه الأخلاق إلا بالسفر، لأنه هو الذي يسفر عن أخلاق الرجال وبه يخرج الله الخبء في السموات والأرض، ولذا سمي السفر سفراً لأنه يسفر عن الأخلاق، لما فيه من المشقة وتحمل الصعاب. ولقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه للذي زكى عنده بعض اليهود: "هل صحبته في السفر الذي يستدل به على مكارم الأخلاق؟ قال: لا، فقال: ما أراك تعرفه"^(٢).

وبالجملة فإن النفس في الوطن مع مؤاتاة الأسباب لا تظهر خبائث أخلاقها لاستئناسها بما يوافق طبعها من المألوفات المعهودة، فإذا حملت وعثاء السفر، وصرفت عن مألوفاتها المعتادة وامتحننت بمشاقة الغربة انكشفت غوائلها، ووقع الوقوف على عيوبها فيمكن الاشتغال بعلاجها.

كذلك السفر لطلب السياحة و مشاهدة خلق الله - عز وجل - والتعرف على آثار الأمم السابقة، وآيات الله في أرضه كثيرة منها الجبال والبراري والبحار وأنواع الحيوانات والنباتات، وفي مشاهدتها فوائد للمستبصر فهي شاهدة لله بالوحدانية، ومسبحة له. قال تعالى: ﴿تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [سورة الإسراء ٤٤/١٤].

(١) عامر بن شراحيل بن عبد ذي كبار، الشعبي الحميري، أبو عمرو: راوية، من التابعين، يضرب المثل بحفظه، وسئل عما بلغ إليه حفظه، فقال: ما كتبت سوداء في بيضاء، ولا حدثني رجل بحديث إلا حفظته. كان فقيهاً، ولد ونشأ ومات بالكوفة سنة ١٠٣هـ. الأعلام ٣/٢٥١.

(٢) إحياء علوم الدين ٢/٢٤٦.

أما الجاحدون الغافلون المغترون بلامع السراب من زهرة الدنيا، فإنهم لا يبصرون ولا يسمعون، لأنهم عن السمع معزولون.

كذلك رؤية آثار الأمم السابقة، وكيفية إهلاك الله لهم، فإنها تدعو الإنسان إلى الاتعاظ وأخذ الحيلة حتى لا يقع في معصية الله فيصيبه ما أصابهم، وإن هذا مما يقوي الإيمان^(١).

ومن أنواع السفر الديني العملي؛ سفر الإنسان لأجل العبادة، وهذه العبادة قد تكون واجبة؛ كالسفر للحج (حجة الإسلام)، أو واجبة بالتعين؛ كخروج للجهاد الواجب، أو بر الوالدين، أو صلة الأرحام، أو مندوب إليها؛ كالسفر لأداء العمرة، أو زيارة الإخوان.

فالسفر للحج من أشرف أنواع السفر؛ لأن الإنسان يترك أهله وماله ودينه، ويخرج متجهماً بقلبه وعمله إلى المولى - جل ثناؤه - طامعاً في عفوهِ طالباً للفوز بجناته، والعنتق من نيرانه.

وكذلك خروجه للعمرة، أو زيارة أحد المساجد الثلاثة للصلاة فيها؛ المسجد الحرام، المسجد النبوي، المسجد الأقصى - فك الله أسره - فإنه من أفضل أنواع السفر، ومما حث عليه الرسول ﷺ، حيث قال: ((لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد؛ المسجد الحرام، ومسجد الرسول ﷺ، ومسجد الأقصى))^(٢).

وأما زيارة الوالدين إذا كانا في مكان آخر، فإن السفر إليهما من أفضل الأعمال. وكذا زيارة الأقارب وذوي الرحم، والإخوان، ومن ذلك ما روي عن النبي ﷺ، قوله: ((إن رجلاً زار أخاً له في قرية أخرى، فأرصد الله له على مدرجته ملكاً، فلما أتى عليه، قال: أين تريد؟ قال: أريد أخاً لي في هذه القرية. قال: هل لك عليه من نعمة تربها؟ قال: لا، غير أني أحببته في الله. قال: فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه))^(٣).

• ثم إن للسفر أحكاماً وآداباً كثيرة؛ منها ما يكون قبل السفر، ومنها ما يكون

أثناءه، ومنها ما يكون بعده. - لا مجال لبسطها في هذا المقام. -^(٤)

(١) إحياء علوم الدين ٧٤١.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، (١/٣٩٨ ح ١١٣٢)، ومسلم في صحيحه، باب لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد (٢/١٠٤ ح ١٣٩٧).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، باب فضل الحب في الله (٤/١٩٨٨ ح ٢٥٦٧).

(٤) انظر كتب الأحكام الفقهية وإحياء علوم الدين.

ولما كان من أهم آداب السفر اختيار الصحبة الصالحة ، لذا فقد جاء نهي الرسول ﷺ عن سفر الرجل وحده، فقال: ((لو يعلم الناس ما في الوحدة ما أعلم ما سار راكب ليل وحده))^(١).
قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللهُ: "يستحب له أن يطلب رفيقاً موافقاً راغباً في الخير كارهاً للشر". وقال: "يستحب لمن سافر أن يسافر مع رفقة، ويكره أن يسافر الرجل منفرداً، ولا تزول الكراهة إلا بثلاثة،" ^(٢) لما روي عنه رَحِمَهُ اللهُ: ((أن رجلاً قدم من سفر فقال له رسول الله ﷺ: من صحبت؟ فقال: ما صحبت أحداً. فقال رسول الله ﷺ: الراكب شيطان^(٣) والراكبان شيطانان والثلاثة ركب))^(٤).

ونقل عن ابن جرير رَحِمَهُ اللهُ قوله: "هذا الزجر زجر أدب وإرشاد لما يخشى على الواحد من الوحشة والوحدة، وليس بحرام. فالسائر وحده في فلاة، وكذا البائت في بيته وحده لا يأمن الاستيحاش، لا سيما إذا كان ذا فكرة رديئة وقلب ضعيف، والحق أن الناس يتباينون في ذلك، فيحتمل أن يكون الزجر عن ذلك وقع لحسم المادة فلا يتناول ما إذا وقعت الحاجة لذلك، وقيل: إنما يكره ذلك لأن الواحد لو مات في سفره ذلك لم يجد من يقوم عليه، وكذلك الاثنان إذا ماتا أو أحدهما لم يجد من يعينه بخلاف الثلاثة ففي الغالب تؤمن تلك الوحشة"^(٥).

و لأن السفر نوع حركة تحصل فيه الخلطة، وتظهر فيه الصحبة، وتقوم فيه العلاقات بين المسافرين، فقد جاء الاهتمام بهذه العلاقة في القرآن الكريم، حيث جاءت الإشارة إلى هذه الفئة وما يتوجب لهم من حقوق وواجبات في آية الحقوق التي وضع فيها المولى - جل ثناؤه - أهم الحقوق الإنسانية سواء القريبة أو البعيدة، فقال: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾ [سورة النساء ٣٦/٤]. فقد قال أكثر المفسرين: أن المراد بقوله (والصاحب بالجنب): أنه الرفيق

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب السير وحده (٣/١٠٩٢ ح ٢٨٣٦).

(٢) المجموع شرح المهذب، النووي، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٧ م. ٤/٣٢٥-٣٢٩.

(٣) قيل في تفسير (الراكب شيطان): أي سفره وحده يحمله عليه الشيطان، أو أشبه الشيطان في فعله. فتح الباري ٥٣/٦.

(٤) أخرجه الحاكم في مستدرکه (٢/١١٢ ح ٢٤٩٥) وقال حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، والألباني في السلسلة الصحيحة ٦٢، وقال: إسناده حسن.

(٥) انظر فتح الباري ٥٣/٦.

الذي صحبك وانقطع إليك رجاء نفعك، ورفدك، وهو إما رفيقٌ في سفرٍ، أو جارٌ، أو شريكٌ، أو جليسٌ في مجلس، أو في مسجد، أو غير ذلك من أدنى صحبة التأمّت بينك وبينه، فإن له عليك حقوقاً يجب مراعاتها وعدم نسيانها^(١).

ومنهم من قال: بأنه الرفيق في السفر، ولم يريدوا إخراج الصاحب الملازم في الحضر، وإنما أرادوا أن صحبة السفر تكفي، فالصحبة الدائمة في الحضر أولى^(٢).

ولما كانت الصحبة في السفر مرتبطة بوقت معين، كان للمترافقين في السفر حقوقاً وعليهم واجبات ينبغي التنبه لها للتحقق المعاني المرجوة من هذا السفر ومن هذه الصحبة، لأن السفر غربة و قطعة من العذاب كما قال رسولنا ﷺ: ((السفر قطعة من العذاب، يمنع أحدكم طعامه وشرابه ونومه، فإذا قضى همته فليعجل إلى أهله))^(٣).

قال ابن حجر رحمته الله: " المراد بالعذاب: الألم الناشئ عن المشقة لما يحصل في الركوب والمشى من ترك المألوف، وقد سئل إمام الحرمين: لم كان السفر قطعة من العذاب؟ فأجاب لأن فيه فراق الأحباب"^(٤).

وقال الإمام النووي رحمته الله: " أطلق عليه العذاب، لأنه يمنعه كماها ولذيذها لما فيه من المشقة والتعب، ومقاساة الحر والبرد، والخوف ومفارقة الأهل والأحباب وخشونة العيش"^(٥).

ثم إن للصاحب في السفر حقوقاً يجب التنبه لها والقيام، وقد تقدم ذكر الحقوق الواجبة للجار على جاره، ولما كانت الصحبة في السفر نوع حوار، فيتعين لها تلك الحقوق. ثم إن من مرتكزات الصحبة في السفر معرفة الوسائل والطرق المعينة على تحقيق الفوائد المرجوة من هذا السفر.

ومن هذه الوسائل والطرق التخلق بأخلاق الرفقة في السفر ومنها^(١):

(١) انظر: جامع البيان ٥/٨١-٨٢، والحرر الوجيز ٤٣٤، الكشاف ٢٣٦.

(٢) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي، مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م، الطبعة: السابعة، تحقيق: شعيب الأرنؤوط / إبراهيم باجس/١٣٩.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، أبواب العمرة، باب السفر قطعة من العذاب (٢/٦٣٩ ح ١٧١٠)، ومسلم في صحيحه، باب السفر قطعة من العذاب (٣/١٥٢٦ ح ١٩٢٧).

(٤) انظر فتح الباري ٣/٦٢٣-٦٢٤.

(٥) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٣/٧٠.

❖ الخروج في جماعة، لتقدم النهي عن السفر منفرداً؛ وذلك لأن في الجماعة إعانة على الطاعة، وتذكير بها، ومساعدة في المشاق.

❖ ويشترط فيمن يصحب للسفر، أن يكون من أهل الصلاح الراغبين في الخير، إذا نسي أو غفل ذكر، وإن ذكره أعانه، تحقيقاً لمبدأ التعاون على البر والتقوى، كما قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [سورة المائدة ٢/٥].

❖ تحقيق سنة الرسول ﷺ وهدية في السفر، وذلك باتخاذ أمير على الرفقة، لقوله ﷺ: ((إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم))^(٢). وقد كان الصحابة رضي الله عنهم، يفعلون ذلك ويقولون: هذا أميرنا أمره رسول الله ﷺ. ويشترط في هذا الأمير أن يكون أحسنهم خلقاً وأرفقهم بصحبه، وأسرعهم إلى الإيثار وطيب المرافقة. وإنما يحتاج إلى الأمير لأن الآراء تختلف في تعيين المنازل والطرق ومصالح السفر، ولا نظام إلا بالاتفاق، ولا فساد إلا في الاختلاق، فإذا اختلف المدبرون فسدت الأمور في الحضر والسفر، وكما أن مواطن الإقامة لا تخلو من أمير عام كأمر البلد، وأمير خاص كبر الدار، فكذلك السفر لا يتعين له أمير إلا بالتأشير، وإذا تعين وجبت طاعته فيما يتعلق بمصالح السفر. بل عليه أن يطبق مبدأ الشورى، ويأخذ برأيهم في الأمور التي يخفى فيها جانب المصلحة، كما هو من عادة القادة تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [سورة آل عمران ١٥٩/٣]. ولا يعنى ذلك أن هذا الأمير يستبد برأيه من دونهم^(٣).

❖ الإحسان إلى الرفقة، وهذا من أعظم الحقوق الواجبة لهم بدلالة عطف حقهم على الإحسان للوالدين ولذي القربى واليتامى والمساكين والجار.

(١) انظر: المجموع ٣٢٥/٤، إحياء علوم الدين ٧٤٨.

(٢) رواه أبو داود في سننه (٣٦/٣ ح ٢٦٠٨) باب الرجل يسافر وحده. والبيهقي في سننه الكبرى (٥/٢٥٧ ح ١٠١٣١) باب كراهية السفر وحده، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٥٠٠.

(٣) انظر شرح رياض الصالحين، للشيخ ابن عثيمين ١٠٦/٣.

و الإحسان إلى الرفقاء في السفر يأخذ صوراً وأشكالاً متعددة منها؛ المساعدة في المهمات وتفقد أحوالهم وإعانتهم بما يحتاجون إليه سواء كان زاداً أو مركباً أو نحو ذلك، وتسليتهم وإزالة ما في نفوسهم من الوحشة.

وقد جسد المصطفى ﷺ هذه الأخلاق في أسفاره مع أصحابه ، ومن ذلك ما روي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال: ((بينما نحن في سفر إذ جاء رجل على راحلة له فجعل يصرف بصره يميناً وشمالاً، فقال رسول الله ﷺ: (من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له، ومن كان له فضل زاد فليعد به على من لا زاد له) قال: فذكر من أصناف المال ما ذكر حتى رأينا ألاّ حق لأحد منا في فضل) ^(١) .

وها هو ذا يسلي صاحبه ورفيقه أبا بكر الصديق رضي الله عنه " ويخفف عنه حزنه، بقوله له: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ أي: بالنصرة والعون والرعاية ^(٢) .

وكذا كان الصحابة رضوان الله عليهم يقتدون برسول الله ﷺ في أسفارهم، فهذا مجاهد رضي الله عنه يقول: صحبت ابن عمر رضي الله عنهما في السفر لأخدمه، فكان يخدمني. وكان كثير من الصالحين يشترط على أصحابه أن يخدمهم في السفر.

ونقل أن رجلاً صحب قوماً في الجهاد فاشترط عليهم أن يخدمهم، فكان إذا أراد أحد منهم أن يغسل رأسه أو ثوبه، قال: هذا من شرطي، فيفعله، فمات فجردوه للغسل، فرأوا على يده مكتوباً: من أهل الجنة. فنظروا فإذا هي كتابة بين الجلد واللحم ^(٣) .

❖ الحرص على إرضاء الرفقاء في جميع الأحوال ما لم يكن في معصية خالقه. وتحمل ما

يصدر منهم من هفوات، و عليه التحلي بالصبر لما يقعون فيه من خطأ في بعض الأوقات ^(٤) .
وقد قيل: ثلاثة لا يلامون على الضجر: الصائم، والمريض، والمسافر. كما بين تعالى ذلك في قصة موسى - عليه السلام - مع العبد الصالح حينما قال له العبد الصالح: ﴿قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٣/١٣٥٤ ح ١٧٢٨ باب استحباب المواسة بفضول المال).

(٢) انظر جامع البيان ١٠/١٣٦، تفسير البغوي، تحقيق: خالد عبد الرحمن العك، دار المعرفة، بيروت، ٢٧٢/٢، الجامع لأحكام القرآن ٨/١٤٦.

(٣) انظر جامع العلوم والحكم ٣٣٤.

(٤) المجموع ٤/٣٩١.

مَعِيَ صَبْرًا ﴿ [سورة الكهف ٦٧/١٨] . ومن تمام حسن خلق المسافر الإحسان إلى الرفقاء ومعاونتهم بكل ممكن، والرفق بكل منقطع، وإعانة من يحتاج إلى إعانة سواء بمركوب أو زاد أو توقف لأجله، وممازحتهم و مطايتهم من غير فحش ولا معصية ليكون ذلك شفاء لضجر السفر ومشاقه^(١).

❖ و في مقابلة ذلك ترك كل ما من شأنه إفساد المودة أو إيغار الصدور. وذلك بالرفق ولين الجانب و اللطافة في الفعل، و اتقاء أسباب القطيعة. قال مجاهد رضي الله عنه: قلت لصديق لي من قريش: تعال أو اضعك الرأي، فأنظر أين رأيي من رأيك. فقال لي: دع المودة على حالها. قال: فغلبني القرشي بعقله^(٢).

❖ الحرص على تعليم الرفقة ما يحتاجون إليه من علوم، وإزالة ما لديهم من جهل ببعض الأحكام. أو ما يعترضهم من شبه. كما فعل العبد الصالح مع موسى - عليه السلام - كما في قوله تعالى: ﴿ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِمَا أُوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴾ [سورة الكهف ٧٨/٨] وسيأتي بيان هذا.

وكذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، في أسفاره للجهاد أو في سفره للحج، كان يعلم الناس ما يحتاجون إليه في أدائهم للعبادة، أو في تعاملاتهم مع بعضهم البعض. والأمثلة على هذا كثيرة في سيرته صلى الله عليه وسلم.

ومن هنا يتبين أن صاحب الرفيق في السفر إذا وعى هذه الآداب والأخلاق، هان عليه طول السفر، وخفت عليه مشقته، وظهر عليه و على إخوانه أفضل الصفات و أكرم الخلال، من صبر وتحمل وكرم وإيثار ومحبة خالصة، وعرف كل منهم من هو صاحب الصالح للسفر، لأن من صلح لصحبة السفر صلح لصحبة الحضر، وقد يصلح في الحضر من لا يصلح في السفر. ولذا قيل: إذا أثنى على الرجل معاملوه في الحضر ورفقاؤه في السفر فلا تشكوا في صلاحه^(٣).

(١) إحياء علوم الدين ٧٤٨.

(٢) الآداب الشرعية ١٩١/٢.

(٣) انظر إحياء علوم الدين ٧٤٨.

ومما تقدم يتبين ما للسفر من فوائد عديدة منها:

- أن في السفر تفرجاً للنفس من الهموم، سواء كانت هذه الهموم من الخوف على النفس من القتل أو المرض أو الجهل، أو غير ذلك فإن الإنسان إذا سافر فإنه قد يجد الأمان لنفسه، والعلاج لمرضه والعلم لجهله.
- أنه وسيلة لطلب الرزق والتكسب، فيحصل الإنسان على المال بعد ما يكد ويشقى، بخلاف ما إذا كان في بلده فإنه قد يتثاقل و يتذمر من الأعمال التي يجدها في بلده ولا يرضى بها.
- أنه وسيلة لاكتساب علوم جديدة ليست متوفرة في بلده، سواء في العلوم الدينية أو في مجال العلوم الدنيوية؛ كالطب أو الهندسة وغيرها. فيسافر للدراسة في الجامعات الإسلامية المنتشرة في العالم الإسلامي أو الجامعات العالمية، ثم يعود مسلحاً بسلاح العلم الذي يحتاج إليه بلده.
- يعد السفر وسيلة لاكتساب الآداب والأخلاق الحميدة، التي قد لا تظهر على الإنسان في بلده، كالصبر والتحمل وحسن التدبير للأمر، وحسن التصرف في الأموال. واكتساب مهارات جديدة؛ كمهارات التعامل مع الآخرين كل حسب الطريقة المناسبة له.
- كذلك هو وسيلة لاكتشاف الصاحب الصادق المحب، الذي ليس له مقصد من هذه الصحبة إلا أنه جمع بينهما هذا السفر، ليخفف كل منهما عن صاحبه وحشة الغربة، ويكون كل منهما عوناً لصاحبه في شتى الأمور. فإذا عاد كل منهما إلى بلده لم تنقطع هذه العلاقة بينهما، وإنما تظل الروابط بينهما إلى أن يشاء الله.

وقد جاء في فوائد السفر قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه (١) :

تَعَرَّبَ عَنِ الْأَوْطَانِ فِي طَلَبِ الْعُلَا وَسَافَرَ فِي الْأَسْفَارِ خَمْسُ فَوَائِدِ
تَفَرَّجُ هَمٌّ وَآكْتِسَابُ مَعِيشَةٍ وَعِلْمٌ وَآدَابٌ وَصُحْبَةٌ مَاجِدِ

(١) ديوان علي بن أبي طالب ٧٢.

المطلب الرابع: صحبة غير البشر

إن من نعم الله - سبحانه وتعالى - على بني آدم أن خلقهم، وخلق وهياً لهم كل ما تصلح به حياتهم. فمن هذه النعم خلق الأرض، وتمهيدها، وبسطها، لتكون مستقراً وسكناً لخليفته بعد أن أخرجه من الجنة، ليعمرها ويقيم فيها شرع الله وحدوده التي ارتضاها. حيث قال تعالى:

﴿وَقُلْنَا أَهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتْعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [سورة البقرة ٣٦/٢]. وقال: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ﴾ [سورة طه ٥٣/٢٠]. وقال - جل ثناؤه -: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾ [سورة البقرة ٢٢/٢].... وغيرها من الآيات.

ومن رحمته - سبحانه وتعالى - أن جعل هذه الأرض مبسوطه، متسعة لجميع المخلوقات؛ من النباتات والحيوانات والبشر، فهي مستقر للأحياء والأموات منهم، قال تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ الْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا﴾ [سورة المرسلات ٢٥/٧٧-٢٦]. وما أحاطها به من بحار ومحيطات، وما أرسى عليها من جبال، وما أودع فيها من كنوز مشاهدة أو غير مشاهدة... وغيرها من الكائنات التي لا يعلمها إلا هو سبحانه: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [سورة النحل ٨/١٦]، كلها مسخرة لمنفعة الإنسان، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ وَآخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَخْرَجَ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [سورة البقرة ٢/١٦٤].

ثم إن الله - سبحانه وتعالى - فضل بعض البقاع على بعض وميزها بميزات، إما بأنواع مختلفة من النعم، أو فضلها بأن جعلها موطناً لأفضل خلقه، أو غير ذلك من أنواع التفضيل. فمن هذه البقاع التي فضلها وجعل لها مكانة عظيمة في نفوس قاطنيها، و نفوس المسلمين عامة، تلك البقعة المباركة التي احتضنت بيت الله الحرام - مكة المكرمة - تلك البقعة التي أمر الله خليله إبراهيم عليه السلام أن يترك زوجته وابنه الرضيع فيها، وكانت إذ ذاك ليس فيها سكن ولا داع ولا مجيب، فما كان من خليل الرحمن إلا أن لبي نداء ربه، وذهب بزوجه وابنه إلى

هذا المكان، ثم قفا إبراهيم منطلقا فتبعته أم إسماعيل، فقالت: يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه أنيس ولا شيء؟ فقالت له ذلك مرارا. وجعل لا يلتفت إليها فقالت: الله أمرك بهذا؟ قال: نعم. قالت: إذا لا يضيعنا. - في ثقة تامة بخالقه ومولاهما - ثم لما تنحى عنهما توجه بالدعاء لخالقه قائلا: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْعَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [سورة إبراهيم ١٤/٣٧]. فاستجاب الرب الرحيم لدعاء خليله، ففجر الأرض بأعذب ماء على وجهها - ماء زمزم - فأخذت الحياة تدب إلى هذا المكان، وأصبحت هذه البقعة زاخرة بأنواع الثمار والأرزاق، وتهوي إليها أفعدة البشر من كل مكان،^(١) وما زالت تزخر بأطيب الرزق إلى يوم الدين. كل هذا بركة دعاء خليل الرحمن، ثم ما من به - سبحانه - من جعلها موطنًا لخير البشر وخاتم النبيين محمد ﷺ، ومهبطًا للوحي ومركز إشعاع لنور الهدى فمنه شع إلى مختلف البقاع.

ولذا كانت لها مكانة في نفسه ﷺ، كما جاء في وصف حاله وهو في طريق الهجرة المباركة إلى المدينة، حيث وقف ثم نظر إليها وقال: ((ما أطيبك من بلدة، وأحبك إلي ولولا أن قومك أخرجوني ما سكنت غيرك))^(٢).

فتأتيه البشارة من جبريل عليه السلام بأن الله سيعيده إليها، ويظهر أمره على أهلها بأمر من الله. حيث أنزل عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُلْ رَّبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [سورة القصص ٢٨/٨٥]^(٣).

وهناك من البقاع من أبغض الله أهلها، تلك البقاع التي خالف قاطنوها أوامر الله وشرائعه، فكان أن عاقبهم الله بأنواع مختلفة من العذاب، فمنهم من خسف بهم الأرض فجعل عاليها سافلها؛ كقوم لوط عليه السلام. ومنهم من أفناهم وأبقى مساكنهم عبرة لكل معتبر، كقوم صالح عليه السلام، وغيرهم من الأمم التي أهلكتهم الله بسبب مخالفتهم لشرعه.

(١) انظر: جامع البيان ١٣/٢٢٩، تفسير ابن كثير ١/١٧٧، تفسير ابن سعدي ٤٢٧.

(٢) سبق تخريجه ص ١٠٢.

(٣) انظر: جامع البيان ٢٠/١٢٣، تفسير ابن كثير ٣/٤٠٣، زاد المسير ٦/٢٤٩، الجامع لأحكام القرآن ١٦/٢٣٥.

ثم إن من أعظم مخلوقات الله في هذه الأرض؛ الجبال التي خلقها البارئ - سبحانه وتعالى - لحكم عديدة؛ منها تثبيت الأرض، كما وصفها بذلك، حيث قال: ﴿وَالْجِبَالُ أَوَاقِدًا﴾ [سورة النبأ ٧/٧٨]، فلا تنزل هذه الأرض ولا تميل بأهلها، قال تعالى: ﴿وَالْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [سورة النحل ١٦/١٥]، كما جعلها موضعاً للاعتبار والعظة والاستدلال على عظمته سبحانه وكمال قدرته ووحدانته وربوبيته. لذا أمر المشركين بالنظر إليها، حيث قال: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾ [سورة الغاشية ١٧/٨٨-١٩]، ومن رحمته أن بصر الإنسان لاستخدامها بصور وأشكال متنوعة تتفق مع حاجاته ورغباته، فاتخذها سكناً، كما قال سبحانه على لسان نبيه صالح عليه السلام: ﴿وَأذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آيَةَ اللَّهِ وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [سورة الأعراف ٧/٧٤]، وملجأً يلتجأ إليه من الأعداء، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْهَا خَلْقًا ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ [سورة النحل ١٦/٨١].

وهذه الجبال مع صلابتها وقوتها إلا أنها تسبح لله وتحمده وتمجده، وتختر وتخشع له سبحانه، قال تعالى: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضِرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [سورة الحشر ٥٩/٢١].

ولقد كرم الله هذه المخلوقات أن شرفها بصحبة أفضل البشر؛ إنهم رسل الله، فها هي ذي تسبح مع داود عليه السلام، كما قال تعالى: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [سورة الأنبياء ٢١/٧٩]، وقال: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾ [سورة ص ٣٨/١٨].

وجعل بعضاً منها شاهداً على بعض الأحداث العظام على وجه الأرض، فمن هذه الجبال التي كرمها الله جبل الجودي؛ الذي استقرت عليه سفينة نبي الله نوح - عليه السلام -

بعد الطوفان، قال تعالى: ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَسْأَمَاءِ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَفُضِيَ الْأَمْرُ وَأَسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [سورة هود ٤٤/١١].

وجبل الطور؛ الذي شهد تكليم الله ومناداته لموسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿ وَنَدَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴾ [سورة مريم ٥٢/١٩]، وكيف أنه صار دكاً وحرّ موسى عليه السلام صعقا عندما تجلى له الخالق سبحانه: ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرِيكَ وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَحَرَّمَ مُوسَى صَعْقًا فَلَمَّا آفَقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة الأعراف ١٤٣/٧].

وكذلك جعله شاهدا على الميثاق الذي أخذه الله على بني إسرائيل، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَاءَ آتَيْنَكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [سورة البقرة ٦٣/٢].

ومن هذه الجبال؛ جبل النور الذي يوجد فيه غار حراء، إذ كرمه الله بأن كان شاهداً على بعثة خير البشر محمد ﷺ، ومكاناً لنزول الوحي حيث كان ﷺ يتعبد في هذا الغار حين جاءه الوحي إيذانا ببعثته إماماً وهادياً للبشرية جمعاء. وكذلك كان جبل ثور وغاره الملجأ الذي لجأ إليه النبي ﷺ عند هجرته المباركة هو وصاحبه، فقال تعالى: ﴿ إِلَّا نُنصِرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيًا إِثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ ﴾ [سورة التوبة ٤٠/٩].

قال الإمام القرطبي رحمه الله: "أكرم الله ثلاثة جبال بثلاثة نفر الجودي بنوح، وطور سيناء بموسى، وحراء بمحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين" (١).

كذلك جبل أحد الذي شهد معركة أحد، وقد قال النبي ﷺ: ((أحد جبل يحبنا ونحبه)) (٢). وروي أن النبي ﷺ صعد عليه وبرفته أبو بكر الصديق رضي الله عنه وعمر بن

(١) الجامع لأحكام القرآن ٤٢/٩.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب خرص التمر (٢/٥٣٩ ح ١٤١١)، ومسلم في صحيحه كتاب الحج، باب أحد جبل يحبنا ونحبه (٢/٨٢١ ح ١٣٩٣).

الخطاب رضي الله عنه وعثمان بن عفان رضي الله عنه فاهتز فرحاً بمن عليه فقال له النبي ﷺ: ((أثبت أحد فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان))^(١).

ومن مخلوقات الله في هذه الكون، النبات بمختلف أنواعه، التي جعلها الله آية من آياته الدالة على البعث، فبعد أن ينزل الماء من السماء التي رفعت بلا عمد، ماءً متتابعاً، يتغلغل في باطن الأرض، ثم تنفجر هذه الأرض الميتة الجذباء الفاحلة بنبات أحضر يبهج القلوب بشتى صورته، قال تعالى: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ [سورة الحج ٥/٢٢] ، وقال: ﴿أَمْ نَخْلَقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلْنَا لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شجرَهَا إِنْ لَمْ يَعْزُبْ عَنْ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعِدُونَ﴾ [سورة النمل ٦٠/٢٧] ، وقال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [سورة الحج ٦٣/٢٢] . وغيرها من الآيات.

ولقد جاء ذكر النبات في القرآن الكريم في صور مختلفة؛ فمنه ما جاء منفرداً، ومنه ما جاء مرتبطاً بصحبة أنبياء الله ورسله، ومنه ما كان نعيماً لأهل الجنة، ومنه ما كان طعاماً لأهل النار.

فها هو ذا سبحانه عندما خلق آدم -عليه السلام- وأسكنه الجنة، أنعم عليه بنعم لا تعد ولا تحصى، إلا أنه نهاه عن الأكل من شجرة من أشجارها، ليرى مدى طاعته، فلما عصاه وأكل منها، بعد تزيين الشيطان له، عاقبه الله بأن انكشفت سواته وسواة زوجته، فبادرا إلى سترها فأخذوا من أوراق الشجر ما يغطي عوراتهما، كما قال تعالى: ﴿فَدَلَّيْنَهُمَا بِعُرْوَةٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَيْتُهُمَا مِنْهَا لَمْ يَرْجِعَا إِلَيْهَا وَإِنَّهُمَا لَعَنَّاهُمَا فَسَمَّوْهُمَا وَأَقْبَلَا لَهَا مَائِدَةً﴾ [سورة الأعراف ٢٢/٧] .

ولقد ذكر المولى جل ثناؤه في عدد من الآيات بعضاً من منافع الشجر، ومن ذلك أنها ظل يستظل بها كما في قوله تعالى عن حال موسى -عليه السلام- عندما وصل ماء مدين وكيف أنه تولى إلى شجرة يستظل بها من حر الشمس ويستريح من تعب السفر، كما في قوله تعالى: ﴿فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [سورة القصص ٢٨/٢٤] .

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٣/١٣٤٤ ح ٣٤٧٢) باب قوله: لو كنت متخذاً خليلاً.

ثم أكرمه مرة أخرى بأن جعل هذا النوع من المخلوقات شاهداً على تكليفه - عليه السلام - قال تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ [سورة القصص ٢٨/٢٩].

فناداه ربه من عند تلك الشجرة، كما قال: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَمْوِسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة القصص ٢٨/٣٠]. فبدأت بعثته عليه السلام، وفي أثناء كلامه مع ربه أخذ ربه يسأله ويقول له: ﴿وَمَا تِلْكَ يَمِينِكَ يَمْوِسَى﴾ فيرد بقوله: ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبٌ أُخْرَى﴾ [سورة طه ٢٠/١٧-١٨]. في إشارة إلى تعدد منافع هذا المخلوق.

كذلك كرم الله هذا النوع من المخلوقات بشهود بيعة كانت بين رسول الله ﷺ وبين صحبه الكرام، إنها بيعة الرضوان، التي أعقبها صلح الحديبية بين المسلمين والمشركين لمدة عشر سنوات. كما جاء وصف هذه البيعة بأنها تحت الشجرة، قال تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَايَعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [سورة الفتح ٤٨/١٨] (١).

وقال رسول الله ﷺ، في شأن من بايعه: ((لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة)) (٢).

ومن تكريمه سبحانه لهذا المخلوق أن اختار نوعاً من أنواعه لتكون مصاحبة لمريم، في أحلك الظروف وأصعبها حيث أرشدها أن تلجأ إلى جذع النخلة، كما قال تعالى: ﴿فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنَسِيًّا﴾ [سورة مريم ١٩/٢٣]. (وما ذاك إلا حاجتها لشيء تشبث به حال الولادة، وتحتمل عليه وتستند إليه، لتسهل عليها الولادة، كذلك حاجتها لشيء يسترها حتى لا يرى منها شيء، أو يراها أحد في حرص منها

(١) جامع البيان ٥٨/٢٠.

(٢) رواه أبو داود في سننه (٤/٢١٣ ح ٤٦٥٣) باب الخلفاء، والترمذي في جامعه (٥/٦٩٥ ح ٣٨٦٠) باب في فضل من بايع تحت الشجرة، وقال حديث حسن صحيح. والإمام أحمد في مسنده (٣/٣٥٠ ح ١٤٨٢٠) وصححه الألباني في صحيح أبي داود ٤٦٥٣.

على التستر، فكانت هذه الشجرة كالحجاب الذي يستر ما تحته. وقد أرشدها الله إلى هذه الشجرة ليطلعها من رطبها، الذي هو أنفع الأشياء الموافقة خاصة للنفساء، حيث قال:

﴿وَهَزَىٰ إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسْقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا﴾ [سورة مريم ١٩/٢٥]، وقيل: كان هناك نهر يابس أجرى الله فيه الماء، وحييت النخلة اليابسة، فأورقت وأثمرت وأرطبت، فتساقط عليها الرطب، فكان الله هياً لها الطعام والشراب، فأكلت وشربت حتى قويت مما هي فيه من ضعف وآلام، ثم حملت وليدها بين ذراعيها وأتت به قومها تحمله^(١).

فكانه سبحانه جعل العلاقة بين الإنسان وبين هذه النعم كعلاقة الصاحب بصاحبه- إن أحسن اختياره وأحسن الاستفادة منه فيما أراد الله، كانت الصحبة بينهما من أنفع وأجدي العلاقات- فالإنسان إن أحسن استخدام ما أنعم الله به عليه من هذه النعم زاده الله نعيماً ورزقاً.

أما من عصاه ولم يؤمن به وكفر بنعمه، فإن الله يقلب نعيمه عليه في الدنيا عذاباً في الآخرة، والله جل جلاله بين لنا في كتابه بعضاً ممن أساء استخدام هذه النعم؛ كقوم شعيب عليه السلام الذين أنعم الله عليهم حيث وصف أرضهم بأنها ذات أشجار ملتفة الأغصان، وزاخرة بمختلف النعم، لكنهم لم يراعوا هذه النعم، فكانوا يطففون الكيل ويخسرون في الميزان^(٢)، ولم يلتفتوا إلى دعاء نبي الله لهم، وتذكيره إياهم بنعم الله عليهم، كما قال تعالى:

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِن إِلَهٍ غَيْرُهُ ۖ قَدْ جَاءَ تَكْوِيمًا مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ [سورة الأعراف ١٨٥/٧]. فما كان منهم إلا أن كذبوه فجاءهم عذاب الله، قال تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [سورة الشعراء ١٨٩/٢٦]. (حيث أظلمت سحابة، اجتمعوا تحتها مستلذين لظلها غير الظليل، فأحرقهم بالعذاب، فظلوا تحتها خامدين، فكأنهم لم يقيموا في تلك الديار ولم يتمتعوا بتلك النعم، ولم يتفَيَّروا بذلك الظل، فكانوا كما قال تعالى:

(١) انظر: تفسير البغوي ١٩٣/٣، الكشاف ١٣/٣، التفسير الكبير ١٧٣/٢١.

(٢) معنى التطفيف: التنقيص، والبخس في المكيال والميزان، بالازدياد إن اقتضى من الناس، و بالنقصان إن قضاهم.

تفسير جامع البيان ٩٠/٣٠، تفسير ابن كثير ٤٨٤/٤.

﴿ كَمْ تَرَكَوْا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴾ [سورة الدخان ٢٥/٤٤-٢٦] فأخذهم العذاب، فنقلهم من موارد اللهو واللعب واللذات إلى مستقر الحزن والشقاء^(١). وكذلك غيرهم من الأمم .

وإن كانت هذه النعم مصاحبة للإنسان في الدنيا يتقلب بين أنواعها، فإن هناك في الجنة من النعيم ما يفوق هذا، فالله يجعل لأصحاب الجنة من النباتات المختلفة الألوان والطعوم، ما يكون ملازماً لهم ومكماً لنعيمهم، فقد قال تعالى: ﴿ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلِّ مَمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفِكَهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴾ [سورة الواقعة ٢٧/٥٦-٣٢]. وقال: ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴾ [سورة الرعد ١٣/٣٥]. وقال: ﴿ مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفِكَهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴾ [سورة ص ٣٨/٥١]. وغيرها من الآيات.

وفي مقابل ذلك جعل من النباتات ومن ثمارها ما يكون طعاماً لأهل النار ومكماً لعذابهم، قال تعالى عن عذاب أصحاب الشمال: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَنْتُمْ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٥١﴾ لَا تَكُونُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زُقُومٍ ﴿٥٢﴾ تَمَّالُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَرِبُوا عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَرِبُوا شُرْبَ الْهَلِيمِ ﴾ [سورة الواقعة ٥١/٥٦-٥٥].

كذلك من مخلوقات الله - جل ثناؤه - الحيوانات التي خلقها الله في هذا الكون لتكون مصاحبة للإنسان، وصورها في صور وأشكال مختلفة - في القوة والضعف - فمنها ما يمد على وجه الأرض، ومنها ما يمشي على بطنه، ومنها ما يمشي على رجلين، ومنها ما يمشي على أربع، كما قال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ عَزِيزٌ ﴾ [سورة النور ٢٤/٤٥]. وقال تعالى: ﴿ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [سورة النحل ١٦/٨]، وهناك ما يطير في جو السماء، كما في قوله تعالى: ﴿ الْمَوِيرَ وَإِلَى الظَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [سورة النحل ١٦/٧٩]. ومنها ما هو أمة قائمة

(١) بتصرف من تفسير ابن سعدي ٢٦٠-٥٤٦.

بنفسه كأمم النحل والنمل، وهناك ما يسبح في أعماق البحار والمحيطات، وكل يسبح بحمد الله سبحانه، قال تعالى: ﴿تَسْبِيحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [سورة الإسراء ١٧/٤٤].

وإن هذا التنوع في مخلوقات الله لمن أقوى الأدلة على كمال قدرته سبحانه وتعالى وعظيم سلطانه. وصدق الله إذ يقول: ﴿وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَآسَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [سورة إبراهيم ١٤/٣٤].

ولقد شرع الحق تبارك وتعالى في بيان شيء من منافع هذه المخلوقات، وكيف أنه سخرها لتكون مصاحبة وملازمة للإنسان في الأرض، ينتفع بها؛ فمنها ما يكون منه غذاؤه، أو شرابه، أو لباسه، ومنها ما يستخدم في سكنه، كما قال تعالى: ﴿وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [سورة النحل ١٦/٥].

وقال: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً لِيُنذِرَ الَّذِينَ يُطُونَهُ مِنْ بَيْنِ قَرْبٍ وَدَمٍ لَبْنَاخًا لِيَسَاءَ لِلشَّارِبِينَ﴾ [سورة النحل ١٦/٦٦]. وقال: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثْنَا وَمَتَعًا إِلَى حِينٍ﴾

[سورة النحل ١٦/٨٠]. كذلك سخرها لحمل متاعه إلى حيث شاء، قال تعالى: ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [سورة النحل ١٦/٧]. ومنها ما يكون حارساً له بأمر الله - كالكلب - كما قال تعالى عن حفظه لأصحاب

الكهف: ﴿وَكَلْبُهُمْ بَسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾ [سورة الكهف ١٨/١٨]. كذلك من منافعها أنها تكون زينة وجمالاً في نفس صاحبها، كما قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تُسْرِحُونَ﴾ [سورة النحل ١٦/٦]. وجعلها من مجموع الشهوات التي زينت للناس، كما قال تعالى: ﴿زَيْنٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالبَنِينَ وَالقَنْطَرِ المَقْنَطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ

وَالخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾

[سورة آل عمران ٣/١٤]. وغيرها من المنافع التي لا حصر لها.

والتأمل في آيات الذكر الحكيم يجد أن الله - جل ذكره - عندما يذكر هذه المخلوقات يقرنها بالإنسان وهو بهذا يصور نوعاً من أنواع الصحبة القائمة بين الإنسان وهذه المخلوقات، وما بينهما من تبادل للمنافع والمصالح المتبادلة التي لا يستطيع أي منهم الاستغناء عن الآخر، فهو وإن استخدمها في أكله وشربه وتنقله وتلبية احتياجاته، إلا أنه أيضاً يستخدمها في شؤون حياته كلها فهو يحتاج إليه، ليساعده في زراعة الأرض، وحمل أثقاله، والاستئناس بها، إذا كان وحيداً... وغير ذلك من المنافع.

ومن صور تلك العلاقة :

١. أن الله - جل جلاله - لعلمه بمكانة هذه المخلوقات وقربها من الإنسان جعلها مضرِباً لكثير من الأمثلة الدالة والموصلة إلى حقيقة وجوده سبحانه، ومن ثم توصل إلى الإيمان به، فمن ذلك أنه خاطب كل من له عقل بالتفكير والتدبر في خلقها، وخص كفار مكة وطلب منهم أن يتفكروا في خلق الله لهذه المخلوقات التي تحت أيديهم، والتي تصحبهم صباح مساء، وكانت من أحب أموالمهم. لذا جاء الأمر بالتفكير في خلق الإبل التي كانت من أنفس أموالمهم وأحبها إليهم، ليدركوا حقيقة وجود الخالق سبحانه، ومن ثم يقوموا بعبادته وشكره على ما أنعم به عليهم من النعم، فيؤمنوا به، ولا يشركوا في عبادته أحداً، كما قال: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [سورة الغاشية ١٧/٨٨]، فإذا نظر إليها الإنسان المبصر بعقله أيقن أن هناك خالقاً لهذا المخلوق أبدع في خلقها على هذا الشكل، فيقوده هذا إلى الإيمان بالخالق سبحانه، وهذا ما اهتدى إليه أحد الأعراب، وذلك أنه عندما سئل: بم عرفت ربك؟ فقال: "البعرة تدل على البعير، والأثر يدل على المسير، فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج، ألا تدل على اللطيف الخبير، أو على العلي الكبير"^(١). كذلك أمروا بالنظر فيما يطير فوقهم ليعتبروا به، كما قال: ﴿أُولَئِكَ يَرَوْنَ إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يَمْسُكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾ [سورة الملك ١٩/٦٧].

٢. جعل هذه المخلوقات محلاً للعظة والعبرة. فجاءت أمثلة كثيرة تدل على قدرته -

(١) التفسير الكبير ٩١/٢. وزاد المسير ١٥٨.

سبحانه- على الخلق ، ومن ذلك ما جاء في قصة صاحب الحمار الذي مر على القرية الخاوية... فأماته الله... ثم أحياه، وأحيا له حماره ليكون عظة وعبرة لغيره. ليدر كوا أن الله قادر على إحياء الموتى. كما قال تعالى: ﴿أَوَكَلِّدِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ. قَالَ كَمْ لَبِثْتُ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتُ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة البقرة ٢/٢٥٩]. وغيرها من الآيات.

٣. جعلها معلماً للإنسان يتعلم منها، فهذا ابن آدم لما قتل أخاه احتار في أمره، ماذا يفعل بجثته؟ فبعث الله له مخلوقاً ضعيفاً وهو الغراب ليريه كيف يوارى سوءة أخيه، قال تعالى: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ. كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يُوَالِي مَا وَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِي سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ [سورة المائدة ٥/٣١].

"و لما كان الحيوان قريباً للنفس البشرية، وخاصة نفوس الأطفال، فقد استخدمه الكتاب والمربون في توضيح أفكارهم والمراد منها، وتقريبها لأذهانهم في منازلهم ومعاهدهم ووسائل تعليمهم. ويظهر ذلك من كتب حكايات الصغار وآداب الأطفال، ولعبهم، وفي أفلام الرسوم المتحركة التي تعرض في شاشات التلفزة، وغيرها"^(١). لذا فإنه من واجب المربين العناية بهذا الجانب.

٤. جعل بعضها مثلاً يضرب في ضروب شتى؛ فهذا هو يشبه اليهود الذين لم ينتفعوا بما آتاهم الله من العلم بالحمار الذي يحمل فوق ظهره الأمتعة، ولكن لا يعلم ما يحمل فوق ظهره، فقال: ﴿مِثْلَ الَّذِينَ حَمَلُوا الثَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمِثْلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بئسَ مِثْلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة الجمعة ٥/٦٢]. كذا يصور ضعف وذلة المشركين أمام مخلوق ضعيف يسلبهم بعض ما يمتلكون، ولا يستطيعون مع قوتهم استرجاع ما يؤخذ منهم، كما جاء في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبٌ مِثْلُ مَا سَمِعُوا لَهُ إِذْ تَدْعُونَ مِنْ

(١) القرآن وعالم الحيوان، د. عبد الرحمن محمد حامد، الدار السودانية للكتب، الخرطوم، ١٨-١٩.

دُونَ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ، وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ
وَالْمَطْلُوبُ ﴿ [سورة الحج ٢٢/٧٣]... وغيرها من الأمثلة.

٥. وكذلك اصطفى الله - سبحانه وتعالى - في كتابه العزيز بعضاً من هذه المخلوقات بالذکر لتكون مصاحبة وملازمة ولها مكانة وشرف الارتباط بخير البشر على وجه الأرض، إنهم أنبياء الله ، فمن هذه المخلوقات الخيل؛ الذي كان له مكانة في نفس سليمان - عليه السلام - حيث كانت من النعم التي أنعم الله بها عليه، كما صور ذلك قوله تعالى: ﴿ وَهَبْنَا لِذَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعِشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رَدُّوَهَا عَلَيَّ فَنَفَقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴿ [سورة ص ٣٠-٣٣/٣٨]، فقد شرفت بصحبته وكانت جنداً من جنوده، فكان يتفقدتها، ويقوم عليها وينظر إليها ويقف على كيفية أحوالها، فكان يعجبه فيها اتصافها بأوصاف الجمال والقوة، فقد جاء وصفها بوصفين: (الصافنات) ^(١) و (الجياد) ^(٢) في إشارة إلى أن المقصود من وصفها بالفضيلة والكمال في حالتي وقوفها وحركتها، فحالتها في الوقوف وصفت بالصفن: أي إذا وقفت كانت ساكنة مطمئنة في مواقفها على أحسن الأشكال. وحالتها في الحركة وصفت بالجودة : أي إذا جرت كانت سراعاً في جريها ^(٣) .

وهي في هذا الحسن والجمال ما زالت تعرض عليه وهو مشغول بها حتى غابت الشمس، فكانت- كما قال بعض المفسرين- سببا في أنها ألهته عن صلاة المساء وذكر الله، فقال: (فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي) ندماً على ما مضى منه، وتقرباً إلى الله بما ألهاه عن ذكره، وتقديم حب الله على حب غيره، الذي هو المال، فما كان منه إلا إن طلب ردها إليه، فطفق مسحاً بالسوق والأعناق، أي جعل يعقرها بسيفه في سوقها وأعناقها ^(٤). في إشارة إلى

(١) الصافن: قال مجاهد هي: التي تقف على ثلاثة وطرف حافر من يد أو رجل. زاد المسير ١٢٧/٧، وقيل: الذي يصف قدميه، والصفوان صفة دالة على فضيلة الفرس. التفسير الكبير ١٧٨/٢٦.

(٢) جمع جواد، وهو السريع في الجري. زاد المسير ١٠٩٠.

(٣) انظر: التفسير الكبير ١٧٨/٢٦، الكشف ٩٣/٤.

(٤) انظر: زاد المسير ١٠٩١، تفسير ابن سعدي ٦٥٨.

جميع الخلق من بعده بالألا تكون هذه النعم صارفة لهم عمّا يأمر به الله، أو جالبة لسخط الله وعقابه.

وما زال الحديث متصلاً بنبي الله سليمان عليه السلام وما كان من حاله مع من صحبه في حياته، فهذا هي ذي قصة جديدة مع صاحب جديد، ونوع آخر من مخلوقات الله التي سخرها له الله جل جلاله، إنه الهدهد؛ ذاك الطائر الذي اصطفاه الله بأن يكون جندياً من جنوده، كما قال تعالى: ﴿وَحِشْرَ لَسُلَيْمَانَ جُنُودَهُ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [سورة النمل ٢٧/١٧].

ومعلوم أن الله أنعم على نبيه سليمان - عليه السلام - بنعمة فهم لغات غيره من المخلوقات من الجن والطير والحيوانات المختلفة، كما قال تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلِمْنَا مَنَاطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ [سورة النمل ٢٧/١٦]، وغيرها من النعم التي أنعم الله بها عليه، والتي لا يسعه إلا أن يشكر ربه عليها، لذا فقد قال: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [سورة النمل ٢٧/١٩].

لقد كان لهذا الهدهد قصة مع قائده سليمان - كما بينها المولى - جل ذكره - بقوله: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَأَرَى الْهُدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ (٢٠) لَأَعْدِبْتَهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لِيَأْتِنِي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (٢١) فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ نَحْطُ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ (٢٢) إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (٢٣) وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ (٢٤) أَلَا يَسْجُدُونَ لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ [سورة النمل ٢٧/٢٠-٢٥]..

ويستفاد من هذه القصة أمور، منها:

١. أن على الصاحب تفقد من يصحبهم، وألا يشغل عنهم لأي سبب من الأسباب.
٢. أن على الصاحب إذا أراد أن يتغيب عن صاحبه لعذر ما فإنه يستحب له أن يستأذن من صاحبه حتى لا يقع صاحبه في سوء الظن.

٣. إن حصل تغيب من أحد الأصحاب دون استئذان، فإنه يتوجب على صاحب ألا يتسرع في إصدار الحكم عليه إلا بعد بيان الحجة والبرهان أو تقديم المبررات لهذا التغيب.

٤. أن على صاحب أن يحسن الظن بصاحبه، وأن يوجد له العذر.

٥. أن على صاحب أن يُبصر صاحبه بما يجهل من أمور قد تخفى عليه بسبب جهله أو عدم تمكنه منها، وغير ذلك من الأسباب. ولقد جاء هذا الهدهد بخبر أولئك القوم الذين لم يكن سليمان عليه السلام يعلم عنهم شيئاً.

٦. سلامة فطرة هذا المخلوق، حيث أنكروا على هؤلاء القوم سجودهم للشمس من دون الله. وهو الذي خلقهم، وأنعم عليهم بنعمه سواء في أنفسهم أو فيما يحيط بهم في هذا الكون. إلى غير ذلك من الفوائد.

ثم صور الحق تبارك وتعالى ما كان من سليمان عليه السلام وما طلب من جنوده وأتباعه وأصحابه للقيام بالدعوة إلى الله بشتى الصور. وهنا تبرز لنا صحبة جديدة، إنها صحبة الجن، الذين سخرهم الله ليكونوا من جنوده عليه السلام، فها هو يقول لأصحابه، طالبا منهم إحضار عرش الملكة عليها إذا رأته تؤمن بالله، كما بين ذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ

يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيْتُ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آئِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ

أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آئِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رآه مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ

فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿سورة النمل

٢٧/٣٨-٤٠﴾. فلما رأته قالت: ﴿كَانَ هُوَ وَأُوتَيْنَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿سورة النمل

٢٧/٤٢﴾.

ثم إن الجن كان لهم صحبة مع رسول الهدى ﷺ، حيث إن الله سبحانه وتعالى، أرسله إلى الثقيلين الإنس والجن، ففي أثناء عودته من دعوة أهل الطائف الذين قابلوه بالصد، أوحى الله إليه أن هناك من يستمع لدعوته، ومن يؤمن بها ويقوم بالدعوة معه. قال تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا

إِلَيْكَ نَفْرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ﴿٣٩﴾

قَالُوا يَا قَوْمِ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقِ

مُسْتَقِيمٌ ﴿سورة الأحقاف ٤٦/٢٩-٣٠﴾. في دليل قوي على إيمانهم بمن أرسلهم الله من قبله من الرسل، ثم ها هم أولاء يؤمنون به عليه الصلاة والسلام. فكانت هذه الآيات بمثابة التسليية له والتصبير على ما يلقي من أذى قومه وأذى من يصد عن دعوته.

و هذا نبي الله يونس - عليه السلام - الذي جاء لقبه في الكتاب العزيز، بصاحب الحوت، كما جاء ذكره تسليية لرسول الله ﷺ، في قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ [سورة القلم ٦٨/٤٨].

فقد جاءت قصته عليه السلام مع قومه - موضحة في قوله تعالى: ﴿وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ

مَغْضُوبًا فَظَنَّ أَن لَّنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ

الظَّالِمِينَ﴾ [سورة الأنبياء ٢١/٨٧]، "إذ أرسله الله إلى قومه فدعاهم، فلم يؤمنوا، فوعدهم بنزول العذاب بأمد سماه لهم. فجاءهم العذاب ورأوه عياناً، فعجوا إلى الله، وضجوا وتابوا، فرفع الله عنهم العذاب، لكن يونس عليه السلام ذهب مغاضباً، وأبق عن ربه لذنب من الذنوب، التي لم يذكرها الله، ولا حاجة إلى تعيينها. وظن أن الله لن يقدر عليه كما في الآية، فركب في السفينة" (١). (فلما ركبها أصاب أهلها عاصفٌ من الريح، فقالوا: هذا بخطة أحدكم!، فافترعوا من يلقون منهم في البحر؟ فخرج سهم يونس عليه السلام، فما كان إلا أن ألقى بنفسه في اليم، فجاء الحوت فالتقمه، وقد قيل: إنه نودي الحوت، أيا حوت!! إنا لم نجعل لك يونس رزقاً وإنما جعلنا بطنك له وعاءً وحرزاً ومسجداً. فابتلعه الحوت فهوى به إلى قرار الأرض السابعة، فقيل إنه سمع تسبيح الحصى، فسبح الله بقوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي

كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾، فلبث في بطنه مدة من الزمن - اختلف في هذه المدة على أقوال: الراجح منها أنها أربعون ليلةً - وسواء طال المدة أم لم تطل فإنها كفيلة بأن تكون قد نشأت بينه وبين هذا الحيوان صحبة وعلاقة، كما وصفها المولى جل ذكره، فإن الناظر في هذه العلاقة يجد معاني الصحبة متحققة في الملازمة والمعاشرة والاختلاط بين يونس الموجود في بطن هذا الحوت وبين الحوت نفسه، فالحوت حافظ بأمر الله على نبيه ولم يأكله، إنما كان بطنه مقراً وسكناً له، ومسجداً ومكاناً للتسبيح والدعاء، إلى أن أذن الله له بالخروج من هذه الظلمة، فأمر

(١) تفسير ابن سعدي ٤٧٨.

الله الحوت، فنبذه بأرض جدباء، كما قال: ﴿فَبَدَّنْهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ [سورة الصافات ١٤٥/٣٧]، وهو كالصبي المنفوس، لم ينقص من خلقه شيء، ثم من عليه بأن أنبت عليه شجرة اليعطين التي ظللته، قال تعالى: ﴿وَأَبْتَنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَّقِينٍ﴾ [سورة الصافات ١٤٦/٣٧]، هذه الشجرة قيل: إنها شجرة الدباء^(١).

وهناك من الحيوانات ما كان مصاحباً لموسى عليه السلام؛ إنها الغنم كما جاء بيان ذلك في معرض كلامه مع الله تبارك وتعالى عندما سأله عن العصا فقال: ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى﴾ [سورة طه ١٨/٢٠]، كذلك كانت ملازمة لرسولنا ﷺ، فقد روي أنه رعى الغنم، وقال: ((ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم. فقال أصحابه: وأنت؟ فقال: نعم، كنت أرها على قراريط لأهل مكة))^(٢).

وغير هذا من القصص الموجودة في ثنايا الكتاب العزيز التي لا يتسع المقام لذكرها.

مبادئ الإسلام في حفظ حقوق هذا النوع من المخلوقات:

إن الناظر في مبادئ الإسلام يجدها قد حفظت حقوق الإنسان خاصة، وكل ما في هذا الكون من مخلوقات عامة، ونظمت علاقة الإنسان بالإنسان وعلاقة الإنسان بما حوله من مخلوقات، فإن الإسلام هو أول من دعا إلى حفظ الحقوق ورعايتها قبل أن يظهر ما يعرف اليوم بالمنظمات التي تسمى منظمات حقوق الإنسان أو منظمات حقوق البيئة أو حقوق الحيوان... أو غيرها. فمن أهم هذه المبادئ هذه الحقوق التي حفظها الإسلام:

مبدأ حق الحياة:

هذا المبدأ مستنبط من كثير من آيات الذكر الحكيم الدالة على الإحياء - سواء إحياء الإنسان أو غيره من الكائنات - فحق حفظ الحياة للنبات متعين من إنزال الماء من السماء،

(١) انظر: جامع البيان ٢٣/٩٨-١٠٤، تفسير البغوي ٢/٣٧٠، تفسير ابن كثير ٤/٢٢، الجامع لأحكام القرآن ١٥/١٢٢.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٢/٧٨٩ ح ٢٤١٣) كتاب الإجارة، باب رعي الغنم على قراريط.

واستقراره في الأرض، ثم ما يكون بعد ذلك من إنبات الزرع المختلف الألوان والطعوم، فأمر الله سبحانه وتعالى الإنسان بالأكل منه في غير إسراف، بل وأرشدته وأهمه إلى طرق الزراعة؛ من حرث، وبذر.. وسقي للبذور... ثم الحصاد.. ثم كيفية الاستفادة من الفلة... كما جاء واضحاً في سورة يوسف عندما سئل عن تأويل الرؤيا للملك، قال تعالى: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرَوْهُ فِي سُنْبُلِهِ ۖ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا نَأْكُلُونَ﴾ [سورة يوسف ٤٧/١٢].

و يجب على الإنسان أن يقوم بتوفير وسائل الحفاظ على هذه الأراضي المزروعة، فيقوم بتوفير المياه اللازمة لها كحفر الآبار، وتوفير الأسمدة والآلات المستخدمة في الزراعة... وغيرها من الوسائل . وعليه تأدية حق الله فيها- من زكاة إن كانت مما يجب فيه الزكاة- وإلا فإنه سبحانه قادر على إهلاكها كما ذكر تعالى عن أصحاب البستان الذين أرادوا أن يمنعوا حق الله فيه ، فلم يعطوا الفقراء من ثماره شيئاً، فما كان إلا أن أهلك الله بقدرته هذا البستان الذي كان مثل الجنة، فانقلب من جنة خضراء يانعة إلى أرض سوداء كالحة ليس فيها حياة، كما قال تعالى: ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾ [سورة القلم ٦٨/١٩-٢٠]. "أي صار البستان كأن ثمرة مقطوع لأصابته بالآفة ليلاً"^(١) كما سيأتي بيانه إن شاء الله .

ولأن الإنسان لا يستطيع تولى شؤون هذا بمفرده فقد هيا له من الحيوانات ما يشاركه في هذا العمل، فاستخدم بعضها في الحرث، وبعضها في استخراج المياه من باطن الأرض، وبعضها في حمل المحاصيل، وغير ذلك. [وقد تغير هذا الآن إلى الوسائل الحديثة].

كذلك جاء النهي عن قطع الأشجار المثمرة خاصة في أوقات الحروب وفي بلاد الكفار. بل جاء الحث على الزرع حتى وإن قامت الساعة لقوله ﷺ: ((إن قامت الساعة و في يد أحدكم فسيلة ، فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليغرسها))^(٢).

أما بالنسبة للحيوان؛ فقد حفظ الإسلام حقه في الحياة، بتوفير الطعام له وجعله مشاركاً للإنسان فيما أنعم به عليه من الزرع ومختلف ما يخرج من الأرض، كذلك حفظ له حق التربية والعناية به وبطريقة تغذيته. كما قال تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ۗ ﴿٤٤﴾ أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا

(١) جامع البيان ٣٠/٢٩.

(٢) أخرجه الألباني في السلسلة الصحيحة ٩، وقال: إسناده صحيح على شرط مسلم.

الْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَبْنَيْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَلَكَهَةً وَأَبْنَاءً ﴿٣١﴾ مَتَّعْنَاكُمْ
وَلِنَتَّعِمَكُمُ ﴿٣٢﴾ [سورة عبس ٨٠/٢٤-٣٢].

مبدأ الإحسان:

انطلاقاً من قول المصطفى ﷺ: ((إن الله كتب الإحسان على كل شيء))^(١). فمن الإحسان للنبات، القيام بتوفير ما يحتاج إليه لكي ينمو ويكبر، وقد جاءت نصوص كثيرة تنهى عن الإضرار به فنهى عن قطع الأشجار وعن التبول تحت ظلها الوارف. وأما الحيوان فمن ضروب الإحسان إليه:

❖ النهى عن تعذيبه بشتى أنواع العذاب، سواء بلطمه على خده، أو غير ذلك، لنهى النبي ﷺ عن لطم حدود الدواب، أو إحراقها، أو لعنها، أو اتخاذها مرمى للهدف، أو غير ذلك من صنوف التعذيب، كما روى ذلك عمران بن حصين^(٢) قال: بينما رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، وامرأة من الأنصار على ناقة فضجرت فلعنتها، فسمع ذلك رسول الله ﷺ، فقال: ((خذوا ما عليها ودعوها فإنها ملعونة))^(٣). في رواية قال: ((لا تصحبنا ناقة عليها لعنة))^(٤).

❖ أن الله أوجب على صاحبه وألزمه القيام بشؤونه فأمر بتوفير الطعام والشراب له، فقد جاء في الحديث ((أن امرأة دخلت النار في هرة حبستها لا هي أطعمتها ولا تركتها تأكل من حشاش الأرض))^(٥).

❖ كذلك من الإحسان إليه النهي عن تحميله ما لا يطيق من الأحمال، أو إجهاده .

(١) المصدر السابق، باب الأمر بإحسان الذبيح (٣/١٥٤٨ ح ١٩٥٥).

(٢) ابن عبيد بن خلف الخزاعي الكعبي، يكنى أبا نجيذ، أسلم عام خير، وغزا مع رسول الله ﷺ، بعنه عمر بن الخطاب إلى البصرة ليفقه أهلها، كان من فضلاء الصحابة، استقضاه عبد الله بن عامر على البصرة، روى عن النبي ﷺ عددا من الأحاديث، توفي بالبصرة سنة ٥٣ هـ . انظر: أسد الغابة ٤/٢٩٩، والإصابة ٤/٧٠٥.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، باب النهي عن لعن الدواب (٤/٢٠٠٤ ح ٢٥٩٥).

(٤) المصدر السابق (٤/٢٠٠٥ ح ٢٥٩٦).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المساقاة، باب فضل سقي الماء (٢/٨٣٤ ح ٢٢٣٦)، ومسلم في صحيحه، باب تحريم قتل الهرة (٤/١٧٦٠ ح ٢٢٤٣).

❖ الأمر بالإحسان عند ذبحه، كما في قوله ﷺ: ((إذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة))^(١).

مبدأ العقاب والثواب:

وهو من أهم مبادئ الدين القويم؛ حيث إنه رتب على القيام بالحقوق والواجبات الثواب الجزيل. أما إذا حصل نوع من التقصير أو الجور فإنه اتخذ سبيل العقاب للحد من هذا التقصير. فمن صور عنايته بهذا المبدأ أن الله جعل الرفق بالحيوان والإحسان إليه سببا في غفران الذنوب، ودخول الجنة، كما في قوله ﷺ: ((بينما رجل يمشي فاشتد عليه العطش فنزل بئرا فشرب منها، ثم خرج فإذا هو بكلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال: لقد بلغ هذا مثل الذي بلغ بي، فملأ خفه، ثم أمسكه بفيه، ثم رقي فسقى الكلب، فشكر الله له فغفر له))^(٢).

وفي رواية: ((أن امرأة بغيا رأت كلبا في يوم حار يطيف ببئر قد أدلع لسانه من العطش فنزعت له موقها فاستقت له به فسقته فغفر لها))^(٣).

ومن حفظ الإسلام لهذا المبدأ وغيره ما جاء في وصية خليفة رسول الله ﷺ، أبي بكر الصديق رضي الله عنه، حينما أوصى أول حملة لنشر الإسلام المتوجهة إلى بلاد الشام، فقال: "يا أيها الناس قفوا أوصيكم بعشر فاحفظوها عني: لا تخونوا، ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا، طفلا ولا صغيرا ولا شيخا كبيرا ولا امرأة، ولا تقذفوا نحلا، ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا إلا لمأكله... إلخ"^(٤).

مما يبين سماحة هذا الدين وحفظه ليس للإنسان فحسب، بل لكل مخلوق على وجه الأرض.

(١) أخرجه أبو داود في سننه (٣/١٠٠ ح ٢٨١٥ باب في النهي أن تصير البهائم)، الترمذي في جامعه (٤/٢٣ ح ١٤٠٩ باب ما جاء في الذبائح) وقال: حديث حسن صحيح، ابن حبان في صحيحه (١٣/١٩٩ ح ٥٨٨٣ كتاب الذبائح)، وصححه الألباني في صحيح الجامع ١٧٩٥، حديث صحيح.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المساقاة، باب فضل سقي الماء (٢/٨٣٣ ح ٢٢٣٤)، ومسلم في صحيحه باب في فضل عائشة رضي الله عنها (٤/١٧٦١ ح ٢٢٤٤).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، باب في فضل عائشة رضي الله عنها (٤/١٧٦١ ح ٢٢٤٥).

(٤) تاريخ مدينة دمشق ٥٠/٢.

الفصل الثالث: أسس الصحبة في القرآن الكريم :

المبحث الأول: الإيمان.

المبحث الثاني: الرحمة والشفقة واللين.

المبحث الثالث: المحبة.

المبحث الرابع: حسن الظن.

المبحث الخامس: الموعظة والتناصح.

المبحث السادس: سؤال الله تعالى ودعاؤه.

المبحث السابع: أسس الصحبة السيئة.

المبحث الأول: أساس الإيمان^(١)

يُعد الإيمان القاعدة الأساسية التي يُبنى عليها المجتمع المسلم، والمنهاج الذي يضم شتات الأعمال، والمحور الذي تُشد إليه جميع خيوط الحياة، وصمام الأمان الذي يقوي المجتمعات من المهالك والأخطار^(٢).

وهو النور الذي تطهر به القلوب، وتسكن وتطمئن إليه النفوس، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾ [سورة الفتح ٤٨/٤]، ذلك لأنه النهج الذي ارتضاه المولى - جل ذكره - وجعله السبيل الذي يخرج به الناس من ظلمات الجهل والكفر إلى نور العلم والإيمان.

ولما كان الإنسان بطبعه اجتماعياً لا يستطيع العيش بمفرده فقد وجهه الله وأمره بالاجتماع، وجعل هذا الاجتماع من النعم والمنن التي امتن بها على هذه الأمة، فقال تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [سورة آل عمران ٣/١٠٣]، فهذا أمر منه بالاعتصام به والاتجاه إليه والنهي عن

الفرقة والتنافر، ثم تذكيره لهم بنعمة أخرى، وهي أنه أَلَّفَ بينهم بعد أن كانوا شعوباً وقبائل متفرقة بهذا الدين القويم، فانقلب ما بينهم من فرقة وعداوة إلى ألفة ومحبة، فأزال به العصبية والفوارق المادية، فكانت هذه النعمة سبباً في إنقاذهم من النار، وتجنبيهم ما يعوقهم عن المهمة الأساسية التي خلقوا من أجلها، ألا وهي عبادته والقيام بتحقيق ما يطلب منهم من إقامة شرعه

(١) الإيمان لغة: التصديق. لسان العرب ١/١٤٠. ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا﴾ [سورة يوسف ١٢/١٧] أي بمصدق. واصطلاحاً: اختلفت أقوال العلماء في تعريفه، فقال الراغب (في مفردات القرآن ٣٦): يراد بالإيمان إذعان النفس للحق على سبيل التصديق، وذلك باجتماع ثلاثة أشياء: تحقيق القلب، وإقرار اللسان، وعمل بحسب ذلك بالجوارح. وعرفه ابن قيم الجوزية في كتابه الفوائد ١/١٠٧ بقوله: "الإيمان حقيقة مركبة من معرفة ما جاء به الرسول ﷺ، والتصديق به عقداً، وإقرار به نطقاً، والانقياد له محبة وخضوعاً، والعمل به باطنياً وظاهراً، وتنفيذه والدعوة إليه بحسب الإمكان". ومنهم من عبر عنه بقول: إنه تصديق القلب، وإقرار اللسان، وعمل الجوارح والأركان، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية. العقيدة الواسطية ١/٣٩-٤٠.

(٢) انظر: منهج القرآن في اصلاح المجتمع، لدكتور: محمد السيد يوسف، ط: ١٤٢٤هـ، دار السلام، القاهرة. ٢٧٥-

على الوجه المطلوب. قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [سورة آل عمران ١١٠/٣].

ولما كانت الصحبة والأخوة من صور الاجتماع، وكان لها تأثير قوي على سلوك الإنسان وتوجهه، فقد عني الإسلام بتقويم هذه العلاقة على الأسس الإيمانية الثابتة، ويتبين ذلك من خلال ما يأتي:

١. أن الله سبحانه وتعالى وحد خطابه لجميع المؤمنين في كثير من الآيات التي يأمر فيها بإقامة شعائر الدين، أو التي تأمر بما فيه خير وصلاح لهم، أو تحذير من أمر سوء لا خير فيه بلفظ الإيمان، في إشارة منه إلى حبه لاجتماعهم وعدم تفرقهم، قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران ١٠٢/٣]. وقال: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْرٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ [سورة الحجرات ١٢/٤٩]..... وغير ذلك من الآيات.

٢. أن الله سبحانه وتعالى حصر الأخوة في الإيمان، وجعله صفة ملازمة لها، وخصلة مرافقة للتقوى، فلا أخوة بلا إيمان، ولا إيمان بلا أخوة، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [سورة الحجرات ١٠/٤٩]، وقد جاء في تفسير هذه الآية: أن الأخوة التي حصرها الله جل جلاله في هذه الآية أخوة "في الدين والحرمة لا في النسب، ولهذا قيل: أخوة الدين أثبت من أخوة النسب، فإن أخوة النسب تنقطع بمخالفة الدين وأخوة الدين لا تنقطع بمخالفة النسب" (١).

فجعل المشاركة في الإيمان كالمشاركة في أصل التوالد، وذلك لأن كلا منهما أصل البقاء، فالتوالد منشأ الحياة الدنيا والإيمان منشأ للحياة الأبدية (٢).

وإنما خص المؤمنين بقيام هذه الأخوة فيما بينهم؛ وذلك لما بينهم من صفات وميول واحدة، فقد جمعتهم عقيدة واحدة، فكانت أخوتهم نتيجة طبيعية، وسمة بارزة في دعوتهم، ولقد

(١) الجامع لأحكام القرآن ١١/٣٢٢.

(٢) روح المعاني ٢٦/١٥١.

تبين بالاختبار والتجربة أن الناس لا تقوم بينهم صحبة، ولا تنمو بينهم ألفة إلا بوجود شبهة في الطباع والعادات، فإذا وجدت صحبة ولم يوجد معها تشابه لم تلبث أن تنفك وتنفصل.

٣. الأمر من الله سبحانه وتعالى لرسوله محمد ﷺ بلزوم صحبة أهل الإيمان، وإن كانوا

فقراء أو كانوا ممن ليس لهم نسب ولا مال ولا جاه، قال تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ، وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدَ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [سورة الكهف ٢٨/١٨]. أي: احبسها وثبتها بمصاحبة الدائبين على دعاء ربهم في جميع الأوقات، سواء كانوا فقراء أو أغنياء، أقوياء أو ضعفاء، ولا تتجاوزهم إلى غيرهم من أهل الجاه والسلطان، الذين شغلتهم الدنيا عن الدين، وعن عبادة ربهم، فكانت أعمالهم وأفعالهم سفهاً وتفريطاً^(١).

٤. أن الله حل ثناؤه بين أن جميع العلاقات القائمة بين بني البشر مصيرها إلى زوال.

إلا تلك الصحبة القائمة على أساس الإيمان والتقوى. ففي يوم العرض الأكبر حين يعرض العباد على ملك الملوك ليحكم بينهم، تقطع جميع الصلات التي كانت تربط فيما بين الأصحاب في الدنيا، وتنقلب المودة التي كانت بينهم إلى عداوة، إلا تلك المودة النابعة من الأخوة الإيمانية، قال تعالى: ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [سورة الزخرف ٤٣/٦٧] "أي: إلا الموحدين الذين يخالل بعضهم بعضاً على الإيمان والتقوى، فإن خلتهم وصحبتهم في هذا الموقف لا تصير إلى عداوة"^(٢). "بل تبقى نافعة أبد الآباد"^(٣).

٥. أن أخوة الإيمان قد ربطت بين نوعين من خلق الله؛ ربطت بين الملائكة المقربين

وبين عباد الرحمن من بني آدم، كما بين ذلك قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَجْمَلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ

بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ، وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ

تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [سورة غافر ٧/٤٠]. هذه هي الرابطة الحقيقية التي تجمع المفترق وتؤلف المختلف إنها رابطة (لا إله إلا الله) تلك الرابطة التي عطفت قلوب حملة العرش

(١) بتصرف من جامع البيان ٢٣٥/١٥، تفسير ابن كثير ٨٢/٣، تفسير أبو السعود ٢١٨/٥.

(٢) التفسير الكبير ١٩٢/٢٧.

(٣) تفسير البيضاوي، دار الفكر، بيروت ١٥٢/٥.

على بني آدم مع ما بينهم من اختلاف، فجعلتهم يدعون لهم بهذا الدعاء الصالح العظيم، وما ذاك إلا لأن الإيمان هو الذي جمع فيما بينهم^(١).

ثم جاءت السنة النبوية بالعناية بأمر الإيمان وجعله أمراً أساسياً في كل أمر يؤمر به، أو يُنهى عنه. ومن ذلك ما جاء في الحث على اختيار الصاحب المؤمن التقي، فقد قال رسول الهدى ﷺ: ((لا تصاحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تقي))^(٢).

فبين أن المراد من هذا الحديث هو النهي عن مصاحبة الكفار والمنافقين لأن في مصاحبتهم مضرة في الدين، فجاء النهي عن صحبة غير التقي، والنهي عن مخالطته، ومؤاكلته، وذلك لأن المطاعمة توقع الألفة والمودة في القلوب^(٣).

وقال ﷺ: ((الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل))^(٤). وذلك لأن من عادة الصاحب السير "على عادة صاحبه وطريقته فليتأمل وليتدبر - كل صاحب - من يخالل، فمن رضي دينه وخلقه خالقه، ومن لا تجنبه، فإن الطباع سراقا، والصحبة مؤثرة في إصلاح الحال وإفساده"^(٥).

ومما يبين أثر الصاحب المؤمن على صاحبه ما روي عن علي بن أبي طالب مؤيد: "خليلان مؤمنان، وخليلان كافران، فمات أحد المؤمنين. فقال: يا رب إن فلانا كان يأمرني بطاعتك، وطاعة رسولك، ويأمرني بالخير، وينهايني عن الشر، ويخبرني أي ملائكتك. يا رب فلا تضله بعدي، واهده كما هديتني، وأكرمه كما أكرمتني. فإذا مات خليله المؤمن جمع بينهما. فيقول: ليشن أحدكما على صاحبه. فيقول: يا رب إنه كان يأمرني بطاعتك، وطاعة رسولك، ويأمرني

(١) تفسير أضواء البيان ٤٦/٣.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه (٤/٢٥٩ ح ٤٨٣٢) باب من يؤمر أن يجالس، والترمذي في جامعه (٤/٦٠٠ ح ٢٣٩٥) باب ما جاء في صحبة المؤمن، وقال: حديث حسن. وابن حبان في صحيحه (٢/٣١٤ ح ٥٥٤) باب الصحبة والمجالسة، و (٢/٣٢٠ ح ٥٦٠) باب ذكر الاستحباب للمرء أن يؤثر بطعامه وصحبته الأتقياء، وحسنه الألباني في صحيح الجامع ٧٣٤١، وكذا في السلسلة الصحيحة ٩٢٧.

(٣) تحفة الأحوذى ٦/٦٤، عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم آبادي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الثانية، ١٩٩٥ م. ١٣/١٢٣.

(٤) أخرجه أبو داود في سننه (٤/٢٥٩ ح ٤٨٣٣) باب من يؤمر أن يجالس، والترمذي في جامعه (٤/٥٨٩ ح ٣٢٧٨) كتاب البر والصلة، وقال حديث حسن غريب، وأحمد في مسنده ٢/٣٣٤ ح ٨٣٩٨.

(٥) تحفة الأحوذى ٧/٤٢، وعون المعبود ١٣/١٢٣.

بالخير، وينهاني عن الشر، ويخبرني أي ملائكتك. فيقول: نعم الخليل ونعم الأخ ونعم الصاحب. قال: ويموت أحد الكافرين، فيقول: يا رب إن فلانا كان ينهاني عن طاعتك، وطاعة رسولك، ويأمرني بالشر، وينهاني عن الخير، ويخبرني أي غير ملائكتك. فيقول: بئس الأخ وبئس الخليل وبئس الصاحب" (١).

ولما كانت الصحبة و الأخوة الإيمانية تنطلق من منطلق العقيدة الواحدة، إذ الرب واحد والرسول واحد والكتاب واحد، والقبلة واحدة والمنهج والهدف والمصير واحد، استطاعت بذلك توحيد النفوس وتأليف القلوب وجمعها على قلب رجل واحد، بصرف النظر عن جنسياتهم وألوانهم ولغاتهم فصاروا كالجسد الواحد، كما بين ذلك قول رسول الله ﷺ: ((مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذ اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)) (٢). فصاروا بهذا الدين أمة واحدة و قوة أذهلت من حولهم من الأمم (٣).
ثم إن مفهوم الأخوة مفهوم عام يجمع جميع من آمن بالله - من ذكر وأنثى - على وجه المعمورة من أقصاها إلى أقصاها، فكل من على هذه الأرض من المؤمنين أخٌ بحكم هذه الرابطة الإيمانية. إلا أن هناك من الروابط ما يزيد على هذا المفهوم مفهوماً أخص وأعمق بحكم ما يرتبط به من معان المعاشرة والمخالطة والمصاهرة، وغيرها من الروابط. إنها رابطة الصحبة التي تزيد على مفهوم الأخوة بمزيد من الحقوق والواجبات على كل من قامت بينهم. ولذا سنتعرض لعلاقة الإيمان بأنواع الصحبة.

الإيمان وعلاقته بأنواع الصحبة:

إن الإيمان هو الوجه والمسير و الحكم في جميع الروابط التي تربط بين الإنسان وبين من يجتمع معهم بصحبة أو معاشرة - سواء كانت هذه الصحبة باختيار منه أو بغير اختيار - فيقومها ويرقى بها إلى ما تأمله في الدنيا والآخرة.
فإذا نظرنا إلى علاقة الإيمان بصحبة الوالدين، نجد أن الإيمان هو الدافع والمحفز للقيام بحقوقهما من بر وإحسانٍ وقيام بكل شؤونهما الخاصة، في حال حياتهما - سواء في حالة ضعفهما أو

(١) جامع البيان ٩٤/٢٥ .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، باب تراحم المؤمنين (٤/١٩٩٩-٢٥٨٦).

(٣) انظر: من منهج القرآن في إصلاح المجتمع ٢٣٠.

قوتهما - وامتداد البر والإحسان إليهما بعد وفاتهما إذا كانا من أهل الإيمان بالله ورسوله. قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [سورة الإسراء ١٧/٢٣]، وغيرها من الآيات المتقدمة.

كذلك قول المصطفى ﷺ، لمن سأله ((هل بقي علي من بر أبوي شيء أبرهما به بعد مماتهما؟ فقال له رسول الله ﷺ: ((نعم، الصلاة عليهما، والاستغفار لهما، وإنفاذ عهودهما، وإكرام صديقهما، وصلة الرحم الذي لا رحم لك إلا من قبلهما)))^(١).

أما إن كانا غير مؤمنين فإن الإيمان بالله يقوم تلك العلاقة، ويحكمها بحكمه، فلا يطلب من المؤمن التقى قطع صلته بوالديه أو هجرهما، وإن كانا على غير هدى. بل إن الإيمان يدفع به إلى صحبتها ومعاشرتهما بالحسنى، قال تعالى: ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبِهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [سورة لقمان ٣١/١٥].

ولقد صور القرآن الكريم حال خليل الرحمن إبراهيم - عليه السلام - مع أبيه الكافر، حيث صحبه على ما هو عليه من الشرك، فأحسن إليه وقام بدعوته إلى الإيمان بالله وترك عبادة الأصنام، إلى أن طلب منه ذلك الأب الكافر هجره، كما قال تعالى: ﴿وَأذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ

كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ

ءَالِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمَ لَئِن لَّمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَأَهْجُرُنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلِّمْ عَلَيَّ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ

كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ [سورة مريم ٤١/١٩-٤٧]. إلى أن جاء الأمر من الله لخليله بالنهي عن الاستغفار له، فما كان منه إلا أن انتهى عن ذلك، وأعلن براءته منه استجابة لأمر ربه، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اسْتَغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [سورة التوبة ٩/١١٤].

(١) سبق تخرجه ٣٤.

أما إن كان الأبوان على معصية من المعاصي التي لا تخرج من الملة ولا تقدح في الإيمان، فحث الشرع على إحسان الصحبة لهما ما لم يأمر بمعصية الخالق فلا طاعة لهما حينئذ.

علاقة الإيمان بالصحبة بين الزوجين :

إن تكوين عش الزوجية لا يستقيم، ولا يحقق المطلوب والمؤمل منه، إلا إذا قام على أسس قوية ثابتة مستمدة من شرع الله وسنة نبيه محمد ﷺ، قوامها وأساسها الإيمان، لذا جعل الإيمان الأساس في أمر النكاح. فحرم نكاح المسلم بالمشركة والمسلمة بالمشرك، ولو توافرت فيهما كل الصفات التي يطلبها كل منهما في شريك حياته، قال تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّىٰ تُؤْمِنَ ۚ وَلَأُمَّةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ ۗ وَلَا أَعْجَبَكُمْ ۗ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ۗ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ ۗ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [سورة البقرة ٢/٢٢١]. فقد فضل الله العبد والأمة على دنوهما من حيث النسب والجاه على المشرك والمشاركة من ذوي النسب الرفيع. وبين أن سبب هذا التحريم وهذا النهي هو المخالفة في الدين فقال: (أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ) أي: في أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم، فمخالطهم ومعاشرهم على خطر عظيم^(١).

ثم أباح للرجل الزواج بالكتابية ممن كانت على الإيمان بالله ، فقال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَفِّحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ ۗ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾ [سورة المائدة ٥/٥]

كذلك جعل رسول الله ﷺ الإيمان أساساً وشرطاً في اختيار الزوج. فقال: ((إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه))^(٢). وقال في شأن المرأة بعد أن عدد الأسباب الداعية لنكاحها:

(١) بتصرف من تفسير ابن سعدي ٨٢.

(٢) رواه الترمذي في جامعه (٣/٣٩٥ ح ١٠٨٥) باب إذا جاءكم من ترضون دينه...، وقال حديث حسن غريب، والبيهقي في السنن الكبرى (٧/٨٢٧ ح ١٣٢٥٩) باب الترغيب في التزويج من ذي الدين والطيراني في المعجم الكبير (٢٢/٢٩٩ ح ٧٦٢).

((فاظفر بذات الدين تربت يداك))^(١). وما ذاك إلا لأن الإيمان هو الدافع لكل من الزوجين إلى حسن المعاشرة والصحبة فيما بينهما، وقيام كل واحد منهما بحقوق الآخر على الوجه الذي أمر الله به.

وقد ذكر الخالق سبحانه حال نوح ولوط عليهما السلام مع زوجتيهما، وكيف أنه فرق بينهما بسبب أنهما كانتا كافرتين بالله، ولم تؤمنا بدعوة نبي الله، قال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ﴾ [سورة التحريم ١٠/٦٦]. أي: كانتا على غير دين زوجيهما، فلم ينفعهما إيمان زوجيهما شيئاً في الدنيا، فقد هلكت كل واحدة منهما بالعذاب الذي أهلك الله به قومهما، فغرقت امرأة نوح في الطوفان الذي أغرق قومها، وأهلك امرأة لوط مع الغابرين، كما قال تعالى: ﴿قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرَبْنَا بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْنَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَانِكَ إِنَّهُ مُصِيبُهُمَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ [سورة هود ٨١/١١]. وفي الآخرة تكونان مع من حقت عليهن الضلالة، و تدخلان النار مع زمرة الداخلين.

وكذا فرق الله بين الطاغية فرعون وزوجه، فإن كان هو من أول الداخلين إلى نار جهنم، فإن زوجته تكون في الجنة، في بيت من أعظم البيوت، وجيرة من أنفس الجير، إنها جيرة ملك الملوك الله جل جلاله، وما ذاك إلا بسبب إيمانها بالله وتمسكها به، رغم ما لاقته من أذى وتعذيب في سبيل ذلك، فقد قال تعالى عنها: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة التحريم ١١/٦٦]، فجعلها الله مضرب المثل للمؤمنين والمؤمنات بسبب قوة إيمانها، واختيارها لله عزوجل. ولذا كانت من أكمل النساء كما وصفها رسول الله ﷺ، حيث قال:

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب الأكفاء في الدين (٥/١٩٥٨ ح ٤٨٠٢)، ومسلم في صحيحه، باب استحباب نكاح ذات الدين (٢/١٠٨٦ ح ١٤٦٦).

((كامل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون، ومريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد))^(١).

علاقة الإيمان بالصحبة بين الأقارب :

تقدم معنا في مبحث صحبة الأقربين أن كل من جمع بينه وبين إنسان آخر صلب أو بطن أو رضاع أو رحم من قريب أو بعيد أو نسب، أو غير ذلك من الصلات فإنه يكون قريباً لهذا الإنسان.

إذا جمع بينهم الإيمان زادت هذه الصلات صلة أخرى، وقامت بينهم صحبة على أساس من المودة والرحمة، وآتت ثمارها المرجوة منها. أما إن لم يجمع بينهم الإيمان فلا فائدة ترجى من هذه القرابة، ومما يصور هذه العلاقة ويبينها ما كان بين النبي ﷺ وعلي بن أبي طالب ؓ، الذي جمعة بينهما علاقة قرابة النسب، ثم عزز هذا الرابط بدخول علي ؓ في دين الله، وكونه أول غلام يدخل هذا الدين فيؤمن به، وزوجه النبي ﷺ ابنته فاطمة ؓ فصار صهره، وكان مع الروابط الثلاثة الصحبة الدائمة إذ تربى علي ؓ وهو صغير في بيت رسول الله ﷺ لأن عمه أبا طالب كان ذا عيال وكان فقيراً، وبقي علي ؓ ملازماً للرسول ﷺ طيلة حياته فيما بعد، فهو الذي نام في فراشه ليلة الهجرة الشريفة، وأدى الأمانات إلى أهلها، ثم لما آخى الرسول ﷺ بين المهاجرين والأنصار، كان علي ؓ أخا الرسول ﷺ فنال بذلك الإيمان الذي امتزج بكل هذه الروابط مع الصحبة الدائمة أن كان من آل البيت خاصة، ومن توفي الرسول ﷺ وهو عنهم راض، ومن العشرة المبشرين بالجنة رضي الله عنه وأرضاه.

أما من كان على غير هدى من الله فإن ما بينه وبين قريبه يحكم بالإيمان فيقطع ما بينهم من الروابط، وإن كانت من أعمق وأدق الروابط وأكدها وذلك بسبب المخالفة في دين الله. ومما يبين ذلك ما ذكره الله في كتابه عن قطع العلاقة بين نبيه نوح - عليه السلام - وابنه الذي كفر به، فهذا هو ذا يصور لنا حال الأب الرحيم وهو ينادي ابنه ليركب معه فيقول:

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله تعالى: ضرب الله مثلا. (٣/١٢٥٢ ح ٣٢٣٠)، ومسلم في صحيحه، باب فضائل خديجة أم المؤمنين ﷺ (٤/١٨٨٦ ح ٢٤٣٠).

﴿وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْرَلٍ يَبْتَئِ أَرْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾ [سورة هود ٤٢/١١]، لكن هذا الابن لم يسمع لندائه، فيحال بينهما فيكون من المغرقين. ﴿قَالَ سَتَأْتِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُعْرَقِينَ﴾ [سورة هود ٤٣/١١]. ثم بعد أن استقر أمر الناجين، أخذ نبي الله يستنجد ويلجأ إلى الله بالدعاء والسؤال عن ابنه، كما قال تعالى: ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنِّي وَأَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ [سورة هود ٤٥/١١]، فيرد عليه المولى برد يقطع به ما بينه وبين هذا الابن من أواصر القرابة، فيقول له: ﴿قَالَ يَنْوُحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنِّي أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَتَّبِعْ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعْطَكُم بَأْسًا تَكُونُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [سورة هود ٤٦/١١]. أي: ليس من أهل دينك، ولا ولايتك. في إشارة إلى أن سبب المخالفة بينهما كان في الإيمان والدين. كذلك ما كان من حال النبي ﷺ مع عمه أبي طالب، الذي رباه واعتنى به بعد وفاة أمه ثم جده، وكان ممن وقف معه ودافع عنه فكان كالسد المنيع في وجه المشركين. كما روي عن النبي ﷺ أنه ((عندما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل بن هشام وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة، قال رسول الله ﷺ لأبي طالب، يا عم: ((قل لا إله إلا الله كلمة أشهد لك بها عند الله)) فقال: أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية، يا أبا طالب: أترغب عن ملة عبد المطلب، فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه ويعودان بتلك المقالة، حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: هو على ملة عبد المطلب. وأبي أن يقول: لا إله إلا الله. فقال رسول الله ﷺ: ((أما والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك)) فأنزل الله تعالى^(١) نهيته لرسوله ﷺ، ولجميع المؤمنين بالكف عن الاستغفار للمشركين وإن كانوا أولي قربى، فقال: ﴿مَا كَانُوا لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [سورة التوبة ١١٣/٩].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب إذا قال المشرك لا إله إلا الله، (٤٥٧/١ ح ١٢٩٤)، ومسلم في صحيحه، باب الدليل على صحة إسلام من حضره الموت (٢٤/١ ح ٢٤).

وفي المقابل جمع حوله خلقا كثيرا ممن آمن بالله، ممن لم تكن بينه وبينهم قرابة ووحيد بينهم وأزال به ما بينهم من فوارق في النسب أو الجاه أو السلطان، فكان من أفضلهم أبو بكر الصديق، و عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وغيرهم من الصحابة رضوان الله عليهم. وهذا يتبين أن الإيمان قد قوى علاقة القرابة كما بين الرسول ﷺ وابن عمه علي رضي الله عنه، وقطع الكفر أقرب القرابة كما بين نوح عليه السلام وابنه، وإبراهيم عليه السلام وأبيه، ومحمد ﷺ وعميه أبي لهب وأبي طالب.

أما عن علاقة الإيمان ببقية أنواع الصحبة الناشئة بسبب المقارنة سواء كانت بالاتباع أم بالجوار أم السفر أم غير ذلك من الأنواع، فإن الإيمان يعد أساساً في التعامل معهم، وهو دافعاً إلى القيام بكل ما تستوجبه هذه الصلات من حقوق وواجبات.

المبحث الثاني: أساس الرحمة والشفقة واللين^(١)

الإسلام دينُ الرحمةِ والشفقةِ واللينِ، اختاره المولى - جل ثناؤه - ليكون خاتم الأديان، وأقام شرائعه على هذا الأساس، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [سورة الأنبياء ١٠٧/٢١]. قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله: "إن الشريعة كلها مبنية على الرحمة في أصولها وفروعها، وفي الأمر بأداء الحقوق، سواء كانت لله أو للخلق، فإن الله لم يكلف نفساً إلا وسعها، فما شرعه من حقوق ومعاملات؛ كحقوق الوالدين، والحقوق الزوجية، والمعاملات بين الأقارب والجيران، وسائر من يخالطهما الإنسان من عدوٍّ أو صديق، كلها مبنية على الرحمة"^(٢).

ولما كانت الرحمة و الشفقة واللين من الفضائل الإسلامية التي تدل على قوة صاحبها ونبله، وذلك لأنه لا يحتكر الخير لنفسه، بل يحرص كل الحرص في إيصاله إلى غيره، فهو إنسان حساس يحس بآلام الآخرين ويقدر مشاعرهم، ويسهم في معاونتهم، لذا كانت من أهم الأسس التي يتعامل بها الإنسان في علاقاته الخاصة والعامة.

(١) الرحمة لغة: قال ابن فارس: الرء والحاء والميم أصل واحد يدل على الرقة والعطف والرافة. ومنه الرحم وهو علاقة القرابة، و سميت رحم الأنثى رحماً من هذا، لأن منها ما يكون ما يرحم ويرق له من ولد. مقياس اللغة ٤٩٨/٢. وعرفها ابن قيم الجوزية: أهما صفة تقتضي إيصال المنافع والمصالح إلى العبد، وإن كرهتها وشقت عليها نفسه، فهذه هي الرحمة الحقيقية. إغاثة اللفهان ٢١٨/٢. وقال الكفوي: الرحمة حالة وجدانية تعرض غالباً لمن به رقة القلب، وتكون مبدأ للانعطاف النفساني الذي هو مبدأ الإحسان. الكلبيات ٤٧١.

الشفقة لغة: مادة (ش ف ق) تدل على رقة في الشيء. ومنه قولهم أشفقت من الأمر إذا رفقت وحاذرت. مقياس اللغة ١٩٧/٣ (مادة شفق)، وقال ابن منظور: الشَّفقة: الخيفة من شدة النصح، وهو أن يكون الناصح من بلوغ النصح خائفاً على المنصوح، تقول: أشفقت عليه أن يناله مكروه. ١٨٠/١٠. مادة (شفق). قال الراغب: الإشفاق أو الشفقة عناية مختلطة بخوف، لأن المشفق يحب المشفق عليه ويخاف ما يلحقه من أذى. المفردات ٢٦٤.

وقال المناوي: الشفقة صرف الهممة إلى إزالة المكروه عن الناس. التعريفات ١٦٨.

اللين: مصدر لان يلين. وهو مأخوذ من مادة (ل ي ن) التي تدل على خلاف الخشونة. مقياس اللغة ٢٢٥/٥. وقال الراغب: اللين ضد الخشونة، ويستعملان في الأجسام، ثم استعيراً للخلق وغيره من المعاني. المفردات ٤٥٧.

(٢) الرياض الناضرة والحدائق النبيرة الزاهرة في العقائد والفنون المتنوعة الفاخرة، الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض المملكة العربية السعودية، ١٤٠٥هـ. ٦١-٦٥.

ولقد جاء الحث عليها وبيان مكانتها في أهم العلاقات التي تجمع بين الإنسان ومن هم أهل لصحبته. و نوضح فيما يأتي أثر الرحمة والشفقة واللين على أنواع الصحبة.

علاقة الرحمة والشفقة واللين بصحبة الوالدين:

لما كانت الرحمة عاطفة وجدانية تنزع بصاحبها إلى الرفق بمن حوله، وهي مبدأ للانعطاف النفساني الذي هو الإحسان، فقد وجه الحق - سبحانه وتعالى - إلى التخلق بها، ونبه إلى صرف هذه العاطفة إلى من هم أحق الناس بها لتغمرهم، فكان أولى الناس بهذه العاطفة هما الوالدين؛ اللذين كان لهما الفضل بعد الله في إيجاد هذا الابن، حيث تكبدا ألوانا وصنوبا من العذاب في سبيل تربيته وتنشئته تنشئةً سالحة.

فلما كان الابن لا يستطيع مهما بلغ من برّه وإحسانه لهما أن يكافئهما، فقد أرشده الله - جل جلاله - إلى طريق الإحسان والبر بالترفق والشفقة بهما، واللين في مخاطبتهما وخفض الجناح لهما رحمة بهما. قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٌ وَلَا نَهْرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [سورة الإسراء ١٧/٢٣-٢٤].

والتأمل في أسلوب هذه الوصية يجد أنها جاءت بأسلوب النهي عن زجرهما و الأمر بإلانة القول لهما وبالذعاء لهما بالرحمة في وقت هما في أشد الحاجة إليها، حين كبر السن، وضعف الجسم، تماماً كما كان هو في حاجتهما وهو طفل صغير، ضعيف الجسم لا يحسن تدبير شؤونه بدونهما. فكانت هذه الوصية بالرفقة والرحمة والإحسان إليهما مقابل إحسانهما المتقدم^(١).

قال بعض أهل التفسير: "إن المقصود من خفض الجناح؛ المبالغة في التواضع، وذلك لفرط الرحمة لهما والعطف عليهما بسبب كبرهما وضعفهما"^(٢).

ثم نجد الانتقال البديع في قوله تعالى: ﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ وذلك من خفض الجناح لهما رحمة؛ إلى الابتهاال إلى الله بالدعاء لهما

(١) تفسير ابن كثير ٤٠٦/٢.

(٢) التفسير الكبير ١٥٢/٢٠-١٥٣.

بالرحمة. وما ذاك إلا أن هذا الولد لا يستطيع إيصال الرحمة لهما إلا عن طريق الابتهاال إلى الله، فكان ذكر رحمة العبد مناسبة للانتقال إلى رحمة الله، وتبنيها على أن التخلق بمحبة الولد الخير لأبويه يدفعه إلى معاملته إياهما بما يعلمانه وفيما يخفى عليهما حتى يصل إليهما بعد مماثما^(١). ولقد ذكر الحق - تبارك وتعالى - في كتابه العزيز صوراً من رحمة الأبناء لآبائهم، وبين كيف جعل الرحمة من أهم الأسس لقيام الصحبة والتلازم بينهم، وكيف تنتزع منهم إذا كانوا عاصين أو مشركين بالله.

فمن ذلك، قصة خليل الرحمن إبراهيم - عليه السلام - فها هو ذا يدعو أباه إلى الإيمان بالله، وترك عبادة الأوثان، فيقول له بأسلوب يفيض رحمة وشفقة وليناً في ألفاظه ومعانيه، قال تعالى:

﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعُلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴾ [سورة مريم ٤٢/١٩ - ٤٥].

فنرى كيف بدأ في دعوته له بأسلوب سهل وبتدرج الأسهل فالأسهل، ثم لما لم يستجب ذاك الأب الكافر لمطلب ابنه، بل طلب منه في تعنت وعناد قطع كل صلة بينهما كما في قوله تعالى:

﴿ قَالَ أَرَأَيْتُ أَنْتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَأَهْجُرُنِي مَلِيًّا ﴾. [سورة مريم ٤٦/١٩]

لم يقطع الابن صلته بأبيه بل قال له بنبرة تفيض حزناً وأسى ورحمة: ﴿ قَالَ سَلِّمْ عَلَيَّ سَأَسْتَغْفِرُكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴾ [سورة مريم ٤٧/١٩] أي: سأدعوه أن يغفر لك لأن الله غفور رحيم. فلما تبين له عدم جدوى ذلك وجاءه النهي عن ذلك كما في قوله تعالى:

﴿ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَّهَا إِتْيَاهُ فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴾ [سورة التوبة ١١٤/٩]. انتهى من ذلك عليه السلام. ثم أبدله الله رحمة من عنده رحمة عامة في العلم والفضل والنبوة والذرية.

كذلك جاء يحيى - عليه السلام - رحمة من الله لعبده زكريا عليه السلام بعد ما بلغ من العمر ما بلغ، كما قال تعالى: ﴿ كَهَيْعَتِ ٱلَّذِينَ ذَكَرْتُمْ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ﴿٢﴾ إِذْ نَادَى رَبَّهُ

نِدَاءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾

(١) التحرير والتنوير ٥٩/١٤.

وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوْلَىٰ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ﴿[سورة مريم ١٩/١-٥] ، فجاءته البشري من الحنان^(١)، تبشره بالغلام الرحيم البار بوالديه، قال تعالى:

﴿يَجِيئُكَ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّنْ لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّا

بِوَالِدَيْهِ وَلَوْلَىٰ كُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿[سورة مريم ١٩/١٢-١٤] . أي وبحال حنان منا وتركية له.

قال جمهور المفسرين: الحنان: الرحمة والشفقة والمحبة، وهو ما جبل عليه يحيى - عليه السلام - من الرحمة والعطف والشفقة عليهما، باراً محسناً لهما، لطيفاً لين الجانب لهما^(٢).

ولما كان الأبناء هم أحد ثمار الصحبة بين الزوجين، وإليهم تتوجه رحمة وعطف وشفقة الوالدين، لتغمرهم منذ ولادتهم حتى تصل بهم إلى مماتهم. سواء كانوا بارين بأبائهم، أو كانوا عاقين لهم. فهذا الأب يحرم نفسه حظوظها ويؤثر بها ولده. وكذا الأم من رحمتها بولدها تسهر الليالي على راحتها، وتقدمها على نفسها. فيقومان بتوجيهه إلى الصواب ويأمرانه بما يعود عليه بالخير سواء في دينه أو دنياه. هذه هي الرحمة التي فطر الله الوالدين على ولدهما، قال تعالى موضحاً ذلك: ﴿وَالَّذِي قَالَ لَوْلَايَ أُفٍّ لَّكُمْ أَتَعِدَّانِي أَنَّ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِن قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَعْجِلَانِ اللَّهَ وَيَلِكْ ءَامِنِينَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأُولِينَ ﴿[سورة الأحقاف ٤٦/١٧].

وقد روى عمر بن الخطاب رضي الله عنه حديثاً يبين عظم رحمة الأم بولدها في وقت قد تكون هي في أمس الحاجة للرحمة، فقال: ((قدم على النبي صلى الله عليه وسلم سبي، فإذا امرأة من السبي تحلب ثديها تسعى إذا وجدت صبياً أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته. فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أترون هذه طارحة ولدها في النار؟)) قلنا: لا، وهي تقدر على أن لا تطرحه. فقال: الله أرحم بعباده من هذه بولدها))^(٣).

(١) الحنان: بالتشديد اسم من أسماء الله عز وجل، فهو بمعنى الرحيم، أي ذو الرحمة والعطف. والحنان بالتخفيف؛ الرحمة تقول حن عليه بجن حناناً، ومنه قوله تعالى: ﴿وَحَنَانًا مِّنْ لَّدُنَّا﴾ أي آتيناها حناناً وهو العطف والرحمة. قال الفراء في بيان معنى الآية: أي فعلنا ذلك رحمة لأبيوك. والحنان الذي بجن إلى الشيء، والحنّة بالكسر رقة القلب. لسان العرب ١٣/١٢٨-١٣٠ مادة (حنن).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير ٣/١١٤، الجامع لأحكام القرآن ١١/٧٨، أضواء البيان ٣/٣٨٠.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله (٥/٢٢٣٥-٥٦٥٣)، ومسلم في صحيحه، باب سعة رحمة الله، (٤/٢١٠٩ ح ٢٧٥٤).

وتتعدد مظاهر الرحمة بالأبناء؛ فمنها تقبيلهم، كما روى عن النبي ﷺ أنه ((قبل الحسن بن علي ﷺ، وكان عنده الأقرع بن حابس التميمي^(١) جالساً، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحداً. فنظر إليه رسول الله ﷺ وقال: ((من لا يرحم لا يرحم))^(٢). وكذلك ماروي عن أم المؤمنين عائشة ﷺ، أنها قالت: ((جاء أعرابي إلى النبي ﷺ، فقال: تقبلون الصبيان، فما نقبلهم. فقال النبي ﷺ: ((أو أملك أن نزع الله من قلبك الرحمة))^(٣). كذلك الضرب يكون من مظاهر الرحمة، خاصة إذا كان للتأديب و لما يصلح حالهم وهو ما أرشد إليه المصطفى ﷺ في حال امتناع الابن عن الصلاة فقال: ((مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين وفرقوا بينهم في المضاجع))^(٤). وبهذا يتبين أن الرحمة ليست هي مجرد تلبية الرغبات فحسب بل هي منوطة بما يرضي الله.

علاقة الرحمة والشفقة واللين بصحبة الزوجين:

إن الله سبحانه وتعالى عندما شرع الزواج أقامه على أساس من المودة والرحمة، قال تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [سورة الروم ٢١/٣٠].

ولما كانت الرحمة هي تلك العاطفة السلوكية التي تنزع بصاحبها إلى الرقة والعطف والرفق بمن حوله، كانت من أهم الأسس التي يتعامل بها كل من الزوجين مع من شاركه في السكنون النفسي والجسدي والجنسي. وكانت من الدوافع لاستمرار هذه الصحبة بينهما. ولذا جعلها المولى جل ثناؤه أمراً متبادلاً بينهما.

(١) من أشرف بني تميم، قدم على النبي ﷺ عام الفتح، وشهد فتح مكة وحنينا والطائف، وهو من المؤلفات قلوبهم، وقد حسن إسلامه، قال ابن دريد: اسمه فراس، وإنما قيل: الأقرع لقرع كان في رأسه، كان شريفاً في الجاهلية والإسلام، قتل يوم اليرموك في عشرة من بنيه. انظر: أسد الغابة ١/١٦٤، الإصابة ١/١٠٢.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله (٥/٢٢٣٥ ح ٥٦٥١)، ومسلم في صحيحه، باب رحمة صلى الله عليه وسلم بالصبيان (٤/١٨٠٨ ح ٢٣١٨).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله (٥/٢٢٣٥ ح ٥٦٥٢).

(٤) رواه أبو داود في سننه (١/١٣٣ ح ٤٩٥) باب متى يؤمر الغلام بالصلاة، والإمام أحمد في مسنده (٢/١٨٧ ح ٦٧٥٦) وحسنه الألباني في صحيح الجامع ٥٨٦٨.

والناظر في الرحمة الجامعة فيما بينهما يجد أنها تتمثل في العطاء والتفاهم والالتحام والسكن. فهي من متطلبات حسن المعاشرة بالمعروف، واحتمال الهفوات، والصفح عن الزلات، وصنع الجميل.

(فكما أن المودة هي سائل الحياة الذي يجري فيها، وكان من ترجمتها اللين والمؤانسة والانبساط والانجذاب والشوق والنشوة. كذلك فإن الرحمة هي صمام الأمان، وقاعدة الانطلاق الذي ينمو الحب في تربتها الخصبة مرة أخرى، لتقطف ثمار المودة، وتتعدد ملامح الرحمة، فالرحمة هي التي تصنع المودة وتؤكدها. ولذا قيل: إن العطف أول درجات الحب. و العطف جانب من جوانب الرحمة التي تحرك العواطف النبيلة والمشاعر المحمودة - خاصة بين الزوجين - والدوافع الإنسانية فتصل القادر بالعاجز والقوي بالضعيف، وتحمل كلا منهما على التحمل والصبر في رعاية الآخر، وتتجلى صور الرحمة بين الزوجين حينما يكون أحدهما محتاجا للآخر، إما لمرض أو كبير أو عجز^(١).

و المتأمل في قصص القرآن الكريم يجد أن الله سبحانه وتعالى قد أشار إلى هذه المعاني إشارة غير مباشرة؛ وذلك في قصص بعض أنبيائه؛ لتكون هذه المعاني هي النبراس الذي يجتذي به الزوجان في علاقتهما.

فيذكر عبده ونبيه زكريا - عليه السلام - عندما يبث شكواه إليه، يذكر حاله التي وصل إليها، فيقول: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾ [سورة مريم ٤/١٩]، أي: صرت في حالة من الضعف والكبر^(٢)، ثم يذكر حال زوجته رحمة ورفقا وعطفا عليها، فيقول: ﴿ وَكَانَتْ أُمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴾ [سورة مريم ٥/١٩]، أي: لا تلد ولدا.

فمن الله عليه، وأصلح له زوجته ورزقه منها بنبي لم يجعل له من قبل سميا^(٣)، كما قال عز شأنه: ﴿ يٰۤزَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴾ [سورة مريم ٧/١٩]. وقال: ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَاهُ، زَوْجَاهُ إِنَّهُمْ كَانُوا

(١) الأسرة المثلى في ضوء القرآن والسنة ٣٣-٣٤.

(٢) تفسير ابن كثير ١١٢/٣.

(٣) تفسير ابن كثير ١١٤/٣، تفسير ابن سعدي ٤١٩.

يُسْكِرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَكَ رِغْبًا وَرَهْبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ ﴿سورة الأنبياء ٢١/٩٠﴾.

وفي المقابل نجد مثالا حيا لرحمة الزوجة بزوجها عندما يكون في أمس الحاجة للرحمة والعطف، خاصة إذا كان عاجزا أو مريضا أو فقيرا، ليستعيد قوته.

نجد ذلك متمثلاً في زوجة نبي الله، أيوب - عليه السلام - تلك المرأة الصابرة المحتسبة التي كانت ترعى زوجها العليل الذي فقد المال والشباب والصحة والقوة، فصار عاجزا مريضا نبذه أهل قريته فعزل في مكان بعيد عنهم؛ فأصبح لا يراه ولا يجالسه أحد، إلا تلك الصاحبة المخلصة.

وذلك أنه لما أصاب أيوب - عليه السلام - ما أصابه من المرض والعجز وهلاك أمواله وأولاده ونفور الناس منه حتى إنه عزل ووضع في مكان بعيد، فلم يقربه صديق أو عدو إلا امرأته التي كانت تقوم على إصلاح حاله وجلب الطعام له طوال مدة بلائه التي قيل: إنها بلغت سبع سنين وبضعة أشهر، صابرة معه رحيمة به، بقيت بجانبه في أشد المواقف وأحلكها، أخذت ترعاه وتقوم برعايته بكل ما استطاعت بنفسها ومالها وجهدها فأخذت تخدم الناس، فلما سئموا منها، وامتنعوا عن مساعدتها باعت شعرها لتشتري بثمنه طعاما لزوجها العليل.

وروي أن إبليس تمثل لها في صورة رجل، فقال: أين بعلك يا أمة الله؟ قالت: هو ذاك يحك قروحه وتتردد الدواب في جسده. فلما سمعها طمع أن تكون كلمة جزع فوقع في صدرها فوسوس إليها، فذكرها ما كانت فيه من النعم والمال والدواب، وذكرها جمال أيوب وشبابه وما هو فيه من الضر وأن ذلك لا ينقطع عنهم أبدا.

قيل: إنها صرخت، فلما صرخت علم أن قد صرخت وجزعت أتاها بسخلة. فقال: ليذبح هذا إلى أيوب ويبرأ. فجاءت تصرخ يا أيوب يا أيوب: حتى متى يعذبك ربك، ألا يرحمك، أين الماشية، أين المال، أين الولد، أين الصديق، أين لونك الحسن قد تغير وصار مثل الرماد أين جسمك الحسن الذي قد بلي وتردد فيه الدواب اذبح هذه السخلة واسترح.

قال أيوب: أتاك عدو الله فنفخ فيك فوجد فيك رفقا وأجبتة، ويلك! أرايت ما تبكين عليه مما تذكرين مما كنا فيه من المال والولد والصحة والشباب؛ من أعطانيه؟ قالت: الله .

قال: فكم متعنا به؟ قالت: ثمانين سنة. قال: فمذكم ابتلانا الله بهذا البلاء الذي ابتلانا به؟ قالت: منذ سبع سنين وأشهر. قال: ويلك! والله ما عدلت ولا أنصفت ربك ألا صبرت حتى نكون في هذا البلاء الذي ابتلانا ربنا به ثمانين سنة كما كنا في الرخاء ثمانين سنة. والله لئن شفاني الله لأجلدنك مئة جلدة. ثم إن طعامك وشرابك الذي تأتيني به عليّ حرام. واغربي عني فلا أراك فطردها فذهبت.

ثم توجه العبد الصابر بدعوة إلى الرب الرحيم ليرفع مابه من ضر، كما قال تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [سورة الأنبياء ٢١/٨٣] فكشف الله ما به من ضر، فقال: ﴿فَأَسْتَجِبْنَا لَهُ فَعَشِفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَمِمَّا كَرِهَ الْغَافِقِينَ﴾ [سورة الأنبياء ٢١/٨٤].

ثم إن هذه الزوجة من رحمتها بزوجها لم تأبه بطرده لها، بل عادت إليه وقالت: وإن كان طردني، إلى من أكله؟ أأدعه يموت جوعاً؟ أو يضيع فتأكله السباع!، لأرجعن إليه، فرجعت لكن عندما وقفت على مكانه لم تجده، ووجدت مكانه رجلاً صحيحاً معافاً. أخذت تسأله عن زوجها العليل وهي تبكي؟!!

فقال لها: أنا أيوب الذي أمرتني أن أذبح للشيطان، وإني أطعت الله وعصيت الشيطان، فدعوت الله فرد علي ما ترين.

ثم إن الله رحمها بصبرها معه على البلاء، فأمره تخفيفاً عنها أن يأخذ جماعة من الشجر فيضربها ضربة واحدة تخفيفاً عنها بصبرها معه، فقال -جل ثناؤه- : ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْتًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنُتْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نَعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [سورة ص ٣٨/٤٤] فأثنى عليه ومدحه بأنه: ﴿نَعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ أي: رجاع منيب". ولهذا قال جل جلاله: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۗ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۗ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ ۗ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [سورة الطلاق ٦٥/٢-٣] (١).

فكانت هذه الرحمة والشفقة والعطف مما يقوي الصلابة بين الزوجين ويؤكدها.

(١) انظر جامع البيان ٧٠/١٧ - ٧٢، تفسير ابن كثير ٤١/٤١، الجامع لأحكام القرآن ١٥/٢١٣.

كذلك كان رسول الله ﷺ شديد الرحمة بزوجاته وحسن العشرة بهنّ، والصفح عن زلاتهنّ، واحتمال هفواتهنّ، والأمثلة على هذا كثيرة.

علاقة الرحمة والشفقة واللين بصحبة الأقربين:

لما كانت الرحمة والشفقة غريزة فطرية في النفس تنبض وتشع لتغمر جميع من يتصل بالإنسان، تنوعت صورها.

ومن ذلك أنه تشمل جميع من تجمعهم صلة قرابة، فتأخذ منزلة أخرى أو لاها الإسلام عناية وأهمية عظيمة إنها صلة الرحم، التي حث عليها كما في الحديث القدسي. ((يقول الله تعالى أنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمي من وصلها وصلته ومن قطعها بتته))^(١).

فهذا التكريم للرحم حيث اشتق اسمها من اسم الله الرحمن، الذي يفيد الاتصاف بالرحمة البالغة، وهذا دليل على أنهما من أسباب توثيق الصحبة بين الأقارب بعضهم مع بعض.

علاقة الرحمة والشفقة واللين بصحبة المقارنة:

هذا الأساس هو السمة والعلامة البارزة في التعامل السلوكي فيما بين التابع والمتبوع سواء كان هذا المتبوع رئيسا أو مديرا أو شيخا أو معلما.... وسواء كان التابع مرؤوسا أو موظفا أو تلميذا... أو غير ذلك . فتكون الرحمة فيما بينهم بالاحترام والتقدير.

مثالهم في ذلك ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه في تعامل فيما بينهم، كما بين ذلك قوله تعالى: ﴿فِيمَا رَحِمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [سورة آل عمران ١٥٩/٣].

كذلك وصف الحق تبارك وتعالى أصحابه رضوان الله عليهم، بالرحمة، قال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [سورة الفتح ٢٩/٤٨]. أي: رحماء في التعامل فيما بينهم، متعاطفون، رقيقة قلوب بعضهم لبعض، لينة أنفسهم هينة كأهم جسد واحد^(٢).

(١) سبق تخريجه ٦٤.

(٢) انظر: جامع البيان ١٠٩/٢٦، تفسير ابن كثير ٢٠٤/٤، تفسير ابن سعدي ٧٩٥.

وقال رسول الله ﷺ: ((ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ويعرف حق كبيرنا))^(١). وما هذا إلا لتسود الرحمة والشفقة واللين جميع العلاقات، الرئيس و المرؤوس، الصغير و الكبير فبالرحمة والشفقة واللين يستطيع كل منهم فهم الآخر والتعامل معه لتحقيق الهدف المنشود بينهم.

علاقة الرحمة والشفقة واللين بالصحة بين الجيران:

تتجلى المكانة الرفيعة لخلق الرحمة والشفقة بين الجيران في الإسلام حين نرى اقتران حق الجار بالإيمان بالله تعالى واليوم الآخر، كما في قوله ﷺ: ((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره))^(٢).

وقد روي عن النبي ﷺ أنه ((كان له جار يهودي لا بأس بخلقه، فمرض فعاده رسول الله ﷺ في أصحابه، فقال: أتشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله. فنظر إلى أبيه، فسكت أبوه، وسكت الفتى، ثم الثانية ثم الثالثة، فقال أبوه في الثالثة: قل ما قال لك. ففعل ثم مات. فأرادت اليهود أن تليه. فقال: النبي ﷺ نحن أولى به منكم، فغسله وكفنه النبي ﷺ وحنطه وصلى عليه))^(٣).

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک (١/١٣٠٩ ح ٢٠٩) وقال: حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجه، والإمام أحمد في المسند (٢/١٨٥ ح ٦٧٣٣) وصححه الألباني في صحيح الترغيب ١٠٠.

(٢) سبق تخريجه ص ٩٤.

(٣) انظر: المصنف في الأحاديث والآثار، أبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٠٩ هـ. ٣٥-٣٤/٦. نصب الراية لأحاديث الهداية، عبدالله بن يوسف أبو محمد الحنفى الزيلعي، دار النشر: دار الحديث - مصر - ١٣٥٧، تحقيق: محمد يوسف البنوري. ٢٧١/٤.

الرحمة والشفقة واللين بالصحة في السفر:

لما كانت الرحمة خلقاً ربانياً، ربي الله بها عباده المتقين في كل أحوالهم سواء كانوا في الحضر أو السفر، فأمر بها في كل تعاملاتهم، وحث عليها في تقديم العون خاصة في حال السفر الذي هو مظنة المشقة والعناء، كيف لا وقد رخص للمسافر ما لم يرخص للمقيم من قصر للصلاة والإفطار في حال الصيام ومسح للخفين وغير ذلك من الأحكام المتقدمة الذكر.

ومن صور تلك الرحمة؛ حمل متاعه، وتقديم الطعام والشراب له، ومن ذلك ما روي عن أنس رضي الله عنه قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في السفر؛ فمنا الصائم ومنا المفطر. قال: فنزلنا منزلاً في يوم حار، أكثرنا ظلاً صاحب الكساء، ومنا من يتقي الشمس بيده. قال: فسقط الصوم، وقام المفطرون؛ فضربوا الأبنية، وسقوا الركاب. فقال: رسول الله صلى الله عليه وسلم ((ذهب المفطرون اليوم بالأجر))^(١).

كذلك توجيهه إن ضل الطريق، وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، وهذا حاله مع كل من عرفه، ومن لم يعرفه، يقدم لهم العطف والحنان والحب، جاعلاً نصب عينيه قول النبي صلى الله عليه وسلم: ((مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم مثل الجسد الواحد))^(٢). فهذا التشبيه والربط بهذه الرابطة (رابطة الإيمان هو أساس الرحمة الشاملة التي جعلت كلا منهم يحس بإحساس أخيه فكانوا كما قال عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً))^(٣) (٤).

وممثلاً بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالرِّحْمَةِ﴾ [سورة البلد ١٧/٩٠] أي: "للخلق من إعطاء محتاجهم، وتعليم جاهلهم، والقيام بما يحتاجون إليه من جميع الوجوه، ومساعدتهم على المصالح الدينية والدنيوية، وأن يجب لهم ما يجب لنفسه ويكره لهم ما يكره لنفسه، فإن كان ممن قام بهذه الأوصاف كان ممن وفقهم الله لاقتحام العقبة، وذلك لأنهم

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٢/٧٨٨ ح ١١١٩).

(٢) سبق تخريجه ١٣٦.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب تعاون المؤمنين بعضهم مع بعض (٥/٢٢٤٢ ح ٥٦٨٠)، ومسلم في

صحيحه، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم (٤/١٩٩٩ ح ٢٥٨٥).

(٤) الأخلاق في ضوء القرآن والسنة، الدكتور: عمر هاشم ٧٧ بتصرف.

أدوا ما أمر الله به من حقوقه وحقوق عباده وتركوا ما نهوا عنه وهذا عنوان السعادة وعلامتها^(١).

علاقة الرحمة والشفقة واللين بصحبة غير البشر:

لم تقتصر مظاهر الرحمة والشفقة واللين على الإنسان فحسب بل تعدته لتشمل جميع الأحياء على وجه الأرض، من نبات وحيوان. فمن رحمة الإنسان بالنبات الذي جعله الله رزقه منه، عنايته به من خلال زرعه وسقيه والعناية به، وعدم إتلافه أو التسبب في إتلافه بأي صورة من الصور.

كذلك نرى الإسلام حث على الرحمة بالحيوان والرفق والعطف عليه، ومن ذلك ما روى عن النبي ﷺ كان في بعض أصحابه فقال: ((بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش، فوجد بئراً فنزل فيها، فشرب ثم خرج، فإذا كلب يلهث، يأكل الثرى من العطش. فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ بي. فنزل البئر فملاً خفه، ثم أمسكه بفيه، فسقى الكلب. فشكر الله له، فغفر له. قالوا: يا رسول الله وإن لنا في البهائم أجراً! فقال: ((في كل ذات كبد رطبة أجر))^(٢).

كذلك قوله ﷺ: ((ما من مسلم يغرس غرساً إلا كان ما أكل منه له صدقة وما سرق منه له صدقة وما أكل السبع منه فهو له صدقة وما أكلت الطير فهو له صدقة ولا يرزؤه أحد إلا كان له صدقة))^(٣).

كذلك جعل الرحمة سبباً لدخول الجنة، كما في حديث المرأة البغي التي سقت الكلب. كذا كان انعدام الرحمة سبباً لدخول النار كما في قصة المرأة التي حبست الهرة ومنعتها أن تأكل من خشاش الأرض، وغير ذلك من الأحاديث المتقدمة الذكر في مبحث صحبة غير البشر.

(١) تفسير ابن سعدي ٩٢٥.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، رحمة الناس بالبهائم (٥/٢٢٣٨-٢٢٣٩ ح ٥٦٦٣).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، (٣/١١٨٨ ح ١٥٥٢).

(وهكذا نرى كيف اتسعت دائرة الرحمة في الإسلام حتى شملت القريب والبعيد، الإنسان والحيوان. ولا غرابة في هذا فإن الله تعالى هو الرحمن الرحيم، وهو الذي أرسل رسوله رحمة للعالمين، فالرحمة – والشفقة واللين – هي أساس جوهر الرسالات السماوية، في ظلها تنعم الأمم بالأمان والاستقرار^(١). وتقوم الصحة بمعانيها السامية فيما بين أفراد تلك الأمم. ولتحقيق هذه الرحمة بمعانيها لا بد لكل إنسان أن يسلك مسلكها لتأخذ الرحمة منه مسلكها الذي يرتضيه الله، هذا الطريق هو طاعة الله ورسوله، تحقيقاً أو امتثالاً لقوله تعالى:

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [سورة آل عمران ٣/١٣٢]. فالله هو الرحمن الرحيم ونبيه هو الرحمة المهداة للعالمين ، فمن أطاعهما نال وسام الرحمة المرجوة.

(١) الأخلاق في ضوء القرآن والسنة ٨٠.

المبحث الثالث: أساس المحبة (١)

إن الحُبَّ في الإسلام مقام جليل، وانفعال فطري، ونعمة من نعم الله العظيمة، إذ إنه أساس في جميع شؤون حياة الإنسان. وهو أحد عنصري غاية الوجود الإنساني في هذه الحياة، ألا وهي العبودية لله، التي تتمثل في عنصرين متكاملين في غايتهما، هما: الذل والمحبة^(٢). وهو كما عبر عنه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فقال: "أصل كل فعل وحركة في العالم من الحب، فهو أصل كل فعل ومبدؤه"^(٣).

ولأنه فضيلة ومعنى سام، وينبع من النفس فيفيض منها على من حولها، نجد أن الله -جل ثناؤه- أولاه عناية خاصة في كتابه العزيز، وكذا ما أوحى به إلى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، فمن تلك العناية بهذا الموضوع ورود كلمة (الحُبِّ) في أكثر من ثلاثة وثمانين موضعاً في كتابه العزيز، وبمعانٍ مختلفة، منها^(٤):

١. أن الله -سبحانه وتعالى- جعل الحب أو المحبة من أعلى مقامات العبودية، إذ إن العبادة تقوم على الحب والخوف والرجاء، فجعل الحب هو إمامها وقائدها، فكل محبة فهي مصحوبة بالخوف والرجاء وعلى قدر تمكنها من قلب المحب يشتد خوفه ورجاؤه، ولذا قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ [سورة البقرة ١٦٥/٢].

٢. أن الله -جلا جلاله- جعل المحبة واتباع الرسل الطريق الموصل إلى حقيقة حبه، حيث قال -جل ثناؤه-: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة آل عمران ٣١/٣].

(١) الحب لغة: الوداد، وهو نقيض البغض. والمحبة: مصدر ميمي، وهي مشتقة من أحبه إذا لزمه. قال الراغب ١٣٦: "الحب انجذاب النفس إلى الشيء الذي ترغب فيه، وتظنه خيراً". وقيل المحبة: الميل إلى ما يوافق الحُبَّ، وقد تكون بحواسه كحسن الصورة، أو بفعله إما لذاته كالفضل والكمال، وإما لإحسانه كحلب نفع أو دفع ضرر. انظر فتح الباري ١/٧٤.

(٢) الصداقة في الإطار الشرعي، الدكتور: عبد الرحمن الزنيدي، دار الوراق، بيروت، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ. ٥٥.

(٣) قاعدة في المحبة، أحمد ابن تيمية، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة. ٨.

(٤) انظر مدارج السالكين ١/٩٩.

٣. أن الحبَّ صفة من صفات الله ^(١) يصرفها لمن يشاء، وقد بين سبحانه في كثير من الآيات أنه يصرفها لمن عمل أعمالاً وتحلى بصفاتٍ يحبها ويرضى عنها، فمن ذلك حبه للمتقين كما في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [سورة التوبة ٤/٩] و حبه للمحسنين، كما في قوله: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة البقرة ١٩٥/٢]. و حبه للتوايين والمتطهرين، كما في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [سورة البقرة ٢٢٢/٢].... وغيرها من الآيات.

٤. جعل الحب من صفات المؤمنين والمؤمنات فيما بينهم، والدافع لهم لمكارم

الأخلاق التي يحبها الله ورسوله ﷺ، قال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ [سورة المائدة ٥٤/٥]. كذلك جعله الدليل على قوة إيمانهم والدافع لحب من آمن مثلهم، كما امتدح بذلك الأنصار، حيث قال فيهم: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [سورة الحشر ٩/٥٩].

٥. أن الله - جل ذكره - ذكر أنواعاً للحب الفطري لدى الإنسان، وبين أنها من المشاعر والغرائز التي جبل عليها بنو البشر؛ كمحبة النفس والزوجة والأبناء والأموال وغيرها من الشهوات التي جمعها في قوله تعالى: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَقَابِ﴾ [سورة آل عمران ١٤/٣]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَبُحَيْرَةٌ مَخْشُونَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [سورة التوبة ٢٤/٩]، حيث أثبت محبة الإنسان لما ذكر، وحذر في

(١) وهي محبة تليق به تعالى على المعنى الذي أراده، ومن لوازم هذه المحبة: إرادة الهدى، والتوفيق في الدنيا، والرضا، وحسن الثواب في الآخرة. انظر الحب والبغض في القرآن، مها الجار الله، دار ابن حزم، بيروت، ط: ١، ١٤٢٢ هـ. ٦٣.

الوقت نفسه عن تقديم حبها على حب الله ورسوله والجهاد في سبيله، ونهى عن الإفراط في هذا الحب فحده بضوابط وتوجيهات، وأمر بالعناية به والتدقيق والاعتدال فيه دون إفراط أو تفريط حتى لا يكون صارفاً له عن الحق.

٦. كذلك ذكر أنواعاً للحب المنحرف والشاذ، بهدف التحذير منها حتى لا يقع

فيها الإنسان المؤمن، كحب امرأة العزيز ليوסף عليه السلام، كما في قال تعالى: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَنَّهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [سورة يوسف ٣٠/١٢]، وكذا ما كان بين قوم لوط عليه السلام، من الميل الشاذ في هذه العاطفة، كما في قوله: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ [سورة الأعراف ٨١/٧].

٧. تحريمه لما من شأنه المساس بأمر المحبة بين المؤمنين، ويؤدي إلى قطع الصلات فيما

بينهم؛ كتحريمه للنميمة والغيبة وسوء الظن، كما في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَجْتَبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا يَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة الحجرات ١٢/٤٩]. وغيرها من الآيات.

كذلك السنة النبوية المطهرة جاءت زاخرة بالأحاديث الشريفة التي تبين المكانة العظيمة للمحبة، فمن ذلك:

١. أن الرسول ﷺ بين أن الإنسان لا يكون مؤمناً إلى إذا أحب الله وأحب الرسول ﷺ، وكان حبه لهما أكد من أي حب، فجعله شرطاً للإيمان، كما قال ﷺ: ((لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين))^(١).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب حب الرسول ﷺ من الإيمان (١٤/١ ح رقم ١٥)، ومسلم في صحيحه، باب وجوب محبة رسول الله ﷺ، أكثر من الأهل والولد والناس أجمعين (١/٦٧ ح ٤٤).

٢. كذلك جعل الحب من ثمرات الإيمان والتي يجد بها المؤمن حلاوة الإيمان، كما في قوله ﷺ: ((ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار))^(١).

٣. أن النبي ﷺ قرن وربط بين الإيمان والحب، فبين أن الإيمان لا يكون صحيحاً ولا كاملاً إلا بالحب، فقال: ((لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه))^(٢).

٤. كذلك جعل الحب مما يوثق به الإيمان ويستكمل، كما في قوله ﷺ: ((من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله فقد استكمل الإيمان))^(٣).
ومما تقدم نخلص إلى أن الإنسان إذ أحب ربه أحب رسوله ﷺ، وإذا أحبه الله جعل له حياً في قلوب العباد، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [سورة مريم ١٩/٩٦]. أي محبة وودادا في قلوب أوليائه^(٤).

كما في قوله ﷺ: ((إن الله إذا أحب عبدا دعا جبريل. فقال: إني أحب فلانا فأحبه. قال: فيحبه جبريل. ثم ينادي في السماء، فيقول: إن الله يحب فلانا فأحبوه. فيحبه أهل السماء. قال: ثم يوضع له القبول في الأرض. وإذا أبغض عبدا دعا جبريل. فيقول: إني أبغض فلانا فأبغضه قال فيبغضه جبريل. ثم ينادي في أهل السماء: إن الله يبغض فلانا فأبغضوه. قال: فيبغضونه، ثم توضع له البغضاء في الأرض))^(٥).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان (١٤/١) ح رقم ١٦).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه (١٤/١) ح رقم ١٣،
ومسلم في صحيحه، باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه (١٧/١) ح رقم ٤٥).

(٣) رواه أبو داود في سننه (٤/٢٢٠) ح رقم ٤٦٨١) باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه، والطبراني في المعجم الكبير (٨/٣٤٨) ح رقم ٧٦١٣، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٣٨٠، وصحيح الجامع ٥٩٦٥.

(٤) تفسير ابن كثير ١٤١/٣، تفسير أبو السعود ٢٨٣/٥، تفسير ابن سعد ٥٠١.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه، باب إذا أحب الله عبدا حبه إلى عباده (٤/٢٠٣) ح رقم ٢٦٣٧).

إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أَمْرِمُوسَىٰ فَرِحًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتِ لِأَخْتِهِ قُصِّيه فَبَصَّرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ * وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَىٰ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ [سورة القصص ٧/٢٨-١٣].

و هذا نبي الله إسماعيل - عليه السلام - يضرب لنا مثلاً للحب الذي يقدمه الابن لأبيه وأمه مهما بلغت قيمته، في دليل على عمق معنى الصحبة بينهما، إذ يقول لأبيه عندما أخبره أنه رأى في المنام أنه يذبحه: افعل ما تؤمر. كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعَىٰ قَالَ يَبْنَؤُا إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾ قَالَ يَتَأْتِيَ فَعَلَّ مَا تَوَمَّرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿سورة الصافات ١٠٢/٣٧﴾ لقد دفعه حبه لوالده أن يقول له هذا، ولأنه نشأ في بيت ملاً الحب أركانها، نشأ قوياً عزيزاً شجاعاً واثقاً.

ولن يتحقق هذا إلا إذا عم الحب والوئام الأسرة المسلمة فبنشأ فيها الأبناء نشأة قوية، عندهم عزة وشجاعة وثقة بالنفس، ملاًها الطمأنينة والأمان فيدفعهم هذا الحب إلى البر بوالديهم ووصولهم، والقيام بجميع شؤونهم في حال الكبر والمرض، امتثالاً لأمره سبحانه عندما أمر بالإحسان إليهما في قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا فِئًا وَلَا نَهْرَهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [سورة الإسراء ٢٣/١٧].

وهذا ما وصف الله به أنبياءه بأنهم بارون بأبائهم، وما ذاك إلا لبيان أن الحب هو الدافع للبر والصلة بالآباء والأمهات، فقال تعالى مادحاً نبيه يحيى - عليه السلام - بقوله: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ [سورة مريم ١٤/١٩] وكذا قال عن عيسى - عليه السلام -: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ [سورة مريم ٣٢/١٩].

أما إذا نزع عاطفة المحبة من البيت المسلم فإن هذا ينعكس على تصرفات جميع أفرادها، فيعم البغض والكرهية فيما بينهم، وتسود القطيعة والعقوق. مما يبين أن الحب هو أساس لإحسان الصحبة بين الابن ووالديه في حال حياتهما وماتهما.

علاقة المحبة بالصحبة بين الزوجين:

إن الحب هو أساس قيام علاقة الزوجية فيما بين الرجل والمرأة، وهو الأساس الذي ذكر في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُفَكِّرُونَ﴾ [سورة الروم ٢١/٣٠] فترى أن عقد الزواج يبدأ بالإيجاب والقبول، ثم يبدأ شعور المحبة ينمو بين الطرفين، ويسكن كل منهما إلى الآخر، ويبدأ الرجل منساقاً بعاطفته نحو المرأة وكذا هي منجذبة نحو الرجل، وهذه غريزة لا ينكرها إلا الشاذ. وقد قال رسول الله ﷺ: ((حب إلى النساء والطيب))^(١).

وهذا من سماحة الإسلام الذي رعى هذه الغرائز والفطر وحكمها بحكمه، فبين لها الطريق الصحيح لتفريغها، فأباح الزواج ليفرغ كل منهما ما بداخله من عواطف في ظل ما شرعه الله وارتضاه. وحرّم كل ما من شأنه المساس بكيان هذه العلاقة أو ما يخالف الفطر، فحرّم الزنا وحرّم فعل قوم لوط، وما ذاك إلا أنهم صرفوا هذه الشهوة في غير محلها.

فإذا كان الحب هو سيد العلاقة التي تربط بين الزوجين قامت بينهما الصحبة التي تستوجب عليهما القيام بحقوق كل منهما نحو الآخر، فيقوم الزوج بمعاشرة زوجته بالمعروف، ويصونها ويحفظها ويتفنن في إسعادها بكل ما يمكنه مادياً ومعنوياً.

وهي كذلك تبادل الحب بالحب، والإحسان بالإحسان، والحفظ بالحفظ، فتقوم بتلبية رغباته الحسية والمعنوية والعاطفية. إلخ. (فهذا الحب هو المعين لهما على تحقيق ما شرع الله، من إعفاف أنفسهما فلا تطمح إلى الحرام، وكلما كانت المحبة بين الزوجين أتم وأقوى كان هذا هو المقصود من هذه العلاقة)^(٢).

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک (٢/١٧٤ ح ٢٦٧٦) وقال: حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وأحمد في المسند (٣/١٩٩ ح ١٣٠٧٩) والنسائي في سننه (٥/٢٨٠ ح ٨٨٨٨).

(٢) إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان، ابن القيم، تحقيق: محمد حامد الفقي دار المعرفة، بيروت، ط: الثانية، ١٣٩٥ هـ. ١٧٣/٢.

ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة في هذا المجال، حيث يضرب لنا أروع المثل في حبه وحسن صحبته لزوجاته ﷺ، فهذا هو ذا يحب زوجته خديجة ﷺ، ويجب إكرام صويحباتها حتى بعد مماتها، وهذا هو ذا يعلن حبه لعائشة ﷺ، وذلك عندما سئل عليه الصلاة والسلام، ((أي الناس أحب إليك؟ قال: عائشة))^(١). في إشارة منه إلى أنه ليس عيباً البوح بهذه العاطفة. ولأنه أحسن صحبة زوجاته رضوان الله عنهن، قابلنه بالحب والتوقير حتى إن إحداهن تتنازل عن حقها فيه لضرتها في مقابل أن تبقى معه في الدنيا وتحشر معه في الآخرة.

كذلك بين لنا المولى جل ثناؤه أن هذه العاطفة لا يتحكم في اختيارها الإنسان، بل هي هبة من الله يمنحه لمن يشاء، كما بين ذلك في حال تعدد الزوجات فقال: ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [سورة النساء ٤/١٢٩]. أي: "فلا تميلوا بأهوائكم ممن لم تملكوا محبتهم فتجوروا عليهم في ترك أداء الواجب لهم عليكم من حقوق المعاشرة والقسمة"^(٢). وذلك لأن العدل بينهم يستلزم وجود المحبة^(٣). وهذا الميل الطبيعي بمحبة بعضهن أكثر من بعض أمر غير مستطاع دفعه للبشر، لأنه انفعال وتأثير نفساني وليس فعلاً^(٤). في إشارة إلى أن الحب هو أساس تلك العلاقة الكريمة.

علاقة المحبة بصحبة الأقربين:

فبعد أن حوت دائرة المحبة الأبوين ثم الزوجة والأبناء، هاهي ذي تتسع لتشمل جميع من يحيط بهم من أولي قرابته سواء كانوا إخوة أم أخوات، أم أعماماً أم عمات، أم أخوالاً أم خالات فييادهم الحب ويتعامل معهم بالحب النابع من إيمانه بالله الذي أمره بالإحسان لأولي القربى، كما قال تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ﴾ [سورة النساء ٤/٣٦] وقال: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ [سورة الشورى ٤٢/٢٣].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب قول النبي ﷺ لو كنت متخذاً خليلاً (٣/١٣٣٩ ح ٣٤٦٢)، ومسلم في صحيحه، باب فضائل أبي بكر الصديق، (٤/١٨٥٦ ح ٢٣٨٤).

(٢) جامع البيان ٥/٣١٣-٣١٤.

(٣) تفسير ابن سعدي ٢٠٧.

(٤) أضواء البيان ٣/٢٢.

فهذه المودة هي المحبة والمعاملة الحسنة، والدافع إلى تقديم ما ينفع من أمر بالمعروف ونهي عن المنكر لجميع الأقربين، كما كان من حال سيد البشر محمد ﷺ، فقد روي أنه قال: ((حين أنزل عليه ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [سورة الشعراء ٢٦/٢١٤] يا معشر قريش اشتروا أنفسكم من الله لا أعني عنكم من الله شيئاً! يا بني عبد المطلب لا أعني عنكم من الله شيئاً! يا عباس بن عبد المطلب لا أعني عنك من الله شيئاً! يا صفية عممة رسول الله لا أعني عنك من الله شيئاً! يا فاطمة بنت رسول الله سليمان ما شئت لا أعني عنك من الله شيئاً!))^(١).

كذلك حبه لعمه أبي طالب وما أنزل الله فيه من آيات حيث قال: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [سورة القصص ٢٨/٥٦].

وكذلك حب يوسف عليه السلام لإخوته وعفوه عنهم رغم ما لاقى منهم من أذى، قال تعالى: ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [سورة يوسف ١٢/٩٢]. كل هذا كان دافعه الحب والإحسان والصحبة الحسنة.

أما عن علاقة المحبة بأنواع صحبة المقارنة:

فإنه إذا كان الحب الخالص النابع من الإيمان متعمقا في النفوس شع وفاض على كل من يجمع بينهم سواء كانت صحبتهم صحبة متبوع لتابع أم العكس، فإن الحب هو الذي يحكم تلك العلاقات ويرقى بها، وهذا ما كان واضحا جليا في عهد النبوة، فلقد أحب المؤمنون الأوائل رسول الهدى ﷺ، فامتثلوا لأوامره ونواهيه، و لزموه ليبينوا له مدى حبهم له، والقصص في هذا كثيرة لا مجال لبسطها.

لكن هناك صورة ميزها الله في كتابه، إنها صورة مؤاخاتة بين المهاجرين والأنصار، ليين مدى الحب الذي ملاً قلوبهم بهذا الدين، فقال تعالى عنهم: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [سورة الحشر ٥٩/٩].

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، باب قوله: (وأنذر عشيرتك الأقربين) (١/١٩٢ ح ٢٠٦).

فقد ضربوا لنا أعظم مثل في الحب، فمن شدة حبهم لرسول الله ﷺ بايعوه على حفظه كما يحفظون أنفسهم، وأموالهم، وأهليهم. ثم هاهم أولاء يحبون ويؤثرون إخوانهم الذين هاجروا وتركوا خلفهم الأهل والأموال، هاهم يواسونهم ويقدمون لهم أموالهم وأهليهم، ولو كان بهم حاجة أو فاقة^(١).

كذلك حبهم لرسول الله ﷺ وتعاملهم معه يعطي دروساً في التعامل، تعامل الراعي مع الرعية و الرعية مع الراعي، سواء كان قائداً أم حاكماً أم معلماً أو غير ذلك ممن جمعت بينهم أي نوع من الصحبة.

فإذا كان الحب أساساً في التعامل والصحبة بين المدير أو المسؤول أو المعلم أو الشيخ مع من هم في مسؤوليته من موظفين أو عمال أو متعلمين، سار العمل و ما يُطمح إليه على الوجه المطلوب، وساد الوفاق فيما بينهم. وكذلك ينتشر العلم، وترتقي الأمة بهم.

كذلك إذا شاع الحب بين الجيران وشعر كل منهم بجاره، عم الأمن والأمان والطمأنينة حيهم. أما إذا غاب الحب تفتشت الكراهية والبغض فيما بينهم.

وكذا إذا كان الإنسان في سفر وجمع الحب بينه وبين من حوله على اختلافهم واختلاف وجهاتهم، فإنه يزيل ما في نفوسهم من وحشة السفر، فتستقر النفوس وتهدأ، ويبعد عنها هاجس الخوف فيشعرون بالراحة والطمأنينة.

إما إذا غُيب هذا الشعور، وطغى على الإنسان حبه لذاته، فإنه لن يفلح أبداً في أي عمل يقوم به، لأنه لا يستطيع القيام به بمفرده، وإذا قام معه أحد كان العمل غير متقن، بخلاف ما إذا قام معه من كان محباً له ولهذا النوع من العمل، فإنه يكون أكثر إتقاناً.

وبهذا يتبين أن الحب عامل مهم في الترابط بين أفراد المجتمع، وأساس لقيام علاقة الصحبة فيما بينهم، ليرتقوا إلى أفضل الدرجات، وليعم الأمن والأمان بينهم. كما كان سائداً في عهد رسول الله ﷺ، الذي نشر الحب بين المسلمين من مهاجرين وأنصار، أو غيرهم،

فأصبحوا بهذا الدين إخواناً متحابين، كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِبَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾^(١٢)

وَأَلْفَ بَيْتٍ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتْ بِئِنَّ قُلُوبَهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ

(١) انظر جامع البيان ٢٨/٤٠-٤٤، تفسير أضواء البيان ٨/٥٥٢، تفسير ابن سعدي ٣٥٠.

عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿سورة الأنفال ٦٢/٨-٦٣﴾، وأصبح كل منهم يحب لأخيه المسلم ما يجب نفسه، فحققوا الإيمان والحب، فأثابهم الله بتحقيق النصر لهم في الدنيا، وسيجمعهم في الآخرة إخوانا على سرر متقابلين في جنات النعيم.

علاقة المحبة بصحبة غير البشر:

إن الإنسان بطبعه يحب ما حوله من أشياء، خاصة تلك التي لها علاقة معه كالزراع الذي يزرعه، وأنواع من الحيوانات، التي يألفها، وهذا مما أباحه الله وبينه في كتابه حيث قال: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ﴾ وذكر منها: ﴿وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَقَابِ﴾ [سورة آل عمران ١٤/٣].

كذلك ذكر أن نبيه سليمان عليه السلام أحب الخيل فقال: ﴿فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ [سورة ص ٣٢/٣٨].

كذا قال عن حب الزرع الأخضر فقال: ﴿كَزْرَعٍ أَخْرَجَ شَطْهَهُ فَفَازَرَهُ، فَاسْتَعْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرْعَ لِيَغِيظَ بِهِمْ﴾ [سورة الفتح ٢٩/٤٨].

ثم إن الله جل جلاله حذر من أن تكون هذه المحبوبات مما يصرف عن أمره أو يكون سببا في الهلاك، كما بين ذلك في قصة صاحب الجنتين، الذي طغى عليه حب الزرع وحب المال والولد فأشرك بالله بسبب هذه المحاب، كما قال تعالى: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا﴾ [سورة الكهف ٣٥/١٨] فما كان من صاحبه إلا أن بين له أن هذه النعم كلها من عند الله، وأنه لا ينبغي أن يطغى حبها على حب الله، كما سيأتي بيان ذلك - إن شاء الله -.

ثم لما كان هذا الأساس هو المتحكم في عواطف الإنسان، فقد بين وحذر المولى جل ثناؤه من الإفراط في صرف هذه العاطفة والآن تعلق على محبة الله أو تصرف عن شيء يريد الله، وإلا كانت سببا في نزول العذاب، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ

مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يُهْدِي الْقَوْمَ ﴿﴾ [سورة التوبة ٢٤/٩].

ولأهمية الحب وأثره الفعال في تقوية الروابط بين جميع من ارتبط بالإنسان بصلة قرابة أو صلة صحبة أو غيرها من الصلات، وأثر هذه الروابط على المجتمع، فقد أرشد المصطفى ﷺ إلى وسائل تقوي هذا الأساس وتنشره بين أفراد المجتمع، فمنها^(١):

١٠١ الهدية؛ " وذلك لما فيها من التأليف والدعوة إلى المحبة"^(٢). كما في قوله ﷺ: ((تهادوا تحابوا))^(٣). وفي رواية: ((تهادوا فإن الهدية تذهب وجر الصدر))^(٤).

١٠٢ إفشاء السلام، لقوله ﷺ: ((ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم، أفشوا السلام بينكم))^(٥).

١٠٣ الإفساح في المجالس، لقوله تعالى: ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ فَفَسِّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ [سورة المجادلة ١١/٥٨] فهذا مما يزيد في المحبة والمودة بين الإخوان^(٦).

١٠٤ قضاء الحاجات وتفريج الكرب، كما قال ﷺ: ((المسلم أخو المسلم لا يظلمه، ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة))^(٧).

وغيرها من الوسائل .

(١) انظر: هذه أخلاقنا حين نكون مؤمنين حقاً، محمود الخزندار، دار طيبة، الرياض، ط: الرابعة، ١٤٢٠هـ. ١٦٢.

(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين محمود بن أحمد العيني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٩٢/٩٠، تحفة الأحوذى ٢٥٨/٣، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، أبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ١٣٨٧هـ. ٧١/٢١-١١٦/٦.

(٣) رواه البيهقي في السنن الكبرى (١٦٩/٦ ح ١١٧٢٦) كتاب الهبات، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٣٠٠٤.

(٤) رواه الإمام أحمد في مسنده (٤٠٥/٢ ح ٩٢٣٩).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون، وأن محبة المؤمنين من الإيمان (٧٤/١ ح ٥٤٠٤).

(٦) التفسير الكبير ٢٩/٢٢٣.

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المظالم، باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه (٨٦٢/٢ ح ٢٣١٠)، ومسلم في صحيحه، باب تحريم الظلم (٤/١٩٩٦ ح ٢٥٨٠).

ولقد رتب المولى جل ثناؤه على هذا الأساس الجزاء في الدنيا والآخرة؛ ففي الدنيا:

٠١ تحقيق محبة الله للعبد المؤمن، كما في قوله ﷺ: ((وجبت محبتي للمتحابين في))^(١).

٠٢ انتشار الحب بين المؤمنين عموماً والأصحاب خصوصاً، تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّ

الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [سورة مريم ١٩/٩٦].

٠٣ إحساس المتحابين بالرضا والراحة النفسية.

٠٤ بعث الثقة في النفوس المتحابية، وبث روح التعاون فيما بينهم.

٠٥ أداء الحقوق والواجبات بين المتحابين.

أما في الآخرة:

فإن جزاء المتحابين في الله المغفرة من الله والرضوان، والدخول في ظله يوم لا ظل إلا ظله، كما

في حديث السبعة الذين يظلهم الله، وذكر منهم: ((رجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا

عليه))^(٢). وكذا في قوله ﷺ: ((إن الله يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي؟ اليوم أظلمهم في

ظلي يوم لا ظل إلا ظلي))^(٣). والرزق الوفير، وكذلك يجمعهم على سرر متقابلين، كما قال

تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [سورة الحجر ١٥/٤٧].

وغير ذلك مما سيأتي بيانه مستقبلاً.

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک (٤/١٨٦ ح ٧٣١٤) وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وابن حبان في

صحيحه (٢/٣٣٥ ح ٥٧٥) وأحمد في مسنده (٥/٢٣٣ ح ٢٢٠٨٣).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجماعة والإمامة، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة (١/٢٣٤ ح ٦٢٩)،

ومسلم في صحيحه، باب فضل إخفاء الصدقة (٢/٧١٥ ح ١٠٣١).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، باب فضل الحب في الله (٤/١٩٨٨ ح ٢٥٦٦).

المبحث الرابع: أساس حسن الظن^(١)

حسن الظن من الأخلاق التي جاء الحث عليها في كتاب رب العزة والجلال، وكانت سجية من سجايا أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام.

ولقد عدّ من الأسس المهمة التي تقوم عليها الصحبة بين بني البشر، لأن صاحب عندما يحسن الظن بصاحبه فإنه يوقن أنه على خير، وهدى من ربه، وعلى هذا ستكون علاقتهما موفقة ومسددة ومحمودة العاقبة بإذن الله تعالى.

ولقد بين المولى جل ثناؤه أن حسن الظنّ صفة من صفات المؤمنين في أكثر من موضع، فقد أثنى سبحانه على الطائفة الذين امتنعوا عن الخوض في حديث الإفك، ووصفهم بصفة الإيمان، فقال: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ [سورة النور ١٢/٢٤].

كذلك أثنى على أهل الإخلاص والظنّ الحسن برهم في غزوة أحد، فاستحقوا على إثر ذلك التثبيت والأمن والطمأنينة، بخلاف المنافقين الذين شغلتهم أنفسهم وأموالهم فأساءوا الظن بالله وبنصره، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغَشِّي نَاطِقَاتِكُم مِّنكُمْ وَأَطَافَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُم أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّوْنَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قَاتَلْنَا هَهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي

(١) الظن لغة: مصدر ظنّ يظنّ ظناً، وهو مأخوذ من مادة (ظ ن ن) ويترجح معناه بين اليقين والشك، بقرينة لفظية أو حالية، فلما كان الظن عن إيمان المؤمنين برهم ولقائه، كان بمعنى اليقين، ولما كان عن حال الكافرين كان بمعنى الشك، كقولهم كما في قوله تعالى: ﴿إِنْ تَطُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُتَّبِعِينَ﴾ [سورة الجاثية ٣٢/٤٥].

قال الراغب: الظن اسم لما يحصل عن أمانة متى ما قويت أدت إلى العلم، ومتى ما ضعفت جداً لم تتجاوز حد التوهم. مقاييس اللغة ٣/٤٦١، المفردات ٣٢٠، لسان العرب ١٣/٢٧٢.

قال ابن عاشور: الظن في اصطلاح القرآن: هو الاعتقاد المخطئ عن غير دليل الذي يحسبه صاحبه حقاً وصحيحاً. أما علماء الشريعة فقالوا: إن الظن هو العلم الراجح في النظر مع احتمال الخطأ احتمالاً مرجوحاً لتعسر اليقين في الأدلة التكليافية. التحرير والتنوير ٧/٢١.

قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿ [سورة آل عمران ٣/١٥٤]. وقال تعالى عمن كان مع طالوت: ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ كَرِهَ مَنْ فِتْنَةَ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةَ كَثِيرَةٍ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [سورة البقرة ٢/٢٤٩].

وفي مقابل هؤلاء المؤمنين المحسنين الظنّ بخالقهم، هناك أعداء الله من المشركين والمنافقين الذين وصفهم الحق تبارك وتعالى بسوء الظن، وأنه السبب في إهلاكهم، قال تعالى: ﴿وَيَعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظُنَّ السُّوءَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السُّوءِ وَعَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [سورة الفتح ٤٨/٦].

أما القلب المؤمن فهو حسن الظن بربه، يتوقع منه الخير دائماً في السراء والضراء. ويؤمن بأن الله أرد به الخير في الحالين. وسر ذلك أن قلبه موصول بربه، وفيض الخير من الله لا ينقطع عنه أبداً. وفي ذلك قال ﷺ: ((عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له))^(١).

فمتى اتصل القلب بالله لمس هذه الحقيقة الأصلية، وأحس بما إحساساً مباشراً. أما المنافق فهو مقطوع الصلة بربه، ومن ثم لا يحس بتلك الحقيقة ولا يجد لها ثمرة في قلبه. ولقد نهي الله جل جلاله عباده عن الظن السيئ خاصة في العلاقات العامة أو الخاصة، فقال تعالى محذراً من هذا الظن: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [سورة الحجرات ٤٩/١٢]. وذلك لما يوقعه الظن السيئ من الآثام، وما يحدثه في الصدور من الأمراض المهلكة. فالواجب على المؤمن أن يكون طاهر القلب، نقي الصدر، يطوي فؤاده على حسن الظن بالناس عامة، ومن جمعته بهم الصحبة خاصة.

كذلك جاءت أقوال النبي ﷺ، حاثّة على حسن الظنّ، بل إنه من خير منازل العبادة، كما في قوله ﷺ: ((إن حسن الظنّ بالله تعالى من حسن عبادة الله))^(٢).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، باب المؤمن أمره كله خير (٤/٢٢٩٥ ح ٢٩٩٩).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک (٤/٢٦٩ ح ٧٦٠٤) وقال: حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. وبنحوه أخرج أحمد في مسنده (٢/٣٥٩ ح ٨٦٩٤)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع ١٨٥١.

كذلك حذر من الظن السيئ وعده من أكذب الحديث، كما في قوله ﷺ: ((إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث))^(١). أي: إياكم وسوء الظن وتحقيقه؛ وذلك أن سوء الظن موصل إلى اتهام الناس، وتتبع العثرات والتجسس، وغير ذلك من الآثام. (وليس من التقوى أن يتتبع الإنسان عورات الناس، ويخصي عليهم زلاتهم، وقد نهى رسول الله ﷺ، أن يطرق الرجل أهله ليلاً يخونهم أو يتلمس عثرتهم . وذلك لأن الأصل حسن الظن، والستر، وليس إقامة الحجة وتأثيمهم، واستدراجهم للوقوع في الآثام)^(٢).
و لأن حسن الظن من الأخلاق الفريدة، ومن أبرز أسباب تماسك المجتمع المسلم، ومن أسباب تقوية الصحبة، فقد جاء الحث عليه. والمتأمل في أنواع الصحبة يجد أن حسن الظن هو من الأسس المهمة لقيام علاقة متينة؛ مثل الصحبة القائمة على الصدق والحب والشفقة والرحمة ولا تخلو الصحبة من حسن الظن المشترك في جميع أنواعها.

ونبين فيما يأتي أثر حسن الظن بأنواع الصحبة :

❖ أثر حسن الظن على صحبة الوالدين:

تقدم معنا حرص الوالدين على أبنائهم وسعيهم الحثيث في تقديم كل ما من شأنه إسعادهم، حتى وإن كان على حساب متطلباتهم الخاصة، فمن حرص الآباء على أبنائهم توجيههم وحثهم على فعل أو ترك أمور قد يراها الأبناء من صميم خصوصياتهم، وغير مقبول في نظرهم أن يتدخل الآباء فيها قبولاً أو رداً. لكن الآباء بخبرتهم وحرصهم على أبنائهم يعلمون أن في هذه التوجيهات مصلحة تخفى على هؤلاء الأبناء، لحداثة سنهم وقلة تجاربهم.
وعلى هذا فإن على الابن تقبل آراء والديه، وأخذ توجيهاتهما بجد وحرص، وحملها على المحمل الحسن، حتى وإن تعارضت مع مصلحته ورغباته.
فإذا قامت العلاقة بين الآباء والأبناء على هذا الأساس سادت الطمأنينة قلوبهم، وعمت الراحة والآنس حياتهم. وهذا ما كان واضحاً من خلال القصص القرآنية المتصلة بسيرة أنبياء الله عليهم السلام.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب يأبها الذين أمنوا اجتنبوا كثيراً من

الظن (٥/٢٢٥٣ح٥٧١٩). ومسلم في صحيحه، باب تحريم الظن والتجسس (٤/١٩٨٥ح٢٥٦٣).

(٢) انظر فتح الباري ٩/٣٤٠، صحيح مسلم بشرح النووي ١٣/٧١، هذه أخلاقنا ٤٣٨.

فالتأمل في هذه القصص يتبين له كيف أن هذا الخلق يحقق السعادة والطمأنينة لكل منهما، فهذا نبي الله إسماعيل - عليه السلام - الذي تركه أبوه طفلاً رضيعاً في مكان مقفر لا ماء فيه ولا حياة هو وأمه وحيدين، ثم ها هو ذا الأب يعود إليهما وقد أصبح شاباً بالغاً، ثم يقص عليه رؤيا رآها في المنام، في لحظة تشعر هذا الابن بأهميته وطلب مشورته في هذا الأمر، فلم يكن من هذا الابن البار إلا أن قال لأبيه كلمة أزالت الهم عن قلبه الحزين، وأشعرته بحسن ظنّ ابنه به، كما حكى المولى تبارك وتعالى ذلك: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْنَؤُا إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى ۗ قَالَ يَتَأْتِيَ أَحْمَدُ مَا تَوَمَّرُ سَتَجِدُنِي إِن سَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [سورة الصافات ١٠٢/٣٧] فما كان إلا أن جزاهما ربهما بأعظم الجزاء، وفدى هذا الابن البار بذبح عظيم، ومكن له ولأبيه وذريتهما إلى يوم الدين .

وهذا نبي الله يعقوب - عليه السلام - يتخذ حسن الظنّ أساساً في تعامله مع أبنائه، فها هم هؤلاء يطلبون منه أن يذهبوا بأخيهم يوسف ليلعب معهم وهو يعلم حسدهم له وما يكيد الشيطان في قلوبهم تجاهه، فيقول لهم: ﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنَّ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾ [سورة يوسف ١٣/١٢]. ثم بعدما قدموا له وقصوا عليه ما حدث لهم، قال لهم بلسان المحسن بهم، كما قال تعالى: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ [سورة يوسف ١٨/١٢]... وغير ذلك كما سنبينه قريباً.

❖ أثر حسن الظنّ بالصحة القائمة بين الزوجين:

يعد حسن الظن من الحقوق المتعينة لكل منهما، لتسود السعادة والمودة ويتحقق المقصد من هذه العلاقة، أما إذ طرق الشك قلب أحد منهما فإنه يقلب حياتهما من سعادة وهناء إلى تعاسة وشقاء، ولا يزال الشك بهما حتى يهدم بنيتهما. وحسن الظن ينبغي أن يكون متبادلاً بينهما، وهذا ما كان عليه رسول الله ﷺ مع زوجاته، فهذه الصديقة رضي الله عنها تقص علينا ما وقع بينها وبين رسول الله ﷺ في حادثة الإفك، فتقول:

((بعد ما قدمنا المدينة هي - وصفوان بن المعطل^(١) -، خاض في خبر الإفك من خاض، وهلك من هلك في ذلك، فتقول: إنها مرضت، ولم تعلم بأمرهم إلا بعد مدة عندما خرجت لقضاء حاجتها مع أم مسطح^(٢) رضي الله عنها الذي خاض في حديث الإفك، وقد كان رسول الله ﷺ، يدخل عليها، ويسلم ويقول: ((كيف تيكم؟))، فلما علمت ازدادت مرضاً فطلبت من رسول الله ﷺ أن تمرض عند أهلها، فأذن لها - وقد تأخر عن رسول الله الوحي شهراً - وفي يوم دخل عليها رسول الله ﷺ، وجلس عندها وقال: ((أما بعد يا عائشة فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئة فسيرتك الله، وإن كنت ألمت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه، فإن العبد إذا اعترف بذنبه وتاب تاب الله عليه)). فطلبت من أبيها الرد على رسول الله ﷺ، فلم يعرف ما يقولان له. فقالت له: والله لقد علمت، لقد سمعت بهذا الحديث حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به، فلئن قلت لكم: إني بريئة، والله يعلم أني بريئة لا تصدقوني، ولئن اعترفت بأمر والله يعلم أني منه بريئة لتصدقني، فو الله ما أجد لي ولكم مثلاً، إلا كما قال أبو يوسف: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ [سورة يوسف ١٢/١٨] ((^(٣))).

ثم ها هو البر الرحيم ينزل براءتها من فوق سبع سموات، وفي آيات تتلى إلى يوم الدين. فقال عز شأنه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا نَحْسَبُهُمْ شَرًّا لَّكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة النور ١١/٢٤].

فكانت هذه الحادثة التي تعرض لها رسول الله ﷺ، علاج لجميع الأزواج بالألّا يتسرعوا في إطلاق الأحكام، بل يلجؤون إلى المصارحة، وإلى التضرع إلى الله بالدعاء الصادق، و أن

(١) صفوان بن المعطل بن ربيعة السلمى، الذكوانى، أسلم قبل غزوة المريسيع، وشهدها، وكان على ساقية النبي ﷺ، وشهد المشاهد بعدها. روي حديثين عن النبي ﷺ، كان مجاهداً، واختلف في سنة وفاته، فقيل قتل سنة ١٩ وقيل: سنة ٥٥٨هـ. انظر الإصابة ٣/٤٤٠-٤٤١، سير أعلام النبلاء ٢/٥٤٥-٥٥٥.

(٢) بنت أبي رهم بن عبد المطلب بن مناف، أمها خالة أبي بكر، قيل: إن اسمها سلمى وقيل ربيعة، اشتهرت بكنيتها، أسلمت وحسن إسلامها، جاء ذكرها في الصحيحين في قصة الإفك، وكانت من أشد الناس على ولدها مسطح الذي خاض مع أهل الإفك. الإصابة ٧/٧٠٦-٧١٠، ٨/٣٠٢.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب حديث الإفك (٤/١٥٢١ ح ٣٩١٠). ومسلم في صحيحه، باب في حديث الإفك (٤/٢١٣٥ ح ٢٧٧٠). بتصرف من جامع البيان ١٨/٩٢، وتفسير ابن كثير ٣/٢٩٧-٢٩٩.

يحسنوا الظن بزوجاتهم، ولا يدعوا الشك يسيطر على ما بينهم من صحبة، بل يجعلون حسن الظن هو أساس هذه العلاقة.

❖ أثر حسن الظن بصحبة الأقربين:

و إذا كان حسن الظن من أهم أسس الصحبة بين الوالدين والزوجين، فإنه كذلك عماد في جميع أنواع الصحبة والتي منها صحبة القرابة .

فهو وإن كان عامل ربط لمن تربطهم الصحبة، فهو كذلك عامل قوي في تأصيل أي علاقة تطول أو تقصر فيها مدة الصحبة. وله تأثير قوي على تلك الصحبة، فحسن الظن بين الأقارب يؤدي إلى زيادة الترابط والتآلف وإدامة المحبة فيما بينهم، وتأصيلها. لأنه قد يصدر من بعضهم الزلات والهفوات بدون قصد ، فإذا أخذت هذه التصرفات بحسن ظن، لم تؤثر على تلك العلاقات، بخلاف ما إذا أخذت بمنظار الشك والتهمة، فإنها تؤثر تأثيراً قوياً فتوغر الصدور وتزرع الكراهية والعداوة فيما بينهم، مما يؤدي إلى قطع هذه الصلات، وهذا ما كان من حال أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وقريبها مسطح (1) الذي خاض مع من خاض في الإفك.

❖ أثر حسن الظن بصحبة المقارنة:

❖ أثر حسن الظن بصحبة الأتباع:

لحسن الظن علاقة بالتابع والمتبوع، أياً كان سواء كان مديراً أو رئيساً أو حاكماً. فإن التابع إذا أخذ ما يصدر عن هؤلاء من أوامر وتوجيهات بحسن الظن، وإن كانت هذه التوجيهات لا تتفق مع مصالحه الخاصة، إلا أنه بهذا يحقق مصالح عظمى لأتمته قد لا يعلمها، كذلك المتبوع ملزم بحسن الظن برعيته. كما أحسن النبي صلى الله عليه وسلم الظن بصفوان ابن المعطل رضي الله عنه .

(١) مسطح بن أثاثة بن عبد بن المطلب بن عبد مناف بن قصي، كان اسمه عوفاً، وأما مسطح فهو لقبه، وأمه بنت خالة أبي بكر، أسلمت، وأسلم أبوها قديماً، وكان أبو بكر يمجونه لقرابته منه، فلما خاض مع أهل الإفك في أمر عائشة، حلف أبو بكر ألا ينفعه، فنزل قوله تعالى: ﴿ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى﴾ الآية فعاد أبو بكر إلى الإنفاق عليه، وروي عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم جلد الذين قذفوا عائشة، وعده منهم، ومات سنة ٣٤ وقيل ٣٧. الإصابة ٦/٩٣.

❖ أثر حسن الظن بصحبة الجوار:

لحسن الظن تأثيراً قوياً على هذه العلاقة، فهو مما يؤلف القلوب ويربط بعضها ببعض، ويشعر كلاً منهم بالأمن على أهله وماله في ظل هذه الصحبة، فإذا حلت التهمة والشك وعدم الأمان من قبل الجار انقلبت هذه العلاقة إلى عداوة وفي هذا قال النبي ﷺ: ((والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن! قيل: من يا رسول الله؟ قال: الذي لا يأمن جاره بوائقه))^(١).

وإذا أردنا أن نحسن معاشرة ومصاحبة من نخالط، لا بد أن نجعل حسن الظن هو أساس تلك الصحبة والحامل لجميع تصرفاتنا مع جميع من نصاحب.

وحسن الظن بمؤلاء يأخذ صوراً وأشكالاً مختلفة، منها:

١. حمل ما يصدر عنهم من كلام على أحسن المحامل، وذلك مصداقاً لحديث رسول الله ﷺ، الذي عد الظن السيئ أكذب الحديث، حيث قال: ((إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث))^(٢).

٢. قبول أعذارهم، ومعرفة نفسياتهم، كما فعل يعقوب عليه السلام، عندما أحسن الظن بأبنائه وقال لهم: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ [سورة يوسف ١٢/١٨]، وكذلك عندما قبل يوسف عليه السلام اعتذار إخوته، وقال لهم: ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [سورة يوسف ١٢/٩٢].

٣. إيجاد المبررات والأعذار لهؤلاء الأصحاب، كما قيل: "المؤمن يطلب معاذير إخوانه، والمنافق يطلب عثراتهم"^(٣). "وقال بعضهم: إذا زل أخ من إخوانك فاطلب له تسعين عذراً. فإن لم يقبل ذلك فأنت المعيب"^(٤).

(١) سبق تخريجه ٩٤.

(٢) سبق تخريجه ١٧١.

(٣) انظر: آداب الصحبة ١٣، إحياء علوم الدين ٣/٣٦.

(٤) آداب الصحبة ١٣.

٤ . إنزال النفس منزلة الغير، كما فعل أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه عندما قالت له زوجته: "أما تسمع ما يقول الناس في عائشة رضي الله عنها ؟ قال: نعم، وذلك كذب أكنت فاعلته ذلك يا أم أيوب؟ قالت: لا، والله ما كنت لأفعله، قال: فعائشة والله خير منك" ^(١).

وبعد: فإنه ليس أريح لقلب العبد المؤمن في هذه الحياة ولا أسعد لنفسه، ولا أدوم للصحة بينه وبين جميع الخلق، من أن يجعل حسن الظن هو المنهج لجميع العلاقات. لأنه به يسلم من أذى الخواطر المقلقة التي تؤذي النفس، وتكدر البال، وتتعب الجسد، وبه تسلم الصدور، وتدعم روابط الألفة والمحبة بين أبناء المجتمع المسلم.

وحسن الظن بالناس يتطلب مجاهدة للنفس عظيمة، خاصة أن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، ولا يكاد يفتقر عن التفريق بين المؤمنين بشق السبل. فلا أعظم من قطع الطريق عليه، وذلك لا يتأتى إلا بإحسان الظن بكل من نصحب في هذه الحياة.

(١) انظر جامع البيان ١٨/٩٤، تفسير ابن كثير ٣/٣٠٢.

المبحث الخامس: أساس الموعدة والتناصح^(١)

إن الموعدة والتناصح من الأخلاق التي أمر الله - جل جلاله - بالتحلي بها والدعوة إليها، قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْ لَهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مِمَّنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۗ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [سورة النحل ١٢٥/١٦].

و"هي عبادة يتقرب بها إلى الله، وضرب من ضروب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولون رفيع من العلاقات الإيمانية الأخلاقية القائمة على المودة والإيثار والتلاحم والتعاطف"^(٢).

ولقد تنوعت وسائل الموعدة والتناصح لتشمل جميع العلاقات وأنواع الصحبة؛ سواء صحبة قرابة أم صحبة مقارنة.

والمأمل في أسلوب الكتاب العزيز يجد أن الله - سبحانه وتعالى - نوع في أسلوب الموعدة والنصيحة بحسب من تصدر منه، وأنها تختلف في مقاصدها على هذا الأساس. فمن هذه المقاصد:

• ما كان مقصده الرحمة والشفقة:

وهذا المقصد أو هذه المنزلة هي التي شرف الله بها رسله وأفضل خلقه عليهم الصلاة والسلام، ومن سار على نهجهم، فكان وعظهم ونصحهم لأقوامهم ومن صحبهم من هذا الباب.

(١) الوعد لغة: مصدر وعظ يعظ، والعدة: الموعدة. يقال: وعظت الرجل أعظه عظة وموعدة. قال الجوهري: الوعد: النصح والتذكير بالعواقب. مقاييس اللغة ٦/١٢٦، الصحاح ٣/١١٨١.

التناصح لغة: نصح الشيء خلص، والتناصح: الخالص من العسل وغيره. والنصح هو: تحري فعل أو قول فيه صلاح صاحبه، وهو من قولهم: نصحت له الود، أي أخلصته. يقال: نصحه ونصح له: أي تحرى ما ينبغي له وما يصلح، وأراد له الخير، وأخلص له في تدبير أمره.

قال الخطابي: النصيحة كلمة يعبر بها عن جملة هي: إرادة الخير للمنصوح له.

وقال ابن الصلاح: النصيحة كلمة جامعة تتضمن قيام الناصح للمنصوح له بوجوه الخير وإرادة الفعل. موسوعة الأخلاق القرآنية، الدكتور: أحمد الشرباصي، دار الرائد العربي، بيروت ٥/١٣٠، النصيحة شروطها وآدابها. د: عبد الرب نواب الدين، دار القلم، دمشق، ط: الأولى، ١٤١٥هـ. ١٢.

(٢) النصيحة شروطها وآدابها ١٥٦.

ولذا فقد جاء لفظ النصح على لسان أكثر من نبي، فهذا نوح -عليه السلام- يقول لقومه:
﴿أَبْلَغُكُمْ رَسُولَتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [سورة الأعراف ٦٢/٧]. أي:
وظيفتي التبليغ لكم، ببيان توحيد الله وبيان أوامره ونواهيه على وجه النصيحة والشفقة
عليكم^(١). وكذلك غيره من أنبياء الله ورسله عليهم السلام.

وما قصه الحق - تبارك وتعالى - عن الرجل من آل فرعون، الذي قدم النصح لموسى - عليه
السلام- في صورة موحية لإرادة الخير بموسى وشفقته عليه، فيستجيب موسى - عليه السلام
- لنصحه، كما قال تعالى: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ
لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾ [سورة القصص ٢٨/٢٠]. ومن قبله أخت موسى تعرض
النصح لآل فرعون بدافع الشفقة والرحمة، فتقول لهم: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ
وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾ [سورة القصص ٢٨/١٢].

● ومنها ما كان مقصده قائماً على مبدأ الحب والحرص:

كما يفهم من كلام نبي الله يعقوب عليه السلام لأبنائه عندما عرضوا عليه أخذ أحيهم
يوسف عليه السلام معهم ليلعب، كما قالوا له: ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمُرُنَا عَلَىٰ يَوْسُفَ وَإِنَّا لَهُ
لَنَصِِحُونَ﴾ [سورة يوسف ١٢/١١-١٢]. فقال لهم: ﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنَّ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّبُّ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾ [سورة
يوسف ١٢/١٣]. وغير ذلك من المقاصد.

وقد أعلت السنة النبوية من شأن النصيحة والموعظة الحسنة، فقد جاء الحث عليها في

أكثر من حديث منها:

١. أن رسول الله ﷺ حصر الدين في النصيحة، كما في قوله ﷺ: ((الدين النصيحة،
قلنا لمن؟ قال: لله ولرسوله ولكتابه، ولأئمة المسلمين وعامتهم))^(٢). وفي رواية أنه كررها
ثلاثاً^(٣)، أي: "عماد الدين وقوامه هو النصيحة. وكررها ثلاثاً للتأكيد والاهتمام بشأنها. ومعنى

(١) انظر تفسير ابن سعدي ٢٩٣/١.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، باب بيان أن الدين النصيحة (١/٧٤ ح ٥٥).

(٣) كما في سنن أبي داود (٤/٢٨٦ ح ٤٩٤٤)، والترمذي في جامعه، باب ما جاء في النصيحة (٤/٣٢٤ ح ١٩٢٦).

النصيحة لله: صحة الاعتقاد في وحدانيته وإخلاص النية في عبادته. والنصيحة لكتاب الله: هي التصديق به والعمل بما فيه. ونصيحة رسوله: تصديق نبوته ورسالته والانقياد لما أمر به ونهى عنه. ونصيحة الأئمة: أن يطيعهم في الحق ولا يرى الخروج عليهم إذا جاروا. ونصيحة عامة للمسلمين: إرشادهم إلى مصالحهم" (١).

٢. إعلاء النبي ﷺ من شأن النصيحة حيث قرنها بركنين من أركان الإسلام وعدها ركناً من أركان البيعة كما في حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه عندما قال: ((بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم)) (٢).

٣. عدها رسول الله ﷺ من حقوق المسلم على أخيه المسلم، فقال: ((حق المسلم على المسلم ست. قيل: ما هن يا رسول الله؟ قال: إذا لقيته فسلم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحمد الله فشمته، وإذا مرض فعده، وإذا مات فاتبعه)) (٣).

أثر أساس الموعظة والتناصح بأنواع الصحبة: أثره على صحبة الوالدين:

أولى الإسلام الوالدين عناية فائقة، فأوجب لهم حقوقاً، وأوجب عليهم حقوقاً تجاه أبنائهم، تبدأ منذ ولادتهم وحتى مماتهم، لا تنفصل عنهم أبداً. فالوالدان يبذلان أقصى ما في وسعهما لإسعاد أبنائهما، وما يقوي صلة الصحبة الجميلة بينهما، والنصح والوعظ من أهم الأسس التي تقوى به مثل هذه الصلات، ومن أكد الحقوق المتبادلة بينهم. فالأب يقدم النصح لابنه ويسعى إلى إرشاده للخير. وقد تتنوع أساليب الوعظ والنصح لكن لا تخرج عن الهدف الأساسي لها وهو إرادة الخير بهذا الابن. فقد يسلك أساليب منها: التأديب، والترغيب، والترهيب، والهجر، والضرب... أو غيرها من الوسائل. كل هذا لأجل توجيه الابن إلى سلوك حسن أو صرفه عن سلوك خاطئ، وتنبهه لما يصلح به أمره. وهذا ما بينه الحق تبارك وتعالى في كتابه العزيز فقد بين في بعض قصصه ما استخدمه الآباء في

(١) تحفة الأحوذى ٤٥/٦.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ: الدين النصيحة.. (٣١/١ ح ٥٧)، ومسلم في صحيحه، باب أن الدين النصيحة، (٧٥/١ ح ٥٦).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، باب من حق المسلم للمسلم رد السلام (١٧٠٥/٤ ح ٢١٦٢).

نصح أبنائهم، وما يستخدمه الأبناء لنصح آبائهم. فبين أن أول أمر يبدأ به الآباء نصح أبنائهم هو وعظهم وإرشادهم إلى طريق الحق وإلى الإيمان بالله وحده، كما فعل نوح عليه السلام حيث قدم النصح لابنه بأسلوب الترغيب والترهيب حيث قال له: ﴿يَبْنَىٰ أَرْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾ [سورة هود ٤٢/١١]. وكذلك الأبوان اللذان استخدمتا أسلوب التخويف والترهيب لابنهم ليؤمن بالله فقالا له ، كما في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا أَتَعَدَانِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِن قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَعْجِلَانِ اللَّهَ وَيَلُكُمَا آلَ اللَّهِ حَقًّا فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا سَطِيرٌ الْأَوَّلِينَ﴾ [سورة الأحقاف ٤٦/١٧].

وهذا لقمان الحكيم يستخدم أسلوب النصح المشمول بالعطف والشفقة والرحمة لنصح ابنه، كما قص علينا الحق تبارك وتعالى قصته بقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَنُ لِبَنِيهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَبْنَىٰ لِأَشْرِكٍ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة لقمان ٣١/١٣]. فبدأ معه بتحذيره من الشرك ، والوصية بتوحيد الله وعبادته وحده لأنها منبع كل خير وأصل الأصول. وأهم ما ينبغي أن يُوعظ وينصح به... إلى غير ذلك من العظات والعبر في هذه الوصية.

والمأمل في نصوص الكتاب العزيز يجد أن النصيحة ليست حكراً على الآباء لأبنائهم بل أثبت أن النصح متوجه من الأبناء لآبائهم، وذلك إذا خفي عليهم أمر من الأمور لهم فيه خير سواء كان هذا في أمور الدين، أو أمور الدنيا؛ فهذا إبراهيم عليه السلام يبين لأبيه آزر، ما خفي عليه من حقيقة التوحيد بأسلوب يفيض رقةً وحباً وحناناً، كما في قوله تعالى: ﴿وَأذْكُرْ فِي

الْكِتَابِ إِبراهيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾

يَتَّابِتْ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَتَّابِتْ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ

الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَتَّابِتْ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾

[سورة مريم ٤١/١٩-٤٥]. فما كان من هذا الأب إلا أن أخذته العزة بالإثم، وقابل النصح بالهجر، وقطع صلته بابنه، فكان من الكافرين.

أما تقديم النصح في أمور الدنيا، فقد ذكر الله خير تلك الفتاة التي قدمت النصيحة لأبيها الشيخ الكبير، حيث أرشدهت أباهما لما فيه خير له ولها، كما قص الحق تبارك وتعالى خبرها حيث قال: ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ [سورة القصص

٢٨/٢٦]. وذلك لما رأت في موسى - عليه السلام - ذلك الشاب القوي الأمين الذي سيعين والدها على أمور الدنيا.

أثر الموعدة والتناصح بالصحة بين الزوجين:

(إن الموعدة والتناصح من الحقوق المشتركة بين الزوجين، وينفرد الزوج بدرجة القوامة التي ميزه الله بها كما في قوله تعالى: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهَا دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [سورة البقرة ٢٢٨/٢]، وقال عز شأنه: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ [سورة النساء ٣٤/٤]. هذه الدرجة منحه خاصة الإلزام بما أمره الله من طاعته، فله مناصحتها وإلزامها بصنوف الطاعات^(١)؛ لأنها تحت رعايته وهو مسؤول عنها من منطلق حديث النبي ﷺ: ((كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته))^(٢).

وهو أحد الوسائل التي أرشد الله الزوج لاستخدامها في حال نشوز زوجته، قال تعالى: ﴿وَالنَّبِيُّ تَخَافُونَ نَشُوزَهُنَّ فِعْظُوهُنَّ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعَنَّكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا﴾ [سورة النساء ٣٤/٤]. أي: إن خالفن أمركم باستعلائتهن وترفعهن عن فرشكم وعدم طاعتهن لكم فيما لزمهن من الطاعة سواء بالقول أو الفعل، (فِعْظُوهُنَّ) أي: لكم الحق في تأديبهن، وذلك بالأسهل فالأسهل، فبدأ بالعدة وتقديم النصح لهن، وتذكيرهن وتخويفهن من مخالفة أمر الله وأمر رسوله، فإن انتهين عن ذلك فذلك المطلوب.^(٣) أما الزوجة فلا يتأتى لها ذلك إنما تقدم النصح ولا تلمه به.

وهذا يحقق معاني الزواج، حيث يسكن أحدهما إلى الآخر، ويبتشكوا إليه، فيطلب منه النصح والوعظ وإن لم يكن بصريح العبارة، وإنما يسعى إليه من خلال هذا البت، فيبدأ الآخر بإبداء رأيه، أو ما يظن فيه الخير والصواب الذي قد يكون خفي عن الآخر رغم ما قد يتمتع به من مميزات.

(١) انظر النصيحة شروطها وآدابها ٤٤٤.

(٢) أخرجه البخاري في أكثر من موضع منها، كتاب الجمعة، باب الجمعة في القرى والمدن (١/٣٠٤ ح ٨٥٣)، ومسلم في صحيحه، باب الحث على الرفق بالرعية، (٣/٤٥٩ ح ١٨٢٩).

(٣) جامع البيان ٦٢/٥، تفسير ابن سعد ١/١٧٧ بتصرف.

كما فعلت أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها إذ قدمت النصح لخير البشر ﷺ، عندما دخل عليها مغموما من امتناع الصحابة رضوان الله عليهم من نحر الهدي يوم الحديبية. فأشارت عليه؛ أن انحر هديك واحلق رأسك. فما كان منه ﷺ إلا أن أخذ بنصيحتها. وخرج على الملاء فدعا بالحلاق فحلق رأسه، وأمر بالهدي فنحر. فما كان من الصحابة إلا أن استجابوا لفعله ﷺ، ففعلوا مثله^(١). مما يبين عظم أمر النصيحة وخاصة بين الزوجين ليجد كل منهما الحلول المناسبة لكل ما قد يواجهه في هذه الحياة من صعاب.

أثر الموعدة والتناصح بصحبة الأقارب:

(النصح والموعظة من أهم الحقوق التي تبذل للأقارب، وذلك من خلال دلالتهم على الخير والترغيب فيه والإعانة عليه، وتبصيرهم بمواطن العطب، ليتم بموجبها إصلاح ما يمكن إصلاحه. وتكون وشيجة الرحم سببا يدفع للاستجابة للناصح؛ وذلك لما جبلت عليه النفوس من محبة القريب، والعصبة له، و التناصر والحمية له)^(٢).

ولقد صور القرآن الكريم النصح بين الأقارب حتى وإن كان لا يجدي معهم، أو أنه سيصيبه منهم أذى. كما صور حال ابني آدم حينما قربا قربانا، فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر، فما كان ممن لم يتقبل منه إلا أن توعد أخاه بالقتل، فبادره أخوه بالنصح والموعظة والتي هي أحسن، لكن لم يجد أذنا صاغية، كما في قال تعالى: ﴿وَأْتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُنْقَبَلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۗ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِن بَسَطَ إِلَٰهُ يَدَكَ لِنُقْتَلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطِ يَدَيْ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ ۗ إِنَّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنَّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ.

فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣٠﴾ [سورة المائدة ٢٧/٥-٣٠]. في إشارة إلى أن الواجب والمتعين على الأقارب إسداء النصح والموعظة فيما بينهم، وألا يدعوا للشيطان مجالا للدخول بينهم، فيوغر صدورهم، ويوقع بينهم العداوة والبغضاء.

(١) انظر الحديث في صحيح البخاري، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب (٩٧٨/٢).

(٢) انظر: النصيحة شروطها وآدابها ٤٤٤.

أثر الموعدة والتناصح بصحبة المقارنة:

إن جميع من جمعتهم صحبة مقارنة سواء كان حاكماً أو مسئولاً، كولي أمرٍ أو مديرٍ، ممن ولي مسئولية كبيرة أو صغيرة، أو كان جاراً أو مرافقاً في سفرٍ، أو غيرهم ممن جمعتهم الصحبة، فإن من أهم الحقوق المتعينة لهم هو حق النصح والعظة بالتي هي أحسن، وعدم الخروج عليهم، لأنهم داخلون تحت قوله ﷺ: ((الدين النصيحة))... وذكر ((لأئمة المسلمين وعامتهم))^(١).

قال الشيخ ابن سعدي^(٢) رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: "أما النصيحة لأئمة المسلمين، فبحسب مراتبهم، ومقاماتهم، وذلك باعتقاد إمامتهم والاعتراف بوليّتهم، ووجوب طاعتهم بالمعروف، وعدم الخروج عليهم، وحث الرعية على طاعتهم ولزوم أمرهم الذي لا يخالف أمر الله ورسوله. وبذل ما يستطيع في نصحهم، وتوضيح ما يخفى عليهم مما يحتاجون إليه في رعايتهم كل أحدٍ بحسب حاله"^(٣).

وهذا كحال يوسف عليه السلام حينما قدم النصح والعظة لحاكم مصر، وهو داخل السجن، ثم طلب منهم أمراً فيه من النصيحة المفضية إلى النفع والخير للجميع. فطلب أن توكل له خزائن الأرض حتى يتمكن من قيادة أمورهم على أحسن تقدير، كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة يوسف ١٢/٥٥].

كذلك على الحاكم أو المسئول ألا يستبد برأيه، بل عليه أن يتقبل النصيحة والمشورة مهما كانت ومن أي شخص، فقد يُنصح بأمر لم يسبق له به علم فبالمشورة والاتكال على الله يتحقق الخير والنفع له ولمن تحت ولايته.

(١) سبق تخريجه ١٧٨.

(٢) عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي التميمي: مفسر، من علماء الحنابلة، من أهل نجد. ولد في عنيزة بالقصيم سنة ١٣٠٧هـ، وهو أول من أنشأ مكتبة فيها (سنة ١٣٥٨)، له نحو ٣٠ كتاباً، منها: كتاب تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، وتيسير اللطيف المنان في خلاصة مقاصد القرآن، والقواعد الحسان في تفسير القرآن، وغيرها. توفي بعنيزة سنة ١٣٧٦هـ. الأعلام ٣/٣٤٠.

(٣) الرياض الناضرة ٣٩.

وكما فعل رسول الله ﷺ عندما قبل النصيحة المقدمة من سلمان الفارسي^(١) ﷺ في غزوة الخندق، رغم أن حفر الخنادق أمر لم يكن معروفاً لديهم، ولكن بقبوله هذه النصيحة تم النصر بتوفيق الله لهم.

كذلك توجيهه ﷺ النصيحة لعامة المسلمين، ليبين سعة هذا المجال لتشمل النصيحة كل مسلم له علاقة صحبة؛ كالجار أو الرفيق في السفر، أو غيرهم ممن ليس له به صلة. فالنصيحة والعظة المتعينة لهؤلاء (قد وضحها النبي ﷺ بقوله: ((لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه))^(٢))، وذلك بمحبة الخير لهم، والسعي في إيصاله إليهم بحسب الإمكان، وكراهة الشر والمكروه لهم، والسعي في دفعه ودفع أسبابه، وتعليم جاهلهم، ووعظ غافلهم، وستر عوراتهم، وسدّ خلاتهم، ونصرتهم على أعدائهم، والذب عنهم، ومجانبة الغش والحسد لهم، ونصحهم في أمور دينهم ودنياهم، ورد من زاغ منهم عن الحق، ومعاونتهم على البر والتقوى^(٣).

ولقد بين الحق تبارك وتعالى في كتابه مثلاً واضحاً لهذا، فقد قص علينا قصة صاحب الجنة الذي دخل جنته فلما رآها افتتن بها، كما قال تعالى: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا﴾ [سورة الكهف ١٨/٣٥]، فما كان من صاحبه وجاره إلا أن قدم له النصح والعظة فقال له بلسان المشفق عليه: ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا﴾^(٣٧) لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ [سورة الكهف ١٨/٣٧-٣٨]. وسيأتي بيان هذا مستقبلاً.

ولقد علق الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ على حديث النصيحة بكلام جميل نذكر بعضه للفائدة: "لقد علمت مما تقدم ذكره: أن النصيحة تشمل الدين كله أصوله وفروعه، حقوق الله وحقوق رسوله، وحقوق الخلق كلهم، أهل الحقوق العامة والخاصة، فمن قام

(١) سلمان الفارسي، أبو عبد الله، أصله من فارس، مولى رسول الله ﷺ وصحبه وخدمه وروى عنه عدد من الأحاديث، وروى عنه بعض من الصحابة، يقال له سلمان الخير، أشار على النبي ﷺ بحفر الخندق، وهي أول مشاهدته ولم يتخلف بعدها، ت ٣٦هـ. أسد الغاية ٢/٤٨٧-٤٩٢، سير أعلام النبلاء ١/٥٠٥-٥٥٤.

(٢) تقدم تخرجه ص ١٥٩.

(٣) جامع العلوم والحكم ٨١، الرياض الناضرة ٤٠.

بالنصيحة على هذا الوجه فقد قام بالدين، ومن أحل بشيء مما تقدم فقد ضيع دينه بقدر ما ترك. فطوبى للناصحين حقيقة، ما أعظم توفيقهم! وما أهدى طريقهم!. لا تجد الناصح إلا منشغلاً بفرض يؤديه، فإن رأى من أخيه خيراً أذاعه ونشره، وإن اطلع منه على عيب كتبه وستره. إن عاملته وجدته ناصحاً صدوقاً، وإن صاحبته رأته قائماً بحقوق الصحبة على التمام مأموناً في السر والعلانية، مباركاً على المجلس كحامل المسك، إما أن يجذيك أو تجد منه رائحة طيبة. فإذا وجدت الناصح فاغتنم صحبته، وإذا تشابهت عليك المسالك فاستعن بمشاورته" (١).

وللنصيحة والموعظة شروط وآداب ينبغي التحلي بها، ليس هذا مجال بسطها (٢).

(١) إلى آخر كلامه ﷺ من كتاب الرياض الناضرة ٤٠-٤٢.

(٢) ينصح بالرجوع إليها في الكتب التي تتحدث عن النصيحة، أو كتب الحديث التي شرحت حديث النصيحة المتقدم.

المبحث السادس: أساس سؤال الله تعالى ودعائه^(١)

الدعاء منحة ربانية لا ترد، ونعمة كبرى، جاد بها المولى - تبارك وتعالى - وامتن بها على عباده، وحثهم عليه، وأمرهم به، ووعدهم بالإجابة والإثابة. به تُستجلب النعم، ويمثله تُستدفع النقم، لا يستغني عنه مسلم بحال من الأحوال^(٢). ولعظم شأن الدعاء جاءت آيات كثيرة في بيان فضائله العظيمة، ومنزلته العالية، ومكانته الرفيعة، منها:

١. أن الدعاء طاعة لله وامتنال لأمره - عز وجل - حيث قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [سورة غافر ٦٠/٤٠].

٢. الدعاء نهج أنبياء الله في كل شؤونهم، وسبيلهم لتفريج الهموم، وزوال الغموم عنهم، كما كان من حال إبراهيم - عليه السلام - حين توجه إلى ربه بالدعاء بعدما ترك زوجته وابنه بواد غير ذي زرع الذي لا ماء فيه ولا حياة، ليحفظهما ويرزقهما، فيقول:

﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْنِكَ الْمُحْرَمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْعَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [سورة إبراهيم ٣٧/١٤]. وهذا يوسف عليه السلام يدعو ربه ليصرف عنه السوء، فيقول: ﴿قَالَ رَبِّ

السَّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [سورة

(١) الدعاء: مصدر: دعوت الشيء أدعوه دعاءً. وهو أن تُميل الشيء إليك بصوت وكلام يكون منك. مقاييس اللغة ٢٧٩/٢. قال ابن منظور: دعا الرجل دعواً ودعاءً أي: ناداه. والدعاء واحد الأدعية، أصله دعاؤ؛ لأنه من الدعوات، إلا أن الواو لما جاءت بعد الألف همزت. لسان العرب ٢٥٨/١٤ مادة (دعا).

واصطلاحاً عرف بتعريفات متعددة منها كما جاء في كتاب الدعاء: محمد الحمد، وذكر منها: أنه الرغبة إلى الله عز وجل. وقيل معنى الدعاء: استدعاء العبد ربه عز وجل العناية واستمداده منه المعونة. وحقيقته إظهار الافتقار إليه، والتبرؤ من الحول والقوة. وهو سمة العبودية واستشعار الذلة. وفيه معنى الثناء على الله. وإضافة الجود والكرم إليه.

(٢) الدعاء مفهومه - أحكامه - أخطاء تقع فيه، محمد إبراهيم الحمد، دار ابن خزيمة، الرياض، ط: ٢، ١٤١٨ هـ. ٣.

يوسف ١٢/٣٣]. ويعقوب عليه السلام، ييثر شكواه إلى الله سبحانه وتعالى أن يعيد إليه ابنه، كما قال تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [سورة يوسف ١٢/٨٦]. فمن الله عليه، وجمع شمله بأبنائه، فلما تم ذلك توجه يوسف عليه السلام بالثناء على الله، والحمد له على ما من به عليه وعلى أبيه وإخوته، فتوجه إلى ربه قائلاً: ﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَرَبِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَالْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ [سورة يوسف ١٠١/١٢].

٣. الدعاء صفة من صفات عباد الرحمن من الأولياء والصالحين، ووظيفة المؤمنين المتواضعين، الذين قال فيهم عز شأنه: ﴿ نَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ [سورة السجدة ٣٢/١٦].

٤. الدعاء سبب لدفع العذاب، قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانُ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [سورة الأنفال ٨/٣٣].

أما السنة النبوية فقد جاءت داعية ومبينة لمكانة الدعاء من خلال عدد من الأحاديث لني الرحمة صلوات الله عليه وسلامه، منها:

١. ما بينه ﷺ من أن الدعاء هو العبادة. وهو من أفضل العبادات التي تصرف لرب العزة والجلالة. قال ﷺ: ((الدعاء هو العبادة ثم قرأ ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾^(١))). ونقل عن بعض أهل العلم قوله: "هو العبادة الحقيقية التي تستأهل أن تسمى عبادة، لدلالته على الإقبال على الله والإعراض عما سواه، بحيث لا يرجو ولا يخاف إلا إياه"^(٢).

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک (١/٦٦٧ ح ١٨٠٢)، وابن حبان في صحيحه (٣/١٧٢ ح ٨٩٠)، والترمذي في جامعه (٥/٢١١ ح ٢٩٦٩) وقال: حديث حسن صحيح، والإمام أحمد في المسند (٤/٢٦٧ ح ١٨٣٧٨)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي ٣٢٤٧.

(٢) تحفة الأحوذى ٢٤٧/٨.

٢. الدعاء يرد القضاء، وفي ذلك قال رسول الله ﷺ: ((لا يرد القدر إلا الدعاء))^(١).
وفي رواية: ((لا يرد القضاء إلا الدعاء)). فهذا دليل على أن الله سبحانه وتعالى يرفع بالدعاء ما قد قضاه على العبد.

٣. تنوع استجابة الدعاء. ومن ذلك ما روي مرفوعاً: ((ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم، إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث؛ إما أن يعجل له دعوته، وإما أن يدخرها له في الآخرة، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها))^(٢).

قال ابن حجر رحمته الله: "كل داع يستجاب له لكن تتنوع الإجابة؛ فتارة تقع بعين ما دعا به، وتارة بعوضه"^(٣). وغير هذا من الآيات والأحاديث الدالة على أهمية الدعاء. وإذا كان هذا شأن الدعاء فلا شك في أن له علاقةً وثيقةً بكل أنواع الصلوات التي تربط الإنسان، سواء كانت تربطه بربه وخالقه، أو تربطه بغيره من البشر، وسواء كانوا ممن لزمته صحبتهم من قرابة أو مقارنة، أو غيرهم ممن جمعتهم بهم هذه الحياة. وللدعاء آثار تتجلى وتتضح وتعمق في علاقات الإنسان بمن حوله، ومن ذلك ما فيه من تقوية هذه الروابط وربطها برباط الإيمان بالله تعالى.

ولذا سنعرض لبعض آثار الدعاء وعلاقتها بأنواع الصحبة:

أثر الدعاء بصحبة الوالدين:

إن المتأمل في كتاب رب العزة والجلالة يجد أن علاقة الدعاء بصحبة الوالدين تتجلى في ثلاثة أوجه:

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک (١/٦٧٠ ح ١٨١٤) وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، والترمذي في سننه (٤/٤٤٨ ح ٢١٣٩) بلفظ لا يرد القضاء إلا الدعاء، وقال: حديث حسن غريب. والإمام أحمد في المسند (٥/٢٨٠ ح ٢٢٤٦٦)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب ١٦٣٨.

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند (٣/١٨ ح ١١٤٩)، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة ١٥٤، وكذا في صحيح الترغيب ١٦٣٩.

(٣) انظر فتح الباري ١١/٩٥.

الوجه الأول: دعاء الوالدين للولد قبل أن يولد:

إن الغاية من مشروعية الزواج هو النسل، وتكثير الأمة، وتحقيق عبادة الله كما شرعها. والولد الصالح هو المعين على تحقيق هذا الهدف وهذه الغاية. ولذا نجد أنبياء الله عليهم السلام يبادرون بدعاء الله سبحانه بطلب الولد الصالح - لإدراكهم لهذه الحقيقة - فهذا نبي الله زكريا - عليه السلام - بعد ما بلغ من العمر عتياً ولم يرزق بولد، وخشي أن ينقطع نسله يلجأ إلى خالقه ومولاه بلسان الداعي بصوت خفي أن يرزقه الله الذرية الصالحة، المعينة له على حمل أعباء الدين وتكاليفه، قال تعالى: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [سورة آل عمران ٣/٣٨] . وقال جل ثناؤه:

﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ [سورة الأنبياء ٢١/٨٩]. والوالدان منذ لحظة ارتباطهما ببعضهما يتوجهان إلى الله أن يرزقهما الذرية الصالحة، ويسألانه العون على تربيتها التربية الإيمانية المنجية لهما، والموصلة بهما إلى خيري الدنيا والآخرة، وألا يكون هذا الابن سبباً في شقائهما أو صارفاً لهما عن الغاية الأساسية من وجودهما ألا وهي عبادة الله تعالى. قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمَلاً خَفِيًّا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنُكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [سورة الأعراف ٧/١٨٩] .

الوجه الثاني: الدعاء من الوالدين لولدهما:

يتوجه الوالدان إلى الله بعد إتمام نعمته عليهما بالولد بالثناء والحمد على ما رزقهما. ثم لا يزالان يطلبان من الله أن يتم نعمته عليهما فيحفظه لهما من كل سوء في حياته، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [سورة إبراهيم ١٤/٣٥] .

ثم إن هذا الولد قد يكون باراً وقد يكون عاقاً. ولقد صور القرآن الكريم صورة الابن العاق الذي يشغل والديه ويتعبهما طوال حياته ، وهما يلجآن إلى الله بالدعاء والتضرع له أن يرده إليهما رداً جميلاً . ولقد صور المولى جل ذكره معاناة الوالدين في هذه الحالة ، كما في

قصة نبي الله نوح - عليه السلام - فبعد أن جاء أمر الله بإهلاك الكافرين ، وفار التنور، وركب الناجون في سفينة النجاة لم يبق من ذريته إلى ذاك الولد العاق ، الذي رفض دعوة أبيه، وامتنع عن الركوب في السفينة وليكون مع الناجين في الدنيا من هذا العذاب. فكان مصيره مثل مصير القوم الكافرين. قال تعالى: ﴿ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَبْنَئِي أَرْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَاوِيَ إِلَىٰ جِبَلٍ يَّعِصْمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُعْرَقِينَ ﴾ [سورة هود ٤٢/١١ - ٤٣].

ثم ها هو نوح - عليه السلام - منشغل البال على ابنه فيلهج بالدعاء إلى ربه أن ينجيه. فيقول ، كما قال تعالى: ﴿ وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴾ [سورة هود ٤٥/١١]. فجاءت تلك الإجابة لتقطع كل الصلات فيما بينهما ، قال تعالى: ﴿ قَالَ يَنْتُوخُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَتَّخِذْ مَالَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعْطِكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ [سورة هود ٤٦/١١].

ولقد بين رسول الله ﷺ أهمية دعاء الوالدين لولدهما وعظم هذا الدعاء بقوله ﷺ: ((ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن؛ دعوة الوالد على ولده، و دعوة المسافر ، ودعوة المظلوم))^(١). وقال: ((ثلاث دعوات لا ترد؛ دعوة الوالد لولده، ودعوة الصائم، ودعوة المسافر))^(٢).

الوجه الثالث: الدعاء للوالدين:

لقد ربي الحق جل ثناؤه الولد الصالح على الاعتراف بالجميل لوالديه، ومقابلة إحسانهما إليه بطرق وأشكال متعددة؛ فقد أمر برهما، وقرن طاعتها بعبادته، وأمر بإحسان الصحبة لهما، وخص الدعاء لهما بالرحمة في حياتهما من بين أنواع البر بهما، قال تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٍ وَلَا

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه (٤١٦/٦ ح ٢٦٩٩)، والإمام أحمد في المسند (١٧/٢ ح ٥١٧٩)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع ٣٠٣١..

(٢) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٣٤٥/٣ ح ١٦٨٥)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع ٣٠٣٢.

نَهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْتَنِي صَغِيرًا ﴿سورة الإسراء ١٧/٢٣-٢٤﴾^(١).

ولقد صور القرآن الكريم مثلاً لابن بار إنه نبي الله وخليله إبراهيم - عليه السلام - حيث كان باراً بوالديه رحيماً بهما، دعاهما إلى الإيمان بالله وحده وترك عبادة ما سواه، أما أبوه فكان من الكافرين المعاندين، حيث رفض دعوة ابنه، فدعا إبراهيم عليه السلام ربه بالمغفرة لوالديه ، كما في قوله تعالى: ﴿ قَالَ سَلِّمْ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴾ [سورة مريم ١٩/٤٧]. وقال في موضع آخر: ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴾ [سورة إبراهيم ١٤/٤١]. وما زال يدعو لأبيه إلى أن جاءه النهي من الله بعدم الاستغفار للكافرين ، قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَتْ أَسْتَغْفَرُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلاَّ عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَّهَا إِتَاءَهُ فَلََمَّا بُنِنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴾ [سورة التوبة ٩/١١٤] .

أما بعد موت الوالدان فإن صور الإحسان لهما لا تنقطع، بل إن منها الاستغفار لهما و الصدقة عنهما، و قضاء دينهما، و صلة الرحم التي لا توصل إلا بهما، بل إن أفضل صور الإحسان لهما الدعاء، كما بين ذلك النبي ﷺ حيث قال: ((إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث)) و ذكر منها ((أو ولد صالح يدعو له))^(٢).

أثر الدعاء في الصحبة بين الزوجين:

إن كل أمر يقدم عليه الإنسان لا يخلو من سؤال الله تعالى ودعائه أن يتم له هذا الأمر ويختار له الخير فيه. و أمر الزواج من أهم تلك الأمور التي يحتاج فيها المرء لتوفيق الله. فيتوجه إلى الله بصادق الدعاء أن يرزقه الله الولد الصالح. قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ [سورة الفرقان ٢٥/٧٤]. فإذا عزم الرجل على خطبة امرأة فإنه يلجأ إلى الله ويستخيره في أمرها كما بين ذلك النبي ﷺ في حديث الاستخارة - المشهور - حتى ينشرح صدره فيقدم على خطبتها.

(١) وقد تقدم الحديث عن هذه الآية في المباحث المتقدمة.

(٢) سبق تخرجه ص ٥٤.

وكذلك المرأة إذا تقدم لها من يخطبها فإنها تلجأ إلى الله بالاستخارة والدعاء ليتجلى لها أمره، هل هو الذي ترتضيه ليكون الزوج والصاحب والرفيق في هذه الحياة، ويحقق لها السكن والطمأنينة أم لا؟. فإذا تم الزواج بينهما فإنهما يكونان في أمس الحاجة إلى دعاء الله أن يؤلف بينهما ويبارك لهما، سواء كان الدعاء منهما، أو ممن يحيط بهما من أهلها وقرابتهما. كما أرشد النبي ﷺ إلى ذلك بقوله: ((بارك الله لك، وبارك عليك، وجمع بينكما في خير))^(١).

وكذلك إرشاده ﷺ للزوجين أن يبدأ علاقتهما بدعاء الله والتضرع إليه بأن يبارك لهما في ارتباطهما ويجنب الشيطان ما رزقهما. كما قال ﷺ: ((لو أن أحدهم إذا أراد أن يأتي أهله قال: باسم الله، اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا، فإنه إن يقدر بينهما ولد في ذلك لم يضره شيطان أبدا))^(٢). وقال في حديث آخر: ((إذا تزوج أحدكم امرأة أو اشترى خادما فليقل: اللهم إني أسألك خيرها وخير ما جبلتها عليه، وأعوذ بك من شرها وشر ما جبلتها عليه))^(٣). وهكذا في سائر حياتهما يلجآن إلى الله في كل ما يلزمهما من سعادة وهناء، فيلهجان بالشكر والثناء و يسألانه أن يبعد عنهما التعاسة والشقاء.

وإذا ألمت بحياتهما لمة لجأ إلى المولى جل ثناؤه ليكشف عنهما ما ألم بهما. فهذا زكريا - عليه السلام- عندما شكى إلى الله حاله، لم ينس زوجته ومحتتها بل دعا الله له ولها، فكان جزاؤه أن أصلح الله له وزوجه ورزقه منها بالولد الصالح^(٤).

أثر الدعاء في صحبة الأقارب:

ليس هناك أمر يؤلف بين القلوب، ويجمع شمل الإخوة والقرابة على المحبة والمودة كالدعاء. إذ يقلب ما يكون بينهم من بوادر العداوة والبغضاء إلى صحبة قوية ومتينة، رباطها طاعة الله.

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک (٢/١٩٩ ح ٢٧٤٥) وقال: حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وأبو داود في سننه (٢/٢٤١ ح ٢١٣٠)، والترمذي في سننه (٣٠/٤٠٠ ح ١٠٩١) وقال: حديث حسن صحيح.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب ما يقول إذا أتى أهله، (٥/٢٣٤٧ ح ٦٠٢٥).

(٣) رواه أبو داود في سننه (٢/٢٤٨ ح ٢١٦٠)، والنسائي في سننه (٦/٧٤ ح ١٠٠٩٣)، وابن ماجه في

سننه (٢/٧٥٧ ح ٢٢٥٢) قال الألباني في مشكاة المصابيح ٢٣٨٠، إسناده حسن.

(٤) كما تقدم الحديث عن هذا.

ولقد صور الحق جل ذكره هذا في قصة يوسف - عليه السلام - وكيف أن دعاءه أنجاه من الوقوع في المعصية، حيث توجه إلى ربه قائلاً: ﴿رَبِّ السِّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾﴾ [سورة يوسف ١٢/٣٣-٣٤].

ثم يدخل السجن وتتوالى عليه الأيام والسنون، ويخرج من السجن ليتولى شؤون الدولة والتصرف في خزائنها، وهاهي الأيام تمضي ويأتي إخوته يطلبون العون منه، وتدور بنهم أحداث سيأتي بيانه لاحقاً ثم يطلبون منه العفو، كما في قوله تعالى: ﴿قَالُوا تَأَلَّوْا لِلَّهِ لَقَدْ أَتَرَكْنَا اللَّهَ عَالِينَ وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمْ أَيُّومٌ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ

الرَّحِيمِ ﴿٩٢﴾﴾ [سورة يوسف ١٢/٨٨-٩٢]. نعم: لقد عفا عنهم وأعرض عن لومهم بل سماحهم سماحاً تاماً من غير تعيير لهم، وأعقب هذا التسامح بالدعاء لهم بالمغفرة والرحمة، في دليل على أهمية الدعاء لهم وأثره عليهم، وهذه نهاية الإحسان الذي لا يتأتى إلا ممن خصهم الله بالعزم والتمكين والنصر^(١).

ومثله رسول الهدى صلوات الله وسلامه عليه، عندما ضرب أروع المثل في التسامح عمن آذاه جسدياً ونفسياً، حين عفا عن أهل مكة بعد الفتح، وقال قوله ﷺ: ((اذهبوا فأتتم الطلقاء))^(٢).

أثر الدعاء في صحبة المقارنة:

تقدم معنا عظم شأن الدعاء وعظيم نفعه، وأن هذا النفع لا يقتصر على الإنسان وحده. بل يتعداه ليشمل جميع من له حق الصحبة، سواء كانت صحبة قرابة كما تقدم، أو صحبة مقارنة، كحاكم أو مسؤول أو جار أو صاحب في سفر أو غيرهم. وإنه سبب لحصول المودة، وبه تتأصل وتثبت دعائمها، وهو دليل على صدق هذه العلاقات سواء كانت علاقة صحبة أو أخوة أو غيرها من العلاقات. ودليل على الترابط بين المسلمين بعضهم ببعض. فهذا هو الحق تبارك وتعالى يبين حال المؤمنين وأنهم يدعون ربهم ليغفر لهم

(١) انظر جامع البيان ١٣/٥٦، الجامع لأحكام القرآن ٩/٢٥٧، تفسير ابن سعدي ٣٦٠.

(٢) سبق تخريجه ص ٦٦.

ولجميع إخوانهم، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [سورة الحشر ١٠/٥٩]. وقال تعالى على لسان نبيه نوح - عليه السلام -: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ الْإِنْبَارًا﴾ [سورة نوح ٢٨/٧١].

ومن ولاة الله رعية سواء كان حاكماً أو مستولاً أو غيرهم، فإنه في أمس الحاجة إلى دعاء الله ليثبته ويعينه على تحقيق ما تستلزمه هذه الرعية، من تحقيق العدل وتأدية الأمانة على الوجه المأمول^(١).

أما من كانوا تحت ولايته، فإن الدعاء منهم له من أهم الحقوق التي تجب في حقهم تجاهه. كما تقدم الحديث عن النصيحة لولي أمر المسلمين في المبحث السابق، ومن النصح له هو الدعاء له بالتوفيق والهداية وصلاح النية والعمل الصالح، وصلاح البطانة. لأن في صلاحه صلاحاً للإسلام والمسلمين. فمن تمام النصح دعوة صادقة لولي الأمر ابتغاء ثواب الله.

ولقد نقل عن بعض أهل العلم قوله: "لو كان لي دعوة مستجابة ما صيرتها إلا في الإمام لأني لو جعلتها لنفسي لم تجاوزني ولو جعلتها له كان صلاح الإمام صلاح العباد والبلاد"^(٢).

أما إذا كان جاراً فإن من حقوق الصحبة بينهم الدعاء له والاستغفار، لأنه داخل في عموم قوله ﷺ: ((مامن عبد مسلم يدعو لأخيه بظهر الغيب إلا قال الملك: ولك بمثل))^(٣). فالدعاء له بالهداية والثبات وهذا مما يؤلف الصدور، ويجمعها على المحبة والألفة. أما إن كان جار سوء فإن الدعاء بصرف شره وأذاه عن جيرانه، والدعاء له بالهداية، لعل الله أن يهديه ويغير من حاله.

وإذا كان الإنسان في سفر فما أشد حاجته لدعاء ربه. وقد أرشد رسول الله ﷺ إلى هذا فشرع دعاء السفر حيث روي عنه ﷺ أنه إذا استوى على بعيره خارجاً إلى سفر ((كبر ثلاثاً ثم قال: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ (١٣) وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾ [سورة الزحرف

(١) الدعاء مفهومه - أحكامه - أخطاء تقع فيه. ٣.

(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبد الرؤوف المناوي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط: الأولى، ١٣٥٦هـ/٦.٣٩٩.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، باب فضل الدعاء للمسلمين بظهر الغيب (٤/٢٠٩٤ ح ٢٧٣٢).

اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى، ومن العمل ما ترضى، اللهم هون علينا سفرنا، هذا واطو عنا بعده، اللهم أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل، اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر، وكآبة المنظر، وسوء المنقلب في المال والأهل، وإذا رجع قالهن وزاد فيهن: آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون))^(١).

ثم حث المسافر على وداع أهله وخلانته، حيث كان ﷺ يودع أصحابه إذا عزم على السفر، بقوله: ((أستودعك الله الذي لا تضيع ودائعه))^(٢).

وكذا حث المقيم أن يدعو لأخيه المسافر بقوله: ((أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك))^(٣).

وبين أن للمسافر دعوة لا ترد كما في قوله ﷺ: ((ثلاث دعوات لا ترد)) وذكر منها ((دعوة المسافر))^(٤).

ثم إن الصحبة مع غير البشر تتطلب الدعاء - كالدواب وغيرها - لذا جاء الحث بالدعاء لها، خاصة ما له صلة بالإنسان، ويستخدمها في حياته، فقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال لمن اشترى دابة أو ركب دابة أن يأخذ بسنامها، ويقول: ((اللهم إني أسألك خيرها وخير ما جبلتها عليه، وأعوذ بك من شرها وشر ما جبلتها عليه))^(٥). كذلك حديث ركوب الدابة وما يقوم مقامها، كما في دعاء السفر المتقدم.

ومما تقدم يتبين لنا أن الدعاء من أهم الأسس التي تبني عليها علاقة الصحبة، وأنه أمر لا يستغني عنه المرء في حياته، فهو يتوجه إلى الله بقلبه في أي وقت، يرفع يديه إلى خالقه ومولاه،

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، باب ما يقول إذا ركب في سفر الحج وغيره (٢/٩٧٨ ح ١٣٤٢).

(٢) أخرجه النسائي في سننه (٦/١٣٠ ح ١٠٣٤٢)، وابن ماجه في سننه (٢/٩٤٣ ح ٢٨٢٥)، وقال الألباني في السلسلة الصحيحة ٥١/١، إسناده جيد.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرک (١/٦١٠ ح ١٦١٧) وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وابن خزيمة في صحيحه (٤/١٣٧ ح ٢٥٣١)، والإمام أحمد في المسند (٢/١٣٦ ح ٦١٩٩)، والألباني في السلسلة الصحيحة ٤٩٨، وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين.

(٤) الحديث سبق تخريجه ١٩٠.

(٥) سبق تخريجه ص ١٩٢.

يطلب حاجته. وحق على الله سبحانه وتعالى أن لا يردهما صفرا، كما روي عن النبي ﷺ، قوله: ((إن الله حيي كريم يستحي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفرا))^(١). وفي رواية قال: ((إن الله حيي كريم، يستحي إذا رفع الرجل إليه يديه أن يردهما صفرا خائبين))^(٢).

والدعاء موضوع عظيم له آداب وشروط وأوقات يستحب فيها أكثر من غيرها، وله أسباب تدعو للإجابة، وهناك موانع وأخطاء عديدة تعوق دون إجابته، ليس هذا مجال بسطها، لذا يرجع له في مظانها^(٣).

(١) رواه ابن حبان في صحيحه (١٦٠/٣ ح ٨٧٦) وأبو داود في سننه (١٤٨٨ ح ٧٨/٢) باب الدعاء.

(٢) رواه الترمذي في سننه (٥٥٦/٥ ح ٣٥٥٦) وقال: حديث حسن غريب وروى بعضهم ولم يرفعه. والبيهقي في سننه الكبرى (٢١١/٢ ح ٢٩٦٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع ١٧٥٧.

(٣) للاستزادة انظر الدعاء مفهومة .

المبحث السابع: أسس الصحة السيئة

إن لكل بناء أساساً وقواعد يقوم عليها، فإذا كانت الأسس والقواعد ثابتة وقوية كان البناء قوياً ومتماسكاً، إلى أن يشاء الله. أما إذا كانت هذه الأسس قائمة على الغش والخداع فإن البناء لا يلبث أن يسقط على أصحابه ومن معهم. ويكون مآله إلى زوال، كما قال تعالى:

﴿ أَفَمَنْ أَكْسَبَ بُيُوتَهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَكْسَبَ بُيُوتَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرْفٍ هَارٍ فَأْتَمَّارٍ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [سورة التوبة ١٠٩/٩].

والصحة بنوعها لا بد لها من أسس وقواعد يسير عليها من ربطتهم هذه العلاقة. وقد تقدم ذكر أهم أسس الصحة الصالحة، التي تكون عاقبة أصحابها جنة عرضها السموات والأرض، يلتقون فيها على سرر متقابلين.

أما الصحة السيئة فإنها تبدأ بشقاء في هذه الحياة وتستمر إلى أن يحين وقت الفراق فيزداد الأمر سوءاً بعد سوء. إلى أن يأتي يوم الفصل ليتجلى الأثر الفعلي لهذه العلاقة بوضوح، فيبدأ العداء بصورة المتعددة من تلاعن وتبرؤ وتقطع لجميع الصلات فيما بينهم، كما قال تعالى:

﴿ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾ [سورة الزخرف ٦٧/٤٣]. وينتهي بهم المقام إلى عذاب النار وبئس المصير. كما سيأتي بيانه إن شاء الله في مبحث عاقبة الصحة السيئة. لذا كان لزاماً أن نعرف هذه الأسس أو السمات التي يشترك فيها أصحاب السوء، وتكون علامة وسمة بارزة لهم ليتسنى للجميع معرفتهم والحذر منهم.

والتأمل في كتاب الله يجد أن هذه الأسس تدرج تحت ثلاثة أقسام رئيسة، وكل قسم يحتوي على صور وعلامات من علامات أصحاب السوء التي حذر المولى - جل ثناؤه - منها، أو أن يتصف بشيء منها. هذه الأقسام على النحو الآتي:

القسم الأول: ما يتعلق بالجانب الاعتقادي:

إن الله - جل جلاله - عندما خلق الإنسان خلقه لحكمة عظيمة ولغاية سامية، ألا وهي عبادة الله وحده، وإقامة شرع الله في الأرض، كما جاء ذلك في عدد من الآيات، والتي منها قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [سورة الذاريات ٥١/٥٦].

ثم إن لأصحاب السوء أساليب يحاولون من خلالها التأثير على من حولهم، من هذه الصور والأساليب التي صورها المولى - جل ثناؤه - في كتابه العزيز:

❖ الصد^(١) عن سبيل الله والإعراض عن آياته بكل الوسائل سواء بالقول، كما قال تعالى:

﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَفِرُونَ﴾ [سورة الأعراف ٧/٧٦].

أو بأخذ العهود والمواثيق، كما في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ

كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ

لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [سورة الحشر ١١/٥٩].

أو بإنفاق الأموال في سبيل ذلك كما في قال - جل جلاله -: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ

أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا

إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ [سورة الأنفال ٨/٣٦].

❖ الخوض^(٢) في آيات الله بالباطل، قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ

حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾

[سورة الأنعام ٦/٦٨] وغيرها من الآيات.

❖ الاستهزاء بآيات الله، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا

نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ [سورة التوبة ٩/٦٥]، وقال

- جل ثناؤه -: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [سورة

الأنعام ٥/٦]، وقال: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿١٥﴾ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ

يَعْلَمُونَ﴾. [سورة الحجر ١٥/٩٥-٩٦].

(١) الصد: الإعراض، وقيل: المنع بالأعز الصارف عن الأمر. قال الراغب: يكون انصرافاً عن الشيء وامتناعاً عنه. وقد يكون صرفاً ومنعاً معاً، وقيل صرف إلى ناحية بإعراض وتكره. التعاريف ٤٥٢. لسان العرب ٣/٤٥٥ مادة (صد).

(٢) الخوض: المشي في الماء وتحريكه، ثم استعمل في التلبس بالأمر والتصرف فيه، والخوض في الكلام: مافيه الكذب والباطل. لسان العرب ٧/٤٧٧ مادة (خوض).

❖ مشاققة^(١) الله ورسوله، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ

الْعِقَابِ﴾ [سورة الحشر ٤/٥٩].

❖ التزيين^(٢) قال تعالى: ﴿وَقِيضْنَا لَهُمْ قُرْنَاءَ فَرِيضَاتٍ أَلْمَسُوا أَيْدِيَهُمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ

الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَسِرِينَ﴾ [سورة فصلت

٢٥/٤١]. وغيرها من الصور^(٣).

ومن خلال ما تقدم يتبين أن أهم أساس لهذه العلاقة أو لغيرها هو الجهل إذ إنه أهم الطرق للصد عن سبيل الله ومشاققة الله ورسوله، والداعي للاستهزاء بآيات الله وهذا ما نلاحظه على أصحاب السوء عامة وفي وقتنا الحاضر خاصة.

ف نجد عند هؤلاء الأصحاب عدم معرفة بالحق وعدم طلب له، بل نجد محاربتهم لمن يبحث عن الحق. ثم إن مجاراتهم لأمثالهم من السفهاء والجهال أدت بهم إلى زيادة الجهل. وإن كنا في عصر سهل فيه الحصول على المعرفة، ولا يسع أحداً الجهل إلا من أخذته العزة بالإثم وهذه هي الغالبة على أصحاب السوء. ولذا قيل:^(٤)

فلا تصحب أحبا الجهل وإياك وإياه
فكم من جاهل أردى حلما حين آخاه

(١) الشق: الصدع البائن، وقيل: غير البائن، وقيل الصدع عامة. والمشاققة والشقاق غلبة العداوة والخلاف. شاقه مشاققة وشقاقاً خالفه، والشقاق: العداوة بين الفريقين. لسان العرب ١٠/١٨١-١٨٣ مادة (شقق).

(٢) التزيين: التحسين، قال الشيخ ابن عثيمين رحمته الله: التزيين: جعل الشيء بهياً في عين الإنسان، أو في سمعه، أو في مذاقه، أو في فكره؛ المهم أن أصل التزيين جعل الشيء بهياً جميلاً جذاباً؛ والمزِين إما أن يكون الله، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زِينُوا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ﴾ [النمل: ٤]؛ وإما أن يكون الشيطان؛ لقوله تعالى: ﴿وَزِين لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾ [النمل: ٢٤]؛ ولا منافاة بين الأمرين؛ فإن الله زين لهم سوء أعمالهم؛ لأنهم أساءوا، والتزيين من الله باعتبار التقدير؛ أما الذي باشر التزيين، ووسوس لهم بذلك فهو الشيطان. تفسير العلامة محمد العثيمين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين مصدر الكتاب: موقع العلامة العثيمين، على الشبكة العنكبوتية. ١٥/٥.

(٣) وقد تقدم ذكر بعض منها في مبحث صحبة الأتباع.

(٤) ديوان علي بن أبي طالب ١٧٤.

القسم الثاني: ما يتعلق بالجانب الأخلاقي:

إن الله جل جلاله جبل الخلق على حب الخير، وعلى حسن الخلق، ومكارم الأخلاق وأرسل رسله متممين وداعين لهذا، كما جاء عن النبي ﷺ أنه قال: ((بعثت لأتمم صالح الأخلاق))^(١). وفي رواية: ((إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق))^(٢).

لكن أصحاب السوء جنحوا عن الطريق القويم في الأخلاق، فاتخذوا من سوء الخلق سمة بارزة يمتازون بها عن سواهم من الخلق، ولقد ذكر بعض أهل العلم صوراً ومظاهر لسوء الخلق، نذكر منها على سبيل الإيجاز لا الحصر:

❖ السخرية، واللمز، والتنازب بالألقاب، وسوء الظن، والتجسس، والغيبة. كل ذلك جاء

النهي عنها في قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرُوا قَوْمٍ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ

وَلَا نِسَاءً مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَرُوا بِاللِّقَابِ بئسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ

بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ

الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا

فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿سورة الحجرات ٤٩/١١-١٢﴾. فانتشار هذه

صفات الذميمة بين الأصحاب أو بعضهم يدل على أنهم أصحاب سوء، وأن صحبتهم قائمة على سوء الأخلاق.

❖ اتباع الهوى والشهوات، التي حذر المولى - جل ثناؤه - منها نبيه داود - عليه السلام -

حيث قال: ﴿يٰٓدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ

عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿سورة ص

٢٦/٣٨﴾ وقال: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا

مَيْلًا عَظِيمًا ﴿سورة النساء ٤/٢٧﴾ أي: إن الذين يطلبون لذات الدنيا وشهوات

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک (٢/٦٧٠ ح ٤٢٢١). وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٢٨٣٣.

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند (٢/٣٨١ ح ٨٩٣٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٢٣٤٩.

النفس يسعون إلى أن يميل إليهم كل إنسان فيركن إلى الهوى والشهوات، فيقع في المعاصي، فيميل عن أمر الله وعن الحق ميلاً عظيماً.

❖ الخيانة، والخداع، وتدبير المكاييد، والمكر: من أبرز سماتهم، قال تعالى واصفاً المنافقين

وأصحاب السوء في أكثر من موضع: ﴿ وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [سورة الأنفال ٧١/٨] وقال تبارك وتعالى: ﴿ يُخَدِّعُونَ اللَّهَ

وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخَدِّعُونَ إِلَّا أَنفُسُهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ [سورة البقرة ٩/٢]. وقال عن المنافقين خاصة: ﴿ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَّرُوا مِنَ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّنُونَ فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ [سورة النساء ٨١/٤].

وقال عن مكر أصحاب السوء من الكفرة وغيرهم: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ ﴾ [سورة الأنفال ٣٠/٨].

❖ حب الاجتماع على فعل الفواحش والمنكرات والتلذذ بسماع أخبار الناس.

❖ قبض اليد والقعود عن صنع المعروف، فإذا طلب من أحدهم تقديم النفع سواء بالمال أو

بأي صورة تقاعسوا عن ذلك كما حكى المولى - جل ثناؤه - عنهم حيث قال تعالى:

﴿ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ

الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيهِمْ إِتَّكَ الْمُنْفِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [سورة التوبة ٦٧/٩].

القسم الثالث: ما يتعلق بمعاملة الآخرين:

إن الله جل جلاله عندما خلق الخلق شرع لهم ما تقوم به حياتهم من حسن معاملة غيرهم، سواء كانوا ممن جمعتهم الصحبة أو غيرهم، فشرع الصدق في الحديث، و الرفق والإحسان وحب الخير في المعاملة، والبشاشة والابتسام في المنظر.

أما أصحاب السوء فقد اتخذوا لأنفسهم سمات عرفوا بها خاصة في معاملتهم الخلق، سواء كانوا أصحاباً لهم أو من غيرهم، ومن تلك السمات، التي قد تعد من أهم الأسس التي يجتمع عليها أصحاب السوء والتي يجب الحذر منها ومن أهلها:

❖ التعاون فيما بينهم على الإثم والعدوان، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا

عَلَى الْإِثْمِ وَالعُدْوَانِ﴾ [سورة المائدة ٢/٥].

❖ الحرص على إيذاء الخلق كما فعل الذين آذوا موسى - عليه السلام - حيث قال تعالى

محذراً من فعلهم: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَاتُكُونُوا كَالَّذِينَ ءَاذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَأَهُ اللهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ

الله وَجِيهاً﴾ [سورة الأحزاب ٦٩/٣٣]. وقال تعالى في شأن التحذير من إيذاء الخلق:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالأٰخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُّهِيناً﴾ [سورة

الأحزاب ٥٧/٣٣].

وكذا عد من صفات المنافقين: ﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنٌ

خَيْرٌ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللهِ لَهُمْ

عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [سورة التوبة ٦١/٩].

❖ والتناجي بالسوء، ومنه ما ورد النهي عنه كما جاء النهي عن المناجاة بالإثم

والعدوان، ومعصية الرسول، والتحية بغير ما شرع الله، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ

كُفِرُوا عَنِ النَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا كُفِرُوا عَنْهُ وَيُنَاجُونَكَ بِالْإِثْمِ وَالعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَإِذْ جَاءُوكَ

حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُكُمْ جَهَنَّمُ يَصَلُّونَهَا فَيَنْسَسُ

أَلْمَصِيرُ﴾ [سورة المجادلة ٨/٥٨]. وحبهم للفتنة وإشاعة الفاحشة بين الناس، كما حدث

لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها حينما حرص أصحاب الإفك على نشره بين الناس فما كان

من أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه إلا أن نفى عن أم المؤمنين رضي الله عنها هذا الفعل فجاء الشاء

على فعله من الله حيث قال تعالى: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا

وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ [سورة النور ١٢/٢٤].

❖ الحسد والغيرة من أهم ما يميزهم، قال تعالى: ﴿أَمَّا يَحْسَدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَاءِ أَنَّهُمْ اللهُ مِنْ

فَضْلِهِ فَقَدْ ءَاتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكُتُبَ وَالحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ [سورة النساء

٥٤/٤].

فهؤلاء أصحاب قارون يحسدونه على ما آتاه الله . كما جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ۗ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا إِنَّا لِلْآثِمِينَ كَاذِبُونَ ۗ لَدُوْحَظٍ عَظِيمٍ ﴾ [سورة القصص ٢٨/٧٩]. فلما حل به العذاب تبرؤوا من حاله كما قال تعالى: ﴿ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيُكَابِتُ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۗ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيُكَافَىٰ لَهُ لَا يَفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ [سورة القصص ٢٨/٨٢].

❖ ومن سماتهم جعل العرف والاجتماع على حمية الجاهلية هي المسيطرة على تلك العلاقات، وهذا ما كان من حال المشركين الذين يعيرون على رسلهم أن من تبعهم كانوا ممن هم دونهم، فقال تعالى على لسانهم: ﴿ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا زَنَّاكَ إِلَّا بَشْرًا مِثْلَنَا وَمَا زَنَّاكَ إِلَّا الَّذِي اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِادِّئِ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴾ [سورة هود ١١/٢٧]. وكذا كان حال كفار مكة يدعون النبي ﷺ لترك مجالسة من آمن به من الضعفاء لفقيرهم ووضاعتهم في أقوامهم ويجعلون ذلك شرطاً ليجالسوه ويسمعوا منه فجاءه الأمر من الله بلزوم هؤلاء الأصحاب الذين تركوا زينة الحياة الدنيا وطلبوا ما عند الله فأمره بمجالستهم حيث قال: ﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۗ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ [سورة الكهف ١٨/٢٨].

الباب الثاني

الباب الثاني: الصحبة من خلال القصص القرآني (تطبيقات):

الفصل الأول: الصحبة في قصص الأنبياء، وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: صحبة النبي صلى الله عليه وسلم.

المبحث الثاني: صحبة نوح ولوط عليهما السلام لزوجتيهما.

المبحث الثالث: الرهط التسعة في قصة ثمود.

المبحث الرابع: أصحاب القرية.

الفصل الثاني: صحبة غير الأنبياء، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أصحاب البستان.

المبحث الثاني: أصحاب الفيل.

المبحث الثالث: صحبة فرعون و أبي لهب لزوجتيهما.

الفصل الثالث: الصحبة في سورة يوسف، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: يوسف - عليه السلام - وإخوته.

المبحث الثاني: يوسف - عليه السلام - والنسوة.

المبحث الثالث: يوسف - عليه السلام - وصاحب السجن.

الفصل الرابع: الصحبة في سورة الكهف، وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: صحبة أهل الكهف.

المبحث الثاني: صحبة صاحب الجننتين.

المبحث الثالث: صحبة موسى - عليه السلام - لفتاه.

المبحث الرابع: صحبة موسى - عليه السلام - للعبد الصالح.

الفصل الأول: الصحبة في قصص الأنبياء.

المبحث الأول: صحبة النبي - صلى الله عليه وسلم -.

المبحث الثاني: صحبة نوح ولوط - عليهما السلام - لزوجتيهما.

المبحث الثالث: الرهط التسعة في قصة ثمود.

المبحث الرابع: أصحاب القرية.

المبحث الأول: صحبة النبي - صلى الله عليه وسلم-

تقدم معنا أن الصحبة هي العلاقة التي تجمع أفرادها بصور مختلفة؛ إما بالمصاحبة أو المرافقة أو المجالسة والموافقة لأمر ما.

أما في هذا المبحث فيختلف المعنى، حيث تنتقل من كونها علاقة تجمع بين شخصين أو أكثر، إلى كونها تشريفاً ومنزلة يحصل لصاحبها الأجر، وتترتب عليها حقوق خاصة. كذلك أصبح لها تعريف خاص بها، وأصحابها عرفوا باسم خاص ألا وهو (الصحابة).

فالصحابة: هم أصحاب النبي محمد ﷺ، الذين صحبوه، وجالسوه، وسمعوا منه، وأخذوا عنه هدي الإسلام وسنته، فناصروه، وعزروه، وجاهدوا معه بأموالهم، وأنفسهم في سبيل الله.

قال تعالى في وصفهم: ﴿شُحِّدَ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ [سورة الفتح ٤٨/٢٩].

وقال - جل ثناؤه -: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَأُوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [سورة الأنفال ٨/٧٤]. وقال: ﴿لَيْكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [سورة التوبة ٩/٨٨].

وكما أن النبوة اصطفاء واختيار، فكذلك الصحبة للأنبياء اصطفاء واختيار. قال رسول الله ﷺ: ((إن الله تعالى اختارني واختار لي أصحابا، فجعل لي منهم وزراء وأنصارا وأصحابا، فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منه يوم القيامة صرف ولا عدل))^(١).

(١) رواه الحاكم في المستدرک علی الصحیحین (٣/٧٣٢-٦٦٥٦) وقال: حدیث صحیح ولم یخرجاه. والطبرانی في المعجم الكبير (١٧/١٤٠) ح رقم ٣٤٩ وضعفه الألبانی في السلسلة الضعیفه ٣٠٣٦.

أما تعريف الصحابي فقد اختلفت عبارات العلماء في ذلك^(١) ومنها:

- ❖ أن الصحابي: كل مسلم رأى النبي ﷺ.
- ❖ وقيل: الأولى أن يقال: من لقي النبي ﷺ مسلماً ومات على إسلامه.
- ❖ وقال بعضهم: من طالت مجالسته له على طريق التبعية له والأخذ عنه.
- ❖ وشرط بعضهم: أن يتخصص بالرسول ﷺ ويتخصص به الرسول ﷺ، ثم تعرف صحبته بالتواتر^(٢) أو الاستفاضة^(٣) أو قول صحابي عنه.

والتأمل في القرآن الكريم يجد أن مفهوم الصحبة الخاصة بالرسول ﷺ تنقسم إلى قسمين:

١. مفهوم عام؛ لا يقتضي مدحاً ولا ذمّاً، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ﴾ [سورة التكويد ٢٢/٨١]، وقوله: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾ [سورة النجم ٢/٥٣]. حيث أثبت لهم الصحبة لكنها صحبة اشتراك، وليست صحبة اتباع وامتنال.

٢. مفهوم خاص؛ يقتضي الثناء والمدح، ويترتب له الأجر. ويعرف ذلك من الألفاظ ودلالاتها، ومثال ذلك: ثناؤه - سبحانه وتعالى - على المهاجرين والأنصار، الذين ناصروه وعزروه. من ذلك قوله تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْتِ بِبَعْضِكُمْ مِّنْ بَعْضٍ فَأَلْزَمْنَا الَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ تَوَافًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ [سورة آل عمران ١٩٥/٣].

ولكثرة الأمثلة في هذا الشأن نقصر على صورتين لهذه العلاقة، والتي يتضح من خلالها كيف كانت الصحبة بين النبي ﷺ و من جمعته بهم هذه العلاقة، وكيف كان اعتناؤه ﷺ بأسس هذه العلاقة وقيامه بحقوقها وآدابها، حتى وإن كانت مع المخالفين له.

(١) انظر: تدريب الراوي ٢/٢٠٩، شرح نخبة الفكر ١/٥٧٥-٥٨٠، فتح المغيث ٣/٩٣-١٠٠.

(٢) كأبي بكر وعمر، وبقية العشرة رضي الله عنهم.

(٣) أي: الشهرة القاصرة عن التواتر.

الصورة الأولى: صحبته ﷺ لعمه أبي طالب: (الصحبة بالمعنى العام)

ولد النبي ﷺ يتيم الأب، فكفله جده عبد المطلب، ثم لما توفي عهد بكفاله إلى عمه أبي طالب^(١)، وهو ابن ثماني سنين. فحضر أبو طالب بحق ابن أخيه على أكمل وجه، وضمه إلى ولده وقدمه عليهم، واختصه بمزيد من الرعاية والاحترام والتقدير، وكان في غاية الشفقة والحنو عليه. نشأ رسول الله ﷺ وترعرع في كنف عمه إلى أن بلغ أشده، وبلغ أربعين سنة، وعمه يعز جانبه، ويسط عليه حمايته، ويصادق ويخاصم من أجله^(٢).

ولما بعث النبي ﷺ وأمر بتبليغ الدعوة كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [سورة الشعراء ٢٦/٢١٤]. بدأ بالدعوة لأهله خاصة، فبدأ بدعوة بني هاشم، ومما جاء في هذا الشأن أن النبي ﷺ دعاهم إلى طعام ثم بدأ حديثه قائلاً: " الحمد لله أحمده وأستعينه، وأؤمن به وأتوكل عليه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ثم قال: إن الرائد لا يكذب أهله، والله الذي لا إله إلا هو إني رسول الله إليكم خاصة، وإلى الناس عامة، والله لتموتن كما تنامون، ولتبعثن كما تستيقظون، ولتحاسبن بما تعملون، وإنها الجنة أبدا والنار أبدا.

فقال أبو طالب: ما أحب إلينا معاونتك، وأقبلنا لنصيحتك، وأشد تصديقنا لحديثك! وهؤلاء بنو أبيك مجتمعون، وإنما أنا أحدهم غير أني أسرعهم إلى ما تحب فامض لما أمرت به، فوالله لا أزال أحوطك وأمنعك غير أن نفسي لا تطاوعني على فراق دين عبد المطلب. فقال أبو طالب: هذه والله السوأة، خذوا على يديه قبل أن يأخذ غيركم. فقال أبو طالب: والله لنمنعنه ما بقينا"^(٣).

(١) عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم، من قريش، أبو طالب: والد علي ﷺ وعم النبي ﷺ وكافله ومربيه ومناصره. توفي في السنة العاشرة من البعثة وقبل الهجرة بثلاث سنين. الأعلام ٤/١٦٦.

(٢) الرحيق المختوم، صفى الرحمن المباركفوري، المكتبة التدمرية، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط: ١٤١٩هـ. ٥٨.

(٣) الكامل في التاريخ، لابن الأثير، لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني، تحقيق: عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الثانية، ١٤١٥هـ. ٥٨٥/١، الرحيق المختوم ٧٩.

صدع النبي ﷺ بدعوته لأهل مكة لكنهم لم يصغوا إليه. بل وقفوا ضده واتهموه بالجنون تارة وبالضلالة تارة أخرى، فنفى عنه الحق تبارك وتعالى ذلك بقوله: ﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ﴾

[سورة التكوير ٢٢/٨١] وقوله: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾ [سورة النجم ٥٣/٢].

ثم أرادوا به كيدا لكنهم لم يستطيعوا أن يفعلوا شيئا لأن أبا طالب كان يحميه ويمنعهم عنه. فما كان منهم إلى أن توجهوا إليه يطلبون منه أن يرد ابن أخيه عن دعوته، وأن يكف عن سب آلهتهم. فكان أبو طالب يردهم بالحكمة وبالقول اللين والرد الجميل^(١).

ثم يبعث إلى رسول الله ﷺ، فيقول له: "يا بن أخي إن قومك قد جاءوني فقالوا لي: كذا وكذا الذي كانوا قالوا له، فابق علي وعلى نفسك ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق. فظن رسول الله ﷺ أنه قد بدا لعمه فيه بداء أنه خاذله ومسلمه، وأنه قد ضعف عن نصرته والقيام معه.

فقال له رسول الله ﷺ: ((يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته)). ثم استعبر رسول الله ﷺ فبكى، ثم قام. فلما ولى ناداه أبو طالب فقال: أقبل يا بن أخي، فأقبل عليه رسول الله ﷺ، فقال: اذهب يا بن أخي فقل ما أحببت، فو الله لا أسلمك لشيء أبدا. وأنشد قائلاً:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم
حتى أوسد في التراب دفينا
فامضي لأمرك ما عليك غضاضة
أبشر وقر بذاك منك عيونا
ودعوتني وزعمت أنك ناصحي
فلقد صدقت وكنت قبل أمينا
وعرضت ديننا قد عرفت بأنه
من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أو حذاري سبة
لوجدتني سمحا بذاك مبينا^(٢)

دافع أبو طالب عن رسول الله ﷺ في كثير من المواضع. ولقد امتحن رسول الله ﷺ في حبه لعمه أبي طالب، ومن ذلك ما روي في الصحيحين، ((عندما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه

(١) الرحيق المختوم ٨١.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبي محمد، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد دار الجليل، بيروت، ط: الأولى، ١٤١١ هـ. ١٠١/٢، دلائل النبوة للبيهقي ١٨٧/٢-١٨٨، والحديث ضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة ٩٠٩.

رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل بن هشام وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة، قال رسول الله ﷺ لأبي طالب، يا عم: ((قل لا إله إلا الله كلمة أشهد لك بها عند الله)) فقال: أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية، يا أبا طالب: أترغب عن ملة عبد المطلب، فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه ويعودان بتلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: هو على ملة عبد المطلب. وأبي أن يقول: لا إله إلا الله. فقال رسول الله ﷺ: ((أما والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك)) فأنزل الله تعالى^(١) نهيته لرسوله ﷺ، ولجميع المؤمنين بالكف عن الاستغفار للمشركين وإن كانوا أولي قربى، فقال: ﴿مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [سورة التوبة ١١٣/٩]. وأيضا قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [سورة القصص ٥٦/٢٨].

حزن عليه النبي ﷺ حزناً شديداً، واغتم لموته على غير الإسلام، حتى إن العام الذي توفي فيه سمي عام الحزن. وهكذا ختمت حياة أبي طالب بالكفر، ولم تغن عنه قرابته من النبي ﷺ، وحبه له، وصحبته شيئاً. فقد روي عن العباس بن عبد المطلب^(٢) أنه قال للنبي ﷺ: ((ما أغنيت عن عمك، فإنه كان يحوطك ويغضب لك؟

(١) سبق تخريجه ١٤١.

(٢) العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، أبو الفضل: من أكابر قريش في الجاهلية والإسلام، وجد الخلفاء العباسيين. قال رسول الله ﷺ في وصفه: أجود قريش كفا وأوصلها، هذا بقية آبائي!. وهو عمه. وكان محسناً لقومه، شديد الرأي، واسع العقل. وكانت له سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام. أسلم قبل الهجرة وكتبه إسلامه، وأقام بمكة يكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبار المشركين. ثم هاجر إلى المدينة، وشهد وقعة (حنين) وشهد فتح مكة. وعمي في آخر عمره. كانت وفاته في المدينة سنة ٣٢هـ، روى عن رسول الله ﷺ ٣٥ حديثاً. الأعلام ٣/٢٦٢.

قال ﷺ: ((هو في ضحضاح من نار ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار)).^(١) (٢)

الصورة الثانية: صحبة النبي ﷺ لأبي بكر الصديق^(٣) ﷺ: (الصحبة بالمعنى الخاص)

عندما بعث النبي ﷺ كان أبو بكر الصديق ﷺ أحد أصحابه قبل البعثة، وكان من أوائل من عرض عليهم النبي ﷺ دعوته السرية، فما كان من هذا الصاحب إلا أن استجاب لدعوة الحق، فكان أول من أسلم من الرجال، كما قال النبي ﷺ مادحاً إياه: ((ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلا كانت له فيه عنده كبوة ونظر وتردد إلا ما كان من أبي بكر بن أبي قحافة ما عكم^(٤) عنه حين ذكرته له وما تردد))^(٥).

أسلم أبو بكر الصديق ﷺ وأظهر إسلامه، وكان يمتاز بصفات الصاحب الصالح؛ من ألفة وحسن مجالسة، وعلم نافع، ونسب شريف... وغيرها من الصفات التي جعلت قومه يتوافدون عليه ويألفونه، إما لعلمه أو لتجارته أو لحسن معاشرته. وكان فطناً لهذا، فأخذ يدعو إلى

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب قصة أبي طالب (٣/١٤٠٨ ح ٣٦٧٠)، ومسلم في صحيحه، باب شفاعة النبي ﷺ لأبي طالب والتخفيف عنه بسببه (١/١٩٤ ح ٢٠٩).

(٢) (ضحضاح). معجمتين ومهملتين هو استعارة فان الضحضاح من الماء ما يبلغ الكعب، ويقال أيضاً لما قرب من الماء وهو ضد الغمرة، والمعنى أنه خفف عنه العذاب. وقد ذكر في حديث أبي سعيد ثالث أحاديث الباب أنه يجعل في ضحضاح يبلغ كعبه يغلي منه دماغه. انظر فتح الباري ٧/١٩٤، وشرح النووي على صحيح مسلم ٣/٨٤، وجاء في تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم ١/٢٣٤ "الضحضاح: ما يبلغ الكعبين من ماء أو نار و كل ما رق من الماء على وجه الأرض فهو ضحضاح." وفي النهاية في غريب الأثر ٣/٧٥.

(٣) عبد الله بن عثمان بن عامر بن كعب التيمي القرشي، ولد بعد الفيل بسنتين، صاحب رسول الله ﷺ في الغار والهجرة والخليفة من بعده، كان من رؤساء قريش في الجاهلية محباً إليهم، مألفاً لهم وكانت الصدقات تحمل إليه، لما جاء الإسلام كان أول من آمن برسول ﷺ من الرجال، وأسلم على يديه جمع من الصحابة، روى عن النبي ﷺ عدد من الأحاديث وروى عنه جمع من الصحابة وكبار التابعين، وشهد جميع الغزوات مع النبي ﷺ وبويع بالخلافة يوم قبض الرسول ﷺ في السنة ١١هـ. سار على نهج النبي ﷺ وحارب المرتدين، وجمع القرآن وسير الجيوش لفتح بلاد الشام والعراق، توفي سنة ١٣هـ وله من العمر ٦٣ سنة. أسد الغابة ٣/٣١٥-٣٣٩، الإصابة ٤/١٦٩-١٧٤.

(٤) ما تلبث ولا تريت، بل أجاب بسرعة.

(٥) انظر السيرة النبوية ٢/٩١، وبنحوه في التفسير الكبير ١٠/١٣٨، وفي النهاية في غريب الأثر ٤/٤٦ وقال: الكبوة الوقفة كوقوف العائر أو الوقفة عند الشيء يكرهه الإنسان.

الإسلام من وثق به من قومه فأسلم على يده عدد من الصحابة خاصة من العشرة المبشرين بالجنة.

كانت صحبته في الإسلام ولرسول الله ﷺ من أقوى أنواع العلاقات، فقد ناصر الدين بكل وسيلة؛ صدق بخبر الإسراء والمعراج فاستحق إطلاق لقب "الصديق" و "ذلك أن ناسا من قريش جاؤوا إليه، وقالوا له: هل لك في صاحبك يزعم أنه قد جاء بيت المقدس ثم رجع إلى مكة في ليلة واحدة. فقال أبو بكر الصديق: أو قال ذلك؟ قالوا: نعم. قال: فأشهد لئن كان قال ذلك لقد صدق. قالوا: فتصدقه؟ قال: نعم. أنا أصدقه بأبعد من ذلك أصدقه بخبر السماء" (١).

ولقد سبق أبو بكر ﷺ الناس بصحبة رسول الله ﷺ، ولكن قيمة هذه الصحبة تعود إلى شيء وقر في نفس أبي بكر فاق به من عداه ممن سبقه في مجالات عديدة، لا في مجال الصحبة وحدها، وحسبه أنه في مجال الإيمان وأساس القرب من الله والفوز برضوانه، وذلك من أهم أسس الصحبة الصالحة (٢)، كما روي في حقه ﷺ: ((لو وزن إيمان أبي بكر مع إيمان جميع الخلق لرجح إيمان أبي بكر)) (٣).

قابل أبو بكر الصديق ﷺ صحبة النبي ﷺ بصحبة صادقة فأيده وناصره، وناصر الدين وأهله ووظف ماله في خدمة هذه الدعوة، وعرض نفسه لأذى قريش بوقوفه في وجوههم، وبحماية شخص الرسول ﷺ، ومن ذلك ما روي عن علي بن أبي طالب ﷺ أنه خطب يوماً فقال: "أيها الناس أخبروني من أشجع الناس؟ قالوا: أنت. قال: أما إن ما بارزت أحداً إلا انتصفت منه، ولكن أخبروني بأشجع الناس؟ قالوا: لا نعلم. قال: أبو بكر، رأيت رسول الله ﷺ وأخذته قريش فهذا يجنبه وهذا يتلته، وهم يقولون: أنت الذي جعلت الآلهة إلهاً واحداً؟ قال: فو الله ما دنا منا أحد إلا أبا بكر يضرب هذا ويجأ هذا ويتل هذا، وهو يقول: ويلكم أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله. ثم رفع علي ﷺ بردة كانت عليه فبكى حتى

(١) انظر دلائل النبوة ٢/٣٦٠، جامع البيان ٥/٦١، تفسير ابن كثير ٣/١٢.

(٢) الصداقة في الإطار الشرعي ٤١.

(٣) انظر: عمدة القارئ ١/١٠٨، تحفة الأحوذى ٧/٢٩٨، شعب الإيمان، أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق:

محمد السعيد بسبوي زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى، ١٤١٠هـ. ١/٦٩.

أخضبت لحيته. ثم قال: أنشدكم أمؤمن آل فرعون خير أم أبو بكر؟ فسكت القوم. فقال: ألا تحببوني! فوالله لساعة من أبي بكر خير من مثل مؤمن آل فرعون، ذاك رجل يكتم إيمانه وهذا رجل أعلن إيمانه"^(١). إلى غير ذلك من الأحاديث والآثار التي تبين عظم منزلته ﷺ.

ولما كان له هذا الفضل وهذه المزية جاء وصفه في كتاب الله بوصف خاص به ازداد به شرفاً، ألا وهو لفظ الصحبة حيث قال تعالى في محكم التنزيل: ﴿إِلَّا نُنصِرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [سورة التوبة ٤٠/٩].

قال ابن جرير رحمته الله: "هذه الآية إعلام من الله - سبحانه وتعالى - أصحاب رسوله ﷺ أنه المتوكل بنصر رسوله على أعداء دينه وإظهاره عليهم دونهم، أعانوه أم لم يعينوه، وتذكير منه لهم فعل ذلك به وهو في العدد في قلة والعدو في كثرة، فكيف به وهو من العدد في كثرة والعدو في قلة"^(٢).

و فيها عتاب من الله جل جلاله للمؤمنين وتحذير لهم، حيث تحاذل بعضهم عن الخروج مع رسول الله ﷺ لغزوة تبوك، حتى قيل: عاتب الله أهل الأرض جميعاً في هذه الآية إلا أبا بكر رضي الله عنه^(٣). وكانت له فضيلة الصحبة الخاصة لرسوله ﷺ والتشريف بالمعية الإلهية^(٤). حيث اختاره الحق تبارك وتعالى لصحبة رسوله ﷺ وذلك بعدما اجتمعت قریش

(١) انظر: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار الفكر - بيروت، ٤/٤٩٠، البحر الزخار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار، مؤسسة علوم القرآن، مكتبة العلوم والحكم - بيروت، المدينة - ١٤٠٩، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. محفوظ الرحمن زين الله ١٥/٣.

(٢) جامع البيان ١٠/١٣٥.

(٣) المحرر الوجيز ٨٤٧ تفسير البغوي ٢/٢٩٣.

(٤) المعية الإلهية نوعان: النوع الأول: معية عامة لجميع الخلق، وتقتضي الإحاطة بهم علماً وقدرةً وسلطاناً وسمعاً وبصراً، وغير ذلك من معاني الربوبية، كما في قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ [سورة المجادلة ٧/٥٨].

النوع الثاني: معية خاصة، ومقتضاها النصر والتأييد. وهي نوعان: الأول: مقيدة بوصف، كما في قوله تعالى: =

ومن معها وتعاقدت على قتل رسول الله ﷺ. فجاء الأمر الإلهي للرسول الكريم بالهجرة واستصحاب أبي بكر ﷺ معه. وكان يستأذنه في الهجرة والرسول ﷺ يقول له: ((لا تعجل؛ لعل الله أن يجعل لك صاحباً!!))^(١). وكان يطمع أن يكون رسول الله هو الصاحب. حتى جاء الأمر بالهجرة، كما روت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ذلك فقالت: ((كان لا يخطئ رسول الله ﷺ أن يأتي بيت أبي بكر أحد طرفي النهار - إما بكرة وإما عشية - حتى إذا كان اليوم الذي أذن فيه لرسول الله ﷺ في الهجرة والخروج من مكة من بين ظهراي قومه، أتانا رسول الله ﷺ بالهجرة في ساعة كان لا يأتي فيها. قالت: فلما رآه أبو بكر. قال: ما جاء رسول الله ﷺ هذه الساعة إلا لأمر حدث. قالت: فلما دخل تأخر له أبو بكر عن سريره فجلس رسول الله ﷺ، وليس عند أبي بكر إلا أنا وأختي أسماء. فقال رسول الله ﷺ: ((أخرج عني من عندك)). فقال: يا رسول الله إنما هما ابنتاي، وما ذاك فداك أبي وأمي. فقال: ((إن الله قد أذن لي في الخروج والهجرة)) قالت: فقال أبو بكر: الصحبة يا رسول الله. قال: ((الصحبة)).^(٢) قالت: فو الله ما شعرت قط قبل ذلك اليوم أن أحدا يبكي من الفرح حتى رأيت أبا بكر يبكي يومئذ)).^(٣)

فكان أبو بكر من اختاره الله ليؤنس وحشته ويقوم بخدمته وملازمته،^(٤) خرجا فكان أبو بكر يمشي ساعة بين يديه وساعة من خلفه، فكان رسول الله ﷺ يقول له: مالك؟ فيقول: أذكر الطلب فأمشي خلفك، ثم أذكر الرصد فأمشي بين يديك. حتى إذا وصلا الغار دخله أبو بكر يلتمس ما فيه، وقد قال للنبي ﷺ عندما سأله عن ذلك. فقال: بأبي أنت وأمي الغيران مأوى السباع والهوام فإن كان فيه شيء كان بي لا بك. دخلا ومكثا فيه، فلما طلب المشركون الأثر وقربوا من الغار ووقفوا على بابه، حزن أبو بكر فقال للنبي ﷺ: لو أن أحدهم نظر إلى

= ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [سورة النحل ١٦/١٢٨]. والثاني: مقيدة بشخص، كقوله تعالى لموسى وهارون عليهما السلام: ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [سورة طه ٤٦/٢٠]، وقوله عن نبيه ﷺ: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾. تفسير ابن عثيمين ٤/١٤١.

(١) ذكره الطبراني في المعجم الكبير ٢٢/١٧٧، والألباني في فقه السيرة بدون إسناد ١٦٠.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب البيوع، باب إذا اشترى متاعاً أو دابة.. (٢/٧٥١ ح ٢٠٣١).

(٣) انظر: السيرة النبوية ٣/١٠-١١.

(٤) التفسير الكبير ١٦/٥٢.

قدمه لأبصرنا تحت قدميه. فقال له: ((يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما)).^(١) أي: بالنصر والتأييد، وهذه هي المعية الإلهية ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾، فكان هذا طمأنة لهذا الصاحب وتخفيفاً من حزنه.

ثم جاءه المدد من الله فقال: ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا﴾ أي: أنزل الثبات والطمأنينة على قلب رسول الله ﷺ وصاحبه، أما هو ﷺ فكان على يقين من وعد الله له، وأنزل جنوداً لم يرها أحد وهم الملائكة فجعلهم حرساً له. فكان النصر له والخذلان لعدوه، فصارت كلمة الكافرين الذين ظنوا أنهم قادرون على قتل رسول الله ﷺ في ذل وقهر، فأبطلها ومحق أهلها.

وجعل كلمة الحق (لا إله إلا الله) هي العليا على الشرك وأهله. ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(٢). هذا كان شأن أبي بكر الصديق رضي الله عنه في الشدة. ولما حصل الرخاء والاستقرار لرسول الله ﷺ كان معه، فزوجه ابنته، وكان معه في جميع غزواته ورحلاته، وقد روي أن رسول الله ﷺ خطب يوماً فقال: ((إن الله خير عبداً بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عند الله)) فبكى أبو بكر رضي الله عنه - قال الراوي - فقلت في نفسي: ما يبكي هذا الشيخ، إن يكن الله خير عبداً بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عند الله. فكان رسول الله ﷺ هو العبد وكان أبو بكر أعلمنا. قال: ((يا أبا بكر لا تبك، إن أمن الناس علي في صحبته وماله أبو بكر، ولو كنت متخذاً خليلاً من أمتي لاتخذت أبا بكر، ولكن أخوة الإسلام ومودته))^(٣). وجاءت في فضائله رضي الله عنه عدد من الأحاديث ليس هذا مكان بسطها.

ولما مرض رسول الله ﷺ مرض الموت كان بجانبه، وصلى رسول الله ﷺ خلفه، ولم يصل خلف أحد قبله.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، سورة براءة باب قوله: (ثاني اثنين إذ هما في الغار...) (٣/١٣٣٧-٣٤٥٣)، ومسلم في صحيحه، باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه (٤/١٨٥٤ ح ٢٣٨١).

(٢) انظر: جامع البيان ١٢/٤٥٠-٤٥١، تفسير ابن كثير ٣/٤٠٣، المحرر الوجيز ٨٤٧، التفسير الكبير ١٦/٥١-٥٢، تفسير ابن سعدي ٢٩٨، الجامع لأحكام القرآن ٨/١٣٣.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب الخوخة والممر في المسجد (١/١٧٧ ح ٤٥٤)، مسلم في صحيحه، باب من فضائل أبي بكر (٤/١٨٥٤ ح ٢٣٨٢).

ولما مات رسول الله ﷺ، حمل راية الجهاد، ونشر الدين، وقام في وجه المرتدين وحارهم. ولما مات دفن بجانب صاحبه ﷺ. لتنتهي صحبتها كما بدأت.

ومما تقدم نخلص إلى:

- بيان أن الصحبة في هذا المبحث انتقلت من كونها علاقة بين شخصين إلى كونها منزلة وتشريفاً لكل من حصلت له، ويترتب لأصحابها حقوق على كل مسلم ومسلمة لا بد من القيام بها.
- تنوع مفهوم الصحبة بالرسول ﷺ في القرآن الكريم إلى صحبة عامة وصحبة خاصة.
- أن النبي ﷺ قام بحقوق الصحبة لكل من جمعته بهم هذه العلاقة سواء كانوا مؤمنين به أو لا، فقام بحق الدعوة للدين الحق، وبيان ما فيه من الهدى والرشاد، باللين والوعظ والحكمة، كما نرى ذلك جلياً في دعوته لعمه أبي طالب وكافة المشركين.
- كافأ أبو طالب ابن أخيه بالوقوف بجانبه و حمايته من أن يناله أي مكروه. فكان حاميه إلى أن مات، فأظهرت قريش عداوتها له و النيل منه.
- بيان أثر صاحب السوء حتى في أصعب اللحظات، وهذا واضح من تصرف أبي جهل وعبد الله بن أبي أمية حينما أخذوا يصدان أبا طالب عن النطق بالشهادة في آخر لحظة من حياته، فختم له بالكفر بسبب الصحبة السيئة.
- بيان أن صحبة النبي ﷺ لم تغن أبا طالب شيئاً، ولم تمنع عنه العذاب، لكن كانت شفاعة النبي ﷺ فيه في أن يخفف عنه العذاب، وكان له ذلك، كما تقدم في الحديث السابق الذكر، من أنه في ضحضاح من النار.
- بيان منزلة أبي بكر الصديق رضي الله عنه وفضله، واصطفائه لهذه الصحبة وتشرفه بالمعية الإلهية.
- كانت صحبتة للنبي ﷺ نبراساً لكل صاحب مع صاحبه يحتذى بها في كل جانب من جوانبها. إذ كانت قائمة على قواعد متينة أساسها الإيمان بالله والحب فيه والإخلاص، والرحمة والشفقة، وروعي فيها أداء الحقوق العامة والحقوق الخاصة من مؤازرة ونصرة، وإعانة بالنفس والمال والولد.

- نال أبو بكر الصديق رضي الله عنه بهذه الصحبة الشرف الكبير والفوز بمعية المولى جل ثناؤه. فكان جزاؤه أن بشره رسول الله صلى الله عليه وسلم بصحبته في الدار الآخرة كما كان صاحبه في هذه الحياة الدنيا، فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لأبي بكر رضي الله عنه : ((أنت صاحبي في الغار وصاحبي على الحوض)).^(١)^(٢)

(١) رواه الترمذي في الجامع (٥/٦١٣ ح ٣٦٧٠)، وقال حديث حسن صحيح غريب، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة ٢٩٥٦.

(٢) انظر تفسير البغوي ٢/٢٩٣.

المبحث الثاني: صحبة نوح ولوط عليهما السلام لزوجتيهما

قال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ﴾ [سورة التحريم ١٠/٦٦].

هذه الآية مثال لنوع من أنواع الصحبة ، إنها الصحبة بين الزوجين ، وما يتعلق بها من أسس تقوم عليها أو أسس تكون سبباً في زوالها .

حيث (ضرب الله هذا المثل للكفار، وذلك أن الكافر يعاقب على كفره وعداوته لله ورسوله وأوليائه، ولا ينفعه مع كفره ما كان بينه وبين المؤمنين من لحمية نسب، أو صلة صهر، أو سبب من أسباب الاتصال. فإن الأسباب كلها تنقطع يوم القيامة، إلا ما كان متصلاً بالله وحده وعلى أيدي رسله - عليهم السلام- فلو نفعت صلة القرابة والمصاهرة أو النكاح مع عدم الإيمان؛ لنفعت الصلة التي كانت بين نوح ولوط - عليهما السلام - وامرأتيهما^(١) .

حيث كانتا في صحبتهما ليلاً ونهاراً، يؤاكلانهما، ويعاشراهما أشد العشرة والاختلاط^(٢) .

فهذا نوح - عليه السلام - نبي من أنبياء الله أرسله الله إلى قومه، يدعوهم إلى عبادة الله وحده، وترك عبادة الأصنام، فلبث يدعوهم ألف سنة إلا خمسين عاماً بنص القرآن، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [سورة العنكبوت ١٤/٢٩].

ومع طول تلك المدة، وطول فترة الصحبة والملازمة لهم إلا أنه لم يؤمن من قومه إلا القليل. بل إن المتدبر لآيات الذكر الحكيم يجد أن نوحاً - عليه السلام - قد ابتلي في أهله وأولي قرابته، من جهتين: من جهة البنوة - كما تقدم معنا - حيث إن ابنه لم يؤمن، ولم يستمع لنداء والده حينما ناداه للركوب معهم في سفينة النجاة. كما في قوله تعالى: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي

(١) الأمثال في القرآن الكريم، ابن قيم الجوزية، تحقيق: إبراهيم محمد، مكتبة الصحابة ، طنطا ، مصر ، ط: الأولى، ٥٥. ١٤٠٦ هـ.

(٢) تفسير ابن كثير ٤ / ٣٩٤.

مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ، وَكَانَ فِي مَعْرَلٍ يَبْتَئِ أَرْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَأْوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴿سورة هود ٤٢/١١-٤٣﴾.

ومن جهة الزوجية؛ حيث إن زوجته - عليه السلام - ومن كانت ألصق الناس به وأعرفهم بأحواله، تكفر بالله وتخالف أمر زوجها وتؤثر عليه قومها وما هم عليه من الكفر والضلال، على ما جاء به من عند الله من الإيمان والهدى والصلاح " (١).

هذه المرأة كفرت مع الكافرين، وسخرت من زوجها نوح - عليه السلام - مع الساحرين، فلم يغن نوح عنها من الله شيئاً، ولم تنفعها تلك الصحبة ولا تلك القرابة، ولم تكن له شفاعة، لأنه لا شفاعة لكافر، كما قال تعالى: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [سورة غافر ٤٠/١٨]. فكان مآلها أن دخلت النار مع الداخلين (٢).

وهذا نبي الله لوط - عليه السلام - بعثه الله لهداية الناس وإصلاحهم، عاش في زمن خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام (٣) وكان ممن آمن بدعوته، وهاجر معه من بابل إلى الأرض المباركة، كما قال تعالى: ﴿فَأَمِنَ لَهُ، لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [سورة العنكبوت ٢٩/٢٦] (٤). وقال: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ [سورة الأنبياء ٢١/٧١].

ظل لوط في صحبة إبراهيم عليهما السلام، حتى استقر به المقام في قرية سدوم (٥)، فأرسله الله إلى أهل هذه القرية (٦)، ليدعوهم إلى العقيدة الصحيحة عقيدة التوحيد، وما يتصل بها من شرائع وأحكام وأخلاق كريمة، قال تعالى: ﴿كَذَبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا

(١) المرأة في القصص القرآني، الدكتور: أحمد محمد الشرفاوي، دار السلام، مصر، ط: الأولى ١٤٢١هـ. ١/١٤٣-١٤٦.

(٢) انظر المصدر السابق ١/١٤٣-١٤٦.

(٣) قيل: إنه ابن أخي إبراهيم عليه السلام، فاسمه لوط بن هارون بن آزر.

(٤) جامع البيان ٢٠/١٤٣.

(٥) أكبر قرى قوم لوط، وهي قرية من بلاد الشام. تفسير أبو السعود ٣/٢٤٤، الجامع لأحكام القرآن ٩/٨١، روح المعاني ٨/١٦٩.

(٦) ذكر ابن عاشور: أن هؤلاء القوم لم يكن لهم اسم يجمعهم ولا يرجعون إلى نسب، بل كانوا خليطاً من فصائل عرفوا بأسماء قراهم، وأشهرها سدوم. التحرير والتنوير ١١/٢٩٥.

نُفُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا عَمْرًا ﴿١٦٣﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿سورة الشعراء ١٦٠/٢٦-١٦٤﴾ .

فأنكر عليهم ما كانوا يرتكبون من الإثم والمحرمات والفواحش المخالفة للفطر السليمة، وللطبائع المستقيمة التي لم يسبقهم بها من أحد من العالمين. وذلك أنهم كانوا يأتون الذكران ويذرون ما خلق الله لهم من الأزواج، كما قال تعالى: ﴿آتَاتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ [سورة الشعراء ١٦٥/٢٦-١٦٦].^(١)

دعاهم - عليه السلام - إلى عبادة الله، والامتنال لما أمر به، واجتناب ما نهى عنه، وحذرهم من سخط الله وأليم عقابه، فقابلوا تلك الدعوة بالصد والتكذيب والسخرية والاضطهاد والتهديد له، قال تعالى مبينا ذلك: ﴿قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾ [سورة الشعراء ١٦٧/٢٦] وقال: ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَنْظَهُرُونَ﴾ [سورة الأعراف ٨٢/٧].

فلما رأى منهم هذا الصد، وهذا الإصرار على الكفر، والتمادي في الغي والضلال، ويئس من إيمانهم، توجه إلى ربه أن ينجيه ومن آمن معه، قال تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنجَّيناهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَدِيرِينَ﴾ [سورة الشعراء ١٦٨/٢٦-١٧١].

فلما أن جاءت رسل الله بالبشرى لإبراهيم - عليه السلام - بالولد، جاء هؤلاء الرسل بالعذاب لقوم لوط. وبتأكيد العذاب لامرأته، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنْ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنْ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنَنْجِيَنَّاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أُمَّرَاتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ [سورة العنكبوت ٣١/٢٩-٣٢]. نعم زوجة لوط - عليه السلام - تلك الصاحبة التي شاركته كل شيء، الطعام والمسكن

(١) انظر: المرأة في القصص القرآني ١/٢٠٣-٢٠٥، المرأة في التصور القرآني، سوسن فهد الحوال، دار العلوم العربية،

والفراش، لقد كذبت به، وكان الأولى بها أن تكون أول من يؤمن بدعوته حيث كانت أعرف الناس به.

لقد بلغت من العمر مبلغه بنص القرآن ﴿إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَيْرِينَ﴾، وهذا يدل على طول الصحبة بينهما ومع ذلك لم تؤمن. "ومنطق الحق يقول: إن الإنسان كلما كبرت سنه نضح عقله وصفا ذهنه، وجادت قريحته وزادت خبرته وفراسته، ولكن امرأة لوط تلك العجوز كانت على النقيض من ذلك فهي ما زادتها أحداث الليالي، وتتابع الأعوام إلا غفلة على غفلة، وضلالاً على ضلال" (١).

هاتان المرأتان جردهما الحق تبارك وتعالى من لقب الزوجية وذاك أن التزويج أمر شرعي من أمور الدين، ونوع من أنواع الجزاء والنعيم في الجنة، حيث يجمع الأزواج في الجنة، كما قال تعالى: ﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ [سورة الرعد ١٣/٢٣]. وهما حرمتا من دخول الجنة بسبب خيانتهم العظمى لله ولأنبيائه (٢) وبالتالي حرمتا من هذا النعيم.

فإنهما لم تقوما بحقوق هذا اللفظ، وما يقتضيه من إحسان العشرة والسمع والطاعة في غير معصية الخالق. هاتان المرأتان حكم الله بكفرهما، لذا فإنهما لا تستحقان صحبة زوجيهما في الآخرة. وذلك بسبب تضييعهما حق الصحبة لهما بالمعروف في الدنيا.

لقد ضرب الله بهما المثل للكفار: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: لبيان حالهم بطريق التمثيل أنهم يعاقبون على كفرهم وعداوتهم للمؤمنين معاقبة مثلهم من غير اتقاء ولا محاباة، ولا ينفعهم مع عداوتهم لهم ما كانوا فيه من القرابة بينهم وبين نبيهم، وإنكارهم للرسول ﷺ، فيما جاء به من عند الله، وإصرارهم عليه، وقطع العلائق، وجعل الأقارب من جملة الأجانب، بل أبعد منهم، وإن كان المؤمن الذي يتصل به الكافر نبياً كحال امرأة نوح ولوط لما خانتاهما فلم يغن هذان الرسولان عنهما، وقيل لهما في اليوم الآخر: ادخلا النار.

(١) المرأة في القصص القرآني ١/٢٤٦.

(٢) انظر: الروض الانف، لأبي القاسم عبد الرحمن السهيلي، مكتبة ومطبعة شقرون، القاهرة، مصر،

١٣٩٣هـ/٢/١٣٨.

ثم بين حال المسلمين في أن وصلة الكافرين لا تضرهم كحال امرأة فرعون ومنزلتها عند الله تعالى مع كونها زوجة ظالم من أعداء الله تعالى^(١).

ثم فصل هذا المثل فقال: ﴿أَمْرَاتٌ نُوحٍ وَأَمْرَاتٌ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ﴾^(٢) أي: نبين رسولين عندهما في صحبتها ليلاً ونهاراً، يؤاكلهما ويضاجعاهما ويعاشراهما أشد العشرة والاختلاط^(٣).

وقيل: "وإنما خص بوصف عبيد صالحين مع أن وصف النبوة من وصف الصلاح، وذلك تنويها بوصف الصلاح، وإيماء إلى أن النبوة صلاح ليعظم شأن الصالحين. ولتكون الموعدة سارية إلى نساء المسلمين في معاملتهن أزواجهن. فإن وصف النبوة قد انتهى بالنسبة للأمة الإسلامية. مع ما في ذلك من تهويل الأذى لعباد الله الصالحين، وعناية ربه بهم، ومدافعتهم عنهم"^(٤).

كانت بينهم هذه الرابطة التي هي أوثق أنواع الصلابة إنها رابطة الزوجية، فيا ترى كيف كانت نهاية هذه العلاقة؟

لقد جاءت نهاية هذه العلاقة مخالفة لما هو أولى، لقد خانت هاتان المرأتان زوجيهما، كما بين المولى جل ذكره هذه النهاية بقوله: ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾^(٥) فهذا بيان لما صدر عنهما من الجناية العظيمة مع تحقيق ما ينفىها من صحبة النبي. أي: خانتاهما بالكفر والنفاق وهذا تصوير لخالهما المحاكية لحال هؤلاء الكفرة في خيانتهم لرسول الله ﷺ بالكفر والعصيان مع تمكنهم التام من الإيمان والطاعة^(٦).

(١) التفسير الكبير ٤٤/٣٠.

(٢) تفسير ابن كثير ٤٣٢/٤.

(٣) التحرير والتنوير ٣٣٦/٢٨.

(٤) تفسير أبو السعود ٢٧٠/٨.

والخيانة: ضد الأمانة وضد الوفاء وذلك تفريط المرء ما أوتمن عليه وما عهد به إليه، وقد جمعها الحق تبارك وتعالى في قوله: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [سورة الأنفال ٢٧/٨].^(١)

وقد أجمع المفسرون على أن الخيانة ليست الخيانة الزوجية، قال ابن عباس رضي الله عنهما: نساء الأنبياء معصومات ولكنها خيانة في الدين، وذلك بعدم إسلامهن وإخبار أقوامهن بمن يؤمن مع أزواجهن^(٢).

وقال رضي الله عنهما: ما بغت امرأة نبي قط، وروي عنه أنه قال: "ما زنتا أما خيانة امرأة نوح فكانت تقول للناس إنه مجنون، وأما خيانة امرأة لوط فكانت تدل على الضيف فتلك خيانتها"^(٣). وهذا إجماع من المفسرين.

وقد أورد بعض المفسرين أقوالاً في تفسير قوله: ﴿فَخَانَتْهُمَا﴾ ومن ذلك^(٤):

١. وقيل: كانت خيانتها كفرهما.
٢. وقيل: خيانتها بالنميمة، فإذا أوحى الله بشيء أفشاه للمشركين.
٣. قيل: كانتا منافقتين. والخيانة والنفاق واحد. كما تقدم من كلام الراغب - المتقدم - وعلى هذا يحمل معنى الخيانة ولا يفسر بالفجور^(٥).

فهذه امرأة نوح - عليه السلام - لم تؤمن به. وكذا امرأة لوط لكنها سلكت في خيانتها لزوجها عدة مسالك لتخبر بها عن الأضياف الذين ينزلون على زوجها؛ فقد قيل: إنه إذا نزل بلوط - عليه السلام - ضيف بالليل، أوقدت النار، وإذا نزل بالنهار دَخَّنتْ لِتُعَلِّمَ

(١) قيل: الخيانة التفريط في الأمانة، التحرير والتنوير ٢٨/٣٣٧. وقال الراغب: الخيانة والنفاق واحد، لكن الخيانة تقال: اعتبار بالعهد والأمانة، والنفاق: اعتبار بالدين، ثم يتداخلان فالخيانة مخالفة الحق بنقض العهد في السر والاختيان تحرك شهوة الإنسان لتجري الخيانة. التعريف ١٢٩-٣٣٠.

(٢) جامع البيان ٢٨/١٧٠، أضواء البيان ٨/٢٢٤.

(٣) فتح القدير ٥/٢٥٦.

(٤) انظر جامع البيان ٢٨/١٧٠، زاد المسير ١٢٩٣، الجامع لأحكام القرآن ١٨/١٧٨، روح المعاني ٢٨/١٦٢.

(٥) روح المعاني ٢٨/١٦٢.

قومه أنه قد نزل به ضيف^(١). فلما أن جاء رسل الله ضاق بهم لوط - عليه السلام - وروي أنها ذهبت إلى نادي قومها وأبلغتهم أنه نزل بلوط أضياف لم تر في حسنهم^(٢).

ولما كانت خيانتها في عدم الإيمان وعدم التصديق بهما في الرسالة، لم يُجد ذلك كله شيئاً، ولا دفع عنهما محذوراً، ولهذا قال تعالى: ﴿فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾. "فقطعت هذه الآية حينئذ طمع من ارتكب معصية لله تعالى، وخالف أمره ورجا أن ينفعه صلاح غيره من قريب أو أجنبي و لو كان بينهما أشد الاتصال، فلا اتصال فوق اتصال النبوة والأبوة"^(٣) - كما تقدم مع نوح وابنه وإبراهيم وأبيه - والزوجية، كما في قصة هاتين المرأتين. "فلم يغن ذلك العبدان الصالحان والنبيان العظيمان عنهما بحق الزواج (من الله) أي: من عذابه عز وجل. (شَيْئًا) أي: من الإغناء أو من العذاب"^(٤).

قال القرطبي رحمه الله: "لم يدفع نوح ولوط - عليهما السلام - مع كرامتهما على الله عن زوجتيهما - لما عصتا - شيئاً من عذاب الله ؛ تنبيهاً بذلك على أن العذاب يُدفع بالطاعة لا بالوسيلة"^(٥).

فكان الجزاء لهما أن حكم الله عليهما حكماً مبرماً بدخول النار، حيث قال: ﴿وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ﴾ وقيل: إن هذه المقولة تقال لهما عند موتهما، وقيل يوم القيامة^(٦). وقد عُبر بالماضي لتحقق الوقوع، أي ادخلا النار مع سائر الداخلين من الكفرة الذين لا وصلة بينهم وبين الأنبياء، أو مع من دخلها من أقوامكما^(٧).

(١) زاد المسير ١٢٩٣.

(٢) قصص القرآن ابن كثير.

(٣) أمثال القرآن ٥٦/١، إعلام الموقعين ١/١٨٨.

(٤) روح المعاني ٢٨/١٦٣.

(٥) الجامع لأحكام القرآن ١٨/١٧٨.

(٦) روح المعاني ٢٨/١٦٣.

(٧) الكشاف ٤٩٣.

أما عن كيفية خاتمتهما في الدنيا:

فقد ذكر الحافظ ابن كثير رحمته الله: أن امرأة نوح - عليه السلام - " قد ماتت قبل الطوفان، وقيل: إنها غرقت مع من غرق. وكانت ممن سبق عليه القول. وذلك مصداقاً لقوله تعالى كما في دعوة نوح عليه السلام: ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴾ [سورة نوح ٢٦/٧١]"^(١).

وأما امرأة لوط عليه السلام، فإنه لما جاء أمر الله بإهلاك أهل هذه القرية، أمر لوط - عليه السلام - بالخروج منها مع خاصة أهله، قال تعالى: ﴿ قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْنَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَانِكَ إِنَّهُ مُصِيبَهُمَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴾ [سورة هود ٨١/١١].

﴿ إِلَّا أَمْرَانِكَ ﴾ هذا الاستثناء هو محل النزاع، كذلك القراءة فيه تبين المعنى وتبين وجه الاستثناء.

فقد قرئت بالنصب ﴿ إِلَّا أَمْرَانِكَ ﴾ هذه قراءة الجمهور، والقراءة الواضحة البينة المعنى؛ أي فأسر بأهلك إلا امرأتك، على أنه استثناء من الأهل، وعلى هذا لم يخرج بها معه. وقرئت بالرفع، ﴿ إِلَّا أَمْرَاتِكَ ﴾ على البدل من (أحد)^(٢). وهذا الوجه له معنى صحيح، والتأويل له، أن النهي للوط عليه السلام واللفظ لغيره؛ كأنه قال: إنهم لا يلتفت منهم أحد إلا امرأتك.

ويجوز أن يكون الاستثناء من النهي عن الالتفات لأنه كلام تام؛ أي: لا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك فإنها تلتفت وتهلك.

وقد روي أن لوطاً عليه السلام خرج بها، ونهى من معه ممن أسرى بهم ألا يلتفت منهم أحد، فلم يلتفت منهم أحد سوى زوجته، فإنها لما سمعت هدة العذاب التفتت، وقالت:

(١) البداية والنهاية ١/١١٢.

(٢) إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الغني الدمياطي، تحقيق: أنس مهرة، دار الكتب العلمية، لبنان، ط: الأولى، ١٤١٩هـ. ٣٢٥. الحجة في القراءات السبع، الحسين بن أحمد بن خالويه أبو عبد الله، دار الشروق - بيروت - ١٤٠١، الطبعة: الرابعة، تحقيق: د. عبد العال سالم مكرم. ١٩٠.

وقوماه! فأدر كها حجر فقتلها^(١).

فكان هذا عاقبتهما في الدنيا ويوم القيامة تكونان مع سائر الداخلين في نار جهنم. لا فرق بينهما وبينهم. ولا رابطة تنفعهما في هذا الموقف فلا زوج ينفع، ولا صحبة تشفع في هذه الساعة. قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَدِّيقِهِ وَبَيْنِهِ (٣٦) لِكُلِّ أُمَّرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَانٌ يُغْنِيهِ﴾ [سورة عبس ٨٠/٣٤-٣٧].

ومما تقدم نخلص إلى:

١. أن الإيمان بالله هو أساس جميع أنواع العلاقات، وأشدّها قربا كالصحبة بين الزوجين.
٢. بيان شدة ابتلاء الأنبياء عليهم السلام، خاصة في أقرب الناس إليهم، وأخصهم صحبة لهم، وزوجاتهم وأبنائهم.
٣. شدة ما كان يجده أنبياء الله في دعوتهم لأقوامهم، من الصد والكفر والعناد وسوء الصحبة.
٤. بيان أن عذاب الله يصل للكافرين، وأن الكافر لا تنفعه صلته وصحبته للمؤمن ولا تغني عنه من عذاب الله شيئا، كحال امرأتي نوح ولوط عليهما السلام، وفي مقابل ذلك أن المسلم لا تضره صلته بالكافر كحال امرأة فرعون كما سيأتي بيانه.

(١) انظر الكشاف ٤٩٣، الجامع لأحكام القرآن ٧٠/٩.

المبحث الثالث: الرهط التسعة في قصة ثمود

ثمود^(١) أمة عظيمة من العرب البائدة، جاؤوا بعد قوم عاد الذين أهلكتهم الله. ويقال إنهم من بقية قوم عاد^(٢). سكنت هذه القبيلة منطقة الحجر^(٣)، وقد ذكرهم الله بهذا في قوله -تبارك وتعالى -: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ﴾ [سورة الحجر ١٥/٨٠].

كغيرهم من الأمم أنعم الله - جل ثناؤه - عليهم بنعم لا تعد ولا تحصى، ذكر تعالى بعضا منه فقال: ﴿وَتَمُودَ الَّذِينَ جَاءُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾ [سورة الفجر ٩/٨٩].

وقال على لسان نبيه صالح - عليه السلام - لهم: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ يُؤْتُوا فَاذْكُرُوا آيَةَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [سورة الأعراف ٧/٧٤] وغيرها من الآيات.

وقد امتن الله عليهم بنعمة لم يسبقهم إليها أحد من العالمين، ألا وهي اتخاذهم الجبال ينحتون فيها البيوت، وكذلك استغلالهم للسهول لبناء القصور فيها، وذلك لما امتازت به تلك المنطقة التي سكنوها، فقد كانت طبيعة هذه المنطقة رخوة سهلة النحت والحت، مما مكنتهم من نحت تلك الصخور والجبال وتجهيزها لتكون منازل لهم. وقد قيل: إنهم كانوا يتخذون القصور للسكنى في الصيف وفي الشتاء يتخذون البيوت المنحوتة في الجبال^(٤).

(١) قبيلة من العرب الأول، وكلمة ثمود مأخوذة من الثمد؛ وهو القليل من الشيء، وقيل هو الماء القليل. والإتمد الطيب المعروف، وسمي بذلك لأن الذي يستعمل منه قليل ويسير. مقاييس اللغة ١/٣٨٧-٣٨٨، لسان العرب ٣/١٠٥. ولعل هذا هو سر تسميتهم بتمود، وقد سكنوا منطقة ماؤها قليل يسير. انظر: القصص القرآني، الدكتور: صلاح الخالدي ٢٧٠. ويقال لهم ثمود نسبة إلى جدهم ثمود أخى جدين وهما ابنا عاثر ابن إرم بن سام بن نوح عليه السلام. تفسير أبو السعود ٣/٢٤١، قصص القرآن، ابن كثير ٨٧، التحرير والتنوير ٨/١٦٦.

(٢) لسان العرب ٣/١٠٥.

(٣) انظر تفسير ابن سعدي ٥٤٥.

(٤) التحرير والتنوير ٨/١٧٠-١٧١.

وقد تفننوا في عمارتها، كما قال تعالى: ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَرِهِينَ﴾ [سورة الشعراء ١٤٩/٢٦] أي: "بلغت بكم الفراهة والحذق إلى أن اتخذتم بيوتاً من الجبال الصم الصلاب"^(١). وتتواصل عليهم النعم بكل أنواعها من الزرع ومختلف الثمار، كما قال تعالى: ﴿وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلَعُهَا هَٰضِمٌ﴾ [سورة الشعراء ١٤٨/٢٦] فهذا هو التمكين لهم من الله وهو جزء من عمارة الأرض كما أرادها الله جل جلاله، قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَإِنَّ رَبِّي لَقَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ [سورة هود ٦١/١١]. لكنهم قابلوا هذه النعم بالبطر والكفر بالمنعم بها، فعبدوا غير الله من الأصنام والأوثان.

فأرسل الله إليهم نبياً من أنبيائه عليهم السلام، إنه صالح عليه السلام، نبي من قبيلتهم ممن يُعرف نسبه وحسبه وفضله، ومكانته وكماله وصدقه، وأمانته، ولقد عبر الله عنه وعن علاقته بهم بقوله: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾ فالأخوة في هذه الآية هي أخوة النسب، فهو صالح بن عبيد بن أسف بن ماسح بن عبيد بن حاذر بن ثمود، وقيل: صالح بن عبيد بن عارم بن أرم بن سام بن نوح بعثه الله إليهم وهو شاب فدعاهم إلى عبادة الله وإخلاص الدين له وترك ما يعبد من دون الله وذكرهم بنعم الله عليهم وما حل بالأمم من قبلهم كقوم نوح... قوم هود... حتى شمت وكبر^(٢).

"ذكرهم بأواصر القربى التي تربطه بهم، ووشائج النسب التي تصل بينه وبينهم، فهم قومه وأبناء عشيرته، وهو يحب نفعهم، ويسعى في خيرهم، لا يضرهم سوءاً، ولا يريد بهم شراً، ولا يقصد من وراء دعوته إلا نفعهم ولا يتطلع إلى رئاسة"^(٣). وإنما هو يقوم بواجبه في الدعوة وما تستلزم منه الصحبة التي جمعت بينه وبينهم من الوعظ والنصح والدعوة إلى الفلاح، أما أجره فعلى الله، ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة الشعراء ١٤٥/٢٦].

(١) انظر تفسير ابن سعدي ٥٤٥.

(٢) انظر التفسير الكبير ٤٤/٩، المحرر الوجيز ٢١/٢، تفسير أبو السعود ٢٤١/٣، تفسير ابن سعدي ٣٨٤.

(٣) قصص القرآن، محمد أحمد جاد المولى، ومجموعة من المؤلفين، دار الفكر. ٢٨.

إلا أنه كان في المدينة مجموعة من شياطين الإنس ممن تكبر ورد الحق الذي جاء به نبي الله صالح عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ [سورة النمل ٢٧/٤٨] وقد قيل: "إنما غلب هؤلاء على أمر ثمود - مع أنهم عدد قليل - لأنهم كانوا كبراءهم ورؤساءهم" (١)، ومن ذوي الشرف والنسب فيهم. وكان هؤلاء الرهط (٢) من عتاة القوم الذين عاشروا وصاحبوا صالحا عليه السلام، لكن هذه الصحبة لم تنفعهم فقد أسأؤوا لنبیهم، وقاوموا دعوته أشد المقاومة، وصدوا عن السبيل وأخذوا يشككون في دعوته ويتهمونه بالسحر والكذب، كما قال تعالى: ﴿قَالُوا يَصْلِحُ قَدَكُنْتُمْ فِيْنَا مَرْجُوا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكِّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مَرْيَبٍ﴾ [سورة هود ١١/٦٢] أي: كانت فيك خصال السيادة والحمية والنصرة للآلهة التي نعبد (٣). وقالوا له: ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ [سورة الشعراء ٢٦/١٥٣] أي: أصابك السحر فلا عقل لك. وتارة يقولون له: ﴿مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [سورة الشعراء ٢٦/١٥٤] فكيف أوحى إليك من دوننا؟!.

وتارة يلقون بالشبهات على القلة المستضعفين الذين آمنوا بصالح عليه السلام، ويستحقروهم كما بين ذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضِعُوا لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَتُصَلِحُوا لِمَنْ رَزَاهُ قَالَوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِءُ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي ءَامَنْتُمْ بِهِءُ كَفِرُونَ﴾ [سورة الأعراف ٧٥-٧٦]. وتارة يطلبون منه دليلاً على صدق نبوته.

وكغيره من أنبياء الله عضد بآية بينة ومعجزة واضحة قدمها لقومه دليلاً على صدق نبوته، وقد روي أنهم اجتمعوا وطلبوا منه أن يخرج لهم من أحد الصخور ناقة عشراء لها صفات لا تشبهها فيها نوقهم، فأخذ عليهم المواثيق والعهود لئن أجاهم إلى ما سألوا ليؤمنن

(١) تفسير ابن كثير ٣/٤٠٤.

(٢) الرهط: اسم جمع يطلق على العصابة دون العشرة، وإضافة تسعة إلى رهط: باعتبار أن رهط لكونه اسم جمع للقليل في حكم أشخاص ونحوه. و رهط تميز لتسعة، باعتبار المعنى، حيث كان هؤلاء التسعة رؤساء مع كل واحد منهم رهط، ولذا قيل تسعة رهط. روح المعاني ١٩/٢١٢.

(٣) التحرير والتنوير ١١/٢٨٩.

به ،وليتبعنه . فأعطوه ذلك ، فأخرج لهم الله الناقة ، كما قال تعالى : ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم ﴾ [سورة الأعراف ٧٣/٧] وقال على لسان نبيه صالح عليه السلام لهم : ﴿ وَيَقَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب ﴾ [سورة هود ٦٤/١١] تلك الناقة شرفت بنسبتها إلى الله ، " وفي إضافة ناقة إلى اسم الله تعالى ، تشريف لها لأن الله أمر بالإحسان إليها وعدم التعرض لها بسوء ، وقيل لأنها وجدت بكيفية خارقة للعادة" (١) . فهي ناقة لا يشبهها شيء من النوق لا في ذاتها ولا شرفها ولا في منافعها . وهذا من وجوه الإعجاز فقد كان لها شرب يوم ، وللقبيلة بأكملها شرب يوم آخر ، كما قال تعالى : ﴿ وَنَبَتْهُمْ أَنْ الْمَاءَ قَسَمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شَرْبٍ مُحْضَرٌ ﴾ [سورة القمر ٢٨/٥٤] فقد كان أهل القبيلة يردون على ضرعها في يومها ، كل يصدر عن ضرعها وقد ملأ آنيته ، ثم يردون هم في اليوم التالي . وقد جعل الله سلامة تلك الناقة علامة على سلامتهم من العذاب والاستتصال ، وقد حذرهم نبي الله صالح عليه السلام ، من إيذائها أو مسها بسوء وربط لهم بين عقرها وبين العذاب إن هم أقدموا على ذلك فإن العذاب واقع بهم لا محالة . قال تعالى : ﴿ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [سورة الشعراء ١٥٦/٢٦] .

مكثت الناقة بين أظهرهم حيناً من الدهر ، ترد الماء وتأكل الورق والمرعى وهم ينتفعون بلبنها يجلبون منها ما يكفيهم شرباً ورياً . وكل يوم يزداد عدد المؤمنين بنبي الله صالح عليه السلام بسبب وجود هذا الدليل على صدقه .

طال على النفر التسعة الأمد وبدؤوا يسأمون من هذه الحال ، ويتذمرون من قسمة الماء . فاجتمع هذا النفر من شياطينهم ممن وصفهم الحق تبارك وتعالى بقوله : ﴿ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾ [سورة النمل ٤٨/٢٧] .

(١) التحرير والتنوير ٨/١٦٩ .

وصفهم بأنهم (يُفْسِدُونَ) "لأنهم استعدوا لمعاداته والطعن في دينه ودعوة قومهم إلى ذلك ولذا قال تعالى على لسان نبيه صالح لبقية القوم: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ (١٥٠) وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ الَّذِينَ يَفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ [سورة الشعراء ٢٦/١٥٠-١٥٢]" (١).

هؤلاء النفر عقدوا مجلساً عاماً ليتفقوا فيه على عقر الناقة وذلك ليزيلوا آية نبي الله صالح عليه السلام، ولئلا يزداد عدد المؤمنين به، فاتفقوا على هذا الأمر العظيم، وانتدب لذلك أشقى القبيلة الذي وصفه الحق تبارك وتعالى بهذا في قوله: ﴿إِذْ أُنْبِئَتْ أَشْقَاهَا﴾ [سورة الشمس ٩١/١٢] وفي آية أخرى قال عنه: ﴿فَادَاؤُا صَاحِبِهِمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ﴾ [سورة القمر ٥٤/٢٩]، فوصفه بالصاحب هنا يشعر أنه واحد منهم، ممن لازمهم وجمعتهم بهم مصالح متعددة؛ ومنها في اعتقادهم هذه المصلحة.

وقد قيل: إن اسمه: قدار بن سالف بن أحيمر (٢)، وقد كان من ساداتهم، وقد قال عنه رسول الله ﷺ عندما خطب فذكر خير الناقة وخبر عاقرها فقال: ((انبعث لها رجل عزيز عارم، منيع في رهطه مثل أبي زمعة)) (٣).

فتعاطى هذا الشقي السيف واستعد لهذا الأمر العظيم غير مكترث بتحذيرات نبي الله صالح عليه السلام، فقام إلى الناقة فعقرها، على مرأى من أهل القبيلة، وبمباركة منهم ورضا، فكان هذا العقر مؤذناً بهلاك القبيلة بأسرها، مع أن العاقر واحد لكن أسند العقر إليهم جميعاً وذلك لأن هذا الأمر منبثق منهم، وكان عن تمالؤ ورضا من جميع الكبراء، فكأنهم جميعاً عقروها. كما دل على ترتيب التعاطي العقر بالفاء في قول: (فَتَعَاطَى) على ندائهم صاحبهم لينوب عنهم في مباشرة العقر (٤).

(١) تفسير ابن سعدي ٥٥٥.

(٢) جامع البيان ١٠٢/٢٧، تفسير ابن كثير ٢٦٦/٤، تفسير البغوي ٤٢٣/٣، تفسير ابن سعدي ٩٢٦.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٤/١٨٨٨ ح ٤٦٥٨) كتاب التفسير، باب تفسير سورة الشمس.

(٤) انظر التحرير والتنوير ١٧٤/٨.

فلما شعر نبي الله صالح عليه السلام بالأمر ورأى عقورهم للناقة، علم أن العذاب قد تحتم لا محالة؛ فقال لهم، كما قال تعالى: ﴿فَقَالَ تَمَتُّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعَدْغِيرُ مَكْذُوبٍ﴾ [سورة هود ٦٥/١١].

إلا أن هذه الزمرة الفاسدة من شياطين الإنس لم يكتفوا بعقر الناقة، بل إنهم في هذه الأثناء اتفقوا على أمر أغلظ من ذلك؛ اتفقوا على قتل نبي الله صالح عليه السلام ليلاً، وتعاهدوا وتعاهدوا وأكدوا هذا بالأيمان المغلظة التي حلفوها، إن ظن بهم أحد من أهله وعشيرته. وكتبوا أمرهم خشية من أهله وعشيرته، قال تعالى: ﴿قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ [سورة النمل ٤٩/٢٧]، ولذا عقبوا على هذه المؤامرة بقولهم (وَإِنَّا لَصَادِقُونَ) وذلك لأن كلمتهم مسموعة في قومهم ولا يجرؤ أحد على مناقشتهم، أو مخالفتهم أو تكذيبهم، بل إن كل ما يقولونه نافذ في قومهم، فهذا ما بيته هؤلاء التسعة وهذا مكرهم ولكن الله لمكرهم بالمرصاد حيث أبطل مكرهم وقضى عليهم^(١).

وقد روي أنه كان لنبي الله صالح - عليه السلام - مسجد في الحجر عند شعب يصلي فيه، فخرج هؤلاء نفر التسعة، إلى كهف قريب منه، فقالوا: إذا جاء يصلي قتلناه، وحين كمنوا في أصل الجبل ينتظرون الفرصة، بدأ الله بعقوبتهم، فكانوا سلفاً مقدماً لقومهم إلى نار جهنم فقد أرسل الله صخرة من أعلى الجبل فشدختهم وقتلوا أشنع قتله^(٢).

أما بقية القوم فقد أتموا المدة التي حددها لهم رسولهم، فلما تمت الأيام الثلاثة جاءتهم صيحة^(٣) من فوقهم، قال تعالى: ﴿فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ﴾ [سورة الحجر ٨٣/١٥] أي: في وقت الصباح، وقال في موضع آخر: ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جِثْمِينَ﴾ [سورة هود ٦٧/١١].

(١) القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث، صلاح الخالدي، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط: الأولى ١٤١٩ هـ. ٢٩١.

(٢) التفسير الكبير ١٧٤/٢٤.

(٣) الصيحة: الصوت الشديد. وأصلها: تشقيق الصوت، مأخوذ من قولهم: انصاح الخشب، والثوب إذا انشق، فسمع منه صوت. عمدة الحفاظ ٢/٤٢١-٤٢٢.

هذه الصيحة نتج عنها رجفة ^(١) قوية من أسفل منهم، قال تعالى: ﴿ فَأَخَذْتَهُمُ الرِّجْفَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَثِيمِينَ ﴾ [سورة الأعراف ٧/٧٨]. ثم صعقوا بعد الصيحة والرجفة فسمي العذاب الواقع بهم صاعقة ^(٢) قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذْتَهُمُ صَِعْقَةً الْعَذَابِ أَلْهُونَ يَمَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [سورة فصلت ٤١/١٧]، وقال: ﴿ وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَنَّوْا حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعْتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْقَةَ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا اسْتَطَعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْصَرِفِينَ ﴾ [سورة الذاريات ٥١/٤٣-٤٥]. وقد جمع هذا العذاب بلفظ واحد (فدمدم) كما في قوله: ﴿ كَذَبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَيْهَا ﴿١١﴾ إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴾ [سورة الشمس ٩١/١١-١٥].

ونجى الله صالحاً ومن معه من المؤمنين، قال تعالى: ﴿ وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ [سورة فصلت ٤١/١٨] وتولى عنهم وقال لهم: ﴿ يَقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّصِيحِينَ ﴾ [سورة الأعراف ٧/٧٩].

أما عن مساكنهم فهي خاوية، قال تعالى: ﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا إِيَّاكَ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة النمل ٢٧/٥٢]، كأنه لم يسكنها أحد، قال تعالى: ﴿ كَانَ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعِدَ لثَمُودَ ﴾ [سورة هود ١١/٦٨].

كل هذا العذاب الذي أصابهم كان بسبب كفرهم بالله واتباعهم لآبائهم واجتماعهم على الفساد، واتباع الصحبة السيئة التي يجتمع فيها أصحابها على الإساءة والمكيدة لأنبياء الله، وتكذيبهم بالبراهين، وإشاعة الفساد بكل صورته.

ولقد نهي رسول الله ﷺ من دخول منازلهم، ومن ذلك ما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما حيث قال: ((نزل رسول الله ﷺ بالناس عام تبوك الحجر عند بيوت ثمود، فاستسقى الناس من

(١) الرجفة: من الرجف، وهو الحركة و الاضطراب الشديد. عمدة الحفاظ ١/٨١.

(٢) الصاعقة: وهي الصوت الشديد من الجو، ثم يكون منها نار فقط، أو عذاب، أو موت وهي في ذاتها شيء واحد.

الآبار التي كانت تشرب منها ثمود، فعجنوا منها ونصبوا القدور باللحم، فأمرهم رسول الله ﷺ فأهرقوا القدور، وعلفوا العجين الإبل، ثم ارتحل بهم حتى نزل بهم على البئر التي كانت تشرب منها الناقة، ونهاهم أن يدخلوا على القوم الذين عذبوا، قال: إني أخشى أن يصيبكم مثل ما أصابهم فلا تدخلوا عليهم^(١). وهذا النهي منه ﷺ للتنزيه لا للتحريم، وهذا التصرف منه إرشاد لهم إلى ما هو أولى. وسن الرسول ﷺ للمسلمين أن يَمروا بديار المعذَّين وهم باكون، فقال: ((لا تدخلوا على هؤلاء المعذَّين، إلا أن تكونوا باكين، فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم، لئلا يصيبكم مثل ما أصابهم))^(٢) (٣).

ومما تقدم نخلص إلى:

١. بيان النعم التي أنعم الله بها على قوم ثمود، وما قابله بها من الكفر والبطر.
٢. رحمة الله بقوم ثمود حيث أرسل إليهم رسولا من قبيلتهم، تربطه بهم أصرة الأخوة و النسب.
٣. بيان أن كل مجتمع لا يخلو أهله من مصلحين ومفسدين، ولكن مهما كان الإفساد مستفحل في مجتمع ما إلا أنه زائل لا محالة.
٤. مقابلة أصحاب السوء للنبي المرسل والقلة المؤمنة بالتعنت وطلب الآيات والحجج.
٥. قيام الزمرة الفاسدة بالتأمر على نبي الله وتلك الآية العظيمة بالقتل والعقر.
٦. إهلاك الله لقوم ثمود بأسرهم مع أن من باشر عقر الناقة واحد منهم، وذلك بسبب تمائلهم ورضاهم لفعله.
٧. النهي عن المكث والنزول في الأرض التي أهلك الله أهلها، والتوجيه النبوي في مثل هذه الحالات.

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (١١٧/٢ ح ٥٩٨٤) وذكره ابن كثير في البداية والنهاية ١٠/٥، وقال: إسناده على شرط الشيخين.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب الصلاة في مواضع الخسف والعذاب (٤/١٦٠٩ ح ٤١٥٨)، ومسلم في صحيحه، باب لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم، إلا أن تكونوا باكين (٤/٢٢٨٦ ح ٢٩٨٠).

(٣) القصص القرآني ٢٩٧.

المبحث الرابع: الصحبة في قصة أصحاب القرية (١)

قال تعالى: ﴿وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ [سورة يس ١٣/٣٦].

ما زال السياق يمضي بنا مع أولئك الأقوام الذين أرسل الله إليهم رسله عليهم السلام، فمنهم من شرف بصحبته، ونال بذلك المنزلة الرفيعة في الدنيا والآخرة، ومنهم من خسر ذلك بعدم انتفاعه من هذه الصحبة.

نحن أمام قوم حادوا عن الطريق القويم فعبدوا غير الله، ومن رحمته سبحانه وتعالى بهم أن بعث إليهم رسولين، فكذبوهما، فأرسل إليهم رسولاً ثالثاً، فكذبوه جميعاً. هؤلاء القوم جعلهم الله مثلاً يضرب تسلية لرسول الله ﷺ، وتذكيراً لأهل مكة ليبين لهم كيف أن هؤلاء القوم عندما كذبوا رسل الله، ولم يؤمنوا بما جاءهم من الحق، ولم ينتفعوا بصحبة خير البشر، فإن مآلهم إلى العذاب الأليم في الدنيا والعذاب المقيم في الآخرة.

وهذا المثل يبين اجتماع الصحبة السيئة وتكالبها على الحق، وردها له، وتماديها في اتباع الأهواء والشهوات، وخوفها على مُتَع الدنيا الزائلة من الجاه والسلطان، فأجمعت هذه الزمرة على تكذيب الرسل وما جاؤوا به من الحق، وأتوا بحجج وشبه واهية. فلما "كشف الحق تبارك وتعالى لنبيه ﷺ، في هذه السورة العظيمة سورة يس عن طبيعة المشركين المتأبئة على الإيمان، وبين له حالهم ومآلهم - وعدم انتفاعهم بصحبته ﷺ - ثم بين حال المؤمنين الذين يخشون ربهم بالغيب، أمره أن يضرب لواقع الفريقين مثلاً بين به طبيعة كل منهما بصورة تاريخية قصصية مؤثرة تملأ القلوب عظة وعبرة" (٢).

(١) القرية: المصر الجامع، وقيل: كل مكان اتصلت به أبنية واتخذ قراراً، وتقع على المدن وغيرها. التعاريف ٥٨١، الكليات ٧٣٥. وقال الراغب: "اسم للموضع الذي يجتمع فيه الناس، وللناس جميعاً، ويستعمل كل واحد منهما، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ﴾ [سورة يوسف ٨٢/١٢]. قال كثير من المفسرين معناه: أهل القرية، وقال بعضهم: بل القرية هنا القوم أنفسهم، وهي من قولهم قرئت الماء في الحوض، وقرئت الضيف. المفردات ٤٠٢.

(٢) قصص القرآن، محمد بكر إسماعيل ٤٥٢.

فقال تعالى: ﴿وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ [سورة يس ١٣/٣٦]. بدأ الحق تبارك وتعالى عرض القصة بلفظ مجمل مبهم، أهم فيه اسم القرية ومكانها، واسم أهلها، واكتفى بالتعبير عنهم بلفظ (أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ) أي: أنهم قوم لزموا مكانا واستمروا فيه فصار هذا المكان كالصاحب لهم.

وقد أجاب بعض أهل العلم عن السبب في هذا الإهام لأسمائهم واسم قريتهم ومكانها، بأنه لو كان في تعيين تلك القرية فائدة لعينها الله تبارك وتعالى^(١).

وبعد التأمل في قصتهم نجد أن وصفهم بأنهم أصحاب القرية، هذا مزيد من العذاب لهم والسخرية بهم، حيث إهم بتكبرهم وتكذيبهم لله ولرسله، وتعذيبهم لهم ولأهل الإيمان ممن آمن بالله وبرسله، استحقوا العذاب، حيث أخذهم صيحة واحدة فأبادتهم جميعا رجالاً ونساءً ولم يُبق منهم أحداً.

والتأمل في هذه القصة يجد أنها في مشهدين " المشهد الأول: المواجهة بين الرسل الثلاثة و أهل القرية"^(٢) وذلك عندما قال تعالى: ﴿وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾^(١٣)

إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ^(١٤) قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ سَمَاءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ^(١٥) قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُم لَمُرْسَلُونَ^(١٦) وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ^(١٧) قَالُوا إِنَّا تَطِيرِنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجِمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ^(١٨)

قَالُوا طَئِرُكُمْ مَعَكُمْ أَيْنَ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ [سورة يس ١٣/٣٦-١٩].

فالقرية كما أسلفنا لم تحدد، ومن المفسرين من قال: إنها أنطاكية^(٣).

(١) تفسير ابن سعدي ٦٣٩.

(٢) قصص السابقين في القرآن، الدكتور: صلاح الخالدي، دارالقلم، دمشق، ط: الأولى، ١٤٠٩ هـ. ٢٣٥/٣.

(٣) انظر جامع البيان، ١٥٥/٢٢، الجامع لأحكام القرآن ١٤/١٥، وهذا القول ضعفه ابن كثير كما سيأتي بيانه، وقال ابن حجر في فتح الباري: ولعلها كانت مدينة بالقرب من هذه الموجودة لأن الله أخبر أنه أهلك أهلها، وليس لذلك أثر في هذه المدينة الموجودة الآن. ٤٦٧/٦.

وكذا اختلف المفسرون في شأن المرسلين إلى قولين:

القول الأول: من قال: إنهم كانوا من الحواريين الذين بعثهم عيسى عليه السلام، حين رُفِع، وصُلب الذي ألقى عليه شبهه، فافترق الحواريون في الآفاق، فقص الله قصة الذين نهضوا إلى أنطاكية^(١). فكأنهم يبلغون دعوته.

ومنهم من قال: إن عيسى عليه السلام هو الذي بعثهم إلى أنطاكية للدعوة إلى الله، وهو قوله: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ﴾ وأضاف الرب ذلك إلى نفسه؛ لأن عيسى أرسلهما بأمر الرب - ورسول رسول الله بإذن الله رسول الله -^(٢).

وضعف الحافظ ابن كثير رحمته الله هذا القول، وقال: "قد تقدم عن كثير من السلف أن هذه القرية أنطاكية، وأن هؤلاء الثلاثة كانوا رسلاً من عند المسيح عيسى بن مريم كما نص عليه قتادة رحمته الله وغيره، وهو الذي لم يذكر عن واحد من متأخري المفسرين غيره. وفي ذلك نظر من وجوه:

الأول: أن ظاهر القصة يدل على أن هؤلاء كانوا رسل الله عز وجل لا من جهة المسيح عليه السلام، كما قال تعالى: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ﴾... إلى أن قال: ﴿قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾^(١٦) وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿ ولو كان هؤلاء من الحواريين لقالوا عبارة تناسب أنهم من عند المسيح، والله تعالى أعلم.

الثاني: أن أهل أنطاكية آمنوا برسول المسيح إليهم، وكانوا أول مدينة آمنت بالمسيح، ولهذا كانت عند النصراني إحدى المدائن الأربعة اللاتي فيهن بئراكة. وأهل هذه القرية ذكر تعالى أنهم كذبوا رسله، وأنه أهلكهم بصيحة واحدة أخذتهم. والله أعلم.

الثالث: أن قصة أنطاكية مع الحواريين أصحاب المسيح بعد نزول التوراة، وقد ذكر غير واحد من السلف أن الله تبارك وتعالى بعد إنزاله التوراة لم يهلك أمة من الأمم عن آخرها بعذاب يبعثه عليهم، بل أمر المؤمنين بعد ذلك بقتال المشركين.

وعلى هذا يتعين أن هذه القرية المذكورة في القرآن قرية أخرى غير أنطاكية^(٣).

(١) المحرر الوجيز ١٥٥٩.

(٢) التفسير الكبير ٤٥/٢٦، الجامع لأحكام القرآن ١٥/١٤.

(٣) تفسير ابن كثير ٣/٦٢٤.

القول الثاني: أن هؤلاء الرسل من قبل الله تبارك وتعالى^(١). بدليل قول أهل القرية للرسل:

﴿ قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾، وهذه محاورة إنما تقال لمن أدى الرسالة من الله^(٢).

ولعل هذا القول هو الراجح لأنه متفق مع النص القرآني، فقد أسند القرآن إرسالهم

إلى الله ﴿ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ ﴾ واعتبرهم القرآن مرسلين إلى أهل القرية^(٣).

أرسل الله رسولين إلى أهل هذه القرية، فبادروهما بالتكذيب ورد دعوتهما، فقواهما الله

وشد من أزرهما برسول ثالث، ﴿ فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ ﴾.

وإذا تأملنا في الحكمة من إرسال الرسولين ثم التعزيز^(٤) بالثالث " فإنها تبدو في:

١. أن الرسول يتقوى بالرسول الآخر، والرسولان يعززان بالرسول الثالث، كما

قال موسى عليه السلام، لربه عن أخيه هارون: ﴿ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ

مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴾ [سورة القصص ٢٨/٣٤]. فاستجاب الله له فقال

سبحانه وتعالى: ﴿ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِأَيِّتِنَا أَنْتُمَا

وَمَنْ أَتَّبِعُكُمَا أَلْبِيسُونَ ﴾ [سورة القصص ٢٨/٣٥].

٢. أن إرسال الرسول الثالث هو رد على تكذيب أهل القرية للرسولين، وهذا

فيه إصرار على الإرسال، وإصرار على التبليغ، وهذا درس دعوي بالغ، فالدعاة إلى الله

يواجهون الناس ويدعوهم. وقد لا يستجيب المدعوون إليهم بل يصدون عنهم. فعلى الدعاة

الاستمرار في الدعوة والحرص على النصح، والإصرار على التبليغ، ولا يحملنهم الإعراض

عنهم على ترك الدعوة والعودة عن الواجب^(٥).

(١) جامع البيان ٢٢/١٥٦.

(٢) المحرر الوجيز ١٥٥٩.

(٣) والأصل هو الأخذ بظاهر النص القرآني، والقول بما يوحي به، وعدم العدول عن الظاهر إلى المجاز والاستعارة إلا

عند الضرورة، وذلك عند تعذر واستحالة الحمل على الظاهر، ولا ضرورة هنا تضطرنا للقول بالاستعارة فهم رسل الله

مباشرة، والله أعلم. قصص السابقين في القرآن ٣/٢٣٨.

(٤) معنى التعزيز: التقوية، وفي هذه المادة جعل المقوى عزيزاً، فالأحسن أن التعزيز هو النصر. التحرير والتنوير ٢٢/٢٠٧.

(٥) قصص السابقين في القرآن ٣/٢٣٩.

قدم الرسل الثلاثة أنفسهم لأهل القرية، وقالوا لهم: ﴿إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ﴾ من ربكم الذي خلقكم يأمركم بعبادته وحده لا شريك له^(١). "إنا إليكم أيها القوم مرسلون بأن تخلصوا العبادة لله وحده لا شريك له وتنبهوا مما تعبدون من الآلهة والأصنام"^(٢).

رد أصحاب القرية على الرسل بإنكار أن يكونوا مرسلين بسبب أنهم بشر مثلهم، ولو كانوا رسلاً لكانوا ملائكة. ثم تمادوا في التكذيب والكفر فأنكروا النبوات، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ﴾ فراجعتهم الرسل بأن ردوا إلى الله وقنعوا بعلمه وأعلموهم أنما عليهم البلاغ فقط^(٣)، لكنهم اهتموهم بالكذب في قولهم: إنهم مرسلون من عند الله. ﴿قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾ فرد عليهم الرسل القول: ﴿قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ أي: فيما دعوناكم إليه، وإنا لصادقون، وما علينا إلا أن نبلغكم رسالة الله التي أرسلنا بها إليكم بلاغاً يبين لكم أننا أبلغناكموها، فإن قبلتموها فحظ أنفسكم تصيبون، وإن لم تقبلوها فقد أدينا ما علينا والله ولي الحكم فيها^(٤).

لم يكتف هؤلاء القوم بهذا القول بل ادّعوا أمراً آخر ألا وهو التطير^(٥) بالرسول، كعادة من سبقهم من الأقوام، وكذا من تبعهم فقالوا: ﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجِمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ "يعنون إنا تشاءنا بكم فإن أصابنا بلاء فمن أجلكم"^(٦). وقيل: احتبس عليهم المطر، وقيل: أسرع فيهم الجذام عند تكذيبهم للرسول^(٧). وقال ابن عطية رحمته الله: "والظاهر أن تطير هؤلاء كان بسبب ما دخل فيهم من اختلاف الكلمة وافتتان الناس، وهذا على نحو تطير قريش بالنبي صلى الله عليه وسلم"^(٨).

(١) تفسير ابن كثير ٦٢١/٣.

(٢) جامع البيان ١٥٦/٢٢.

(٣) البحر المحيط ٣١٣/٧.

(٤) جامع البيان ١٥٦/٢٢.

(٥) التطير: في الأصل تكلف معرفة دلالة الطير على خير أو شر، من تعرض نوع الطير ومن صفة اندفاعه أو مجيئه، ثم أطلق على كل حدث يتوهم منه أحد أنه كان سبباً في لحاق شر به فصار مرادفاً للتشاؤم. التحرير والتنوير ٢١٠/٢٢.

(٦) جامع البيان ١٥٦/٢٢.

(٧) روح المعاني ٢٢٢/٢٢٣.

(٨) تفسير المحرر الوجيز ١٥٥٩.

وقال الزمخشري: " وذلك أنهم كرهوا دينهم، ونفرت منه نفوسهم، وعادة الجهال أن يتيمنوا بكل شيء مالوا إليه واشتهوه وقبلته طباغهم، ويتشاءموا بما نفرت عنه نفوسهم وكرهوه، فإن أصابتهم نعمة أو بلاء قالوا: بركة هذا، وبشؤم هذا، كما حكى الله عن مشركي مكة حينما قال: ﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ نُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلُّ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾ [سورة النساء ٧٨/٤] " (١).

ثم انتقلوا إلى أمر أعظم وهو التوعد بقتل الرسل ورجمهم بالحجارة إن لم ينتهوا عن هذا الأمر، وأكدوا تهديدهم ووصفوه بالأليم الموجه، حيث قالوا: ﴿لَئِنْ لَّمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾. وإذا نظرنا إلى موقفهم هذا نجد أنه "سنة عامة، وموقف مطرد يواجه كل من يحاول الإصلاح في كل زمان ومكان، خاصة الدعاة والمرين والمصلحين، وعلى هؤلاء أن يردوا على المتطيرين تطيرهم" (٢). كما رد رسل الله على هؤلاء مقاتلهم، فقالوا لهم: ﴿قَالُوا طَئِرُكُمْ مَعَكُمْ أَيْنَ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾ أي: تشاؤمكم معكم، والشر الذي تتوقعونه ليس بسببنا، بل إن أعمالكم وأرزاقكم وحظكم من الخير والشر معكم ذلك كله في أعناقكم، فما أصابكم من سوء فيما كتب عليكم وسبق لكم من الله، وبسبب شرككم لأن الشرك سبب لوقوع المكار والنعمة وارتفاع المحاب والنعمة عنكم. ونحن إنما نذكركم بالله فإن ذكرناكم بأمر فيه صلاحكم ولكم فيه الحظ الحسن في الدنيا والآخرة قلتم لنا ما قلتم. ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾ متجاوزون الحد في الكفر والشرك والفساد، فأنتم قوم قد غلبت عليكم الذنوب والآثام (٣).

وفي خضم هذه الأحداث وبعد تيقن الرسل من عدم إيمان أهل هذه القرية، إذ بنور الحق يلامس قلب رجل منهم، فينبري لهذا، ليبدأ مشهد جديد، يحوي عبراً وعظات لمن كان له قلب يعي ويتعظ بها.

(١) الكشاف ٨٩٢.

(٢) مع قصص السابقين في القرآن ٢٤٤/٣.

(٣) انظر: جامع البيان ١٥٨/٢٢، تفسير ابن سعدي ٦٤٠، قصص السابقين في القرآن ٢٤٣/٣.

قال تعالى: ﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴾ [سورة يس ٢٠/٣٦]. هذا الرجل بلغه عزم قومه قتل هؤلاء المرسلين الذين أرسلوا إليهم، فما كان منه إلا أن قدم عليهم من مكانه البعيد حيث كان منزله على باب المدينة الأقصى. جاء مسرعاً في حرصاً منه على نصح قومه وتذكيرهم بالله وبدعوة هؤلاء الرسل^(١). هذا الرجل لم يعين، بل اكتفى الحق - تبارك وتعالى - بوصفه بالرجولة التي تشير إلى صفات نفسية، ومزايا معنوية، وفضائل أخلاقية تميزه بها عن غيره من أهل القرية من القوة والشدة والتحمل والشجاعة والثبات، فأنت مدحاً وثناءً وتكريماً له. كما جاءت ثناءً ومدحاً للذين يذكرون الله تبارك وتعالى كما في قوله تعالى: ﴿ فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذَكِّرَ فِيهَا أَسْمَهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَا لُئْلِيهِمْ تَجَرةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾ [سورة النور ٣٦/٢٤-٣٧]. وغيرها من الآيات^(٢).

نعم، هذا هو الصاحب الصالح الذي صدق مع نفسه وصدق مع قومه، أتاهم مقدماً النصح لهم، بعد أن رأى هو الحق، وعلمه واستقر في قلبه، فلم يكفه أن يؤمن هو بل أحب لقومه ما يجب لنفسه، فأثر نصيحهم رغم بعد المسافة بينه وبينهم فجاءهم يسعى ناصراً للحق ومبيناً له. فلما عاينهم خاطبهم بلفظ يفيض شفقة ومحبة ورحمة بهم، لفظ يستميل به قلوبهم لقبول النصيحة منه قال: ﴿ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴾ ﴿ يَا قَوْمِ ﴾ بالإضافة إليه دليل صريح على أنه لا يريد بهم إلا الخير، أي: يا أهلي، ويا من عشت معهم وصحبتهم في كل أحوالهم، اسمعوني واتبعوا المرسلين الذين أرسلوا إليكم، ثم عاد وكرر عليهم القول: ﴿ اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ [سورة يس ٢١/٣٦] هذا التكرار للتأكيد والتأييد لما شهد به ودعا إليه. أي: اتبعوا من نصحكم نصحاً، يعود عليكم بالخير، وليس يريد منكم أجراً على

(١) انظر: جامع البيان ١٥٨/٢٢، روح المعاني ٢٢/٢٢٥، "قيل: إن اسمه حبيب بن مري، كان نجاراً وقيل: إسكافيا وقيل: قصاراً".

(٢) قصص السابقين في القرآن ٣/٢٥٤-٢٥٥.

نصحه لكم وإرشاده إياكم، وهذا موجب لاتباع من هذا وصفه^(١). وقد قدم النصح لهم بحثهم على اتباع المرسلين على إظهاره إيمانه بهؤلاء المرسلين.

ثم وصف هؤلاء المرسلين بأنهم مهتدون فيما يدعون إليه، فهم لا يدعون إلا لما يشهد له العقل الصحيح بحسنه، ولا ينهون إلا عما يشهد العقل الصحيح بقبحه^(٢)، وهادون إلى ما يأتي بالسعادة الأبدية.

ثم بدأ يناقشهم ويفند مزاعمهم بالدليل، فبدأ بنفسه بأسلوب استفهامي إنكاري، كما قال تعالى: ﴿وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [سورة يس ٢٢/٣٦]. هذا التلطف في الإرشاد في معرض المناصحة لنفسه وإمعان في النصح حيث أراهم أنه اختار لهم ما يختار لنفسه. والمراد تقريرهم على ترك عبادة خالقهم إلى عبادة غيره، أي: وما يعني من إخلاص العبادة للمستحق؛ الذي خلقتني ورزقني، وإليه مآل جميع الخلق فيجازيهم بأعمالهم، إن خيراً فخير وإن شراً فشر. الذي بيده الخلق والرزق والحكم بين العباد في الدنيا والآخرة وهو المستحق لأن يعبد وحده لا شريك له^(٣).

ثم بدأ يبطل عبادة الأصنام، باستفهام توبيخي إنكاري، فقال: ﴿أَتَأْتُونَ آلِهَةً إِلَّا الْهَيْكَلُ إِن يُرِدَنَّ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِي عَنْهُمْ شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً وَلَا يُنْقَدُونَ﴾ [سورة يس ٢٣/٣٦]. "والمقصود: التعريض بالمخاطبين في اتخاذهم تلك الآلهة بعلّة أنها تشفع لهم عند الله، أو تقرّبهم إليه زلفى، وقد علم من انتفاء دفعهم الضر أنهم عاجزون عن جلب نفع، لأن دواعي دفع الضر عن المولى أقوى وأهم، وإلحاق العار بالولي في عجزه عنه أشد. فكأنه قال: أأتخذ من دونه آلهة لا شفاععة لهم عند الله، لإبطال اعتقادهم أنهم شفعاء مقبولة شفاعتهم، وإذا كانت شفاعتهم لا تنفع لعجزهم وعدم مساواتهم لله سبحانه الذي له صفات الكمال المطلق، والقدرة المطلقة كان انتفاء أن ينقذوا أولى"^(٤).

(١) انظر: تفسير أبو السعود ١٦٤/٧، تفسير ابن سعدي ٦٤٠.

(٢) تفسير ابن سعدي ٦٤٠.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير ٦٢٣/٣، تفسير ابن سعدي ٦٤٠.

(٤) التحرير والتنوير ٢١٦/٢٢.

أي: أن هذه الأصنام التي تعبدون من دونه لا يملكون من الأمر شيئاً، فإن الله لو أرادني بسوء ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسُّكَ خَيْرٌ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة الأنعام ١٧/٦] وهذه الأصنام لا تملك دفع ذلك ولا منعه ولا ينقذوني مما أنا فيه^(١). ﴿إِنِّي إِذَا لَفِيَ ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [سورة يس ٢٤/٣٦]. إن عبدت هذه الأصنام أو أشركت ما ليس من شأنه النفع ولا دفع الضرر بالخالق المقتدر الذي لا قادر غيره ولا خير إلا خيره، فهذا هو الضلال البين الذي لا يخفى على أحد ممن له تمييز في الجملة^(٢).

ثم توجه بالخطاب للرسول بطريق التلوين، بقوله: ﴿إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ﴾ [سورة يس ٢٥/٣٦]، قيل: لما نصح قومه همّوا برجمه، فأسرع نحو الرسل قبل أن يقتلوه، فقال ذلك، وأكدته بحرف التأكيد (إِنِّي) لإظهار صدوره عنه بكمال الرغبة والنشاط، وأضاف الرب إلى ضميرهم لزيادة التقرير وإظهارا للاختصاص والافتداء بهم كأنه قال: بربكم الذي أرسلكم، أو الذي تدعوننا إلى الإيمان به، فاسمعوا إيماني واشهدوا لي به عند ربكم^(٣). وقيل: ما زال الخطاب لقومه.

فقتله قومه لما سمعوا منه هذا وراجعهم فيما راجعهم به^(٤) ^(٥).

﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾ [سورة يس ٢٦/٣٦] أي: أن هذا الرجل قد أدخل الجنة عقب موته لأنه كان من الشهداء، وهؤلاء لهم مزية التعجيل بدخول الجنة^(٦). بدليل قوله: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [سورة آل عمران ١٦٩/٣].

وقد سئل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن هذه الآية فقال: ((أما إنا قد سألنا عن ذلك. فقال: ((أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم

(١) تفسير ابن كثير ٦٢٣/٣.

(٢) جامع البيان ١٦٠/٢٢، تفسير أبو السعود ١٦٤/٧.

(٣) انظر تفسير ابن كثير ٦٢٣/٣، تفسير أبو السعود ١٦٤/٧.

(٤) تفسير ابن سعدي ٦٤١.

(٥) وقد اختلف في كيفية قتله. انظر: كتب التفسير.

(٦) التحرير والتنوير ٢١٧/٢٢.

تأوي إلى تلك القناديل، فاطلع إليهم ربهم اطلاعة، فقال: هل تشتهون شيئاً؟ قالوا: أي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا. ففعل ذلك بهم ثلاث مرات. فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا قالوا: يا رب نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى، فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا^(١).

وقيل: "قال الله له إذ قتلوه فلقية: ادخل الجنة، فلما دخلها وعانين ما أكرمه الله به لإيمانه وصبره فيه"^(٢)، تمنى أن يعلم قومه بهذه الكرامة، فقال: ﴿يَلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾ السبب الذي من أجله غفر لي ربي ذنوبي، وجعلني من الذين أكرمهم بدخول الجنة.

وقيل: "تمنى علم قومه بحاله ليحملهم ذلك على اكتساب مثله بالتوبة عن الكفر، والدخول في الإيمان والطاعة جرياً على سنن الأولياء في كظم الغيظ والترحم على الأعداء، وليعلموا أنهم كانوا على خطأ عظيم في أمره، وأنه كان على الحق، وأن عداوتهم لم تكسبه إلا فوزاً، ولم تعقبه إلا سعادة، وفي هذا زيادة غيظ لهم"^(٣).

قال ابن عباس رضي الله عنهما: نصح قومه في حياته بقوله: ﴿يَقَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ وبعد مماته بقوله: ﴿يَلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾، فهذا هو المؤمن الناصح الذي لا يغش قومه. وقال قتادة رضي الله عنه: فلا تلقى المؤمن إلا ناصحاً، ولا تلقاه غاشياً^(٤).

ثم انتقل الحديث لبيان عاقبة هؤلاء المكذبين الضالين، فقال تعالى: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ﴾ [سورة يس ٢٨/٣٦] "أي: ما أنزلنا على قوم هذا المؤمن الذي قتله قومه لدعائه إياهم ونصحه لهم من بعد مهلكه من جند من السماء. واختلف في معنى الجند فقيل: لم ينزل الله بعد ذلك إليهم رسالة ولم يبعث إليهم نبياً.

وقال آخرون: لم يبعث لهم جنوداً يقاتلوهم"^(٥) ولم نكثرث بالجموع بل الأمر كان أيسر علينا من ذلك: ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَمِيدُونَ﴾ [سورة يس ٢٩/٣٦] كفت أمرهم،

(١) رواه الإمام مسلم في صحيحه (١٥٠٢/٣ ح ١٨٨٧).

(٢) جامع البيان ١٦١/٢٢.

(٣) تفسير أبو السعود ١٦٥/٧.

(٤) جامع البيان ١٦١/٢٢.

(٥) المرجع السابق ١/٢٣.

وما ذاك إلا انتقام وغضب من الله تبارك وتعالى على هؤلاء، فلم يحتج لإهلاكهم إلى إنزال جند من الملائكة بل كانت صيحة بعث الله بها جبريل عليه السلام، فأخذ بعضادتي باب بلدهم، ثم صاح بهم صيحة واحدة، فإذا هم خامدون عن آخرهم لم تبق بهم روح تتردد في جسد^(١).

﴿فَإِذَا هُمْ خَكِمْدُونَ﴾ إذا فجائية، وفيها إشارة إلى سرعة هلاكهم، وقد شبهوا بالنار على سبيل الاستعارة المكنية، والحمود تخييل، وفي ذلك رمز إلى أن الحي كشعلة النار والميت كالرماد، كما في قول الشاعر^(٢):

وَمَا الْمَرْءُ إِلَّا كَالشَّهَابِ وَضَوُّهُ
يَجُورُ رَمَادًا بَعْدَ إِذْ هُوَ سَاطِعٌ

فيا حسرة على العباد المستهزئين بالناصحين الذين نيطت بنصائحهم سعادة الدارين، وحق لهم أن يتحسروا على أنفسهم، ويتحسر على حالهم الملائكة والمؤمنون، حيث فوتوا على أنفسهم السعادة الأبدية وعرضوا أنفسهم للعذاب المقيم^(٣). كما بين ذلك قوله تعالى: ﴿يَنْحَسِرُونَ عَلَى أَعْيُنِ الْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَحِثُّ عَلَيْهِمْ فِيهَا إِلَهُ سَابِقٌ بِالْإِذْعَانِ﴾ [سورة يس ٣٦/٣٠] نعم، هذه نهاية المكذبين لرسول الله، المعذبين لأوليائه المؤمنين، فحقت عليهم سنة الله، فأخذهم أخذ عزيز مقتدر.

ومما تقدم نخلص إلى ما يأتي:

١. أن من أهم أسس الصحبة السيئة هي كثرة أهلها واجتماعهم على الكفر والضلال والفجور.
٢. أن الصد والتهديد والتوعد هي السمة التي تسيطر على أهل الأهواء وأصحاب السوء في صدهم لأهل الطريق القويم من المرسلين والدعاة المخلصين.
٣. سيطرة أفكار التطير والتشاؤم على كل من لا يرتضي الحق.
٤. بيان أهمية الدعوة والإصرار على تبليغها بالحجة والحكمة، واستخدام أساليب النقاش والجدل والإقناع.

(١) تفسير ابن كثير ٣/٦٢٤.

(٢) ديوان لبيد بن ربيعة ٤٥.

(٣) انظر: تفسير أبو السعود ٧/١٦٥، روح المعاني ٢٣/٣.

٥. التسلية للدعاة والمصلحين بأنه مهما كثر أهل الباطل إلا أن الحق هو المنتصر، ولو كان برجل واحد.
٦. بيان لأهم أسس الصحة من خلال الرجل المؤمن الذي قدم النصح لقومه، في إشارة إلى أن هذا من مستلزمات الصحة التي جمعت بينه وبينهم.
٧. على الإنسان أن يتبصر ويحكم فطرته وعقله لا شهوته وهواه.

الفصل الثاني: صحبة غير الأنبياء:

المبحث الأول: أصحاب البستان.

المبحث الثاني: أصحاب الفيل.

المبحث الثالث: صحبة فرعون وأبي لهب لزوجتيهما.

المبحث الأول: أصحاب البستان

قال تعالى: ﴿ إِنَّا بَلَوْتُهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَنْوُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا

طَافٍ مِّن رَّبِّكَ وَهَمَزْنَاهُم مِّن رَّبِّكَ فَاصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَنَادُوا مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنْ ائْتِنَا عَلَيَّ حَرِيكًا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٢﴾

فَانطَلَقُوا وَهَمَزْنَاهُمْ يَنْخَفُونَ ﴿٢٣﴾ أَنْ لَا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَا عَلَيَّ حَرْدِقِدِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَصَالُونَ ﴿٢٦﴾

بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلْأَقْلَلُ لَكُمْ لَوْلَا آتَيْنَاهُمْ لَكَؤُلُوفًا لَّسْتَخُونُ ﴿٢٨﴾ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ

يَتَلَمَّظُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا يَا بَلَاءَ إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٣١﴾ عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ

أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ [سورة القلم ١٧/٦٨-٣٣]

(مناسبة هذا المثل)

" هذا مثل ضربه الله تعالى لكفار قريش، فيما أهدى لهم من الرحمة العظيمة، وأعطاهم من النعمة الجسيمة، وهو بعثة نبي الرحمة محمد ﷺ إليهم، فقابلوه بالتكذيب والرد والحادثة"^(١). فشبه سبحانه وتعالى قريشاً بهؤلاء في أنه قد امتحنهم بمحمد ﷺ وهداه، كما امتحن أولئك بفعل أبيهم وحسن تنفيذه لشرع ربه. فكما حل بأولئك العقاب في جنتهم كذلك يحل بهؤلاء العقاب في جميع أمور دنياهم. وبين لهم أن التوبة معروضة لمن بقي منهم كما تاب أصحاب هذه الجنة فتاب الله عليهم^(٢).

وبين أن الازدهار وسعة الرزق هي من الأسباب المفضية إلى الاستخفاف بدعوة الحق وإهمال النظر في كنهها ودلائلها، وقد أوقع هذا من قديم الزمان أصحابهما في بטר النعمة، وإهمال الشكر، فجر ذلك عليهم شر العواقب. فجاء هذا المثل لكل من أطغاه المال، ليستفيق من غفلته وغروره^(٣).

وحقيقة الابتلاء؛ الاختبار، وهنا بلوى بالخير، فإن الله أمد أهل مكة بنعم كثيرة؛ نعمة الأمن، ونعمة الرزق، وجعل الرزق يأتيهم من كل جهة، ويسر لهم سبل التجارة، كما في رحلتي

(١) تفسير ابن كثير ٤/٤٤٧.

(٢) المحرر الوجيز ١٨٨٥ بتصرف.

(٣) التحرير والتنوير ٢٩/٧٤.

الشتاء والصيف، وغيرها من النعم، كما قال تعالى: ﴿لَا يَلْفُ قُرَيْشٍ ۝١﴾ إِذْ لَفِيهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ۝٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۝٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ﴿﴾ [سورة قريش ١٠٦/١-٤]. فلما أكمل لهم النعمة بإرسال رسول منهم ليكمل لهم صلاح أحوالهم ويهديهم إلى ما فيه النعيم الدائم لهم، فلما جاءهم وذكرهم بنعم الله عليهم وعرض عليهم دعوته أعرضوا عنه وطغوا وأسأؤوا في رده. فشبه حالهم بحال أصحاب الجنة المعروفة عندهم، ليبين لهم عاقبة الإعراض عن طلب مرضاة الله وعن شكر نعمته.

وهذا المثل تعريض بالتهديد بأن يلحق كفار مكة ما لحق أصحاب الجنة من البؤس بعد النعيم والقحط بعد الخصب، وقد حصل لكفار مكة مثل ذلك بعد هجرة النبي ﷺ إلى المدينة^(١). علاقة هذه القصة بموضوع الصحبة:

إن المتأمل في هذه القصة يجد أنها تتصل بثلاثة أنواع من الصحبة:

الأول: صحبة الأبناء لأبيهم؛ وخاصة بعد وفاته وما يترتب على هذا من إحسان الصحبة له. الثاني: الصحبة فيما بين الإخوة؛ وما يترتب عليها من الاجتماع والترابط والتناصح، كما قال تعالى: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلْقُوا لَكُمْ لَوْلَا نَسِيحُونَ﴾ ﴿﴾.

الثالث: صحبة الأبناء لمن حولهم، وبيان عاقبة البخل ومنع حق الفقراء، وبيان أن على الإنسان أن يحب لأخيه وجاره ما يحب لنفسه، وخاصة إن كان من حوله فقراء. كما في حديث النبي ﷺ: ((ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم))^(٢). ولبيان هذه الأنواع واستخلاص الفوائد والعبر منها نشرع في بيان هذا المثل.

قال تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾ ﴿﴾ كانت هذه الجنة^(١) لرجل صالح يؤدي حق الله تعالى فيها. فكان يمسك قوت سنته وينفق ويتصدق

(١) وقد روي في سبب نزول هذه الآيات، ما "أخرج ابن أبي حاتم عن ابن جريج أن أبا جهل قال يوم بدر خذوهم أخذاً فاربطوهم في الجبال، ولا تقتلوا منهم أحداً فنزل: ﴿إِنَّا بَلَوْنَا هُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾ يقول في قدرتهم عليهم كما اقتدر أصحاب الجنة على الجنة". الدر المشهور ٨/٢٥٠، لباب النقول في أسباب النزول، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار إحياء العلوم، بيروت ٢١٩.

(٢) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/١٦٧، وقال: وإسناد البزار حسن، والألباني في السلسلة الصحيحة ١/٢٧٩.

بالفضل^(٢). وكان ينادي الفقراء وقت الصرام^(٣)، ويترك لهم ما أخطأه المنجل^(٤)، وألقته الريح، أو بُعد من البساط الذي يبسط تحت النخلة، فيجتمع لهم شيء كثير^(٥).

قال ابن عباس رضي الله عنهما: كانت تلك الجنة دون صنعاء^(٦) بفرسخين^(٧) غرسها رجل من أهل الصلاح، وكان للمساكين كل ما تعداه المنجل، فلم يجذه من الكرم، فإذا طرح على البساط فكل شيء سقط عن البساط فهو أيضا للمساكين، فإذا حصدوا زرعهم فكل شيء تعداه المنجل فهو للمساكين، فإذا درسوا كان لهم كل شيء انتثر، فكان يتصدق منها، وكان يعيش على ذلك اليتامى والأرامل والمساكين^(٨).

وكان لهذا الرجل عدد من الأبناء الذين ورثوه، ولم يرد نص قاطع بعددهم. لكن أغلب المفسرين على أنهم ثلاثة من الأبناء^(٩).

هؤلاء الأبناء كانت لهم وجهات نظر متفاوتة في فعل أبيهم^(١٠)، ومن خلالها يتبين كيف كانت علاقتهم بأبيهم، ومدى إحسانهم لصحبته بعد موته أو تقصيرهم في ذلك. فمنهم من أحسن الصحبة لأبيه ورأى أن عمله كان طيباً يستحق الثناء، وهو الذي أنكر على إخوته فعلهم.

ومنهم من أساء فرأى أن ما كان يفعله أبوه من قبيل الحماقة، وهو من أشار بمنع المساكين من حقهم.

(١) بستان. جامع البيان ٣٣/٣١، كانت دون صنعاء بفرسخين. الكليات ٣٥٨.

(٢) جامع البيان ٣٣/٣١، زاد المسير، ١٢٩٩، الدر المنثور ٨/٢٥٠.

(٣) أي قطع الثمر، جامع البيان ٣٣/٣١.

(٤) ما يحصد به. لسان العرب ١١/٦٤٧ مادة (نجل)، مختار الصحاح ٢٧٠.

(٥) تفسير ابن كثير ٤/٤٤٧.

(٦) صنعاء: عاصمة اليمن.

(٧) الفرسخ=٥٥٤٤ متراً، الإيضاح والتبيان في معرفة المكيال والميزان، لابن الرفعة الأنصاري، تحقيق د/محمد أحمد الخاروف ٧٧.

(٨) الجامع لأحكام القرآن ١٨/٢٤٠.

(٩) زاد المسير ١٣٠٠، الجامع لأحكام القرآن ١٨/٢٤٠.

(١٠) انظر قصة أصحاب الجنة وقيمة النية في الشريعة الإسلامية، للدكتور: ياسين بن ناصر الخطيب، دورية دعوة الحق، من إصدارات رابطة العالم الإسلامي، العدد ٢٠٤.

قال ابن كثير رحمه الله: "لما مات ورثه بنوه، فقالوا: لقد كان أبونا أحق إذ كان يصرف من هذا شيئاً للفقراء، ولو أنا منعناهم لتوفر ذلك علينا" ^(١).

ومنهم من كان يرى أن عمل أبيهم كان في وقته طيباً لأن المال كثير والعيال قليل، لكنه بعد موت الأب تغير الحال.

قال الإمام ابن الجوزي رحمه الله: "مات الرجل عن ثلاثة من البنين، فقالوا: والله إن المال لقليل وإن العيال لكثير، وإنما كان أبونا يفعل هذا إذ كان المال كثيراً، والعيال قليلاً، وأما الآن فلا نستطيع أن نفعل هذا، فعزموا على منع المساكين" ^(٢).

هؤلاء الأبناء تناسوا حق الصحبة لأبيهم خاصة بعد موته، وذلك أن حق الصحبة بالأب لا ينقطع بالموت، بل إن جوانب الصحبة مستمرة بحبه، والبرّ به، والدعاء له بالمغفرة والرحمة، وإنفاذ أمره ووصيته وقضاء دينه، كما بين ذلك نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم في كثير من الأحاديث منها قوله: ((إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث؛ صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له)) ^(٣).

وقال صلى الله عليه وسلم للذي سأله: "هل بقي علي من برّ أبوي شيء أبرهما به بعد موتهما؟ قال: ((نعم، الصلاة عليهما، والاستغفار لهما، وإنفاذ عهودهما، وإكرام صديقهما، وصلة الرحم الذي لا رحم لك إلا من قبلهما))" ^(٤).

لكن هؤلاء الأبناء اجتمعت فيهم بعض عوامل الصحبة السيئة؛ من جهل بحق الله وحق الوالد، وحق المسكين، وإذ بهم يتآمرون على أمر منكر. حيث قال تعالى: ﴿إِذَا قَسِمُوا لِصِرْمَتِهَا مُصْبِحِينَ﴾ ^(١٧) وَلَا يَسْتَنْوْنَ ﴿﴾ ، فبعد أن تهيأت جنتهم للقطاف، ودنت ثمارها، فإذا بهم يتمالؤون على حرمان المساكين الذين كانوا يتهيئون كعادتهم في عهد صاحب الجنة ليأخذوا نصيبهم منها.

(١) تفسير ابن كثير ٤/٤٤٧.

(٢) زاد المسير ١٣٠٠.

(٣) سبق تخريجه ٥٤.

(٤) سبق تخريجه ٣١.

وإذا بهؤلاء الأبناء يجتمعون ويحلفون فيما بينهم ليغدُنَّ إلى جنتهم في سدفة من الليل قبل انبلاج الصباح للجذاذ وقطع الثمار قبل أن يأتي المساكين، أو قبل أن يعلم بهم سائل أو فقير. ليتوفر ثمرها عليهم، ولا يتصدقون منها بشيء^(١).

وباتوا عازمين على ذلك، وأكدوا هذا العزم بالأيمان المغلظة، ولعلمهم أقسموا ليلزموا أنفسهم بتنفيذ ما تواعدوا عليه. وهذا الفعل منهم يبين أن بعضهم كان متردداً في موافقتهم على ما عزموا عليه، وإنما أجموه بالقسم، وهذا يلتزم مع قوله تعالى في نهاية القصة: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمُ الرَّأْفَلُ لَكُلُّوْا لَأَسْبَحُونَ﴾ أي: أنه كان يقول لهم: اتقوا الله، واعدلوا عن خبث نيتكم من منع المساكين، وذكرهم انتقام الله من المجرمين. فغلبوه بكثرتهم ومضوا على ما عزموا عليه. ولعلمهم أقسموا على أن يفعلوا وأقسموا عليه أن يفعل معهم ذلك، فأقسم معهم ووافقهم على ما أقسموا عليه، ولذا أسند القسم إلى جميع أصحاب الجنة^(٢).

﴿إِذْ أَقْسَمُوا لَبَصَرِمْتُهَا مُصْبِحِينَ﴾ (١٧) وَلَا يَسْتَنْوْنَ ﴿أي: ليقطعن ثمرها في وقت الصباح أو في أوائل الفجر. ولم يقولوا: إن شاء الله، فكأنهم حلفوا يمينا ليس فيه ثني ولا كف عن مرادهم. قال جماعة من المفسرين: (٣) "إنهم إنما لم يستنوا بمشيئة الله تعالى لأنهم كانوا كالواثقين بأنهم يتمكنون من ذلك لا محالة.

وقال آخرون: بل المراد أنهم يصرمون كل ذلك الثمر ولا يستنون للمساكين من جملة ذلك القدر الذي كان يدفع به أبوهم للمساكين".

ولكن هذا العمل منهم لم يرض الله فياذ به جل جلاله، ينتقم منهم فيعاقبهم بإتلاف ثمار جنتهم، فيرسل عليها ليلاً جنداً من جنده، فيصيبها بأفة سماوية تأتي عليها فتحولها من أرض خضراء يانعة إلى أرض قاحلة سوداء كسواد الليل المظلم البهيم^(٤). فيقول جل ثناؤه ليبين عاقبتهم وعاقبة كل من يسير على نهجهم: ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ أي: أصابها عذاب

(١) انظر: تفسير ابن كثير ٤/٤٤٧، زاد المسير ١٣٠٠.

(٢) بتصرف من التحرير والتنوير ٢٩/٧٥.

(٣) انظر: التفسير الكبير ٣٠/٧٧، زاد المسير ١٣٠٠.

(٤) انظر: جامع البيان ٣١/٣٥-٣٦، تفسير ابن كثير ٤/٤٤٧.

من ربك أحاط بها من جميع جوانبها، و"لم يعين جنس الطائف لظهور أنه من جنس ما يصيب الجنات من الهلاك، ولا يتعلق غرض بتعيين نوعه لأن العبرة في الحاصل به"^(١).

﴿فَنَادُوا مُصِيبِينَ﴾ أي: فلما كان وقت الصبح نادى بعضهم بعضاً: ﴿أَنْ أَعْدُوا عَلَيَّ حَرْثَكُمْ﴾

﴿إِنْ كُنْتُمْ صَرِيمِينَ﴾ أي: إن كنتم عازمين على الصرم، وقيل: إن كنتم حاصدي زرعكم^(٢). فمضوا على ذلك الأمر عازمين على ما تعاهدوا عليه، متخفين خافتين أصواتهم ومكررين ما هم عازمون عليه، ﴿فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَخْفَوْنَ﴾^(٣) ﴿أَنْ لَا يَدْخُلْنَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ﴾^(٤) ﴿وَعَدُوا عَلَيَّ حَرْثَ قَدِيرِينَ﴾ وذلك من شدة حرصهم وبخلهم، يتخافتون بهذا الكلام مخافتة، وخوفاً من أن يسمعهم أحد من الفقراء^(٥).

وفي فعلهم هذا وتصلبهم مما كان يفعل أبوهم سوء صحبة منهم له. (فلما وصلوا إلى جنتهم، ورأوا حرثها محترقاً ، أنكروها وشكوا فيها، هل هي جنتهم أم لا؟! .. فقال بعضهم لأصحابه ظناً منه أنهم قد أغفلوا طريق جنتهم، وأن التي رأوا غير جنتهم فقال: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُونَ﴾ أي: سلكننا إليها طريقاً غير الطريق فتهدنا عنها.

فقال من علم أنها جنتهم، وأهم لم يخطئوا الطريق: ﴿بَلْ نَحْنُ مُحْرَمُونَ﴾ أي: حرمانا منفعة جنتنا بذهاب حرثها^(٦). فحرمانا خيرها بشؤم عزمنا على البخل ومنع الفقراء. وقيل: إنهم لما رأوا جنتهم محترقة قالوا: إنا لضالون حيث كنا عازمين على منع الفقراء، وحيث كنا نعتقد كوننا قادرين على الانتفاع بها، بل الأمر انقلب علينا فصرنا نحن المحرومين^(٧).

عندها تقدم أوسطهم وأعدلهم وأعقلهم وأصلحهم^(٨) الذي كان له رأي غير رأيهم ولكنه تابعهم عندما خالفوه في رأيه، ولم يصبر هو على الحق الذي رآه فناله من الحرمان ما نالهم ،

(١) التحرير والتنوير ٢٩/٧٧.

(٢) جامع البيان ٣١/٤٤، الجامع لأحكام القرآن ١٨/٢١٤.

(٣) تفسير ابن سعدي ٨١٥.

(٤) جامع البيان ٣١/٤٤، تفسير ابن كثير ٤/٤٤٧.

(٥) التفسير الكبير ٣٠/٧٩.

(٦) انظر: جامع البيان ٣١/٤٤، تفسير ابن كثير ٤/٤٤٧، زاد المسير ١٣٠٠، الجامع لأحكام القرآن ١٨/٢١٤.

لكنه كان أسرعهم فرعاً وأحسنهم رجعة، وذلك لأن نوازع الخير التي زرعتها والده فيه ما زالت تنبض في قلبه، وإذ به يأخذ بإخوته لينجيهم من نار الآخرة، ولئلا يجرموا من جنة الآخرة بعد أن أحرقت النار جنتهم الدنيوية فحرمتهم من نعيمها، فيرشدهم إلى ما فيه خيرهم وصلاحهم فيذكرهم وينصحهم بما هو أجدى لهم، قال تعالى: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلْقُلْ لَكُمْ لَوْلَا نَسِيحُونَ﴾ وقد اختلفت آراء العلماء في المراد بالتسبيح الذي أمرهم به على أقوال^(١):

أحدها: هلا تستنون عند ما أقسموا (ليصرمنها مصبحين) فيكون المعنى: هلا قلت إن شاء الله، وكان استثناءؤهم تسبيحا.

الثاني: أنه كان استثناءؤهم قول سبحان الله.

الثالث: هلا تسبحون الله وتشكرونه على ما أعطاكم وأنعم به عليكم.

فما كان منهم إلا أن اعترفوا بالمعصية، ونزهوا الله عن أن يكون ظالماً فيما فعل، كما قال تعالى: ﴿قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ فأقروا على أنفسهم بالظلم حين منعوا المساكين من حقهم.

وكما يتنصل كل شريك من التبعية عندما تسوء العاقبة، ويتوجه باللوم إلى الآخرين، هاهم هؤلاء يصنعون ذلك. قال الحق تبارك وتعالى عنهم: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتْلَمُونَ﴾ أي: يلوم بعضهم بعضاً في منع المساكين حقهم، وعزمهم على ذلك. ثم أجمعوا على أنهم طغوا في هذا ونادوا على أنفسهم بالويل والهلاك: ﴿قَالُوا يَوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ أي: كنا مجاوزين للحد حين لم نصنع ما كان يصنع أبونا، حتى أصابنا ما أصابنا. ثم رجعوا إلى الله وأنابوا إليه وسألوه أن يبدلهم خيراً منها، فقالوا: ﴿عَسَى رَبَّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ﴾ أي: طالبون منه الخير راجون لعفوه^(٢). ونقل أنهم أخلصوا في توبتهم فبدلهم الله جنة أخرى خيراً من جنتهم^(٣). ثم عقب تعالى على هذه القصة معظماً لما وقع فيها، فقال: ﴿كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَالْعَذَابُ الْأَخْرَجُ أَكْبَرُ لَكُمْ وَأَنْتُمْ كَانُوا

(١) تفسير ابن كثير ٤/٤٤٨، زاد المسير ١٣٠٠، الجامع لأحكام القرآن ١٨/٢١٤.

(٢) الكشف ١١٣١.

(٣) انظر زاد المسير ١٣٠٠.

يَعْلَمُونَ ﴿٢٤﴾ أي: هكذا العذاب الدنيوي لمن أتى بأسباب العذاب، أن يسلبه الله الشيء الذي طغى به، وبغى وآثر الحياة الدنيا، أن يزيله عنه عندما يكون أحوج ما يكون إليه. ولكن عذاب الآخرة أكبر من عذاب الدنيا، ولا يعي هذا- إلى من تسلح بسلاح العلم والإيمان-، وذلك أن العلم يستوجب الزجر عن كل سبب يوجب العقاب ويحرم الثواب^(١). والإشارة بـ (ذلك) إلى العذاب الذي نزل بالجنة، أي كذلك العذاب الذي ينزل بقريش بغتة ثم عذاب الآخرة أشد عليهم من عذاب الدنيا. قال كثير من المفسرين: إن العذاب النازل بقريش المماثل لأمر الجنة هو الجذب الذي أصابهم سبع سنين حتى رأوا الدخان وأكلوا الجلود^(٢).

ومن خلال العرض السابق نخلص إلى عدد من الفوائد:

- أن الله سبحانه وتعالى يضرب الأمثال لحكم عظيمة، كل مثال وكل قصة تزخر بالعظات والعبر لكل معتبر.
- قصة أصحاب الجنة تدور حول:
 ١. عقوق الأبناء لأبيهم.
 ٢. اغترار الأبناء، واعتقادهم أنهم قادرون على منع المساكين من الحق الذي كان أبوهم التزمه وعود المساكين عليه.
 ٣. الطمع والبخل الذي طغى على هؤلاء حرمهم من الاستمتاع بخيرات هذه الجنة.
 ٤. أن أي أمر لا يعلق بمشيئة الله فإن نهايته إلى زوال ولذا جاء التحذير منه في موضع آخر، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِسَائِرِيَّ فَإِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾﴾ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَأَذْكَرَ رَبَّكَ إِذْ أَنَسَيْتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنِّي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِن هَذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾﴾ [سورة الكهف ١٨/٢٣-٢٤].
 ٥. المسارعة إلى الإنابة والرجوع للحق؛ هي من النعم التي لا يوفق لها إلا المؤمنون.

(١) تفسير ابن سعدي ٨١٥.

(٢) المحرر الوجيز ١٨٨٦.

المبحث الثاني: أصحاب الفيل^(١)

قال تعالى: ﴿الْمَ تَرَكَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾﴾ [سورة الفيل ١٠٥/١-٥].

ساق المولى جل ثناؤه هذه القصة العجيبة في كتابة الكريم في موضع واحد فقط،^(٢) ليبين أن القوة والكثرة والكبر والغرور كانت من الصفات السائدة في تلك الفترة. فجاء تنكيله بأصحاب هذه الصفات وبهذه الصورة الحسية ليكون رادعا عن الاتصاف بها. هذه الصفات تعد من أسس الصحبة السيئة التي تحت على الشر وتبعد عن الحق، لذا يجب البعد عنها والتحذير منها، سواء فيما بين الأصحاب بعضهم لبعض أو مع من حولهم. فأصحاب الفيل: هم قوم نصارى قدموا من الحبشة وحكموا اليمن، بأمر من النجاشي^(٣) ملك الحبشة، بعد واقعة الأخدود.^(٤) كان دينهم إذ ذاك أقرب حالا مما كان عليه كفار مكة من عبادة الأوثان.

كان لهم قائد يدعى أبرهة^(٥) بلغ به الكبر والطغيان، أن بنى كنيسة عظيمة في صنعاء

(١) انظر القصة في: السيرة النبوية ١/١٦٠-١٧٥، سيرة ابن اسحاق ١/٣٦-٤١، البداية والنهاية ٢/١٦٩-١٧٥، الكامل

في التاريخ ١/٣٤٢-٣٤٥، تفسير جامع البيان ٣٠/٣٠٠، تفسير ابن كثير ٤/٦١٧.

(٢) قال الطاهر ابن عاشور: " ولم يتكرر في القرآن إهلاك أصحاب الفيل خلافاً لقصص غيرهم من الأمم، لوجهين؛ أحدهما: أن هلاك أصحاب الفيل لم يكن لأجل تكذيب رسول من رسل الله، وثانيهما: أن لا يتخذ من المشركين غرور بمكانة لهم عند الله كغرور أبرهة. " التحرير والتنوير ٣٠/٤٧٧.

(٣) النجاشي لقب للملوك الحبشة. أسد الغابة ١/١٥٣.

(٤) انظر قصة أصحاب الأخدود، في تفسير سورة البروج.

(٥) أبرهة بن الصباح، لقب بالأشرم وذلك؛ لأن ملك الحبشة كان قد بعث لليمن قائدين، هما أبرهة وأرياط بعد واقعة الأخدود، وعندما وصلا لم يتفقا فخرج أبرهة على أرياط، وكان أبرهة رجلاً قصيراً لحيماً، وأرياط كان رجلاً جميلاً طويلاً، بارز أرياط أبرهة فضربه بحربة فشرمت حاجبيه وعينه وأنفه، ولذا لقب بالأشرم. انظر البداية والنهاية ٢/١٦٩، تفسير ابن كثير ٤/٦١٧.

تضاهي الكعبة المشرفة، وسمها القليس،^(١) ودعا الناس إلى الحج إليها، رغبة في صرف الناس عن مكة. (ونادى بذلك في مملكته فكرهت العرب ذلك، وغضبت قريش لذلك غضباً شديداً. فقصدتها بعضهم وتوصل إلى أن دخلها ليلاً فأحدث فيها وكرّ راجعاً، فلما علم أبرهة بهذا أقسم ليسيرن إلى مكة وليخربنها حجراً حجراً^(٢) (٣). فأعد العدة وجهاز جيشا جرارا، واستصحب معه فيلاً^(٤) عظيماً، لم ير مثله. يقال له: محمود، كان قد بعته إليه ملك الحبشة لهذا الغرض.

فلما سمعت العرب بخبره أعظموا ذلك جداً، ورأوا أن عليهم واجب المحاجة دون البيت، ورد من أراد به كيدا.

فخرج له رجل من أشرف أهل اليمن وملوكهم،^(٥) فحارب أبرهة، لكنه هزم لأمر يريده الله، وأخذ أسيراً. ثم مضى أبرهة لوجهته حتى إذا كان بأرض خثعم، اعترضه أحد أبنائها،^(٦) فقاتله أبرهة وهزمه، وأخذه أسيراً ثم عفا عنه واستصحبه ليكون دليلاً في بلاد الحجاز. فلما اقترب من الطائف خرج له أهلها وصانعوه خيفة على بيت عندهم يدعى اللات، فأكرمهم. فما كان منهم إلا أن قابلوا هذا بإرسال رجل منهم يدعى أبا رغال^(٧)، ليكون دليلاً له.

(١) اسم للكنيسة التي بناها أبرهة، سميت بهذا لارتفاع علوها. تفسير ابن كثير ٤/٥٥٠، السيرة الحلبية ١/٩٦، الروض الأنف ١١١.

(٢) جامع البيان ٣٣/٣٢٦، تفسير ابن كثير ٤/٦١٧.

(٣) وفي رواية: أن فتية من قريش خرجوا إلى أرض الحبشة تجاراً، فنزلوا على ساحل البحر على بيعة للنصارى، فأوقدوا ناراً لطعامهم وتركوها وارتحلوا، فهبت ريح عاصف فاضطربت البيعة ناراً فأحترقت، فعندما وصل الخير إلى ملك الحبشة النحاشي استشاط غضباً، وأتاه أبرهة فأقسم له أن يحرق الكعبة، ويسبي أهل مكة. تفسير ابن كثير ٤/٦١٧، أعلام النبوة ١/٢٦٧.

(٤) الفيل: الحيوان المعروف، ولم يكن مألوفاً عند العرب إذ ذاك. التحرير والتنوير ٣٠/٤٨١.

(٥) يقال له: ذو نفر.

(٦) يدعى نفيل بن حبيب الخثعمي.

(٧) قسي بن منبه بن النبيت بن يقدم، من بني إباد، جاهلي، اختلفوا في اسمه ونسبه ومنشئه، وكان في الطائف، وهي ديار ثقيف، وكانت ثقيف تعير به، قال حسان بن ثابت: "إذا الثقيفي فاخركم فقولوا: هلم نعد شأن أبي رغال!" وذلك أنه كان دليل الحبشة لما غزوا الكعبة، فهلك فيمن هلك منهم، ودفن في "المعّس" وقبره معروف.

فمر النبي ﷺ بقبر "أبي رغال" فأمر برجمه فرجم. الأعلام ٥/١٩٨.

سار بهم حتى وصل إلى الْمُعَمَّسِ،^(١) نزل فيه. وأغار جيشه على سرح لأهل مكة من الإبل وغيرها، فأخذوها وكان في السرح مئتا بعير لعبد المطلب بن هاشم. ثم بعث أبرهة برسول لأهل مكة، وأمره أن يأتيه بأشراف قريش، وأمره أن يخبرهم أن الملك لم يأت لقتالهم إلا إن حاولوا صده عن مقصده وهو تخريب البيت المعظم. وعندما وصل رسول أبرهة إلى أهل مكة دُلَّ على عبد المطلب بن هاشم، فأخبره الرسول بأمر أبرهة، فقال له عبد المطلب: والله ما نريد حربته، وما لنا بذلك من طاقة، هذا بيت الله الحرام وبيت خليله إبراهيم، فإن يمنعه منه فهو بيته وحرمة، وإن يخلِّ بينه وبينه فوالله ما عندنا دفع عنه.

ثم استصحبه الرسول وذهب به إلى أبرهة. فلما رآه أبرهة أجله، وكان عبد المطلب رجلاً جسيماً حسن المنظر. فنزل أبرهة عن سريره وجلس معه على البساط. وقال لترجمانه: قل له ما حاجتك؟ فقال للترجمان: إن حاجتي أن يرد عليّ الملك مئتي بعير أصابها لي. فقال أبرهة للترجمان: قل له، لقد كنت أعجبتني حين رأيتك، ثم قد زهدت فيك حين كلمتني، أتكلمني في مئتي بعير أصبتها لك؟! وتترك بيتاً هو دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه لا تكلمني فيه؟!.

فقال عبد المطلب: إني أنا رب الإبل، وإن للبيت رباً سيمنعه.

فقال أبرهة في كبر: ما كان ليمنع مني. فقال له: أنت وذاك!.

ويقال: إن عبد المطلب ذهب مع جماعة من أشرف العرب، وعرضوا على أبرهة ثلث أموال قحاة على أن يرجع عن البيت، فأبى عليهم. ورد أبرهة على عبد المطلب إبله. عاد عبد المطلب إلى قريش وأمرهم بالخروج من مكة والتحصن في رؤوس الجبال تخوفاً عليهم من أن ينالهم شيء من العذاب. ثم قام عبد المطلب فأخذ بحلقة باب الكعبة، وقال^(٢):

لَاهُمْ إِنْ الْعَبْدَ يَمْنَعُ رَحْلَهُ فَاَمْنَعُ رَحَالِكُمْ
لَا يَغْلِبُنَّ صَلِيْبُهُمْ وَمِحَالَهُمْ غَدَوْاً مِحَالِكُمْ

(١) مكان بين مكة والطائف مات أبو رغال وقبر فيه، فرجعت العرب قبره.

(٢) جامع البيان ٣٠٢/٣٠، السيرة النبوية ١٧٠/١، الكامل في التاريخ ٣٤٤/١، البداية والنهاية ١٧٢/٢.

إن كنت تاركهم وقبلتنا فأمر ما بدا لك

ثم ترك حلقة الباب، وتوجه ومن معه إلى الجبال، وأخذوا يرقبون ما سيحل بهمؤلاء. فلما أصبح أبرهة تهيأ لدخول مكة وهياً فيله، وعبأ جيشه، ووجه الفيل نحو مكة. فأقبل إليه الرجل الخنعمي وقام إلى جنبه ثم أخذ بأذنه وقال: ابرك محمود، وارجع راشداً حيث جئت، فإنك في بلد الله الحرام. ثم أرسل أذنه، فبرك الفيل ولم يتحرك، فضربوه ليقوم فأبى، فوجهوه صوب اليمن فقام يهرول، ووجهوه صوب الشام ففعل مثل ذلك، وكذا صوب الشرق، وكلما وجهوه إلى مكة برك. فكان هذا أول عذاب لهم، حيث حُبس الفيل عن مرادهم.

وهذه الحادثة ثابتة بقوله ﷺ يوم الحديبية حين بركت القصواء دون مكة، فقالوا: خلأت القصواء، خلأت القصواء، فقال رسول الله ﷺ: ((ما خلأت القصواء وما ذاك لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل))^(١).

وفي رواية: أن النبي ﷺ قال يوم فتح مكة: ((إن الله حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله والمؤمنين، وإنما لا تحل لأحد كان قبلي، وإنما أحلت لي ساعة من نهار، وإنما لا تحل لأحد بعدي))^(٢).

ولذا جاء النهي عن المكث في المكان الذي حبس فيه الفيل، حيث إنه يقع في طريق الحجاج فهو مكان قريب من مزدلفة، وقد قال النبي ﷺ: ((عرفة كلها موقف، وارتفعوا عن بطن عرنة، ومزدلفة كلها موقف، وارتفعوا عن بطن محسر))^(٣). وذلك لأن الفيل كل فيهِ، وأعياء محسر أصحابه بفعله، وأوقعهم في الحسرات، لذا ينبغي لمن مر به المسارعة في السير فيه، وأن يتعظ بمراقبة الله والخوف منه، والبكاء والاعتبار والاستعاذة من ذلك^(٤).

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب (٢/٩٧٤ ح ٢٥٨١).
 (٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب اللقطة، باب كيف تعرف لقطة أهل مكة (٢/٨٥٧ ح ٢٣٠٢)، ومسلم في صحيحه، باب تحريم مكة ولقطتها إلا لمنشد، (٢/٩٨٨ ح ١٣٥٥).
 (٣) رواه ابن ماجة في سننه (٢/١٠٠٢ ح ٣٠١٢)، ومالك في الموطأ (١/٣٨٨ ح ٨٦٩)، والطبراني في المعجم الكبير (٢/١٣٨ ح ١٥٨٣)، (١١٩/١١ ح ١١٢٣١) وصححه الألباني في صحيح الجامع ٤٠٠٦.
 (٤) شرح النووي على صحيح مسلم ١١١/١٨، شرح الزرقاني ٤٤٨/٢.

قال تبارك وتعالى مخاطباً نبيه ومن كان حوله من العرب بخطاب تعجب وامتنان عليهم من هذه الحادثة، "أن في هذه القصة العظيمة دلالة على عظم قدرة الله تعالى وحكمته، ودلالة على شرف محمد ﷺ، ومعجزة ظاهرة له. وذلك أن الله إنما فعل ذلك لنصرة من ارتضاه وهو محمد ﷺ، الداعي إلى توحيد، وإهلاك من سخط عليه وليس ذلك لنصرة قريش"^(١).

فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ [سورة الفيل ١٠٥/١]. "الخطاب لرسول الله ﷺ، والرؤية علمية، أي ألم تعلم علماً رصيناً متاخماً للمشاهدة والعيان باستماع الأخبار المتواترة ومعاينة الآثار الظاهرة.

وتعليق الرؤية بكيفية فعل الله عز وجل لا بنفسه بأن يقال: ألم تر ما فعل ربك، لتحويل الحادثة والإيدان بوقوعها على كيفية هائلة وهيئة عجيبة دالة على عظم قدرة الله وكمال علمه وحكمته وعزة بيته وشرف رسوله ﷺ، فإن ذلك من الإرهاصات لما روي أن القصة وقعت في السنة التي ولد فيه النبي ﷺ"^(٢).

أي قد علمت يا محمد وعلم الناس الموجودون في عصرك ومن بعدهم بما بلغكم من خبر أصحاب الفيل، ولم يذكر أسماءهم ولا بلدتهم، بل نسب صحبتهم لهذا الحيوان الذي امتثل أمر خالقه له بكيفية لا نعلمها، بخلافهم فقد أصروا على كبرهم وطغيانهم، فأصابهم ما أصابهم. ولذا كانت هذه السورة تذكيراً لكفار مكة بالنعمة والمنة عليهم، إذ رد الله كيد أصحاب الفيل عما أرادوا من تعطيل الحج إلى الكعبة وأرادوا تخريبها، فرد كيدهم وحسى بيته، فكيف بمن يحاول الكيد لرسوله ولدينه، فإنه سينالهم عذاب مثل عذاب أولئك!!.

﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ﴾ أي: ألم يجعل مكرهم وسعيهم فيما عزموا عليه من تخريب البيت وهدمه، وإرادة الضر به، فكان من نعمته سبحانه أن جعل هذا الكيد^(٣) الذي كادوه، وخططوا له في تضليل، وتعطيل عما قصدوا له. وفي هذا إشارة إلى أن كل من تعرض لشيء

(١) تفسير الخازن ٦/٣٠٧.

(٢) تفسير أبو السعود ٩/٢٠٠.

(٣) الكيد: إرادة الضر بالغير، والاحتيايل على إلحاق ضر بالغير ومعالجة إيقاعه، التحرير والتنوير ٣٠/٤٨٢، وسيأتي مزيد بيان لمعناه في الفصل القادم.

من حرمت الله؛ كبيت من بيوته، أو ولي من أوليائه، فقد وقع في مكره، وعاد عليه وبالاً وشراً^(١). كما جاء في الحديث: ((من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب))^(٢).

ثم بين أنه لما افتتن هؤلاء بكثرتهم وطغيانهم، وبعدهم وحيشهم الذي لم يستطع أحد أن يقف في طريقه، وزادهم هذا غرورا كبيرا، وأنساهم أن هناك من لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء هو الذي سيقف لهذا الجيش، وسيدؤه بأضعف جند وبأضعف سلاح من أسلحة الحرب، مخصص لهم دون سائر الناس، فكان هذا " تحقيراً لهم وتخسيساً لهم عن أن يعذبهم بشيء عظيم لكونهم عظموا أنفسهم، وتجبروا على خالقهم، بالقصد القبيح لبيته، فقال تعالى معلماً بأنه سلط عليهم مالا يقتل مثله في العادة، فقال: ﴿ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴾ أي: أرسل عليهم ربك طيراً^(٣) متفرقة يتبع بعضها بعضاً من نواح شتى. هذه الطير أخذت ترمي عليهم حجارة كما وصف بقوله تعالى: ﴿ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴾ أي: بحجارة شديدة الصلابة، مسومة من عند الله لهؤلاء خاصة دون غيرهم، كما أرسل الله لقوم لوط عليه السلام حجارة مثلها، كما في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُسَوَّمَةً عِنْد رَبِّكَ وَمَاهِي مِّنَ الظَّالِمِينَ ﴾ ببعيد ﴾ [سورة هود ٨٢-٨٣].

أخذت هذه الطير ترميهم بحجارة مثل حبة الحمص أو العدس، هذه الحجارة من سجيل^(٤). كل طائر يحمل ثلاثة أحجار، واحدة في منقاره واثنتان بين رجليه. لا تصيب منهم أحداً إلا أهلكته. فأخذوا يتساقطون واحداً تلو الآخر.

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي ١١/١٠٠.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب التواضع (٥/٢٣٨٤ ح ٦١٣٧).

(٣) الطير: اسم جمع طائر، وهو الحيوان الذي يرتفع بالجو يعمل بجناحين، يذكر على اللفظ، ويؤنث على المعنى، (نظم الدرر)، ونكر في هذه الآية للنوعية، لأنه نوع لم يكن معروفاً عند العرب. التحرير والتنوير ٤٨٢/٣٠.

(٤) سجيل: اختلف في معناه على أقوال، منها؛ أن سجيل: حجارة من طين طبخت بنار جهنم مكتوب فيها أسماء

القوم المعذنين، وقيل: هو مما سجّل لهم أي كتب لهم أن يصيبهم فهو في معن سجين، كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ﴾ [المطففين ٨-٩]. انظر: جامع البيان ٩٤/١٢، تفسير ابن كثير ٤٥٦/٢، الجامع لأحكام القرآن

أما قائدهم أبرهة فقد جعله الله عبرة لكل معتبر فقد قيل: إنه نجا من الموت، في هذه اللحظة وفر هاربا إلى بلده لكنه أصابه منها نصيب إذ أخذت أطرافه تتساقط، حتى قيل: تساقطت أنامله أنملة أنملة، حتى وصل إلى قومه فأخبرهم الخبر ثم هلك، ليكون عبرة وعظة لكل من يتجبر على جبار السموات والأرض.
كما قيل:

أين المفر والإله الطالب الأشرم المغلوب ليس الغالب^(١)

فكان مصير هذا الجيش الذي ذاع صيته بين العرب، كالزرع الذي أكلته الدَّوَابُّ، أو كورق جف ويبس وتفرقت أجزاءه. كما وصفه بذلك الحق تبارك وتعالى: ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾^(٢).

فصور حالهم في هذه الحالة من تقطع أوصالهم بالعقوبة التي نزلت بهم، وتفرق آراب أبدانهم بها بتفرق أجزاء الرُّوث الذي حدث عن أكل الزرع^(٣).
وفي هذا تحقير لهم، إذ كان لا يقف في وجه هذا الجيش أحد، أو يحول دون مراده، جاءت إرادة الحق بإبادته بهذا النوع من العذاب، فلم يعد لهذا الجيش الجرار ولا لهذا القائد المتكبر أثر.

أما قريش ومن تحصن معهم في الجبال فقد أخذوا يرقبون هذا الموقف في جمل، فلما انتهى العذاب، ومات من مات، وفر من فر، عادوا إلى بيوتهم وغنموا ما ترك أصحاب الفيل من أموال. (وانتشر في العرب ما صنع الله بجيش الفيل، فأخذوا يهيبون الحرم، وزادت عظمته في النفوس، ودانت لقريش بالطاعة. وقالوا: أهل الله قاتل عنهم، وكفاهم كيد عدوهم، فزادهم تشريفاً وتعظيماً، وقامت قريش لهم بالوفادة والسدانة والسقاية، وذلك بإخراج مال في كل عام من أموالهم يصنع به طعامٌ لحجاج البيت.

(١) السيرة النبوية ١/١٧٢.

(٢) العصف: ورق الزرع، إذا دخلته البهائم فأكلته وداسته بأرجلها، وأكلت أطرافه وطرحته على الأرض بعد أن كان أخضر يانعا. التحرير والتنوير ٣٠/٤٨٤.

(٣) انظر جامع البيان ٣٠/٣٠٤.

وقالوا في أشعارهم: ما صنع الله بالحبيشة وما رد عن قريش من كيدهم^(١).
ومما قيل في ذلك قول عبد المطلب^(٢):

أنت منعت الحيش والأفيالا وقد رعوا بمكة الأجيالا
وقد خشينا منهم القتالا وكل أمر لهم معضالا
شكراً وحمداً لك ذا الجلالا

وبهذا انتهت قصة أصحاب الفيل وبقيت العبرة منها. لكن قريشاً أصابها ما أصاب أصحاب الفيل من الكبر والطغيان، وتناست ما صنع الله بهؤلاء فكفروا بالله وعادوا رسوله وحاربوه، فكان الله أن أهلكهم وطهر بيته من أدراهم ومن أصنامهم. فله الحمد من قبل ومن بعد. ومما تقدم نخلص إلى أن للصحة السيئة دوراً كبيراً في المهادنة والمساعدة على تزيين المنكر وتحسينه. وأن الكبر والغرور والكثرة من الأسباب الداعية إلى البعد عن الحق والجالبة للعقوبة، وغياب التناصح والإرشاد فيما بين الأصحاب يوقع في المهالك. ومما تقدم نخلص إلى:

١. بيان بعض الصفات السيئة التي كانت سائدة قبل الإسلام، وكانت معيار للقوة والضعف.
٢. إن الكبر والطغيان كانا السبب الذي من أجله ساق أبرهة جيشه العظيم بقيادة الفيل.
٣. بيان المنزلة العظيمة للكعبة شرفها الله من كل قبائل العرب.
٤. ضُرب في هذه القصة مثلاً لصاحب السوء الذي أعان أبرهة وكان دليلاً للوصول للبيت الحرام، وهو أبو رغال.
٥. بيان المكانة العظيمة التي نالها جد النبي ﷺ عبد المطلب.
٦. دعاء الله تعالى عند نزول النوازل من أهم أسباب النصر والنجاة من المهالك، كما لجأ عبد المطلب إلى ربه ودعاه أن ينجي بيته الحرام لعلمه أن لا أحد ينجيه أو يدفع عنه هذا الضر إلا هو سبحانه.

(١) أعلام النبوة، أبو الحسن علي بن محمد الماوردي الشافعي، دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان - ١٤٠٧ هـ
١٩٨٧م، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي ١/٢٧١.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٢٠/١٩٦.

٧. النهي عن المكث والنزول في الأرض التي عذب الله أهلها.

المبحث الثالث: صحبة فرعون و أبي هلب لزوجتيهما

لما كان للمرأة دور عظيم في صحبتها لزوجها، صور الحق تبارك وتعالى في كتابه العزيز مثالين لهذا النوع من الصحبة، فبين لنا مثلاً لصحبة سالحة لامرأة مؤمنة لزوج كافر هي امرأة فرعون، وكيف أن معاشرتها له لم تضرها بعد أن اختارت الله ورسوله. ومثلاً آخر لصحبة سيئة لامرأة كافرة أصرت على كفرها وساندت زوجها الكافر، فكاننا صفاً واحداً ضد دعوة الحق، فكان مصيرهما واحداً هما أبو هلب وزوجته.

نحن أمام مثالين متناقضين لامرأتين كلتاهما ذات نسب وجاه وسلطان، لكن إحداهما: اختارت الله ورسوله، والأخرى: اختارت الزوج والمال والجاه.

ولنبداً الحديث عن تلك المرأة التي اختارت الله ورسوله؛ إنها (امرأة فرعون) آسية بنت

مزاحم^(١) تلك المرأة التي جمعتها صحبة الزوجية بطاغية كان من أعنى الطغاة إنه فرعون^(٢).

جاء ذكرها في كتاب الله في ثنايا قصة موسى - عليه السلام - وذلك حينما أوحى الله إلى أم

موسى أن أرضعيه ثم إذا خفت عليه فألقيه في اليم، كما قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنِ

أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾

[سورة القصص ٧/٢٨] وقال: ﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ ﴿٣٨﴾ أَنْ أَقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَآقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ

فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوِّي وَعَدُوُّهُ، وَالْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةٌ مِّنِّي وَلِنُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾ [سورة طه

٣٨-٣٩]. وذلك أن هذا الطاغية أصدر حكماً جائراً على بني إسرائيل، وهو قتل كل

طفل ذكر يولد لبني إسرائيل. فما كان من تلك الأم الرؤوم التي خافت على ابنها من بطش

فرعون إلا أن وضعته في تابوت، ثم ألقت به في اليم، لتأخذه العناية الإلهية، لتوصله إلى قصر

الطاغية. فإذا بجواري زوجته آسية يلتقطن هذا الصندوق ويقدمنه لها لتفتحه بنفسها ليتجلى

لها ذلك النور الذي ملأ قلبها حباً شديداً لهذا الصبي، فتأخذه لترعاه.

(١) آسية بنت مزاحم بن عسدين بن الوليد، وقيل: كانت من بني إسرائيل من السبط الذي منه موسى عليه السلام، وقيل: كانت عمته. البداية والنهاية ١/٢٣٩.

(٢) كان اسمه الوليد بن الصعب، لم يكن من الفراعنة فرعون أشد غلظة ولا أقسى قلباً ولا أسوأ ملكاً منه، ولا أطول ملكاً منه. تاريخ الطبري، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت. ١/٢٢٣.

وعندما علم جنود فرعون بوجود هذا الصبي في قصر فرعون أتوا إليه يريدون قتله، فياذ بها تقف لهم وتقول: أقروه فإن هذا الواحد لا يزيد في بني إسرائيل، حتى آتي فرعون فأستوهبه منه، فإن وهبه لي كنتم قد أحسنتم وأجملتم، وإن أمر بذبحه لم أملككم. فأنت فرعون وقالت له كما قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ كُفْرَتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ لَأَنْقُضُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [سورة القصص ٩/٢٨] أي: أبقه لنا لتقر به أعيننا، ونسر به في حياتنا، وإذا كبر كان لنا بمنزلة الخدم أو بمنزلة الولد الذي نكرمه ونجمله. فرد عليها فرعون: يكون قرّة عين^(١) لك، فأما لي فلا حاجة لي منه.

فقدر الله تعالى أنه نفع امرأة فرعون بهذه المقالة، وذلك أنه لما صار قرّة عين لها وأحبتّه حبا شديدا كان لها بمنزلة الولد الشفيق، حتى كبر وشب. أما فرعون فقد صور رسول الله ﷺ حاله بقوله: ((والذي يحلف به لو أقر فرعون أن يكون قرّة عين له، كما أقرت امرأته، لهداه الله كما هداها به ولكن حرمه ذلك))^(٢).

وبهذا تم لهذه المرأة الصابرة ما أرادت، وكانت سبباً لحماية نبي الله موسى - عليه السلام - من بطش فرعون. ونشأ موسى في قصرها ليكون عوضاً لها عن ذاك الولد الذي حرمت منه، وكان موسى قرّة عينها في صغره، حتى شب وبلغ ما بلغ من القوة والفتوة، لتتوالى عليه الأحداث، وكان ما حدث من قتله الرجل من قوم فرعون... ثم فراره من مصر خوفاً من أن يقتله قوم فرعون.... ثم توجهه إلى مدين وبقائه فيها مدة من الزمن... ثم عودته إلى مصر. وفي طريق العودة أوحى إليه الله جل جلاله بكلامه، ثم أمره بتبليغ دعوة الحق؛ أنه لا إله إلا الله، ولا خالق إلا هو ولا مستحق للعبادة إلا هو. وأمره أن يبلغ دعوته إلى ذلك الطاغية الذي علا وتكبر في الأرض، فقال تعالى له: ﴿أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ [سورة النازعات ١٧/٧٩]. أي: تمرد وزاد على الحد في الكفر والفساد والعلو في الأرض، والقهر للضعفاء حتى إنه ادعى الربوبية والألوهية فقال، كما حكى الله تبارك وتعالى ذلك عنه: ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ

(١) قرّة العين: قال الإمام الراغب الأصفهاني: القرّة يقتضي السكون، وقيل أصله من القرّ أي: البرد، وقيل معناه: بردت عينه ونصحت. وقيل من القرار، والمعنى: أعطاه الله ما تسكن به عينه فلا تطمع إلى غيره. المفردات ٦٦٣. وقيل: سرورها وسعادتها عندما تشاهد ما تحب ويستمتع صاحبها بما يريد. القصص القرآني، الخالدي ٢/٢٩٦.

(٢) رواه النسائي في السنن الكبرى (٣٩٧/٦)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٥٧/٧).

الْأَعْلَى﴾ [سورة النازعات ٢٤/٧٩]، فكان هذا الطغيان سببا في هلاكه، ولكن رحمة الله وحكمته وعدله اقتضت ألا يعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه، فكان موسى - عليه السلام - هو الحجة، وعضده بالآيات والحجج التي تبين الحق لكل صاحب عقل نير، وصاحب بصيرة صافية.

جاء موسى - عليه السلام - إلى فرعون وعرض عليه دعوته فاستعلى، وأرعى سمعه لتلك الزمرة الفاسدة من قومه، الذين زينوا له الباطل وادعوا أن ما جاء به موسى عليه السلام سحر، كما بين الحق تبارك وتعالى ذلك في أكثر من موضع في كتابه العزيز، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَا تُوكَّ بِكُلِّ سِحْرِ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٣﴾] [سورة الأعراف ١٠٩/٧-١١٣].

وعندما اجتمع موسى عليه السلام بالسحرة.. وأراهم تلك الآيات والحجج القاطعة والبراهين الساطعة على صدق دعوته، ووقع الحق وبطل ما كان يعمل السحرة، قال تعالى:

﴿ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [سورة الأعراف ١١٨/٧] ، فآمن بموسى عليه السلام السحرة الذين عرفوا الحق فأمنوا به متحدين فرعون وبطشه، قال جل ثناؤه: ﴿ وَالْقَى السَّحَرَةُ سَجْدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴾ [سورة الأعراف ١٢٠/٧-١٢٢]، وقليل من قوم فرعون، كما قال تعالى: ﴿ فَمَاءٌ آمِنٌ لِمُوسَى إِذْ ذُرِّيَّتُهُ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴾ [سورة يونس ٨٣/١٠].

وقد اختلف في الذرية التي آمنت بموسى عليه السلام ومن ذلك: قول " ابن عباس رضي الله عنهما : إن الذرية التي آمنت بموسى من أناس غير بني إسرائيل من قوم فرعون يسير، منهم امرأة فرعون، ومؤمن آل فرعون، وخازن فرعون، وامرأة خازنه" (١).

نعم لقد كانت آسية امرأة فرعون ممن آمن، إذ كانت ذات فطرة سليمة وعقل واع وقلب رحيم، حيث استنكرت الكبر الذي سيطر على عقل زوجها ولم تصدق ما ادعاه من أنه إله. فأمنت حينما رأت الآيات الدالة على وحدانية الله ورأت الطريق الموصل إلى جنات الله،

(١) جامع البيان ١٥٠/١١، تفسير ابن كثير ٤٢٨/٢.

فكانت مضرب المثل للمؤمنين في الصبر والثبات على الحق والصمود أمام المغريات، رغم فساد من حولها، حيث لم تغرها تلك الدنيا بمغرياتها ولم تصرفها عن الإيمان بخالقها. قال تعالى: ﴿وَضْرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة التحريم ٦٦/١١]^(١).

وحيثما علم فرعون بإيمانها خرج على الملأ، وقال لهم: ما تعلمون من آسية بنت مزاحم؟ فأتوا عليها خيرا. فقال لهم: إنها تعبد ربًا غيري. فقالوا له: اقتلها. فأخذها و أوتدها بأربعة أوتاد، في يديها ورجليها واستقبل بها الشمس الحارقة، فكانت تعذب بهذه الصورة الوحشية، فلم ينظر إلى ما كان جمعه بها من صحبة الزوجية التي هي من أقوى أنواع الصحبة، فتتكر لذلك كله وأخذته العزة بالإثم. وبينما هي في هذا العذاب إذ برحمة الله تحيط بها، فكانت الملائكة تظلمها بأجنحتها إذا انصرف عنها. وكانت تسأل من غلب.. موسى عليه السلام أم السحرة، فيقال لها: موسى وهارون. فتقول: آمنت برب موسى وهارون.

ثم تلجأ إلى ربها وخالقها فتتضرع إليه بالدعاء، فتطلب جواره في الجنة، و تتبرأ من زوجها الطاغية ومن عمله، وما كان عليه قومها من الظلم، وطلبت منه النجاة مما هم عليه. فقالت: ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ فقبل: إنها رأت بيتها في الجنة فضحكت. وكان فرعون ينظر إليها متعجبا منها، ويقول: ألا تعجبون من جنونها نعذبا وهي تضحك.

فما كان منه إلا أن قال لمن حوله: انظروا أعظم صخرة تجدونها، فإن مضت على قولها فألقوها عليها، وإن رجعت عن قولها فإنها امرأتى.

فلما أتوها وجدوها قد رفعت بصرها إلى السماء فإذا ببيتها في الجنة بجوار ربها، فتبسمت ومضت على قولها، وانتزعت روحها الطاهرة، وإذ بهم يلقون بالصخرة على جسدها لكنهم لم يعوا أنه جسد بلا روح^(٢). فقد اختارت جوار الرحمن على صحبة هذا الطاغية الذي لم يرع لها حق الصحبة.

(١) المرأة في القصص القرآني ٣٩٦/١.

(٢) انظر: جامع البيان ١٧١/٢٨، تفسير ابن كثير ٣٩٥/٤، التفسير الكبير ٤٤/٣٠، الجامع لأحكام القرآن ٢٢٥/١١.

وعلق الزمخشري ^(١) على معنى الجمع في قولها (عِنْدَكَ) و(فِي الْجَنَّةِ)؟ بقوله: " طلبت القرب من رحمة الله والبعد عن عذاب أعدائه، ثم بينت مكان القرب بقولها: في الجنة.

أو أرادت ارتفاع الدرجة في الجنة وأن تكون جنتها من الجنان التي هي أقرب إلى العرش وهي جنة المأوى، فعبرت عن القرب إلى العرش بقولها: عندك."

وقد عدّها رسول الله ﷺ من أكمل النساء، فقال: ((كامل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون، ومريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد)) ^(٢). رضي الله عنهن جميعاً.

وقال: ((حسبك من نساء العالمين؛ مريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، وآسية امرأة فرعون)) ^(٣).

هكذا انتهت الصحبة بين هذين الزوجين بالتفريق بينهما في الدنيا بهذه الصورة، وأما في الآخرة فإن هذه المرأة الصابرة تكون في الجنة تنعم بنعم الله عليها. أما زوجها فرعون ففي نار تلظى يعذب فيها خالدًا أبدًا.

وفي مقابل هذه المرأة الصالحة التي اختارت الله ورسوله على صحبة الزوج، امرأة اختارت الزوج والمال والسلطان على ما عند الله. فكان لها ما أرادت في الدنيا، والعذاب الأليم في الآخرة بصحبة زوجها.

إنها أم جميل، أروى بنت حرب بن أمية، امرأة عدو الله أبي لهب، عبد العزّي بن عبد المطلب، عم النبي ﷺ الذي لم يكتف بتخاذله عن نصره ابن أخيه وحمايته، بل ناصبه العداوة وحاربه واجتهد في صد الناس عنه، ولم يراع حقاً لصحبة القرابة، أو لصحبة الجوار. فقد كان بئس العم وبئس الجار ^(٤).

(١) الكشاف ١١٢٣.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله تعالى: (ضرب الله مثلا للذين ءامنوا...) (٣/١٢٥٢ ح ٣٢٣٠)، ومسلم في صحيحه، باب فضائل خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها، (٤/١٨٨٦ ح ٢٤٣١).

(٣) ذكره الحاكم في المستدرک على الصحيحين (٣/١٧٢ ح ٤٧٤٦)، وقال حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذا اللفظ. وابن حبان (١٥/٤٦٤)، والترمذي (٥/٧٠٣ ح ٣٨٧٨)، وقال حديث صحيح، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٣١٤٣.

(٤) بتصرف من المرأة في القصص القرآني ٢/٨٧٠.

هذه المرأة وقفت في صف زوجها فاستخداما كل وسائلهما في محاربة رسول الله ﷺ ودينه، ومن هذه الوسائل:

❖ استخدام أسلوب الضغط النفسي على رسول الله ﷺ؛ فكان زوجها أبو لهب يتبع النبي ﷺ في موسم الحج وفي الأسواق، فيكذبه ويقول للناس: لا تصدقوه؛ فأنا عمه وأعرف الناس به^(١).

أما هي فقد استخدمت نفوذها كأُم متجبرة طاغية، حيث أمرت ابنيها - عتبة وعتيبة - بتطليق بنتي رسول الله ﷺ رقية وأُم كلثوم رضي الله عنهما. وقالت لهما: رأسي من رؤوسكما حرام إن لم تطلقا ابنتي محمد، فرضخا لرغبتها الخبيثة، التي قصدت من ورائها قطع وشائج الرحم التي كانت تربطهما برسول الله ﷺ، وأرادت إدخال الحزن والهم على قلب رسول الله ﷺ حتى ينشغل عن دعوته ويغفل عن رسالته بهذا الأمر^(٢).

❖ استخدام سلاح الأذى البدني لشخص النبي ﷺ؛ فقد كان أبو لهب يتبع رسول الله ﷺ في الأسواق، كما روي ذلك عن طارق المحاربي^(٣) رضي الله عنه قال: ((رأيت رسول الله ﷺ يمر في سوق ذي الحجاز وعليه حلة حمراء وهو يقول: ((يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا)). ورجل يتبعه يرميه بالحجارة قد أدمى كعبيه وعرقوبيه وهو يقول: يا أيها الناس لا تطيعوه فإنه كذاب. فقلت من هذا؟ قالوا: غلام بني عبد المطلب. فقلت: من هذا الذي يتبعه يرميه بالحجارة. قالوا: عبد العزى أبو لهب))^(٤).

أما زوجته فقد كانت تحمل الحسك والشوك وترميها في طريق النبي ﷺ ليطأها^(٥).

❖ استخدام أسلوب التأثير على من حولهما وإثارتهم لصد دعوة الحق.

(١) السيرة النبوية، ابن هشام ٤٤٧/١.

(٢) المرأة في القصص القرآني ٨٧٠/٢.

(٣) طارق بن عبد الله المحاربي، من محارب خصفه، رأى النبي ﷺ وله صحبة، روى حديثان، نزل الكوفة. أسد الغابة ٦٨/٣، الإصابة ٥١١/٣.

(٤) ذكره ابن خزيمة في صحيحه ٨٢/١، وابن حبان في صحيحه ٥١٨/١٤، عمدة القاري ٢٢٨/٢، ابن الملقن في البدر النير ٦٨٠/١، وقال: حديث صحيح. و الجامع لأحكام القرآن ٢٠/٢١٨.

(٥) انظر: المرأة في القصص القرآني ٨٧٠/٢، أبو لهب وامراته حمالة الحطب.. دراسة موضوعية لسورة المسد، أحمد زكي حماد، ٤٦.

فأبو لهب كان يثير كل من حوله من زعماء قريش ومن حولهم على مقاطعة النبي ﷺ ومحاربتة بشتى الصور.

أما أم جميل فقد توجهت إلى أخيها أبي سفيان بن حرب ^(١) ﷺ، تثير نائرتة، وتدفعه إلى الاعتداء على رسول الله ﷺ، فيرضخ لها. ويقول: سأكفيك إياه. فتسر لذلك. لكن سرورها لا يدوم طويلاً. وذلك لأن أبا سفيان لم يجرؤ على الاقتراب من رسول الله ﷺ، فعندما وصل إليه متقلدا سيفه، رأى ثعبانا فاغرا فاه متأهبا للفتك به. وإذ به يعود أدراجه من حيث أتى ^(٢).

ولشدة عداوة أبي لهب وأذيته لرسول الله ﷺ رغم تلك القرابة التي جمعت بينه وبين النبي ﷺ، وعداوة زوجته ووقوفها في صف زوجها وشدها من أزرها وشحن همته لمواصلة السير في الصد عن دعوة الحق، أنزل الله فيهما سورة كاملة، كان فيها الرد الزاجر لكل ما كانا يقومان به، وبيان لما سيكون عليه حالهما في الآخرة. قال تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ

وَتَبَّتْ ۝١ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ، وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا إِذْ أَتَا ۝٣ وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ

الْحَطَبِ ۝٤﴾ [سورة المسد ١/١١١-٥].

(هذه السورة تسجل ردًا عنيفا على الحملة البذيئة التي مضى عليها كبراء قريش وأغنياؤهم من المشركين، ضد النبي ﷺ ودعوته، إذ وشارك فيها أبو لهب بماله وكل عائلته، وكل طاقته، ولم يتكرر هذا الرد الحاسم ضد شخص بعينه أو ضد زوجته في آن واحد بين المعارضين لدعوة الإسلام) ^(٣).

فكانت هذه السورة زجراً لأبي لهب على قوله للنبي ﷺ، تبا لك ألهذا جمعتنا؟، وذلك عندما ((خرج النبي ﷺ إلى البطحاء فصعد الجبل، فنادى: ((يا صباحاه)) فاجتمعت إليه قريش. فقال: ((أرأيتم إن حدثتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم أكنتم تصدقونني؟)) قالوا: نعم.

(١) صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، القرشي الأموي، اشتهر بكنيته، أسلم عام الفتح، وقال له النبي ﷺ: ((من دخل دار أبي سفيان فهو آمن))، شهد حنيناً و الطائف، توفي ٣١، وقيل: ٣٤هـ، انظر: أسد الغابة ١٠/٣، الإصابة ٣/٤١٢-٤١٤، تليح فهم أهل الأثر ١١١.

(٢) سيرة ابن هشام ١/٤٦٨.

(٣) أبو لهب وامرأته ٤٧.

قال: ((فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد)). فقال أبو لهب: أهذا جمعنا تبا لك!. فأنزل الله عز وجل: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ (إلى آخرها)^(١).

فابتدأت هذه السورة بوعيد شديد لأبي لهب الذي حملة الحقد والغرور والكبرياء على مناصبة رسول الله ﷺ العدا، فاستحق الهلاك والخسران، والمذلة والهوان في الدنيا والآخرة^(٢).

وبين أنه لن ينفعه ماله وما اكتسبه من عذاب الله. كما قال تعالى: ﴿لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصَلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [سورة الممتحنة ٣/٦٠]. وقال: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ [سورة الشعراء ٨٨/٢٦].

بل إنه: ﴿سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾: نارا شديدة الاشتعال، عظيمة الالتهاب تحيط به من كل مكان. "ووصفت النار بـ (ذات لهب) لزيادة تقرير المناسبة بين اسمه وكنيته، إذ هو أبو لهب، والنار ذات لهب"^(٣).

ولما كانت امرأته شريكته وصاحبتة التي تعينه في تلك الحملة العدائية الحاقدة على رسول الله ﷺ، كان لها نصيب من الوعيد الذي توعد الله به زوجها. فكما كانت قرينته في هذا فهي قرينته في جهنم، قال تعالى: ﴿وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ (٤) ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَمٍ﴾ أي: زوجته. ولم يكتف بقوله (امرأته) بل وصفها بأنها حمالة الحطب، وذلك أن أبا لهب كان له زوجة غيرها، فأراد الحق تبارك وتعالى أن يبين أنه ليس المراد إلا من كانت هذه صفتها^(٤).

واختلف في معنى (حَمَّالَةَ الْحَطَبِ) على أقوال^(٥):

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ ما أغنى عنه ما له وما كسب^(٤) (١٩٠٢/٤ ح ٤٦٨٨).

(٢) المرأة في القصص القرآني ٨٧١/٢.

(٣) التحرير والتنوير ٥٣٠/٣٠.

(٤) التفسير الكبير ١٥٩/٣٢.

(٥) انظر: جامع البيان ٣٠/٣٣٨-٣٤٠، تفسير ابن كثير ٤/٦٣٧، التفسير الكبير ٣٢/١٥٨، الجامع لأحكام القرآن ٢٠/٢٢٢.

الأول: أنها كانت تحمل الشوك والحسك فتطرحة في طريق النبي ﷺ ليعقره، فكان يطؤه كما يطأ الحرير .

الثاني: أنها كانت تمشي بين الناس بالنميمة ، يقال: لمن يمشي بالنميمة، ويفسد بين الناس يحمل الحطب بينهم، أي: يوقد بينهم النار.

الثالث: أنها كانت تعير النبي ﷺ، بالفقر، فعيرت بأنها كانت تحتطب وهي امرأة ذات مال، لشدة بخلها، فعيرت بالبخل.

الرابع: أن المراد ما حملت من الآثام في عداوتها لرسول الله ﷺ. واختار ابن جرير رحمه الله القول الأول.

"ولما حصل لأبي لهب وعيد مقتبس من كنيته، جعل لامراته وعيد مقتبس لفظه من فعلها، وهو حمل الحطب في الدنيا، فأندرت بأنها تحمل الحطب في جهنم ليوقد على زوجها، وذلك خزي لها ولزوجها، إذ جعل شدة عذابه على يد أحب الناس إليه، وجعلها سبباً لعذاب أعز الناس إليها"^(١).

﴿ فِي جِدِّهَا حَبْلٌ مِّنْ مَّسَدٍ ﴾ أي: في عنقها حبل.

قال سعيد بن المسيب رحمه الله^(٢): كانت لها قلادة فاخرة، فقالت: لأنفقنها في عداوة محمد. فأعقبتها الله فيها حبلاً في جيدها من مسد النار.^(٣)

والمعنى: يكون في عنقها حبل من مسد^(٤) جهنم زيادة في العذاب والنكال والإهانة، حبل تنأى عن حملة الجبال يطوق عنقها، جزاء وفاقاً لكفرها وعنادها وفسادها وحقدتها الذي ملأ

(١) التحرير والتنوير ٣٠/٥٣١.

(٢) ابن حزن بن أبي وهب المخزومي القرشي، أبو محمد: سيد التابعين، وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة، جمع بين الحديث والفقه والزهد والورع، ولد زمن عمر، وروى عنه وعن أمهات المؤمنين وعدد من الصحابة، كان أعلم أهل المدينة، أثنى عليه أهل العلم فقد روي عن قتادة أنه قال: ما رأيت أعلم من سعيد بن المسيب. وقال علي بن المديني: لا أعلم في التابعين أحداً أوسع علماً من ابن المسيب. توفي في المدينة سنة ٩٤ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ٤/٢١٧-٢٤٥، الأعلام ٣/١٠٢.

(٣) تفسير ابن كثير ٤/٦٣٧.

(٤) المسد: مسدت الحبل أمسده مسداً إذا أجدت فتله. تفسير ابن كثير ٤/٦٣٧. قيل: الليف، وقيل حبل من ليف أو خوص، وقد يكون من جلود الإبل أو أوبارها. وقيل: سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً تدخل من فيها وتخرج من دبرها وتدور حول عنقها في النار. المرأة في القصص القرآني ٢/٨٧٥.

عليها شغاف قلبها، فنزع الرحمة منها، وأعمى بصيرتها وأطاح بعقلها. وفي هذا العذاب إهانة وإيلام؛ فهو عذاب حسي وعذاب معنوي.

وذلك أن الجيد من محاسن المرأة ومفاتنها، ولاسيما إذا حلي بقلادة ثمينة تزيد حسنا على حسن.

وإذا كانت المرأة تجتهد في تحلية جيدها بالعقود الثمينة في الدنيا، فإن الله يجلي عباده المؤمنين

رجالاً ونساءً بأنواع من الحلي في الجنة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ

مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾

[سورة الكهف ١٨/٣٠-٣١]. أما أم جميل فلا حلي لها في الآخرة سوى المسد الذي يطوق

عنقها، وهذا مزيد إهانة لها ونكال ووبال عليها^(١).

وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: "لما نزلت ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ جاءت

امرأة أبي لهب، فقال: أبو بكر للنبي صلى الله عليه وسلم: لو تنحيت، قال: إنه سيحال بيني وبينها. فأقبلت

فقلت: يا أبا بكر، هجاني صاحبك؟ قال: لا، ورب هذه البنية ما ينطق بالشعر ولا يفوه

به. قالت: إنك لمصدق. فلما ولت قال أبو بكر: ما رأتك. قال: مازال ملك يسترني حتى

ولت"^(٢).

ولما كان الإنسان يبعث على ما مات عليه فقد كانت نهاية أم جميل على حمل الحطب، فقد

روي أنها كانت تأتي كل يوم بحزمة من الحسك والشوك والسعدان فتطرحها على طريق

المسلمين، فبينما هي ذات يوم بحملة أعتيت، فقعدت على حجر تستريح، فأتى ملك فجذبها

من خلفها فأهلكها^(٣). وهكذا انتهت قصتها وبانت لنا حقيقة صحبتها لزوجها.

من خلال النظر في صحبة فرعون لزوجته نجد:

١. اصطفاء الله تبارك وتعالى لآسية بنت مزاحم لرعاية نبي الله وكليمه موسى - عليه

السلام - حيث ألقى في قلبها حبه.

(١) المرجع السابق ٨٧٥/٢.

(٢) فتح الباري ٧٣٨/٨، تفسير ابن كثير ٥٦٦/٤.

(٣) عمدة القاري ٨/٢٠، تفسير أبو السعود ٢١١/٩.

٢. صبرها على زوجها المتكبر الظالم، وتمثلها لأسس الصحبة الصالحة.
 ٣. بيان شدة تأثير الصحبة الفاسدة على فرعون وتحريضهم له لإنزال العذاب بمن خالفه.
 ٤. بيان أن الحق لا يحجب بحجاب مهما حاول أصحاب الزيغ والباطل، ويتضح ذلك من فعل السحرة لما تبينا لهم الحق خروا سجداً لله، منيبين له، مؤمنين برسله.
 ٥. تكريم الله لهذه المرأة التي آمنت بالله، وبيان أن مصاحبته لفرعون لم تضرها، بل إن لها مكاناً في الجنة عظيم، حيث ستكون في جيرة الله التي اختارتها، على نعيم فرعون الزائل في الدنيا.
- ومن خلال النظر في صحبة أبي لهب لزوجته نجد:
١. وقوف هذه المرأة وزوجها في وجه الحق.
 ٢. تنوع الأساليب التي لجأت إليها هذه المرأة وزوجها في محاربتها للحق، وللرسول ﷺ بشكل خاص، حيث لجأت إلى إلحاق الأذى النفسي، والبدني بشخصه ﷺ.
 ٣. إنزال الله سبحانه وتعالى في شأنهما سورة تبين العذاب الذي سيلحق بهما.
 ٤. هذه السورة معجزة ظاهره ودليل واضح على النبوة، حيث أخبر عنهما بالشقاء، وعدم الإيمان، فلن يؤمنا ولا واحد منهما، لا باطنا ولا ظاهراً، لا مسراً ولا معلناً^(١).
 ٥. بيان أن الصحبة السيئة التي جمعت بينهما في الدنيا ستتصل لتجمع بينهما في الآخرة، ولكن ليس على وجه النعيم، ولكن ليكون كلا منهما عذاباً للأخر.

(١) تفسير ابن كثير ٤/٥٦٦.

الفصل الثالث: الصحبة في سورة يوسف:

- المبحث الأول: يوسف - عليه السلام - وإخوته.
- المبحث الثاني: يوسف - عليه السلام - والنسوة .
- المبحث الثالث: يوسف - عليه السلام - وصاحبها السجن.

إن المتأمل في سورة يوسف وما قصه الحق تبارك وتعالى فيها، يجد أن آياتها تضمنت دروسا وعبرا للذين يسألون عن تفاصيل أحداث هذه القصة^(١). وكذا حوت في ثناياها صورا لأنواع الصحبة، سواء كانت صحبة قرابة؛ كما بين يوسف عليه السلام وأبيه من جانب، وإخوة يوسف وأبيهم من جانب آخر، وكذا الصحبة بين يوسف عليه السلام وإخوته. أو كانت صحبة مقارنة؛ كصحبة يوسف عليه السلام لعزير مصر وحفظه لعرضه، وصحبته عليه السلام للفتيين في السجن، وصحبة النسوة لامرأة العزيز، وصحبة يوسف لملك مصر وحفظه لكنوزها.

وسيقصر حديثنا في هذا الفصل على المباحث الآتية:

- المبحث الأول: يوسف - عليه السلام - وإخوته.
 - المبحث الثاني: يوسف - عليه السلام - والنسوة.
 - المبحث الثالث: يوسف - عليه السلام - وصاحبها السجن.
- ومن خلالها نستطيع استخلاص الأسس والآداب التي قامت عليها الصحبة، ونخرج منها بدروس وعبر تفيد في مجال الصحبة عامة، من خلال النص القرآني.

(١) روى الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: سألت اليهود النبي ﷺ، فقالوا: حدثنا عن أمر يعقوب وولده وشأن يوسف، فأنزل الله عز وجل هذه السورة. زاد المسير ٦١١.

المبحث الأول: يوسف - عليه السلام - وإخوته

قدم الحق تبارك وتعالى لقصة يوسف - عليه السلام - مع إخوته بمقدمة، وضح فيها المكانة العالية التي سيصل إليها يوسف - عليه السلام - فقال جل في علاه: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٤﴾ قَالَ يَبْنَئِي لَأَنْقُصَّ رُءْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٥﴾ وَكَذَلِكَ يَجْنِيكَ رَبُّكَ وَيَعْلَمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾﴾ [سورة يوسف ١٢/٤-٦]. نعم إنها الرؤيا^(١) التي رآها يوسف عليه السلام وهو طفل صغير، وكعادة الصغار توجه لأبيه وقص عليه ما رأى، طالباً منه النصيح والتوجيه حيال هذا الأمر، فما كان من الأب المشفق على ابنه الذي علم بشأن هذه الرؤيا وتيقن من أنه سينال منزلة مثل منزلة أبويه من قبل إبراهيم وإسحاق عليهما السلام، إلا أن حذره، وقال له: ﴿يَبْنَئِي لَأَنْقُصَّ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [سورة يوسف ١٢/٥]. وما ذاك إلا أنه خشي أن يحدث بها إخوته فيحسدوه على ذلك و يبغوا له الغوائل.

وقد كان ليوسف عليه السلام مزيد محبة عند والده، ومع هذا فقد كان نبي الله يعقوب عليه السلام، في قمة العدل مع أبنائه في المعاملة. إن هذه المحبة وهذا التفضيل كانت السبب في إساءة فهم إخوة يوسف لتصرف والدهم، ومن خلالها وجد الشيطان مسلكاً إلى قلوب هؤلاء الإخوة، فأثار بها حقدهم وحسداهم عليه وعلى أخيه الصغير الشقيق.

(١) الرؤيا بمعنى الرؤية إلا أنها مختصة بما كان منها في المنام دون اليقظة، الكشاف ٤/٥٠. وتنقسم إلى ثلاثة أقسام: الأول: حديث الملك؛ وهي الرؤيا الصادقة، وهي بشرى من الله لعبده. والثاني: حديث النفس؛ وهي الرؤيا الباطلة وهي من تحزين الشيطان. الثالث: حديث النفس؛ وهي ما يحدث الإنسان به نفسه في اليقظة فيراه في المنام ولا تأويل له. القواعد الحسنى في تأويل الرؤى، عبد الله السدحان ٩. قال رسول الله ﷺ: "الرؤيا من الله والحلم من الشيطان فإذا حلم أحدكم حلماً يكرهه فلينفث عن يساره ثلاثاً وليتعوذ بالله من شرها فإنها لن تضره". (رواه مسلم في صحيحه ٤/١٧٧١ ح ٢٢٦١)، وبنحوه عند البخاري في صحيحه، كتاب التعبير، باب الرؤيا من الله (٦/٢٥٧١ ح ٦٦٠٣).

وقد بين ذلك الحق تبارك وتعالى في ثنايا هذه القصة، فحكى ما دار بين الإخوة من نقاش حول يوسف وأخيه فقال: ﴿إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهَ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴿٩﴾

قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا نَفْعُ لِيُوسُفَ وَالْقَوْمِ فِي غَيْبَتِ الْجَبِّ يَلْقَظُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿١٠﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَصْحُونَ ﴿١١﴾﴾ [سورة يوسف ١٢/٨-١١].

لقد أسأوا تفسير اهتمام أبيهم بأخويهم الصغيرين، واعتبروا هذا انحيازاً منه لصغيريه و إعراضاً عن محبته لهم، مع كونهم يشكلون عصابة هم أولى باهتمام أبيهم في نظرهم. ولو بحث هؤلاء الإخوة هذه المسألة، وعن سبب اهتمام الأب بأخويهم الصغيرين لتبين لهم حاجتهما لمزيد من العناية والرعاية وإظهار المحبة والاهتمام، بخلاف من كان كبيراً فلا يحتاج إلى هذا.

لكنهم استسلموا لوسوسة الشيطان، وصدقوا تعليله الشيطاني للموضوع، والشيطان عدو بني آدم، قال تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١﴾﴾.

فأصدروا حكمهم على أبيهم، فقالوا: ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾﴾ أي: في خطأ من فعله في إثارة يوسف وشقيقه (٢).

و بناءً على هذا قرروا التخلص ممن كان السبب في هذا الخطأ، فقالوا: ﴿أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهَ أَبِيكُمْ ﴿٨﴾﴾ طرحوا هذين الأمرين؛ إما قتل يوسف وهذه جريمة بشعة اعترض عليها أحدهم، وإما إلقاؤه في أرض بعيدة. وكلا الأمرين خطأ كبير لكن كان مقصدهم من هذا كله " أن يخلو لهم وجه أبيهم، ويبعدوا عنه من شغله عنهم، ويوسف في اعتقادهم هو الذي صرفه عنهم.

وسول لهم الشيطان أنهم بعد قتل يوسف أو تخلصهم منه بأي وسيلة أنهم سيتوبون من هذا الذنب ويكونون من بعده صالحين (٣). وهذا ما أراده الشيطان، أن يوقع هؤلاء الأبناء

(١) القصص القرآني بتصرف ٩٢-٩٣.

(٢) بتصرف من جامع البيان ١٢/١٥٥.

(٣) المصدر السابق ١٢/١٥٥.

في الخطأ والذنب العظيم، وهم الذين ربوا في بيت النبوة، وصحبوا خير البشر، لكن رحمة الله وبركاته على آل البيت حالت دون هذا. كما قال تعالى لجدتهم من قبل عندما تعجبت من البشارة بالولد بعد كبر سنها: ﴿قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾ [سورة هود ٧٣/١١].

فبينما هم في تشاور اعترض أحدهم قائلاً: ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا نَقْنَلُوا يُوسُفَ وَالْقَوْهَ فِي غَيْبَتِ الْجُبِّ يَلْقَطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ [سورة يوسف ١٠/١٢] أي: "لا اتصل عداوتكم وبغضكم ليوسف إلى قتله، ولم يكن لهم سبيل إلى قتله لأن الله تعالى كان يريد منه أمراً لا بد من إتمامه وإمضائه وذلك بالإيحاء إليه بالنبوة والتمكين له في بلاد مصر والحكم فيها، فصرفهم الله عنه بمقالة هذا الأخ الذي أشار عليهم بإلقائه في غيابة الجب"^(١). هذا الأخ (وضع الله في قلبه كمية ضئيلة من الودّ ليوسف، ليرفض الرأيين السابقين، ويعتبرهما قتلاً، سواء كان ذلك القتل بطريق مباشر أو غير مباشر، ومن ثم هو ينهاهم بقوة ووضوح واستقامة عن التورط في جريمة قتل نفس حرم الله قتلها إلا بالحق. ومن ثم إن نزعة الخير الضئيلة عنده جعلته يقترح رأياً للتخلص من يوسف، هذا الرأي لو سارت ملابساته كما تصور لكان في ذلك نجاة ليوسف وخلاصاً منه في نفس الوقت. فهاهو ذا يقول مندفعاً بجرارة المناقشة لإخوته الذين يريدون التخلص من يوسف وقتله، بينما هو يريد إنقاذه، والتخلص منه لكن دون قتله: (وَالْقَوْهَ فِي غَيْبَتِ الْجُبِّ)^(٢). ولم يقل ضعه أو اجعلوه، لتناسب هذا مع حالة الحماس وحدة المناقشة، ولعل الإخوة الحانقين على يوسف لا يرضيهم إلا تعبير كهذا، لذا جرى إخوته في ابتداء عرضه فاستعمل تعبيراً حماسياً يرضى عنه

(١) تفسير ابن كثير ٥٢١/٢.

(٢) غيابة الجب: قعره وغوره، سمي بما لغيبته عن أعين الناظرين. والغيابة كما قال الهروي: الغيابة شبه لطف أو طاف في البئر فويق الماء، يغيب ما فيه عن العيون. وقال الزمخشري: الغور وهو ما غاب منه عن الناظر، وأظلم من أسفله. تفسير أبو السعود ٢٥٦/٤، زاد المسير ٦١٤، البحر المحيط ٢٨٤/٥ والجامع لأحكام القرآن ١٣٢/٩. والجب: البئر المحفورة في الأرض، وسميت جبا لأنها مأخوذة من الجب وهو القطع، حيث تحفر الأرض وتقطع قطعاً وتشق شقاً، وجمع بين الجب والغيابة لأنه أراد: ألقوه في موضع مظلم من الجب حتى لا يلحقه نظر الناظرين. انظر: زاد المسير ٦١٤، والجامع لأحكام القرآن ١٣٢/٩.

إخوته المتحمسون... وبعد إرضائهم بدأ يوضح عملية الإلقاء، فقال: ألقوه في ذلك الجب المعهود لنا جميعاً، والذي اعتدنا الذهاب إليه للاستسقاء والرياضة. وبما أن هذا المكان معروف لدى الإخوة فهو كذلك قريب من الطريق الذي تسلكه القوافل ذهاباً وإياباً. ولذا جاء على لسانه (يَلْفِظُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ) أي: لن يطول مكثه في هذا الجب لأن تلك القوافل لا بد أن تحتاج للتزود بالماء، وبالتالي سيجدونه ويلتقطونه ويأخذونه معهم إلى مكان بعيد عنا.

هذه العبارة من هذا الأخ فيها شيء كبير من الرحمة ليوسف، فتحديده لغيابة الجب ولم يقل (جب) مفرداً، يدل على أن المراد وضع يوسف بمنجاة من الغرق في تلك الغيابة التي يمكنه أن يشم فيها الهواء ويشرب الماء، أما الطعام فلن يكون انتظاره طويلاً، لأن السيارات التي ستمر لن تعدم واحدة منها الحاجة إلى الماء، وسيبعثون واردهم وسيجدون هذا الغلام وأول ما سيقدمون له هو الطعام^(١).

ثم ختم مقولته بالتشكيك في تصميمهم التخلص من يوسف، ودعوتهم إلى التراجع عن ذلك فقال: (إِنْ كُنْتُمْ فَعِلَّيْنَ) أي: إن كنتم عازمين على التخلص منه فهذا هو الرأي الصواب لا القتل.

ويبدو أن هذا الأخ كان أعقل الإخوة وأقلهم حسداً واندفاعاً، ولم يكن مصمماً على التخلص منه، ولكن وجوده بين هؤلاء الإخوة الذين اجتمعوا على السوء والكيد لأخيهم وإساءة صحبته جعلته بهذا القدر من الرحمة ليتخذ قراراً أقل عنفاً وخطراً على يوسف^(٢).

قال ابن كثير رحمته الله: "لقد اجتمعوا على أمر عظيم من طبيعة الرحم، وعقوق الوالد، وقلة الرأفة بالصغير الذي لا ذنب له، وبالكبير الفاني ذي الحق والحرمة والفضل، وخطره عند الله مع حق الوالد على ولده، ليفرقوا بين الأب وحببيه على كبر سنه ورقة عظمه، وبين ابنه على

(١) الوحدة الموضوعية في سورة يوسف، الدكتور: حسن محمد باجودة، مطبوعات تامة، جدة، المملكة العربية السعودية، ط: الثانية ١٤٠٣هـ. ١٤٢-١٤٦ بتصرف.

(٢) القصص القرآني بتصرف ٩٥.

ضعف قوته وصغر سنه وحاجته إلى لطف والده وسكونه إليه، لكن يغفر الله لهم وهو أرحم الراحمين، فقد احتملوا أمراً عظيماً...." (١).

وبعد اتفاقهم على هذا الرأي، هاهم يراودون أباهم ليأذن لهم بأخذ يوسف معهم، ليتمكنوا من تنفيذ مؤامرتهم ضده، كما قال تعالى: ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَأْتَا مُنْتَاعًا عَلَىٰ يَوْسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَصِحُونَ﴾ [سورة يوسف ١٢/١١] هذه التوطئة واللين في خطابهم لأبيهم يتضح من خلالها سوء ظنهم بأبيهم لشدة حبه ليوسف، وأهم عدّوا هذا الاهتمام من أبيهم ليوسف وعدم إرساله معهم عدم ائتمان منه لهم عليه، وأن هذا تخون وشك فيهم، فبادروا أباهم بهذا الاتهام ليسارع هو في نفيه أو أن يظهر لهم عدم شكه فيهم ويوافق على إرساله معهم (٢). وحتى يزيلوا ما في قلب أبيهم من شك، أكدوا له حرصهم ونصحهم لأخيهم بقولهم: ﴿وَإِنَّا لَهُ لَنَصِحُونَ﴾ أي: أننا نريد مصلحته وتقديم النصح له، نريده أن يعيش معنا، ويصحبنا في تنقلاتنا ورحلاتنا، ليتعلم ويستفيد، ثم بينوا أبعاد نصحهم له فقالوا: ﴿أَرْسَلَهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَع وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [سورة يوسف ١٢/١٢] أي: أرسله معنا غداً يلهو ويلعب وينشط معنا في الصحراء ونحن حافظوه من أن يناله شيء يكرهه أو يؤذيه (٣).

ولأن يعقوب عليه السلام لم يكن لديه دليل على حسن تعامل هؤلاء الإخوة مع يوسف وتقديمهم النصح له من قبل، جاء جوابه على طلبهم ليس قبولاً واضحاً ولا رفضاً بيناً، وإن كان يميل إلى الرفض بدليل أنه أعرض عن الرد عليهم في مسألة عدم ائتمانهم، وإنما عبر لهم عن مدى حبه له وأنه لا يقوى على بعده هذه المدة، فقال لهم: ﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنَّ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾ [سورة يوسف ١٢/١٣] أي: يشق علي مفارقتة هذه المدة، وأخشى أن تشتغلوا عنه بالرماية ورعي الماشية، وعندها يأتي ذئب فيأكله وأنتم لا تشعرون. فاستغل هؤلاء الإخوة هذه الكلمة وجعلوها عذرهم فيما فعلوا وقالوا له على سبيل الطمأنة له: ﴿قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَسِرُونَ﴾ [سورة

(١) تفسير ابن كثير ٥٢١/٢.

(٢) تفسير ابن كثير ٥٢١/٢، القصص القرآني ٩٦.

(٣) انظر: جامع البيان ١٥٩/١٢.

يوسف ١٢/١٤]. أي: لئن عدا عليه الذئب فأكله من بيننا ونحن جماعة إذا فنحن هالكون خاسرون^(١).

وقد أغفل الإخوة حديث يعقوب عن ذات نفسه وأنه يحزنه ذهابهم به، وركزوا في جواهرهم على الذئب وذات أنفسهم، وذلك لأن كلام يعقوب كان بالنسبة لهم كالطعنة التي بلغت أعماقهم، فهذا القول يبلور السبب الذي من أجله هم يحسدون يوسف كل ذلك الحسد، ألا وهو حب يعقوب غير المتناهي له، فعدلوا إلى الحديث عن الذئب وكأنهم أدركوا أن نجاحهم في الرد على هذا وإقناعهم لأبيهم بأنه ليس هناك داع للخوف من الذئب من الضمني على الجزء الخاص بيعقوب عليه السلام^(٢).

عند هذا استسلم يعقوب عليه السلام لطلبهم، رغم مخاوفه التي لم تتبدد حيال ما ينتظر يوسف من أخطار لا يعرفها.

وهاهي ذي الفرصة تواتيهم، فيأخذون أخاهم الصغير ويذهبون به بعيداً عن أبيه وأهله. وفي طريقهم أجمعوا من جديد على إلقائه في غيابة الجب، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَابِ الْجُبِّ﴾ [سورة يوسف ١٢/١٥].

وعندما أوشكت ساعة التنفيذ إذ بهم ينفذون مؤامرتهم، ويذهبون به إلى بئر مطوية بعيدة على طريق القوافل التجارية فجعلوه فيها^(٣).

وقبل إلقائه نزعوا عنه قميصه، وذلك لأنهم فكروا فيما سيقولون لأبيهم عند عودتهم إليه دون يوسف. وحينما بحثوا عن عذر لم يكن عندهم القدرة لابتداع سبب مقنع! ولم يجدوا غايتهم إلا فيما خاف منه الأب مسبقاً، ألا وهو الذئب، فتمسكوا مرغمين بهذا العذر^(٤).

ثم بعد ذلك غيبوه داخل الجب، وانصرفوا عنه. وإذ برحمة الله ولطفه تدرك يوسف الطفل الصغير، لتهدئ من روعه وتفتح له باب الأمل والفرج والنور، وهو في هذه البئر المظلمة، فيوحي له الحق تبارك وتعالى عن طريق الإلهام الذي ألقاه في خاطره، بالألّا يتأثر ولا يصدم من

(١) جامع البيان ١٢/١٦٠، تفسير ابن كثير ٢/٥٢١.

(٢) انظر: الوحدة الموضوعية في سورة يوسف ١٥٥.

(٣) القصص القرآني، الدكتور: صلاح الخالدي ٢/٩٨.

(٤) الوحدة الموضوعية في سورة يوسف ١٥٥.

موقف إخوته، ولا يحبط ويأس، لأن الذي دفع الإخوة إلى هذه الجريمة هو الشيطان ووسوسته، والحقد والحسد الذي ملأ قلوبهم. حيث بين له أنهم أرادوا التخلص منه، وهذا دليل فشلهم لأنه سيحتاج هذه المحنة، وسيخرج منها وسيتمكن له في الأرض وسينبتهم بصنيعهم هذا في حقه وهم لا يعرفونه، وسيأتون إليه في المستقبل يطلبون مساعدته وهم لا يعلمون أنه يوسف الذي ألقوه في هذا المكان الموحش. كما قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [سورة يوسف ١٥/١٢] (١).

وهكذا ظل يوسف في هذا المكان الذي ارتضاه له إخوته وهم أقرب الناس له، وحاله كما صورها الشاعر (٢):

وظلم ذوي القربى أشدّ مضاضةً على المرء من وقع الحسام المهند

ثم هاهم أولاء يتخبرون الوقت المناسب لعودتهم إلى أبيهم، وإخباره هذا النبأ الجلل، فاختاروا وقت العشاء، ذاك الوقت الذي ينتشر فيه الظلام، وتختفي فيه قسّمات الوجوه المتأمرة (٣)، ويصعب فيه الخروج للبحث عن هذا الطفل أو عن جثته إن كانوا صادقين، فأقبلوا باكين رافعين أصواتهم بالبكاء، كما قال تعالى: ﴿وَجَاءَ آبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ﴾ [سورة يوسف ١٦/١٢]. فما كان من الأب إلا أن أقبل عليهم فزعاً وسألهم عن سبب بكائهم، وإذ بهم يقولون: ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتْلَعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ [سورة يوسف ١٧/١٢]. (إننا ذهبنا نتسابق وقطعنا في السباق شوطاً بعيداً، فجاء ذئب مفترس فانفرد بيوسف وأكله وفوجئنا بهذا، ولقد أردنا تخليصه وإنقاذه لكن الذئب كان أسبق منا إليه، ونحن نعلم أنك لا تصدقنا ولكن هذا قميص يوسف وعليه آثار الدماء، فأتيناك به، ﴿وَجَاءَ وَعَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ وقد عمدوا إلى سخلة فذبحوها ولطخوا القميص بدمها، ليوهموا أباهم أن هذا قميص يوسف الذي أكله الذئب، وهذا الدم دم يوسف، لكنهم نسوا أن يخرقوا القميص، ولذا لم تنطو هذه الفعلة على نبي الله يعقوب عليه

(١) انظر: تفسير ابن كثير ٥٢٢/٢، القصص القرآني ٩٩/٢-١٠١.

(٢) طرفة بن العبد في ديوانه ٨.

(٣) القصص القرآني ١٠١/٢.

السلام، فقال لهم: والله ما عهدت الذئب حليماً أكل ابني وأبقى قميصه، فعرف من هذا أنهم كاذبون، فقال لهم معرضاً عن كلامهم: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً﴾ أي: إن نفوسكم المريضة التي سيطر عليها الشيطان وملاها حقداً على أخيكم هي التي زينت لكم ارتكاب هذا الأمر المنكر ضد أخيكم^(١).

والتأمل في هذه العبارة يجد فيها ذلك الأدب الجم للصحة من هذا الأب المفجوع بابنه وحبّه، المحروق الفؤاد على أبنائه الذين يعلم كذبهم، فنجدّه يخاطبهم بكلام هين لين ليس فيه رفع صوت أو تكذيب لهم. إنها أخلاق لا تصدر إلا من نبي من أنبياء الله ليربي بها من خلفه من الخلق.

هذا الأب لم يزد في حديثه معهم على أن قال لهم: ﴿فَصَبِّرْ جَمِيلًا وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ [سورة يوسف ١٢/١٨] أي: صبر^(٢) لا شكوى فيه لمخلوق، ولا تضجر ولا تبرم، ولا يأس ولا قنوط، هو الأولى بي، وهو الصبر الجميل. فلن أعاشركم على كآبة وجه أو عبوس جبين، بل أعاشركم على ما كنت أعاشركم به من قبل. ثم طلب المعونة من الله تبارك وتعالى في احتمال ما جاؤوا به، ولم يطمئن قلبه إليه. فقال: ﴿وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ فهو خير معين لعباده الصابرين المحتسبين^(٣). وهنا ينتهي الجزء الأول من صحبة يوسف لأبيه وإخوته.

(١) جامع البيان ١٦٦/١٢ تفسير ابن كثير ٥٢٢/٢.

(٢) الصبر لغة: الإمساك في ضيق، وهو حبس النفس على ما يقتضيه العقل والشرع، أو ما يقتضيان حبسهما عنه، وهو لفظ عام. وهو نقيض الجزع. المفردات ٢٧٣، لسان العرب مادة (صبر) ٤٣٨/٤، عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت، تحقيق: زكريا علي يوسف ٧. أما حقيقته: فهو قوة مقاومة الأهوال والآلام الحسية والعقلية، وقال بعضهم: تجرع مرارة الامتناع من المشتبه إلى الوقت الذي ينبغي فيه تعاطيه. التعاريف ٤٤٧.

وقال ابن القيم رحمه الله: "في النفس قوتان قوة الإقدام وقوة الإحجام، فحقيقة الصبر: أن يجعل قوة الإقدام مصروفة إلى ما ينفعه، وقوة الإحجام إمساكا عما يضره. وهو ضربان بدني ونفسي، ولكل منهما نوعان اختياري واضطراري، وهو ثلاثة أنواع بالنسبة لمعلقه: صبر على الأوامر والطاعات، وصبر عن المناهي والمخالفات، وصبر على الأقدار والأفضية". عدة الصابرين ٨-٩.

(٣) القصص القرآني، ١٠٥/٢، الوحدة الموضوعية في سورة يوسف، ١٦٩.

وبالعودة إلى يوسف في ذاك المكان الموحش، نعرف أن الله سبحانه وتعالى قد ساق له من ينقذه، إذ مرت سيارة قرب هذه البئر فأرسلوا واردهم الذي يطلب لهم الماء، فلما جاء تلك البئر وأدلى دلوه إذ بيوسف يتشبث به، فيخرج من البئر، وعندما خرج استبشر به الوارد. قال تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَبُشْرَىٰ هَذَا غُلْمٌ﴾ فأسروه وصار من جملة بضاعتهم، ﴿وَأَسْرُوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة يوسف ١٢/١٩]. وقد اختلف المفسرون في عود الضمير، في كلمة (وَأَسْرُوهُ) على معنيين^(١):

أحدهما: أن هذا قول الواردين لبقية السيارة، قالوا: اشتريناه وتبضعناه من أصحاب الماء مخافة أن يشاركوهم فيه إذا علموا بخبره.

الثاني: أن إخوة يوسف أسروا شأنه وكتموا أن يكون أحاهم، وقالوا: إنه عبد آبق، وكتم يوسف شأنه مخافة أن يقتله إخوته إن رجع إليهم، واختار البيع وصبر عليه صبراً اختيارياً، فباعه إخوته بثمن قليل وكانوا فيه من الزاهدين، الذين ليس لديهم رغبة فيه.

وأولى هذه الأقوال بالصواب؛ قول من قال: وأسر وارد القوم المدلى دلوه ومن معه من أصحابه من رفقة السيارة أمر يوسف أنهم اشتروه خيفة منهم أن يشاركوهم، وقالوا لهم: هو بضاعة أبضعها معنا أهل الماء^(٢).

ولذا ختمت الآية بقوله: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ أي: عليم بما يفعله إخوة يوسف ومشتروه. ثم توجهت تلك السيارة لمصر وهناك بيع يوسف لعزيز مصر، لتتوالى عليه الأحداث كما سيأتي بيانها مستقبلاً.

وبعد مرور السنين^(٣) إذ بيوسف ينتقل من العبودية ليصبح هو المتصرف في شؤون مصر، بعد أن أخرجه الله من البلاء الذي نزل به ومكن له في الأرض، كما قال تعالى:

﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ، مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة يوسف ١٢/٢١]. وصار يتبوأ من الأرض حيث شاء،

(١) انظر جامع البيان ١٢/١٦٩، تفسير ابن كثير ٢/٥٢٣.

(٢) جامع البيان ١٢/١٦٩.

(٣) التي قدرها بعض أهل العلم بأربعين سنة. الجامع لأحكام القرآن ٩/٢٢٠.

ويحكم فيها كما يشاء، كل هذا بتمكين الله له وبعلمه وحكمته سبحانه: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة يوسف ٥٦/١٢].

وهاهي ذي سنوات القحط والمجاعة الشديدة تحتاج مصر وما حولها، وموطن آل يعقوب من تلك المناطق التي طالتها المجاعة. وكان يوسف بجنكته يدير هذه المحنة بكل اقتدار، فأنقذ مصر وما حولها، وكان الناس يقدمون على بلده من كل حذب وصوب للتزود بالحبوب، وكان من جملة من قدم عليه إخوته العشرة كما حكى ذلك الحق تبارك وتعالى ذلك بقوله: ﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ [سورة يوسف ٥٨/١٢] أي: لما قدم هؤلاء الإخوة لطلب الميرة دخلوا على عزيز مصر (يوسف عليه السلام)، وعندما رأهم عرفهم، وذلك لأن ملامحهم لم تتغير عليه بطول السنين التي فارقه فيها، أما هم فلم يكونوا يعلمون أن من يقفون بين يديه هو يوسف الذي تخلصوا منه قديماً، وذلك لأنه كان طفلاً صغيراً وقد مرت عليه مراحل عدة، وقد أصبح الآن رجلاً راشداً فتغيرت ملامحه عليهم. ولم يخطر ببالهم أصلاً أنه يوسف. فكل ما يعرفون أنه عزيز مصر، ولا يعرفون اسمه ولا أصله.

ومع ذلك نرى يوسف عندما عرفهم أحسن إليهم، واستعلى على آلامه وأحزانه فلم يعرفهم على نفسه، ولم يذكرهم بجرمتهم ضده، واستغنى عن التشفي بهم والانتقام منهم بالإحسان إليهم ومجالستهم والحديث معهم، وفي أثناء حديثه سأهم عن أنفسهم، وأهلهم فعرف منهم أن لهم أخاً صغيراً من أبيهم، وأنه استأثر بشيء من المحبة، وأن أباهم لا يدعه يخرج معهم، عندها طلب منهم إحضار هذا الأخ ورجبهم في إحضاره كما قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ قَالَ أَتُنُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ أَلا تَرَوْنَ أَنِّي أُوْفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ [سورة يوسف ٥٩/١٢]. وطمأنهم بأن أخاهم سيكون في أمان في مصر لأنهم سينزلون في ضيافته وهو يكرم من ينزل عليه، وإن لم يأتوا به فلن يجدوا طعاماً ولا كيلاً عنده، على سبيل التهديد لهم، كما قال تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلا نُنْفِرُوكُمْ﴾ [سورة يوسف ٦٠/١٢]. وهنا نجد أن يوسف استخدم معهم أسلوب الترغيب والإقناع، وأسلوب التهديد والوعيد لتقرير حقيقة إحضار أخيهم معهم.

ولما كان الأمر صعب التنفيذ عليهم، وعلى أبيهم، لأنه لن يتخلى عنه كما تخلى عن يوسف من قبل، قالوا في عبارة توحى بمدى صعوبة هذه المهمة: ﴿قَالُوا سَتَرُوا عَنْهُمْ آيَاتِنَا لِنَفْعَلُونَ﴾ [سورة يوسف ٦١/١٢] في إشارة منهم إلى مقدار ما سيبدلون من جهد ومعاناة في إقناع أبيهم بإرسال أخيهم الصغير معهم، مع أنهم غير واثقين من تلبية أبيهم لمطلبهم هذا؛ لأنه يخشى أن يكون مصيره كمصير أخيه يوسف^(١).

وفي هذه العبارة يتبين مدى إساءتهم لصحبة أبيهم حيث قالوا: (سَتَرُوا عَنْهُمْ آيَاتِنَا) ولم يقولوا: أبانا، وذلك لأنهم ما زالوا يشعرون بالحاجز بينهم وبين أخيهم من أبيهم، وقلوبهم ما زالت تحمل الحقد لهذا الأخ، رغم تخلصهم من يوسف الذي كان أحب إلى أبيهم منهم. لكنهم في هذه الحالة جادون في مراودة أبيهم وإقناعه، وحريصون على الإتيان بأخيهم ليزدادوا حمل بعير كما هو ظاهر من تأكيدهم بقولهم: (وَأِنَّا لَفَاعِلُونَ).

وأراد يوسف إغراءهم بالعودة إليه ومعهم أخوهم، فأعاد إليهم بضاعتهم التي قدموا لبيعها وشراء الحبوب بثمنها، حيث قال لفتيانه ومن تحت يده: ﴿وَقَالَ لِفَتْيَانِهِ اجْعَلُوا بَضْعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [سورة يوسف ٦٢/١٢].

وذلك أنهم عندما يفتحون متاعهم بعد وصولهم إلى أهلهم يجدون بضاعتهم في رحالهم، ويعرفون أنهم لم يدفعوا ثمن ما حملهم به، وهم الذين لا يستحلون حراماً، فيكون ذلك مدعاة لعودتهم إليه مرة أخرى لدفع ثمن تلك البضاعة، أو للشراء بثمنها مرة أخرى. وكانت هذه الحادثة مما تشبث بها الإخوة وسهل عليهم أخذ أخيهم، وسهل إقناع أبيهم بهذه الحجة.

فهاهو الحق تبارك وتعالى يقص ما دار بينهم وبين أبيهم بقوله: ﴿فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا آخَانَنَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [سورة يوسف ٦٣/١٢]. فأخذوا يحاورون أباهم ليأذن لهم بأخذ أخيهم الصغير ليلبوا رغبة العزيز ويحصلوا على ما وعدهم من زيادة الحمل وحسن الضيافة، غير مكترئين بالآلام هذا الأب الطاعن في السن الذي لم يبق له من الدنيا بعد فراق يوسف إلا هذا الصغير. لكنهم في هذه المرحلة كانوا

(١) القصة القرآنية ٢/١٨٦، الوحدة الموضوعية في سورة يوسف ٢٥٠.

صادقين عازمين على الحفاظ عليه وإعادته لأبيه، وليس كتأكيداتهم السابقة في حق يوسف. لكن الأب لم يبدِ قبولاً، ولا رفضاً لطلبهم، بل سكت عنهم.

وعندما رجعوا إلى متاعهم ووجدوا بضاعتهم التي كانوا يريدون استبدال الطعام بها موجودة في رحلهم ووجدوا الطعام كذا معها، علموا أنهم لم يدفعوا ثمن هذا الطعام، عندها أخبروا أباهم أنه عائدون لعزير مصر لدفع الثمن، وهذه فرصة لأخذ أخيهم معهم وإعادته، كما قال تعالى: ﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا بَنَاتَنَا مَا نَبِيْ هَذِهِ بَضْعُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَنَا وَنَزِدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾ [سورة يوسف ٦٥/١٢].

عند ذلك قبل الأب أن يأخذوا أخاهم، لكن أخذ عليهم العهد بحفظه، حيث قال لهم: ﴿قَالَ لَنْ أَرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنْ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ [سورة يوسف ٦٦/١٢]. فأعطوه العهد والميثاق.

وعندما عزموا على الرحيل توجه إليهم الأب الرحيم المشفق على أبنائه في دليل واضح على حسن صحبته لهم، وعدم تمييزه لأحد منهم على أحد، فقال لهم في وصية أوصاهم بها: ﴿وَقَالَ يَبْنَئِي لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَأَدْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أُلْحَمْتُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [سورة يوسف ٦٧/١٢]. وذلك حتى لا يلفتوا إليهم أنظار أهل تلك المدينة، عشرة رجال من رجل واحد، وفيهم من الجمال والقوة فيحسدوهم. وبين لهم أنه حتى لو أصابهم شيء كان قد كتبه الله عليهم فلن يغيي عمله هذا عنهم شيئاً^(١).

سار الركب ووصلوا إلى مصر، ودخلوا من حيث أمرهم أبوهم بالدخول. وهاهم الآن في بلاط العزيز، فلما رأى معهم أخاهم الصغير أحسن ضيافتهم، وقد قيل: "إنهم كانوا أحد عشر، فكان كل اثنين منهما يتسامران وبقي هذا الأخ وحيداً بلا مؤنس يؤنس وحشته فقربه يوسف منه، ودنا منه وهمس في أذنه بأنه أخوه يوسف، حتى يهدئ من روعه، لكيلا يعلم أحد من الإخوة بهذا الأمر لحكمة أرادها الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى

(١) انظر: القصص القرآني ٢/١٨٩.

إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿سورة يوسف ١٢/٦٩﴾ أي
: لا يحزنك ما يفعل إخوتك بك" (١).

عند ذلك أراد يوسف أن يستبقي أخاه عنده، فقام بحيلة بإلهام من الله فوضع الصواع (٢)
الخاص بالملك في رحل أخيه، وعندما افتقد الخدم هذا الصواع صاح المنادي في الملاء قائلاً:
﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾
[سورة يوسف ١٢/٧٠]، فأقبل الإخوة إلى المؤذن، في استنكار منهم لهذه التهمة التي لا
يقبلونها على أنفسهم. كيف وهم أبناء نبي وهذه تهمة لا تليق بهم؟! وقالوا: ﴿قَالُوا تَأَلَّفَ لَقَدْ
عَلِمْتُمْ مَا جِئْتَنَا لِنُغْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾ [سورة يوسف ١٢/٧٣].

وفي أثناء تجادلهم ونفيهم لهذه التهمة طلب منهم تبين الحكم إن كان أحد منهم
سارقاً (٣)، فقالوا: ﴿قَالُوا جَزَاءُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ [سورة
يوسف ١٢/٧٥] أي: ما عقوبته إن وجد فيكم من أخذه؟ فكان الجواب: على ما كان في
شريعة أبيهم إبراهيم عليه السلام أن السارق يدفع إلى المسروق منه. وهذا ما أراد يوسف،
ولذا بدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه، وفتشها، ثم استخرج الوعاء المفقود من رحل أخيه.

- بمكيدة من الله (٤) - كما قال تعالى: ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ
أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن
نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [سورة يوسف ١٢/٧٦]. وعند ذلك بدأ هؤلاء الإخوة

(١) جامع البيان ١٣/١٦.

(٢) الصواع: الإناء الذي يشرب به يوسف. جامع البيان ١٣/١٦-١٧. والصاع والسقاية شيء واحد، وقال المفسرون:
جعل يوسف ذلك الصاع مكيالاً لثلاث يكال بغيره. زاد المسير ٦٤٠.

(٣) وكان في شريعة يعقوب عليه السلام أن من سرق يسترق، بخلاف حكم أهل مصر. وكان هذا الحكم في صالح
يوسف حين احتكم إلى شريعة يعقوب ولم يحتكم إلى ما كان سائداً في بلده. الوحدة الموضوعية في سورة يوسف ٢٣٥.

(٤) الكيد: ضرب من الاحتيال، وقد يكون مذموماً وممدوحاً. المفردات ٤٤٣. وقيل: هو إرادة مضرة الغير حقيقة،
وهو من الأخلاق السيئة، ومن الله التدبير بالحق لمجازاة أعمال الخلق. التعاريف ٦١٤. ومعناه في هذه الآية على أربعة
معان: الأول صنعنا له، والثاني: احتلنا له، والكيد الحيلة، والثالث: أردنا ليوسف، والرابع: دبرنا له بأن أهمناه ما فعل
بأخيه ليتوصل إلى حبسه. زاد المسير ٦٤٢. وهذا النوع من الكيد المحبوب الذي يحبه الله ويرضاه لما فيه من الحكمة
والمصلحة. تفسير ابن كثير ٢/٤٨٦.

بالتبرؤ من هذا الأخ الذي لا يرتضون فعلته، فقالوا: ﴿قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يَوْسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَّانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ [سورة يوسف ١٢/٧٧] رغم أنه لا أحد في هذا المكان يعلم بيوسف ولا بما كان يفعل، لكن الحقد والحسد ملاً قلوبهم فلم يراعوا حق الصحبة لهذا الأخ الغائب. فكظم يوسف الحليم غضبه عنهم، ولم يدافع عن نفسه، أو عن أخيه، في حسن تصرف منه، فلم يزد على أن قال في سره ولم يبدها لهم: ﴿قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَّانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ في درس بليغ لكل من سُبَّ أو شتم في وجهه عليه أن يقتدي بيوسف^(١).

ولما تبين لهم أن أحاهم سيبقى عند العزيز ولن يعود معهم، بمقتضى شريعتهم، أخذوا يعرضون على العزيز أخذ أحد منهم مكان هذا الأخ، لأن له أبا شيخا كبيراً، ولأنهم تذكروا العهد والميثاق الذي أخذه عليهم أبوه. فرد عليهم يوسف بقوله: ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَّعَيْنَاهُ بِإِنَاءٍ إِذَا الظَّالِمُونَ﴾ [سورة يوسف ١٢/٧٩]، فلم يرض بما عرضوا عليه.

وعندما يسوا من استرجاع أخيهم أخذوا يتناجون فيما بينهم، ويتشاورون فيما يفعلون وما سيقولون لأبيهم في حال عودتهم دون هذا الأخ. فأشار كبيرهم إلى العهد الذي أخذه عليهم والدهم، ثم أمرهم بأخذ الأحمال والعودة بها إليه وإخباره بما جرى لهم، أما هو فقد اختار البقاء في مصر حتى يأذن له أبوه بالعودة لأنه لم يحافظ على العهد والميثاق الذي أخذه عليه. كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِىَ أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لى وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ [سورة يوسف ١٢/٨٠].

وهكذا عاد تسعة من أبناء يعقوب، وعندما رآهم صدم صدمة كبرى، إنه لا يفتقد ابناً واحداً بل أصبح يفتقد ثلاثة من أبنائه. فسأل عنهم، فأخبر بالقصة كما أمرهم بها أخوهم الأكبر، فقالوا: ﴿يَتَابَانَا إِيَّاكَ أَبْنَاكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ﴾ (٨١)

(١) انظر: تفسير ابن كثير ٢/٥٣٨، الوحدة الموضوعية في سورة يوسف ٢٣٦.

وَسَأَلَ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿سورة يوسف ٨١/١٢﴾ [٨٢].

فابتدؤوا حديثهم معه بتوطئة فيها من الرقة ورهافة الحس وحسن البر بهذا الأب المكلوم، فقالوا: يا أبانا، ثم نقلوا له الخبر وأهم لم يحفظوا أحاهم، ولكنهم صادقون في هذه الحالة، ولذا قدموا له الدليل فقالوا له: اسأل أهل تلك القرية يعنون بما مصر فإن كل أهلها علموا بالقصة، وكذا اسأل من قدم معنا في الرحلة من المسافرين، وكلهم سيخبرونك بصدق ما جئنا به.

وأنبأ الله حينما يصابون بمصيبة يضربون أروع أمثلة الصبر على أقدار الله، ويعقوب عليه السلام كان قمة في الصبر على تلقي هذه المصيبة فقد ثلاثة من أبنائه، فما زاد على أن قال: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [سورة يوسف ٨٣/١٢] أي: "زينت لكم أنفسكم فعل أمر ما بأخيكم الصغير، أما أنا فسأصبر على ما جرى صبراً جميلاً حتى يأذن الله بالفرج.

وكلني أمل ورجاء بالله أن يجمعني بأبنائي الثلاثة، والله يعلم أماكنهم وما جرى لهم ويعلم متى يأتيهم جميعاً، وإن له في هذا كله حكمة، فكل ما أصابنا إنما هو بأمر الله وإرادته وقدرته" (١).

وهو بهذا يصور حال المؤمن الصابر كما صورها رسول الله ﷺ، بقوله: ((عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له)) (٢).

و المتأمل في صبر يعقوب عليه السلام، يجد أنه وصف بـ(الصبر الجميل) أي: صبر ليس فيه شكوى ولا تبرم ولا تأفف، وذلك لعلمه اليقيني بأن ما أصابه هو من الله الرحمن بعباده، وأنه مثيبه على صبره هذا إن عاجلاً أو آجلاً (٣).

ثم تولى عن أبنائه، وتذكر يوسف الحبيب وما جرى له، واستفاضت في نفسه كوامن الحزن على فقدانه، فأطلق زفرة حرى ونفثة مكبوتة في صدره فقال: ﴿يَأْسَفُنِي عَلَى يُوسُفَ

(١) القصص القرآني ٢/٢١٨.

(٢) سبق تخرجه ص ١٧٠.

(٣) الوحدة الموضوعية في سورة يوسف ٢٣٦.

وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿ [سورة يوسف ١٢/٨٤]. فأثر هذا الحزن الذي كظمه في أعماق نفسه، وانفرد به على أعصاب عينيه، وغطى بياضهما على سوادهما فأصبح ضعيف البصر، ولم يجد من ييث له همومه ويشاركه، فيها فأدى به هذا إلى ضعف حواسه البدنية، في دليل واضح على عدم إحسان الصحبة من قبل هؤلاء الأبناء لأبيهم. ولم يكتفوا بهذا بل كانوا يلومونه على تذكره ليوسف، وهذا واضح من فجاحتهم وغلظتهم في ردهم على مقالته بقولهم: ﴿قَالُوا تَأَلَّه تَفْتُوا تَذَكَّرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾ [سورة يوسف ١٢/٨٥] أي: إنك لا تزال تتذكر يوسف ولا تفتر عن ذكره، ولا تمل وأنت في هذه الحالة متوهم حامل متخيل، ما زلت تظن أنه حي مع مرور هذه السنين، انس يوسف ولا تتعب نفسك في تذكره، وإن لم تنسه فإنك ستمرض وسيقضي عليك المرض والحزن.

تألم الأب الحزين لما سمع لومهم وتقريعهم له، فرد عليهم بعبارة تبين لهم أنه لا يشكو همه وحزنه لهم لأنهم لا يقيمون لهذا وزنا، وإنما هو يشكو همه وحزنه إلى الله.

فقال: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بِنِّي وَحَزَنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [سورة يوسف ١٢/٨٦] أي: إنما أبت همي وحزني الذي بلغ بي هذا المبلغ إلى الله وحده لا إليكم، ولا إلى غيركم من المخلوقين. وهذه الشكوى لا تنافي الصبر، وإنما تنافيه الشكوى إلى المخلوقين^(١). وعندني من العلم من الله ما يملأ قلبي يقيناً بأن يوسف موجود في مكان ما. فكان هذا هو الأساس للأمل العريض الذي وضحه لأبنائه بقوله: ﴿يَبْنَئِ أَدْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [سورة يوسف ١٢/٨٧]، فهذا هو ذا يخاطبهم بعاطفة الأبوة الحانية، والرفق والمودة رغم غلظتهم وسوء

(١) انظر: جامع البيان ١٣/٤٥، تفسير ابن كثير ٢/٤٨٩، تفسير ابن سعدي ٣٩٥.

تعبيرهم في خطابه. فقال: (يَبْنِي) أي: إنكم جميعاً أبناءي، ثم أمرهم بالعودة إلى مصر، والبحث عن يوسف وأخيه فقال: (فَتَحَسَّسُوا) (١) (٢).

والناظر في هذا الترتيب الذي روعي فيه تقديم يوسف على أخيه يجد أن هذا الترتيب منطلق من الإيمان المطلق في قدرة الله القادر على كل شيء، والثقة غير المتناهية الحد بإلهام من الله بأن لكل ضيق فرجا.

وإن المحن وإن بلغت أوجها وغاياتها فإن الإيمان بالله العلي القدير لا بد أن يبلغ أوجهه وقمته، وإن الإيمان والأمل والرجاء والتفاؤل تأتي بالفرج.

ثم قدم النصح لأبنائه بتوجيههم إلى عدم اليأس من روح الله؛ لأن اليأس لا يكون إلا من الكافرين. أما المسلمون المسلمون لأمر الله فإنه لا يجوز لهم أن ييأسوا من روح الله. ولم يكتف بهذا، بل كان أمله تزويد أبنائه بأكبر قسط من الأمل الكبير في الكبير المتعال وردهم إليه (٣).

وقد تم له ما أراد فلم يعترض الأبناء على طلبه، بل نراهم متوجهين إلى عزيز مصر منكسرين، باحثين عن أخيه يوسف وكلهم أمل في لقائه، ومهيئين نفسياً لهذا، وراغبين في لقائه، فذهبوا يتحسسون خبره وخبر أخيه. ثم هاهم يدخلون مصر للمرة الثالثة، ولكن دخولاً غير دخولهم السابق، دخولاً فيه ذل وانكسار، وهذا واضح من خلال حديثهم مع عزيز مصر، حيث قالوا: ﴿يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضْعَةٍ مُرَجَّحَةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾ [سورة يوسف ١٢/٨٨]. نعم الضر قد بلغ بهم مبلغه، سواء كان في الأبدان أو الأنفس، أو غيرها.

(١) فتحسسوا: أي فتعرفوا منهما وتطلبوا خبرهما، وقرئ بالجيم، وهما تفعل من الإحساس وهو المعرفة، ومن الجس وهو الطلب. الكشاف ٥٢٨. والتحسس طلب الشيء بالحواس من البصر والسمع، المحرر الوجيز ١٠١٥. والتحسس يكون في الخير، والتحسس يكون في الشر. تفسير ابن كثير ٢/٥٤٠.

(٢) انظر: القصص القرآني ٢/٢١٩-٢٢١. والوحدة الموضوعية في سورة يوسف ٢٢٩-٣٠٠.

(٣) الوحدة الموضوعية في سورة يوسف ٣٠٣.

فقد نفدت بضاعتهم، وقلَّتْ أموالهم، وجاؤوا ببضاعة مخلوطة رديئةٍ ليشترروا بها الحبوب ولم يبق لهم بضاعة جيدة ثمينة. جاؤوا يسترحمونه ويستعطفونه ويرجونه قبول هذه البضاعة؛ في موقف يبين مدى الانكسار النفسي الذي وصل إليه هؤلاء الإخوة^(١).

في هذه اللحظة أيقن يوسف عليه السلام أنه آن الأوان للكشف عن شخصيته لهم، رحمة وشفقة بإخوته وإحساناً منه للصحة لهم.

الآن يفاجئهم بما لم يخطر على بال أحد منهم، فابتدأ حديثه معهم بأسلوب فيه من الرقة والرفق والذكاء ما يخفف عنهم وقع المفاجأة، فأرجعهم إلى الماضي البعيد: ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُ يَوْسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾ [سورة يوسف ١٢/٨٩]؟! فذكرهم بالمؤامرة التي نفذوها للتخلص من يوسف وهو طفل صغير، واعتذر لهم عن فعلتهم وبين سبب هذه الفعلة وهو أنهم كانوا جاهلين في ذلك الوقت ولم يدركوا خطورة فعلتهم، في صورة مثلت الصحة في أحسن صورها، حيث عاتبهم وقدم العذر لهم.

في هذه الأثناء استحضر الإخوة هذه الواقعة، وكانوا يعلمون أن لا أحد من الخلق يعلم بهذا إلا يوسف، عندها سألوا في دهشة ومفاجأة، فقالوا: ﴿قَالُوا أَيْنَ أَنْتَ يَا يَوْسُفُ﴾؟! فجاءت سرعة الإجابة من قبل يوسف لتزيل عنهم وطء المفاجأة وتريح أعصابهم، فقال: ﴿قَالَ أَنَا يَوْسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ [سورة يوسف ١٢/٩٠].

نعم أعلن لهم عن نفسه، وبين لهم أن الله أنعم عليه وعلى أخيه، فهما يتقلبان في منن الله ونعمه وعطاياه، وبين لهم السبب في هذا الإنعام، وأن ما وصل إليه كان بسبب تقوى الله والصبر على أقداره، وهو بهذا يوضح القاعدة الإيمانية الربانية التي سار عليها وكانت سبباً في توفيقه ونجاحه، إنها قاعدة التقوى^(٢) والصبر والإحسان، التي رافقته في جميع مراحل حياته، فقال: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

(١) انظر: القصص القرآني ٢/٢٢٦، والوحدة الموضوعية في سورة يوسف ٣١٦.

(٢) التقوى: اتخاذ ما يقي سخط الله وعذابه بامتثال أوامره واجتناب نواهيه. تفسير ابن سعدي ٤٠.

أما الإخوة فقد وقع في قلوبهم الندم وشعروا بعظم الذنب الذي فعلوه، فهاهم يعلنون اعترافهم بهذا ويقولون: ﴿ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكُ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ ﴾ [سورة يوسف ٩١/١٢].

عند هذا اكتفى يوسف عليه السلام باعترافهم بخطئهم في حقه فسارع إلى إنهاء هذا الموقف المخجل و المخرج لهم، فأعلن تجاوزه عن كل ما فعلوه به وصفح عنهم، وقال: ﴿ قَالَ لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ [سورة يوسف ٩٢/١٢]. أي: لا لوم ولا تقريع ولا تأنيب لكم ولا تذكير بما فعلتم بي بعد اليوم، ليس هذا فحسب بل أعقب هذا العفو بدعاء الرحمن الرحيم أن يغفر لإخوته ويعفو عنهم^(١). وهذا ما فعله رسول الهدى ﷺ عن المشركين يوم فتح مكة حينما قال لهم: ((اذهبوا فأنتم الطلقاء))^(٢).

وبعد هذا التصافي والتسامح طلب يوسف من إخوته العودة إلى أبيهم، لكن هذه المرة معهم البشارة.. إنه قميص يوسف، وطلب منهم إلقاءه على وجهه ليذهب الله به ما ألم به، ويعود مبصراً أقوى مما كان، في معجزة ربانية منه سبحانه وتعالى ليوسف، فقال: ﴿ أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَاَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [سورة يوسف ٩٣/١٢] وطلب منهم أن يرتحلوا بأهلهم^(٣) إليه.

سار الراكب عائداً بالبشارة. وفي أثناء سيرهم شم يعقوب عليه السلام رائحة ابنه يوسف فقال لمن حوله: ﴿ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ ﴾ [سورة يوسف ٩٤/١٢] فرد عليه من حوله برد فيه جفاء وغلظة: ﴿ قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ﴾ [سورة يوسف ٩٥/١٢] أي: إنك ما زلت تفكر في يوسف، وهذا خطأ منك لأن يوسف قد مات، وأكله الذئب.

(١) تفسير ابن كثير ٢/٤٩٠، تفسير ابن سعدي ٤٠٥.

(٢) سبق تخريجه ٦٦.

(٣) المراد بالأهل: أبواهم وأمههم، وزوجاتهم، وأبنائهم.

لكن بعد وصول الركب تقع المفاجأة ويثبت لهم أنه ليس على ضلاله، فهاهو ذا البشير^(١) يقدم بالبشرى، فيلقي قميص يوسف على وجه يعقوب عليه السلام فيرتد إليه بصره، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا﴾^ط عندها أعاد عليهم تلك العبارة التي كان يرددتها في كل مرة يلومونه فيها على تذكر يوسف، فقال: ﴿قَالَ لَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [سورة يوسف ٩٦/١٢].

وعند ذلك أقبل الأبناء على أبيهم معتردين عن كل ما بدر منهم تجاهه وتجاه يوسف، فقالوا: ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾ [سورة يوسف ٩٧/١٢] فقد تذكروا إساءتهم صحبة والدهم، وعلموا أنهم كانوا وراء كل ما حل بأبيهم وأخويهم وأهلهم جميعاً، وأن سبب ذلك هو حسدهم وحقدهم على أخيهم يوسف، فطلبوا من أبيهم أن يطلب المغفرة من الله لهم، كما طلبوه من يوسف، لكن لم يكن قبول يعقوب لعذرهم كقبول يوسف وسرعة استجابته لهم وصفحه عنهم، ولذا قال لهم: ﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [سورة يوسف ٩٨/١٢] وذلك بسبب عمق تأثيره بما فعلوه به وبابنه، وليبين لهم عظم حق الوالدين وعظم إحسان الصحبة لهم.

ثم هاهم يلبون رغبة يوسف فيأخذون أباهم وأهلهم ويتوجهون بهم إلى مصر ليتم جمع الشمل بيوسف، وتتحقق تلك الرؤيا التي رآها في صغره، وقصها على أبيه؛ لقد حان وقت تأويلها. فقال تعالى: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ ءَأْوَىٰ إِلَيْهِ أَبُوْيَهُ وَقَالَ ادْخُلُوا مَعِيَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَأَمِنِينَ﴾ [سورة يوسف ٩٩/١٢] أي: لما أخبر يوسف عليه السلام باقتراحهم خرج لتلقيهم، وأمر الملك أمراءه وأكابر الناس بالخروج مع يوسف لتلقي نبي الله يعقوب عليه السلام، ويقال: إن الملك خرج أيضا لتلقيه.

ثم إن يوسف آوى إليه أبويه لما تلقاهما (ءَأْوَىٰ إِلَيْهِ أَبُوْيَهُ) أي: ضمهما إليه واختصهما بقربه وأبدى لهما من البر والإحسان والتبجيل والإعظام شيئا عظيما. وقال لجميع أهله: (ادْخُلُوا

(١) البشير: هو يهوذا بن يعقوب، كما روي أنه لما قال يوسف: اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأتي بصيرا واثنوي بأهلكم أجمعين، قال يهوذا: أنا ذهبت بالقميص ملطخا بالدم إلى يعقوب فأخبرته أن يوسف أكله الذئب، وأنا أذهب اليوم بالقميص وأخبره أنه حي فأفرحه كما أحزنته. جامع البيان ٦٣/١٣.

مَصْرًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِينَ). أي: من جميع المكاره والمخاوف فدخلوا في هذه الحال السارة، وزال عنهم النصب ونكد المعيشة، وحصل السرور والبهجة. قال تعالى: ﴿ وَرَفَعَ أَبُو يَهُوَى عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا بَنَاتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلْتُ لَكُمْ مِنْ قَبْلُ حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجْتَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ [سورة يوسف ١٠٠/١٢]. فبين أنه رفع أبويه على سرير الملك ومجلس العز، ثم خروا له سجودا على وجه التعظيم والتبجيل والإكرام، وبين أن مارآه لم يكن أضغات أحلام، ثم ذكر حاله وكيف أخرجه الله من السجن، ولم يذكر حاله عندما أخرج من الحب وذلك لتمام عفوه عن إخوته، فكأنه لا يتذكر ذلك الذنب، ثم أردف بذكر إحسان الله على أهله، وعزا ما كان بينه وبين إخوته لنزغات الشيطان، وحمد الله على أن أخزاه ودحره، وجمع بينه وبينهم بعد تلك الفرقة الشاقة، وهذا لطف من الله حيث إنه يصل إحسانه إلى العبد من حيث لا يشعر، فهو العليم بظواهر الأمور وبواطنها، والحكيم في أقواله وأفعاله، وقضائه وقدره^(١).

وهكذا ختمت قصة يوسف مع إخوته بلم شمل وإحسان صحبة. ومما تقدم نخلص إلى:

١. أن الاجتماع وحسن الصحبة نعمة تغيظ العدو، وأعظم عدو هو الشيطان.
٢. أن الحسد والحقد وغيرها من الأخلاق الذميمة هي مما يفسد العلاقات والصحبة بشكل خاص.
٣. مقابلة ما يصيب الإنسان من البلاء بالإيمان والصبر والتقوى.
٤. الصفح عن القريب المسيء إذا تاب واعترف بذنبه.
٥. على المسيء أن يعترف بخطئه ويتراجع عنه ويتوب إلى الله.
٦. على المسيء أن يطلب الصفح ممن أساء إليه، ويتوسل إليه أن يطلب له المغفرة من الله.
٧. ينبغي إذا تمت المصالحة عدم إعادة ذكر سبب العداوة السابقة ولو على سبيل الحمد لله، وإنما يفعله في نفسه سرًّا.

(١) تفسير ابن كثير ٢/٥٤٣، تفسير ابن سعدي ٣٦١.

المبحث الثاني: يوسف - عليه السلام - والنسوة

نحن أمام مثالين للصحة؛ الأول: مثال للصحة الصالحة المتمثل في صحة نبي الله يوسف - عليه السلام - لعزیز مصر وزوجه. والثاني: مثال للصحة السيئة المتمثلة في صحة امرأة العزيز لزوجها والصحة بينها وبين قريناتها من نسوة المدينة.

لقد مر بنا أن السيارة التي أنقذت يوسف - عليه السلام - من الحبّ توجهت به إلى مصر، وهناك بيع كما يباع العبيد. لكن الذي اشتراه توسم فيه الخير، ونظر له نظرة خاصة، ولذا أوصى امرأته بإكرامه كرماً خاصاً، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾ [سورة يوسف ١٢/٢١].

ولما بلغ أشده وأصبح فتى في ريعان الشباب آتاه الله من الجمال والقوة ما جعل امرأة العزيز تُفتتن به، وتراوده عن نفسه.^(١)

ثم بين الحق تبارك وتعالى كيف شاع خير مراودة امرأة العزيز لفتاها، خاصة في هذا المجتمع الذي لا يقيم وزناً للأخلاق والقيم. ولذا نجد أن أسماع النساء تلقته بلهفة، كيف لا وصاحبة تلك القصة امرأة ليست كباقي النساء! إذ كانت زوجة لعزیز مصر المتصرف في شؤونها، وهي التي راودت فتاها ومملوكها عن نفسه بينما هو استعصم. فكانت هذه الأخبار تستهوي نفوس قريناتها إلى سماعها، ومن هنّ في نفس طبقتها، قال تعالى مبيناً كيف انتشر

هذا الخبر: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [سورة يوسف ١٢/٣٠]. أي: (شاع الخبر في أرجاء المدينة ولا كتته الألسن، خصوصاً من النسوة اللاتي كانت الغيبة طبيعية في أوساطهن حيث عشنّ في مجتمع لاه عابث، لا يقيم وزناً لا لدين ولا لقيم، مجتمع يحب إشاعة الفاحشة، ولا أدل على ذلك من عدم تفريق العزيز لما دار بين امرأته ويوسف، ولم يخطر بباله مثل هذا الأمر بتاتاً ولذا بعد ما تبين له من شهادة الشاهد في قصة المراودة لم يزد على أن قال: ﴿يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ

(١) كما قص الحق تبارك وتعالى ما دار بينهما في عدد من الآيات ليس هذا مجال عرضها. ولأن تفاصيل تلك الحادثة قد تخرجنا عما نحن بصدده؛ لذا نحيل القارئ إلى كتب التفسير ليتبين له من خلال هذه القصة الفوائد والعبر.

إِنَّكَ كُنْتَ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿﴾ [سورة يوسف ١٢/٢٩]، وترك يوسف في بيته، ولم يعده عن عينيها بعد ما حدث^(١).

وعندما "وصل خبر ما قامت به امرأة العزيز إلى مسامع هؤلاء النسوة، كان لهن رأي واضح في استنكار ما فعلته، وكانت هذه الآية التي تشير إلى هذه الفئة من نسوة تلك المدينة، وليس المراد بطبيعة الحال كل النساء ولذا جاء التعبير بلفظ (نِسْوَةٌ)^(٢)(٣)". وقد اختلف المفسرون حول هؤلاء النسوة:

❖ فمنهم من قال: إنهن خمس نسوة؛ امرأة خبازِه، وامرأة ساقِيه، وامرأة بوابِه، وامرأة سجانِه، وامرأة صاحب دوابِه^(٤).

❖ ومنهم من قال: إنهن نسوة من طبقة امرأة العزيز الراقية التي تنتمي إليها، وعللوا ذلك بالأسباب التالية:

أ- أن النسوة اللاتي أشير إليهن لا يجهن يوسف، ولا يكون بالتالي خروجه عليهن مستقبلاً بأمر من امرأة العزيز مفاجئاً لهن بالدرجة العالية التي كانت المفاجأة فيها مثلاً.

ب- أن طبقة أولئك النسوة ليست مما تأبه له امرأة العزيز في قليل أو كثير، وإنما تهتم بمن كن في نفس طبقتها، وتعمل لهن خصيصاً تلك المأدبة الفارهة.

ت- أن الذين بدا لهم سجن يوسف هم أزواج أولئك النسوة، فلم يقيموا وزناً لتلك الآيات الدالة على عفة يوسف وطهارته، وإنما أرعوا أسماعهم لنسائهم فكان أن سجنوا يوسف حتى حين^(٥).

(١) الوحدة الموضوعية في سورة يوسف ٣٩.

(٢) النسوة: اسم جمع امرأة لا مفرد له من لفظه. لسان العرب، ١٥/٣٢١ مادة (نسا)، والمفردات ٤٢٩. وهو اسم جمع قلة. وذكر الفعل (وقال نسوة) لأن الفعل المسند إلى ألفاظ الجموع غير جمع المذكر السالم يجوز تجريده من التاء باعتبار الجمع، وقرنه بالتاء باعتبار الجماعة. وأما الهاء في (نسوة) فليست علامة تأنيث بل هي فعلة جمع التكسير. التحرير والتنوير ١٢/٥٣.

(٣) الوحدة الموضوعية في سورة يوسف ٩٢.

(٤) انظر: تفسير ابن كثير ٢/٥٢٧، المحرر الوجيز ٩٩٩، الجامع لأحكام القرآن ٩/١٥١.

(٥) الوحدة الموضوعية في سورة يوسف بتصرف ٩٢-٩٣.

هذه الفئة من النسوة كانت بينهن صحبة سيئة قائمة على تتبع الأخبار، وكنّ يجدن لذة في نقلها من جهة إلى أخرى، وكنّ لا يكتفين بنقل الخبر، بل يبدن جميعاً رأيهن في هذه القضية. ولقد حكى الله جل جلاله ما كان يدور في مجالسهن وعلى ألسنتهن فقال: ﴿وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّا لَنَرُّهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ»﴾ [سورة يوسف ٣٠/١٢].

هذه المقولة منهن متضمنة لوجوه من المكر منها^(١):

الأول: قولهن: (امرأة العزيز)، ولم يسميها باسمها، بل ذكرها بالوصف الذي ينادى عليها بقبيح فعلها، بكونها ذات بعل، فصدور الفاحشة منها أقبح من صدورها ممن لا زوج لها.

الثاني: أن زوجها عزيز مصر وكبيرها، وذلك أقبح لوقوع الفاحشة منها.

الثالث: أن الذي تراوده مملوك لا حرّاً، وذلك أبلغ في القبح.

الرابع: أنه فتاها الذي هو في بيتها وتحت كنفها، فحكمه حكم أهل البيت، بخلاف من طلب ذلك من الأجنبي البعيد.

الخامس: أنها هي المرادة الطالبة.

السادس: أنها قد بلغ بها عشقها له كل مبلغ^(٢) أي: أن هذا الحب قد وصل إلى شغاف^(٣) قلبها فغلب عليها^(٣).

السابع: أنه في خضم هذا أعف منها وأبر، وأوفى، حيث كانت هي المرادة الطالبة، وهو الممتنع، عفافاً وكرماً وحياءً وهذا غاية في الذم لها.

الثامن: أنهم أتين بفعل المرادة بصيغة الفعل المضارع الدال على استمرار الوقوع، حالاً واستقبالا، وأن هذا شأنها، ولم يقلن: راودت فتاها.

(١) ذكرها ابن القيم في كتابه: إغاثة اللفيهان ١٤٠/٢.

(٢) شغف: فعل مشتق من اسم جامد، وهو الشغاف؛ وهو غلاف القلب وحجابه الذي هو فيه. انظر: جامع البيان ١٢/١٩٨، تفسير ابن كثير ٢/٥٢٧. والضمير المستتر في شغفها: عائد على فتاها، ولما فيه من الإجمال جيء بالتمييز بقوله (جبا) وأصله شغفها جبه أي أصاب جبه شغافها، أي: احترق الشغاف فبلغ القلب كناية عن التمكن. التحريروالتنوير ١٢/٥٣، وانظر: المفردات ٢٦٣، لسان العرب ٩/١٧٩ مادة (شغف).

(٣) جامع البيان ١٢/١٩٨، الجامع لأحكام القرآن ٩/١٥١.

التاسع: "أصدرن حكمهن عليها بأنها مازالت في خطأ بين وواضح، إذ مازالت تحب ذلك الفتى"^(١).

ثم إنهنّ جمعن لها في الكلام بين اللوم والعشق المفرط، والطلب المفرط، فلم تقتصد في حبها، ولا في طلبها^(٢).

موقفهن هذا يبين كيف كانت الصحبة فيما بينهن، وأنها كانت قائمة على أسس سيئة ليس فيها حب سيئ ولا تناصح، ولا ذب عن عرض أخت في غيبتها، وإنما كانت قائمة على المصالح الدنيوية، وتنتشر فيها الأخلاق السيئة كالغيبة والنميمة، التي حذر منها الله جل جلاله كما في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة الحجرات ١٢/٤٩].

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ﴾ أي: ما إن وصل إلى مسمعها ما تناقلته النسوة من غيبتها واحتياهن في ذمها، حتى كأنها قد سمعت بأذنها ما قلته عنها حرفاً حرفاً. وقد سمى الحق تبارك وتعالى ما تناقلته النسوة (مكراً) وذلك لكونه خفية منها، وفيه من الخداع وسوء النية وخبث الطوية. قال أهل التفسير في المراد من مكرهن: أنها أطلعتهن واستأمنتن على سرها، فأفشين سرها. وقيل: إنهن قصدن بتلك المقالة إغضاها حتى تعرض عليهن يوسف لتبدي عذرها أو يحق لومها فيفرن بمشاهدته. والمكر هنا حقيقة، ولذا سمي ذلك مكراً^(٣).

هذا المكر القولي منهن قابلته امرأة العزيز بمكر فعلي، فرسمت خطة دقيقة لتبرير موقفها من يوسف أمامهن، وهن اللاتي لمنها لوماً عنيفاً لا هوادة فيه. ولقد علمت ردة الفعل عندهن إذا خرج عليهن في زينته، فقررت دعوتهن جميعاً. فأرسلت إليهن تدعوهن إلى وليمة لتوقعهن

(١) الجامع لأحكام القرآن ٩/١٥١، الوحدة الموضوعية في سورة يوسف ٩٣.

(٢) إغاثة اللفهان ٢/١٤٠ بتصرف.

(٣) جامع البيان ١٢/٢٠١، المحرر الوجيز ٩٩٠، الكشاف ٥١٣، التفسير الكبير ١٨/١٠١، تفسير أبو السعود ٤/٢٧١، الجامع لأحكام القرآن ٩/١٧٧.

فيما وقعت فيه^(١). وقد صور الحق تبارك وتعالى، هذا بقوله: ﴿أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكِنًا وَهَاتَتْ كُلَّ وَحْدَةٍ مِّنْهُنَّ سَكِينًا﴾ وكعادة النساء في دعوة بعضهن أخذت تعد العدة من تهيئة المكان، ﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكِنًا﴾ هيات وأعدت لهن ما يتكئن عليه من النمارق والوسائد^(٢)^(٣).

﴿وَهَاتَتْ كُلَّ وَحْدَةٍ مِّنْهُنَّ سَكِينًا﴾ أي: وانتقت لهن طعاماً معيناً يؤكل باستعمال السكين. فوحدت الأداة من بين أنواع الأدوات اللاتي تقدم عادة في هذه المناسبات، وذلك لغرض في نفسها.

فأخذن يأكلن ويضحكن وفي أثناء تناول الطعام أمرت يوسف -عليه السلام- بالخروج عليهن، قال تعالى: ﴿وَقَالَتْ أَخْرِجِي عَلَيْنَ﴾ أي: أمرته بالخروج على هؤلاء النسوة، وكان لا يملك أن يرفض لها طلباً حيث كان فتى من فتياتها، يسمع ويطيع أمرها. وعندما خرج عليهن تفاجأن به ودهشن لما رأين من جماله، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَيْتَهُ أَكْبَرْتَهُ﴾ أي: عندما رآته أولئك النسوة أكبرنه وأعظمنه^(٤)، حيث لم تر أعينهن جمالا مثل جمال يوسف عليه السلام، الذي قال عنه رسول الله ﷺ: ((أعطي يوسف وأمه شطر الحسن)).^(٥)

وإذا كانت الأذن تعشق قبل العين أحياناً فليس العيان كالبيان، وهؤلاء النسوة وقد رأين يوسف أجمل مما صور لهن، وإذ بهن يقطنن أيديهن دهشاً برؤيته وهن يظنن^(٦) أنهن يقطنن

(١) بتصرف من الوحدة الموضوعية في سورة يوسف ٩٥ .

(٢) جامع البيان ٢٠١/١٢، تفسير ابن كثير ٥٢٨/٢.

(٣) الاتكاء: هو الميل إلى أحد الشقين، وقيل: جلسة قريبة من الاضطجاع على الجنب مع انتصاب قليل في النصف الأعلى. وإنما يكون الاتكاء إذا أريد إطالة المكث والاستراحة، كعادة المترفين كما روي عن ابن عباس: أن المتكأ مجلس الطعام لأهم كانوا يتكئون كعادة المترفين المتكبرين ولذلك نهي عنه. وقال ﷺ: "لا أكل متكأ". أخرجه البخاري في صحيحه (٥٠٦٢/٥ ح ٥٠٨٣)، وفي رواية: أما أنا فلا أكل متكأ. أخرجه ابن حبان في صحيحه (٤٤٤/١٢ ح ٥٢٤٠)، الترمذي في سنن الجامع (٢٧٣/٤ ح ١٨٣٠)، وغيره. التحرير والتنوير ٥٥/١٢، روح المعاني ٢٢٩/١٢.

واختلف في معنى المتكأ: فقيل: نوع من الطعام، وقيل هيئة للجلوس، وغير ذلك من المعاني يرجع فيها إلى التفاسير: جامع البيان ٢٠١/١٢، وتفسير ابن كثير ٥٢٨/٢، الكشاف ٥١٣، الجامع لأحكام القرآن ١٥٢/٩.

(٤) جامع البيان ٢٠٤/١٢.

(٥) أخرجه الحاكم في المستدرک (٦٢٢/٢ ح ٤٠٨٢) وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

(٦) أي: يعتقدن.

الفاكهة بالسكاكين، و لا يشعرون بألم وذلك من وقع المفاجأة،^(١) كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [سورة يوسف ٣١/١٢]. وقلن بصوت واحد ﴿حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا﴾ هذا الموقف جعلهن ينفين عنه صفة البشرية، ويثبتن له صفة الملائكة، لأنه كان من المتعارف عليه أن الجمال والحسن من صفات الملائكة، والقبح من صفات الجن.

أي: ما نرى عليك لوماً بعد هذا الذي رأينا. لأنهن لم يرين في البشر شبيهاً ولا قريباً منه.^(٢) وقد قيل: أثر جمال يوسف على قلوبهن حباً وطرباً، وعلى ألسنتهن ثناءً ومدحاً، وعلى أيديهن دماءً وجرحاً.^(٣)

وعندما رأت امرأة العزيز صويجباتها كيف افتتن بهذا الجمال في هذه اللحظة أو المدة البسيطة التي خرج فيها يوسف عليهن، صارحتهن بموقفها فقالت لهن: ﴿فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ﴾ أي: هذا الذي أصابكن في رؤيتكن إياه في هذه المدة التي نظرتن فيها إليه، وما أصابكن من ذهاب العقل وغروب الفهم ولهاً إليه حتى قطعتن أيديكن هو الذي لمتني في حبي إياه وعيرتني في الافتتان به.^(٤) نعم، هذه حاله وهذه هيئته.

ثم ها هي ذي تعلن لهن خبر مراودتها له بعدما كانت تنكر ذلك فتقول: ﴿وَلَقَدْ رَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ﴾، وذلك لأنه جمعت بيني وبينه صحبة منذ أن كان غلاماً يافعاً إلى أن أصبح فتى فيه صفات الجمال والفتوة.

ولم تكتفِ بالاعتراف بأمر المراودة وأمر الاستعصام، كما في قولها: ﴿فَأَسْتَعَصِمَ﴾ أي: امتنع امتناع معصوم.^(٥)

(١) تفسير ابن كثير ٢/٥٥٢٨، المرأة في القصص القرآني ١/٣١٠.

(٢) تفسير ابن كثير ٢/٥٢٨.

(٣) المرأة في القصص القرآني ١/٣١٠-٣١٢.

(٤) جامع البيان ١٢/٢٠٩.

(٥) استعصم: العين والصاد والميم أصل واحد يدل على أمساك ومنع وملازمة، والمعنى في ذلك كله معنى واحد، ومن ذلك العصمة؛ أن الله يعصم العبد من سوء يقع فيه، واعتصم العبد بالله إذا امتنع، واستعصم، التجأ. مقاييس اللغة ٤/٢٦٩.

بل تجدد طلبها صراحة أمامهن وتنوعده بقولها: ﴿وَلَيْنَ لَمْ يَفْعَلْ مَاءَ امْرَأَةٍ لِيُسْجَنَنَّ وَلِيَكُونَ مِنَّ الصَّغِيرِينَ﴾ [سورة يوسف ١٢/٣٢] أي: لئن لم يفعل ما أمره من أمر المراودة أو تنفيذ أوامري فسوف أستخدم نفوذي وأمر بسجنه حتى يكون من الأذلاء الصاغرين.

وها هو النص القرآني يصرف أنظارنا عما كان بعد هذا اللقاء بيوسف، ليصور لنا حاله إزاء هذه الفتنة " التي هي أعظم أنواع الفتن التي يتعرض لها الرجل، كما قال رسول الله ﷺ: ((ما تركت بعدي فتنة أضرم على الرجال من النساء))^(١)، وقال: ((إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء))^(٢). والثبات أمام هذه الفتنة إنما يكون بالعفة والطهارة والاشتغال بطاعة الله عز وجل والاعتصام به والاستعاذة به منها^(٣). وهذا ما كان من يوسف عليه السلام، فهو بين أمرين: إما الاستجابة لمراودة امرأة العزيز وتلبية رغبتها، وإما السجن. فما كان منه عليه السلام إلا أن اختار السجن على ما فيه من مشقة على النفس على ما يدعى إليه من الاستمتاع المحرم بالمرأة الحسنة مع ما في ذلك من اللذة والشهوة الموقوتة، وارتكاب أمر محرم يغضب الله ولا يرتضيه لعبد من عباده، حيث إن فيه خيانة لله، وخيانة لذلك الرجل الذي أحسن إليه. وفي تحمل هذه المشقة صبر لوجه الله، وأما ما طلب منه فهو معصية تستحق العقاب في الدنيا والآخرة، فنظر إلى جزاء الصبر على المشقة، ولم ينظر إلى ما تشتهي النفس وتحب^(٤).

قال ابن سعدي رحمته الله: "ينبغي للعبد إذا ابتلي بين أمرين: إما فعل معصية، وإما عقوبة دنيوية أن يختار العقوبة الدنيوية على مواجهة الذنب الموجب للعقوبة الشديدة في الدنيا والآخرة"^(٥).

ومن هنا كان إلتجأ يوسف - عليه السلام - إلى مولاه وخالقه ليصرف عنه هذا الابتلاء، فقال عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب ما يتقى من شؤم المرأة، (٥/١٩٥٩ ح ٤٨٠٨)، ومسلم في صحيحه، باب بيان الفتنة بالنساء (٤/٢٠٩٧ ح ٢٧٤٠).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، باب بيان الفتنة بالنساء (٤/٢٠٩٨ ح ٢٧٤٢).

(٣) المرأة في القصص القرآني ٢/٣٤٨.

(٤) الكشاف ٥١٤ بتصرف.

(٥) تفسير ابن سعدي ٣٦٤.

وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿ [سورة يوسف ١٢/٣٣] أي : وإن لم تصرف عني كيدهن في تحبيب ذلك إليّ وتحسينه ^(١) لديّ بأن تثبتي على طريق العصمة وطريق النجاة (أصب إليهنّ) أي: أميل إلى جانبهن، أو إلى أنفسهن على قضية الطبيعة وحكم القوة الشهوانية. وهذا حال الجاهلين. وهذا فرع منه إلى ألطاف الله تعالى جرياً على سنن الأنبياء والصالحين في قصر نيل الخيرات والنجاة من الشرور على جناب الله، وسلب القوى والقدر عن أنفسهم. وهذا مبالغة في استدعاء لطفه سبحانه في صرف كيد النسوة بإظهار أنه لا طاقة له بالمدافعة ^(٢).

فجاءه الرد من ربه سريعاً، فقد قال تعالى: ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [سورة يوسف ١٢/٣٤]. أي: فصرف عنه كيدهن وعصمه عصمة عظيمة؛ حيث امتنع منها أشد الامتناع واختار السجن. وهذا في غاية مقامات الكمال حيث إنه مع شبابه وجماله وكماله، تدعوه سيده صاحبة الجاه والسلطان والجمال، ومع ذلك يمتنع ويختار السجن خوفاً من الله، ورجاء ثوابه ^(٣). فهو كمن قال فيهم رسول الله ﷺ، في حديث السبعة الذين يظلمهم الله تحت ظله، وذكر منهم: ((ورجل دعت امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله)) ^(٤).

عندما علم عزيز مصر وأزواج أولئك النسوة، بخبر يوسف والنسوة، بدا لهم رأي السجن وإبعاد يوسف عن الأنظار، ظناً منهم أن هذا العمل يضعف شوق النسوة ليوسف، وينسي الناس خبر مراودة امرأة العزيز والنسوة ليوسف. قال تعالى: ﴿ ثُمَّ بَدَأْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيْسَ جُنَّتْهُ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ [سورة يوسف ١٢/٣٥] أي: بعدما رأوا الآيات الدالة على براءة يوسف عليه السلام من تهمة مراودة امرأة العزيز، كقميصه الذي قُدّ من دُبُرٍ، كما قال تعالى على لسان الشاهد في تلك القضية: ﴿ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدًّا مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ [سورة يوسف ١٢/٢٧]. وقوله: ﴿ فَلَمَّارَةً قَمِيصُهُ قُدًّا مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنَ

(١) أي: أمر مراودهن. وقد قيل: إنهن جميعاً راودنه عن نفسه. الجامع لأحكام القرآن ١٥٨/٩.

(٢) انظر: تفسير أبو السعود ٢٧٤/٤.

(٣) تفسير ابن كثير ٥٢٨/٢.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب الجلوس في المسجد (١/٢٣٤ ح ٦٢٩)، ومسلم في صحيحه، باب استحباب الركعتين في المسجد، (٢/٧١٥ ح ١٠٣١).

كَيْدِكُنَّ إِن كَيْدُكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ [سورة يوسف ٢٨/١٢]، وبراءته من مراودة أولئك النسوة، بدا لهم سجنه، فأمروا بسجنه. مدة غير معلومة ظلما وجورا، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ جُنَّتُهُ حَقِّي حِينَ﴾

ويدخل يوسف السجن، وتتوالى عليه السنون، حتى أذن الله له بالخروج وذلك عندما عبر لملك مصر الرؤيا التي عجز من حوله عن تعبيرها، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رَأْيِي إِن كُنْتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾ [سورة يوسف ٤٣/١٢]. فما كان منهم إلا أن: ﴿قَالُوا أَضْغَثُ أَحْلَمٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَمِ بِعَالِمِينَ﴾ [سورة يوسف ٤٤/١٢] فأعجب الملك به، وأمر بإحضاره ليكون من المقرين عنده. لكن يوسف - عليه السلام - أبى الخروج من السجن إلا بعد التحقق من براءته ومما نسب إليه زورا، وأنه حبس بلا جرم. فقال لرسول الملك: ﴿قَالَ أَرْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ الَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ [سورة يوسف ٥٠/١٢]. وما ذاك إلا ليعلم الناس براءته قبل خروجه من السجن، حتى لا يظن ظان أنه بعد أن خرج وتبوأ ذلك المنصب استغل نفوذه في بيان براءته.

ولننظر لعبارة يوسف عليه السلام التي فيها حفظ لحقوق صاحب لصاحبه، حيث قال: ﴿أَرْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ الَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ ولم يقل اسأل امرأة العزيز التي راودتني عن نفسي، ومن أمرت بسجني، وذلك حفاظاً على حق العزيز الذي اشتراه ورباه في بيته حتى شب، فكان ذلك رعاية لحسن العشرة منه، فحفظ له حق الصحبة، ولم يعرض به ولا بزوجه التي كانت السبب في سجنه، بل أغفل أمر مراودتها له.

عند ذلك أمر الملك بإحضار النسوة للتحقيق في هذه القضية، فحضرن، وكانت امرأة العزيز من بين الحاضرات، وعندها وجه لهن الملك سؤالاً واحداً فقط، كما حكى المولى جل ثناؤه هذا بقوله: ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاودْتُنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْكُنْ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاودْتُهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [سورة يوسف ٥١/١٢]. ولم يقل لهن: ما دعاكن لتقطيع أيديكن؟ لا، بل كان صريحاً في سؤاله، أي: ما شأنكن في حال مراودتكن ليوسف عن نفسه.

فما كان منهنّ إلا أن نفين عنه السوء فقلن: ﴿قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ﴾ أي: معاذ الله ما علمنا عليه من سوء أي: زنى^(١).

عندها صدحت امرأة العزيز بالحق فقالت: ﴿أَلَنْ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاودَتْهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصّٰدِقِيْنَ﴾ أي: بان ووضح، أنا راودته عن نفسه، وهذا اعتراف صريح منها بأمر المراودة. "ولنظر لذلك التغير في حالها، من امرأة شهوانية مكابرة، عندما افتضح أمرها عند زوجها في حال المراودة الأولى عندما قال تعالى: ﴿وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [سورة يوسف ١٢/٢٥] إذ بها تذب التهمة عن نفسها وتتهم يوسف بمراودتها، ولا تكتفي بذلك بل تطلب سجنه وتعذيبه. رغم براءة يوسف من هذه التهمة بشهادة الشاهد من أهلها"^(٢).

وإذ بها تتحول إلى امرأة عادلة تقول الحق ولا تخشى أحدا، هذا القول منها إظهار لتوبتها وتحقيق لصدق يوسف وكرامته^(٣).

نعم لقد غيرتها صحبتها ليوسف عليه السلام، حيث تعلمت من استعصامه وخوفه من الله وحفظه لعرض زوجها وتأدبه معه حيث لم يعرض بها.

هاهي ذي تعترف أمام الملك وأمام النسوة وتبين لهم خطأها فتقول: ﴿أَلَنْ حَصْحَصَ الْحَقُّ﴾ ولا تكتفي بهذا، بل تثبت ليوسف عليه السلام صفة الصدق والنقاء، الصدق مع ربه والصدق مع العزيز، رغم أن يوسف مازال في السجن، ولم يكن حاضراً في مجلس الملك. ﴿وَإِنَّهُ لَمِنَ الصّٰدِقِيْنَ﴾. وفي هذا دليل على أهمية الصدق، وأنه أساس الأخلاق الحميدة ومنبعها.

ثم ذيلت هذه القصة بقوله تعالى: ﴿ذٰلِكَ لِيَعْلَمَ اَنِّي لَمْ اُخْنَهُ بِالْغَيْبِ وَاَنَّ اللّٰهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخٰٓئِنِيْنَ﴾ [سورة يوسف ١٢/٥٢] التي اختلف تأويلها على قولين:

(١) تفسير ابن كثير ٥٣٣/٢.

(٢) الوحدة الموضوعية في سورة يوسف، الدكتور: حسن باجودة ١٠٥.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ١٧٧/٩.

القول الأول: أن هذه العبارة من تنمة كلام امرأة العزيز، كما يفهم من ظاهر النص والسياق، حيث أقرت بما صنعت وبرأت يوسف ليعلم عليه السلام أنها لم تخنه بالغيب، أي لم تكذب عليه ولم تذكره بسوء حين غيبته بل اعترفت بالحقيقة.

وقيل: أرادت أنها لم تخن زوجها بالوقوع في الزنا في غيبته، لأن رغبتها لم تتحقق فهي تعترف أنها راودت يوسف^(١).

القول الثاني: أن هذه الآية من تنمة كلام يوسف عليه السلام، أي: لم أخنه في زوجته، ولذا رددت رسول الملك ليعلم الملك ووزيره أي لم أخنه في غيبته، وليبين يوسف للناس أمانته وعفته وطهارته. وهذا فضل الله ونعمته وهدايته ورحمته ورعايته وعصمته له^(٢).

ورجح الحافظ ابن كثير رحمه الله: القول الأول وقال: وهو الأقوى والأظهر لأن سياق الكلام كله من كلام امرأة العزيز بحضرة الملك ولم يكن يوسف عليه السلام عندهم، بل أحضره الملك بعد ذلك^(٣).

وعلى أي كان عود الضمير إلا أنه باعتراف النسوة وامرأة العزيز تمت قصة يوسف - عليه السلام - معهن وختمت خاتمة سعيدة، وذلك بتطور شخصيات أولئك النسوة ومن بينهن امرأة العزيز تطوراً منهجياً - سواء على المستوى العام للنسوة، أو المستوى الفردي لامرأة العزيز - للخير والفلاح^(٤).

ومن خلال استعراض هذا المبحث تبين لنا ما يأتي:

١. حسن الصحبة من يوسف - عليه السلام - لسيدة الذي أكرمه، فامتنع عن المعصية بذكر فضله عليه.

٢. أن المؤمن إذا لجأ إلى الله سبحانه تعالى وطلب منه العصمة فإن الله يعصمه.

٣. أن يوسف - عليه السلام - بقي مستعصماً بالله مع تكرار الإغراء بالوقوع في الحرام.

٤. أن المؤمن يقدم الأذى الدنيوي ويصبر على تحمله رجاء ثواب الله والنجاة من عذابه في الآخرة.

(١) الوحدة الموضوعية في سورة يوسف ٣٢٤.

(٢) انظر تفسير ابن كثير ٥٣٣/٢، الجامع لأحكام القرآن ١٧٨/٩.

(٣) تفسير ابن كثير ٥٣٣/٢.

(٤) الوحدة الموضوعية في سورة يوسف ١٠٥. القصص القرآني ١٧١/٢-١٧٥.

٥. أن عاقبة الصبر الفرّج، وأن مع العسر يسراً. إذ خرج يوسف من السجن ليكون حافظاً على خزائن مصر.
٦. أن أهل المعصية لا ينقطع منهم الأمل في الصلاح، فالنموذج الصالح مثل يوسف - عليه السلام - غير نفوس أولئك النسوة من الفساد إلى الصلاح.
٧. أن على الصاحب الحق أن يتنازل عن حقه ويطلب براءته المعنوية على الملأ، وأن ذلك أهم من المكاسب المادية الدنيوية.
٨. أن مهمة الإصلاح والدعوة إلى الحق محفوفة بالمخاطر والأذى وعلى من يتحمل هذه المهمة أن يصاحب من حوله بالحسنى.

المبحث الثالث: يوسف – عليه السلام – وصاحب السجن

نحن أمام محنة من المحن التي ألمت بنبي الله يوسف - عليه السلام- لنرى كيف تغلب عليها وحولها من محنة إلى منحة؛ حيث وجد فيها مجالاً خصباً للدعوة إلى الله، وإقامة العلاقات الطيبة بينه وبين من جمعه بهم هذا المكان. ومن هذه العلاقات كانت علاقة الصحبة.

فبعد أن أصدر القوم الظالمون حكمهم عليه بالسجن مدة غير محددة، قص الحق تبارك وتعالى ما جرى بعد ذلك فقال: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ﴾ [سورة يوسف ١٢/٣٦] أي: لما سجنوه دخل في صحبته لهذا المكان، فتيان^(١) للملك، أحدهما: خبازه، وصاحب طعامه، والآخر: ساقيه وصاحب شرايه.

وكان سبب حبس الملك للفتيين كما روي أن الملك غضب على خبازه حيث بلغه أنه يريد أن يسمه في طعامه، ووافق الساقى على ذلك، فأمر بحبسهما جميعاً^(٢). وأول ما يلحظ على هذين الصاحبين هو السنّ، فهما ممثالان للفتى يوسف، هذه المماثلة من رحمة الله تعالى به، حيث إنها أدعى لقيام علاقة بينهما، وذلك أن المرء آلف لمن هو في سنه، وأكثر إقبالا عليه. وفي دخولهما معه في السجن نوع من التسلية له. ومن هنا نستطيع أن نفهم رغبة الأطراف الطبيعية في مثل هذه المواقف في كسب حب الآخرين، والإقبال عليهم، والاندماج معهم، وإقامة علاقات طيبة تقوم على حسن تعامل بعضهم مع بعض. ويوسف عليه السلام بطبيعته خير من يألف ويؤلف. وقد ضرب المثل الأعلى في السجن؛ دماثة خلق، وحسن معاملة، ولين جانب، وقمة طهر مع جميع أهل السجن^(٣).

(١) الفتى: الشاب، وقد تقع اللفظة على المملوك وعلى الخادم الحر، ويحتمل أن يتصف هذان الشابان بجميع ذلك. الحرر الوجيز ٩٩٤، الجامع لأحكام القرآن ١٦١/٩.

(٢) انظر جامع البيان ٢١٤/١٢، تفسير ابن كثير ٥٢٩/٢.

(٣) الوحدة الموضوعية في سورة يوسف ١١١ بتصرف.

وقد دل على ذلك تقديم لفظة (مع) الذي يدل على الصحبة والمقارنة، لأنها المنشأ لما كان بينهما من الصحبة. فقدم هذا الظرف على كلمة (السجن) لأن الاهتمام بأمر المعية كان أشد من الاهتمام بأمر السجن^(١).

فعندما دخل يوسف - عليه السلام - السجن استمال الناس فيه بحسن حديثه وفضله ونبله، فكان يسلي حزينهم، ويعود مريضهم، ويندهم إلى الخير.

تعامل يوسف مع صاحبيه بأخلاقه الفطرية السمحة، فأحبه الفتيان ولازمه، ونشأت بينه وبينهما صلة وصحبة وأنسا به، وصار موضع ثقتهم^(٢). وأحبه صاحب السجن والقيم عليه، وقال له فيما روي: كن في أي بيوت شئت، فقال له يوسف: لا تحبني يرحمك الله، فلقد أدخلت علي المحبة مضرات؛ أحببني عميت فامتحتن لمحبتها، وأحبني أبي فامتحتن لمحبه لي، وأحبتني امرأة العزيز فامتحتن لمحبتها بما ترى^(٣).

ويشاء الله أن يرى كل من الفتيين رؤيا صادقة في وقت واحد، فقاما بقصها على

صاحبهما وصديقهما يوسف - عليه السلام - كما قال تعالى: ﴿قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي

أَعَصِرُ خَمْراً وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزاً تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبَأْنَا بآيَاتِهِ إِنَّا نَرَاكَ

مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة يوسف ١٢/٣٦]. وطلبا منه أن يعبر لهما ما رآياه، ولم يكتفيا بهذا

الطلب، بل عللا طلبهما منه بوصفه بالإحسان، الذي قال أهل التفسير في معناه أقوالاً منها: ^(٤)

● أن يوسف كان حسن العشرة مع أهل السجن، فهو حسن في أخلاقه، حسن في تصرفاته وسلوكه، ولذا أنسا به.

● وقال آخرون: إنا نراك من المحسنين إذا نباتنا بتأويل رؤيانا هذه.

(١) تفسير أبو السعود ٤/٢٧٥، وروح المعاني ١٢/٢٣٨.

(٢) القصص القرآني ٢/١٤٣.

(٣) تفسير ابن كثير ٢/٥٢٩ والمحرر الوجيز ٩٩٤.

(٤) انظر: جامع البيان ١٢/٢١٦، تفسير ابن كثير ٢/٥٣٠، المحرر الوجيز ٩٩٤، القصص القرآني ٢/١٤٣.

ورجح الإمام ابن جرير رحمته الله القول الأول، وعليه يكون المعنى: "أي: نبئنا بتأويل رؤيانا محسنا إلينا في إخبارك إيانا بذلك، كما نراك تحسن في سائر أقوالك وأفعالك" (١).
ومن هنا يتبين أن السجن لم يؤثر على يوسف تأثيراً سلبياً، فلم يجعله مكتئباً يائساً محبطاً محطماً، وإنما بقي على يقينه وإيمانه وصبره، محافظاً على إحسانه وصلاحه، ولم يفارقه أمله وهدوؤه واستبشاره وتعامل مع هذه المحنة بالصبر والجلد (٢).

ولما كان من علم يوسف - عليه السلام - تأويل الرؤى أخذ يبين لهما تأويل ما رأيا فقال: ﴿قَالَ لَا يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأٌ كُفْرًا تَأْوِيلَهُ﴾ ﴿فِي يَقْظَتِكُمَا﴾ ﴿قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَ مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾ [سورة يوسف ١٢/٣٧]. أي: هذا الذي أذكر أني أعلمه من تعبير الرؤيا مما علمني ربي فعلتمته (٣).

ثم نهض ينحي لهما على الكفر ويحسن لهما الإيمان بالله، ولعله قصد أن يدعوهما إلى الإيمان في هذه الحالة التي بدت حاجتهما إليه ليكون أنجع لدعوته وأقبل لهما، فروي أنه قصد في ذلك وجهين أحدهما: تنسيتهما أمر تعبير ما سألا عنه إذ في ذلك النذارة بقتل أحدهما، والآخر: الطمع في إيمانهما ليأخذ المقتول بحظه من الإيمان وتسلم له آخرته (٤).
فبدأ في عرض دعوته لهما خطوة خطوة، فعرفهما في بدايتها أن علمه الواثق بتعبير الرؤى وتأويل الأحاديث إنما هو هبة ومنحة من الله ربه، ثم أخبرهما أن ربه هو غير ربهما، إذ أنهما يعتبران الملك الذي يحكمهما ربا، مع أنه مخلوق مثلهما، وأما هو فإن ربه هو رب العالمين. وأخبرهما بما كان عليه قومهما من الكفر بربه وإنكارهم للآخرة. فقال: ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ [سورة يوسف ١٢/٣٧].

(١) جامع البيان ١٢/٢١٦.

(٢) القصص القرآني ٢/١٤٤.

(٣) جامع البيان ١٢/٢١٧.

(٤) انظر: المحرر الوجيز ٩٩٤، تفسير ابن سعدي ٣٥٣.

أي: "برئت من ملة من لا يصدق بالله ولا يقر بوحدانيته،^(١) وهم الملك وأتباعه، وهم مع تركهم الإيمان بوحدانية الله لا يقرون بالمعاد والبعث، والحساب، والثواب والعقاب"^(٢).

وبعد أن أوقفهما على كفر قومهما، وبراءته منهم، أخذ يعرفهما على نفسه وعلى أصله الإيماني وما هو عليه من الحق، فقال: ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانُوا لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [سورة يوسف ٣٨/١٢]. إنه سليل بيت نبوة، وإن آباءه أنبياء كرام، كما مدحه بهذا خير البشر ﷺ، حيث قال: ((الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف ابن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم))^(٣).

فبين لهما أنه هجر طريق الكفر والشرك وسلك طريق هؤلاء المرسلين، وكلهم موحدون لله، وهو متابع لهم في توحيد الله وما كان له أو لهم أن يشركوا بالله كما يفعل هؤلاء القوم^(٤).

وهنا نقف مع يوسف الصديق رغم أنه كان غلاماً صغيراً عندما افترق عن أبيه، إلا أن الإيمان لازمه في صغره ولم يفارقه رغم تلك الظروف التي عايشها. ﴿ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا﴾ إذ أكرمنا وجعلنا أنبياء، وأيضاً ﴿وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ إذ أرسلنا إليهم دعاة إلى توحيدهم وطاعته. ولكن أكثر الناس لا يشكرون هذه النعمة، بل إنهم بدلوا هذه النعمة بالكفر، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ [سورة إبراهيم ٢٨/١٤].^(٥)

(١) وساق فظ الترك استجلاباً لهما عسى أن يتوكأ الترك الحقيقي الذي هو بعد الأخذ في الشيء. المخرر الوجيز ٩٩٤.

(٢) انظر جامع البيان ٢١٧/١٢.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٣/١٢٣٧ ح ٣٢٠٢) باب قوله تعالى: [أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت]..

(٤) تفسير ابن كثير ٥٣٠/٢. من القصص القرآني ١٤٦/٢ بتصرف.

(٥) جامع البيان ٢١٨/١٢، تفسير ابن كثير ٥٣٠/٢.

ثم توجه إلى نفوسهما المتعطشة، وناداهما بندااء جميل، يسترعي به سمعهما لما يقول للاهتمام به فقال لهما: ﴿يَصْحَجِي السَّجْنَ﴾ "ناداهما بعنوان الصحبة في مدار الأشجان ودار الأحزان، التي تصفو فيها المودة وتخلص النصيحة ليقبلا عليه ويقبلا مقالاته" (١).
وعبر عنهما بوصف الصحبة دون اسميهما؛ إما لجهل اسميهما عنده إذ كانا قد دخلا السجن معه في تلك الساعة قبل أن تطول المعاشرة بينهما وبينه (٢). وعليه يكون المعنى: يا ساكني السجن، فالمراد بالصحبة هنا سكنى المكان، كما في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾ [سورة البقرة ٨٢/٢] أي: من سكن الجنة، وكذا قوله: ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ [سورة البقرة ٣٩/٢] لمن سكن النار. فذكره للصحبة هنا إما لطول مقامهم فيها (٣)، وإما للإيدان بما حدث من الصلة بينهما، وهي صلة المماثلة في الضراء، والألفة في الوحشة، فإن الموافقة في الأحوال صلة تقوم مقام صلة القرابة وتفوقها (٤). ففي هذه الكلمة تقرب نفسي، أي أن وصفنا الآن متشابه، ولو كنا مختلفين خارج السجن.
ثم بدأ يصدع بدعوته لهما مبيناً لهما الفرق بين ما يعبد، وما يعبدانه وقومهما، فقال لهما: ﴿يَصْحَجِي السَّجْنَ ءَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهِ الْوَّاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [سورة يوسف ٣٩/١٢]. أي: آلهة شتى عاجزة ضعيفة لا تضر ولا تنفع، ولا تعطي ولا تمنع وهي متفرقة ما بين أشجار وأحجار وملائكة وأموات وغير ذلك من العبودات... ﴿خَيْرٌ أَمِ اللَّهِ الْوَّاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ أي: إله له صفات الكمال في ذاته وصفاته وأفعاله، فلا شريك له في شيء من ذلك (٥)، القهار الذي انقادت الأشياء لقهره وسلطانه، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن. ومن المعلوم أن من هذا شأنه ووصفه خير من الآلهة المتفرقة.

(١) تفسير أبو السعود ٢٧٨/٤، روح المعاني ٢٤٣/١٢.

(٢) التحرير والتنوير ٦٤/١٢.

(٣) انظر جامع البيان ٢١٩/١٢، المحرر الوجيز ٩٩٥، والجامع لأحكام القرآن ١٦٤/٩.

(٤) التحرير والتنوير ٦٤/١٢.

(٥) تفسير ابن سعدي ٣٥٣.

وأشار بالتفرق إلى أنه لو تعددت الآلهة لتفرقوا في الإرادة ولعلا بعضهم على بعض، وإذا تفرقت لم تكن آلهة^(١).

ولهذا الاستفهام من يوسف لصاحبيه دور عظيم، إذ حملهما على التفكير وأشعرهما بوجودهما وأهميتهما وحملهما على المشاركة الفكرية الإيجابية^(٢).

ثم بين لهما حقيقة ما يعبدون، مع علمه بما يعبدون، ولكن ليتدرج بهما حتى يصل إلى الغاية التي يريها، فقال: ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنَّ الْحُكْمَ لِلَّهِ آمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا آيَاتَهُ ذَلِكَ الَّذِينَ أَلْفَيْتُمْ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة يوسف ١٢/٤٠]. أي: هذه الآلهة التي تدعون أنها آلهة ليس لها من صفات الآلهة إلا الأسماء التي سميتوها بما من تلقاء أنفسكم وتلقيتوها خلفاً عن سلف، وليس لكم في ذلك حجة أو برهان^(٣).

(إِنَّ الْحُكْمَ لِلَّهِ) أي: إن الحكم إلا لله وحده، فهو المتصرف الذي يأمر وينهى، ويشرع الشرائع ويسن الأحكام. ومن أمره أن تعبدوه وحده لا شريك له، وهذا هو الدين المستقيم الموصل إلى كل خير، وما سواه من الأديان غير مستقيم^(٤).

ولكن أهل الشرك يجهلون هذه الحقيقة، وذلك لتفشي الجهل بينهم واختفاء العلم فيهم، وهو بهذا يبين سببا من أسباب الصحبة السيئة، ألا وهو الجهل، الجهل من الآباء، والجهل من الأبناء، والجهل من الراعي وهو الملك، والجهل من الرعية وهم أهل الحل والعقد، وعامة الشعب، جهلهم بما يعبدون، وجهلهم بترك العلم الضروري الموصل إلى الطريق المستقيم، ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾.

(١) الجامع لأحكام القرآن ٩/١٦٤.

(٢) الوحدة الموضوعية في سورة يوسف ٣٨٧.

(٣) انظر: تفسير ابن سعدي ٣٥٣ وتفسير ابن كثير ٢/٥٣٠.

(٤) بتصرف من تفسير ابن سعدي ٣٥٤.

دعا يوسف عليه السلام صاحبيه لعبادة الله وحده وإخلاص الدين له، ومن المحتمل أنهما استجابا، وانقادا فتمت عليهما النعمة، ويحتمل أنهما بقيا على شركهما، وبهذا قامت عليهما الحجة^(١).

(وبعد أن انتهى من دعوة الفتيين صراحة إلى دين الله، وهي الغاية التي يسعى إليها كل مسلم، فكيف بنبي الله الذي واثته الفرصة ليكون سبباً في إخراج الفتيين من ظلام الشرك إلى نور الإسلام، انتقل - عليه السلام - إلى تعبير الرؤيا وأجاب طلبهما، فقال تعالى مبيناً ما قاله لهما؛ وذلك أنه ابتداء تعبيره لهما بتوطئة لطيفة لهما حيث كرر قوله: ﴿يَصْحَبِي السِّجْنُ﴾ الذي سبق وأن جاء على لسانه ليشعرهما بمدى لطفه بهما وأنسه لهما، وفي تكراره تعميق لكل المعاني السابقة في نفس الفتيين اللذين أخذ كلام يوسف الطيب الصادق يروضهما كي يدخلوا في دين الله ويعبداه وحده لا شريك له)^(٢).

﴿يَصْحَبِي السِّجْنُ أَمَا أَحَدُكُمْ أَفِئْسَى رَبِّهِ خَمْرًا وَأَمَا الْآخِرُ فَيُصَلَّبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ [سورة يوسف ١٢/٤١]. فعبر للذي رأى أنه يعصر خمراً، بأن الملك سيعفو عنه، وسيخرج من السجن، وسيعود إلى خدمة الملك، وسيكون ساقيه، يقدم له الخمر ليشربه، وهذا مستلزم لخروجه من السجن، وهو بشارة له. وأما الذي رأى نفسه يحمل فوق رأسه خبزاً تأكل الطير منه، فإن تأويل رؤياه أنه سيحكم عليه بالقتل، و الخبز الذي تأكله الطير هو لحم رأسه وشحمه، وإنه لا يقبر، بل يصلب في مكان تتمكن الطيور من أكله^(٣).

﴿قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ أي: هذا تأويل رؤياكما، وما وعدتكما به، ووجب حكم الله عليكما بالذي أخبرتكما به^(٤).

(١) تفسير ابن سعدي ٣٥٤.

(٢) بتصرف من الوحدة الموضوعية في سورة يوسف ٣٨٩-٣٩٠.

(٣) انظر: تفسير ابن سعدي ٣٥٤، القصص القرآني ١٤٨/٢.

(٤) جامع البيان ٢٢٠/١٢.

هذه حال الرؤى إذا عبرت ، كما قال رسول الله ﷺ: ((الرؤيا على رجل طائر ما لم تعبر، فإذا عبرت وقعت))^(١).

وروي أنه لما قال لهما ما قال، قال له: ما رأينا شيئاً، فقال: قضي الأمر الذي فيه تستفتيان^(٢). ثم التفت يوسف - عليه السلام - إلى الذي علم أنه ناج من صاحبيه، قال تعالى: ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنَسَهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ [سورة يوسف ١٢/٤٢]. أي: أخبر سيديك بمظلمتي وأني محبوس بغير جرم^(٣). اذكر له شأني وقصتي لعله يرق لي فيخرجني مما أنا فيه^(٤).

يوسف - عليه السلام - أراد أن يوصل الحقيقة إلى الملك، وأراده أن يطلع على تفاصيل قضيته، ولا سبيل للوصول للملك إلا عن طريق صاحب السقيا، الذي عرف نجاته من تفاصيل رؤياه، ومعلوم أن ساقى الملك هو أقرب الناس إليه حيث إنه يقدم له الشراب متى شاء. وبهذا يكون قادراً على مناجاته بما يريد، ولذا طلب منه يوسف أن يذكر قصته عنده^(٥). تحققت رؤيا كل سجين كما أولها له يوسف - عليه السلام - فأخذ أحدهما وقتل وعلق مصلوباً، وجاءت الطير وأكلت من رأسه. وأفرج الملك عن الآخر ومنحه رضاه وأعادته لخدمته.

وانغمس ذاك الرجل في حياة القصر المترفة من جديد، وأقبل على متعتها ولذائدها، ونسى السجن وما فيه، نسي صاحبه السجين يوسف، الذي أول له رؤياه، وطلب منه أن يوصل قضيته للملك^(٦).

قال جماعة من المفسرين: إن الضمير في قوله: ﴿فَأَنَسَهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾ عائد على الناجي، فيكون المعنى؛ أي: أنسى الشيطان السجين المفرج عنه ذكر الله تعالى،

(١) رواه أبو داود في سننه، باب ما جاء في الرؤيا (٤/٣٠٥ ح ٥٠٢٠) وابن ماجه في سننه، باب الرؤيا إذا عبرت وقعت (٢/١٢٨٨ ح ٣٩١٤)، و الإمام أحمد في المسند (٤/١٠٤ ح ١٦٢٢٧)، وصححه الألباني في الجامع الصحيح ٣٥٣٥.

(٢) تفسير ابن كثير ٥٣١/٢.

(٣) جامع البيان ١٢/٢٢٠.

(٤) تفسير ابن سعدي ٣٥٤.

(٥) القصص القرآني ٢/١٤٩.

(٦) المصدر السابق ٢/١٥٠-١٥١.

وذكر ما يقرب إليه، ومن جملة ذلك نسيانه ذكر يوسف الذي يستحق أن يجازى بأتم الإحسان، وذلك ليتم أمر الله وقضاؤه. والذي يرجح هذا القول، أنه صرح به في آية أخرى، فقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَّا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾ [سورة يوسف ٤٥/١٢] (١).

وقال آخرون: إن الضمير عائد على يوسف، أي نسي في ذلك الوقت أن يشتكي إلى الله، وجنح إلى الاعتصام إلى المخلوق (٢).

والذي يظهر أن الضمير عائد على السجين الناجي، لأن الشيطان لا سلطان له على نبي الله يوسف، لأن يوسف عبد من عباد الله المخلصين الذين تكفل الله بعصمتهم من الشيطان، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَنٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ [سورة الحجر ٤٢/١٥].

ثم إن يوسف عندما طلب من صاحبه ذكر قصته عند الملك، لم يكن نسيانا منه الله، ولا اعتماداً منه على غير الله، وإنما هو أخذ بالأسباب المادية مع التوكل على الله المسبب القادر الفعال لما يريد.

ترتب على هذا النسيان، أن الجميع نسي خبر يوسف، نسيه صاحبه الذي أفرج عنه، ونسيه الملك، ونسيه العزيز، ونسيه رجال الدولة. وبذلك طالت مدة حبسه في السجن، ﴿فَلَيْتَ فِي السِّجْنِ بِضَعِ سِنِينَ﴾ (٣) (٤).

ولما أراد الله جلت قدرته، أن يتم أمره، ويأذن بإخراج يوسف من السجن، قدر لذلك سبباً، فأرى الملك رؤيا عجيبة هالته، فجمع علماء قومه وأهل الحل والعقد، كما قال تعالى عنه: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعٌ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَأْتِيهَا الْمَلَأُ أَفْتُونًا فِي رُءُوسِهِمْ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّءُوسِ يَاعْبُرُونَ﴾ [سورة يوسف ٤٣/١٢]. فطالب منهم تعبيراً

(١) انظر: جامع البيان ٢٢٢/١٢، المحرر الوجيز ٩٩٨، وتفسير ابن سعدي ٣٥٤.

(٢) جامع البيان ٢٢٢/١٢، المحرر الوجيز ٩٩٨، الجامع لأحكام القرآن ١٦٦/٩.

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن ١٦٦/٩، القصص القرآني ١٥١/٢ بتصرف.

(٤) البضع: بالكسر المنقطع من العشرة، ويقال لما بين الثلاث إلى العشرة، وقيل: بل هو فوق الخمس ودون العشر.

المفردات ٥٠. وقيل: اسم مبهم من الثلاثة إلى التسعة، وقيل ما فوق الثلاثة ومادون التسعة. التعريفات ٦٦/١.

لهذه الرؤيا، فتحيروا ولم يعرفوا له وجهاً^(١)، وردوا عليه بقولهم: ﴿قَالُوا أَضْغَثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ﴾ [سورة يوسف ٤٤/١٢] أي: إن الذي رأيت أيها الملك اختلاط من الأحلام، بسبب النوم، ولسنا من أهل العلم بهذا، أي بما هو مختلط. فنفضوا عن أنفسهم تعبير الأحلام لا تعبير الرؤى^(٢). وذلك أن الأحلام وحديث النفس ملغاة. والرؤيا هي التي تعبر ويلتمس علمها^(٣). وهم بهذا يدعون الملك إلى أن يصرف النظر عنها، فلا دلالة لها ولا تعبير^(٤).

وعندما علم الساقى حاجة الملك الملحة إلى تأويل هذه الرؤيا، تذكر يوسف، ليس صاحبه السجين الذي أحسن إليه أتم الإحسان، ولكن يوسف المعبر للرؤى، الذي أول له رؤياه وصدق في تأويله، وكذا أول رؤيا الخباز وصدق فيها. وشاهد بنفسه نهايتها. فاستدل بهذا على قدرة يوسف الفائقة على تعبير الرؤى^(٥). فقال للملك ومن معه بصيغة الواثق بما يقول: ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾ [سورة يوسف ٤٥/١٢] أي: أرسلوني إلى يوسف فسوف آتيكم بتأويل الرؤيا. وكان خطاباً للجمع في قوله: (أَنَا أُنَبِّئُكُمْ) وذلك لأن الرؤيا لم تعد لهم الملك وحده، بل أهدت أهل الحل والعقد الذين عجزوا عن تأويلها، فأرسلوه.

فجاء يوسف وكله أمل وثقة في أن يؤول له هذه الرؤيا التي شغلت الناس، فبدأ كلامه مع يوسف بوصفه كثير الصدق، فقال: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ﴾ أي: يامن كنت صادقاً في كلامك وتأويلك وأخبارك، وفي سلوكك، وتصرفاتك، صادقاً في صحبتك.

(١) تفسير ابن سعدي ٣٥٤.

(٢) الأحلام: جمع حلم، يقال، حلم الرجل إذا خيل إليه في منامه، والأحلام مما أثبتته الشريعة حيث قال رسول الله ﷺ: "الرؤيا الصالحة من الله، والحلم من الشيطان، فإذا حلم فليتعوذ منه، وليبصق عن شماله فإنها لا تضره". (أخرجه البخاري في صحيحه) (باب الرؤيا الصالحة ٦/٢٥٦٣ ح ٦٥٨٥) وبنحوه عند مسلم (٤/١٧٧١ ح ٢٢٦١). (المفردات ١٢٩، المحرر الوجيز ٩٩٨).

(٣) المحرر الوجيز ٩٩٨.

(٤) القصص القرآني ٢/١٥٤.

(٥) انظر: المصدر السابق ٢/١٥٥.

فالصدق كان صفة بارزة فيه، فهو صادق في عفته وطهارته، وترفعه عن الفواحش والمنكرات، وفي نجاحه في الابتلاءات، وتجاوزه للمحن، واستعلائه على الفتن، وفي اتصاله بالله وحسن مراقبته له، وذكره له، وبقينه بما عنده وتوكله عليه في دعوته، ونصحه للآخرين، وفي صبره وتحمله وإخلاصه و تجرده.

شرع الساقى في نقل رؤيا الملك كما سمعها بلا زيادة ولا نقصان، وأعقب كلامه بأنه موفد من الملك وحاشيته، وأن القوم بانتظاره لمعرفة تأويل هذا، وهم متشوقون لتعبيرها وقد أهتمهم^(١). كما قال تعالى: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخْرَىٰ سَبْعٌ لَعَلَّ الْإِنسَانَ لِيَفِئْتَهُنَّ الْوَيْلُ﴾ [سورة يوسف ٤٦/١٢].

يوسف الصديق - عليه السلام - استقبل هذا الساقى بكل ترحيب، ولم يعنفه على نسيانه - لأن اللوم والتعنيف ليسا من سجايا الأصحاب - بل استمع إليه، وأجابه لما أراد، من غير اشتراط إخراجه من السجن قبل تأويل الرؤيا^(٢).

فعبر تلك الرؤيا ولم يكتفِ بذلك، بل أرشدهم لما فيه صلاحهم، فقدم للملك النصائح النافعة والتوجيهات السديدة ليحسن التصرف، ووضع لهم الخطة المتكاملة لمواجهة الشدائد القادمة. وذلك ليظهر لهم موهبته وخبرته وعلمه، ليعرفوا أهليته وفضله^(٣).

فشرع في تأويل تلك الرؤيا، قال تعالى: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَابًّا﴾ [سورة يوسف ٤٧/١٢] أي: يأتيكم الخصب والمطر سبع سنين متواليات، ففسر السبع البقرات بالسنين، لأنها تثير الأرض التي تستغل منها الثمرات والزروع، وهن السنبلات الخضر، ثم أرشدهم إلى ما يعتدونه في تلك السنين، فقال: ﴿فَأَحْصِدْهُمْ فِى سُنْبُلِهِ إِذْ لَقِيْلًا مِّمَّا نَأْكُلُونَ﴾ أي: مما استغللتم في هذه السبع الخصب، فادخروه في سنبله ليكون أبقى له وأبعد عن إسراع الفساد إليه، إلا المقدار الذي تأكلونه، وليكن قليلاً قليلاً، لا تسرفوا فيه لتتفعوا به في السبع الشداد، ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ كُنَّ مَقَدِّمَاتٍ لَهَا قَلِيْلًا مِّمَّا حَصَّنُوا﴾ [سورة يوسف ٤٨/١٢]

(١) بتصرف من القصص القرآني ٢/١٥٧.

(٢) تفسير ابن كثير ٢/٥٣٢، تفسير ابن سعدي ٣٥٤.

(٣) القصص القرآني ٢/١٥٩.

أي: السبع السنين المحل التي تعقب هذه المتواليات، وهن البقرات العجاف اللاتي تأكل السمان، لأن سني الجذب يؤكل فيها ما جمع في سني الخصب، وهن السنبلات اليابسات، وأخبرهم أنهم لا ينبتن شيئاً، وما بذروه فلا يرجع منه شيء، وهنا تتم رؤيا الملك^(١).

لكن يوسف لم يكتف بهذا، بل بشرهم بعد هذا الجذب العام الذي أصابهم، أنه يأتيهم عام فيه يغاث الناس، فقال: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْرِضُونَ﴾ [سورة يوسف ٤٩/١٢] أي: "عام تكثر فيه الأمطار والسيول، وتكثر فيه الغلات، وتزيد على أقواتهم حتى إنهم يعصرون العنب، ونحوه زيادة على أكلهم. وذلك لأنه - عليه السلام - فهم من التعبير بالسبع الشداد أن العام الذي يليها نزول به شدتها، ومن المعلوم أنه لا يزول الجذب المستمر سبع سنين متواليات، إلا بعام مخصب جداً، وإلا لما كان للتقدير فائدة"^(٢).

وعندما عاد الساقى إلى الملك وأخبره بالتأويل - انتهى دوره - فأعجب الملك بتأويل يوسف، وعرف فضله، وعلمه، فأصدر حكمه بالعفو عن يوسف، وأمر بإخراجه من السجن وإحضاره إليه ليكون من حاشيته، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَيَّ رَبِّكَ فَسَأَلَهُ مَا بَالَ النِّسْوَةِ الَّتِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ [سورة يوسف ٥٠/١٢] لكن يوسف أبى الخروج إلا بعد التثبت من براءته مما نسب إليه زورا .

ثم بعد أن تبينت للملك براءته بشهادة النسوة وشهادة امرأة العزيز - كما تقدم بيانه في المبحث السابق - أمر بإحضاره. وفي أثناء المقابلة بينهما طلب منه يوسف أن يوليه خزان الأرض ليديرها بكل أمانة، وليحقق له ولهم الأمن والسلام.

وهذا يتم فضل الله ومنتته على يوسف قال سبحانه وتعالى: ﴿وَكَذَلِكَ يَجْنِبُكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلِ إِبْرَاهِيمَ وَاسْمَعَىٰ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [سورة يوسف ٦/١٢] وقال: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة يوسف ٢١/١٢].

(١) تفسير ابن كثير ٥٣٢/٢.

(٢) تفسير ابن سعدي ٣٥٥.

ومن خلال ما تقدم نستخلص بعض فوائد من صحبة يوسف - عليه السلام-
لصاحبي السجن، ومنها:

١. أن الصحبة التي جمعت بين يوسف وصاحبي السجن كانت قائمة على المودة والألفة في ذلك المكان المعزول، دار الأحزان والأشجان.

٢. يوسف عليه السلام ارتقى بتفكير وإدراك صاحبيه، وذلك من خلال تدرجه في الدعوة ليأخذ كل منهما بحظه.

ومن ثمار هذا الرقي في التفكير، أن الناجي منهما وهو ساقى الملك عندما واتته الفرصة للتفكير وإبداء الرأي، انبرى لتأويل الرؤيا التي عجز عنها أصحاب الحل والعقد من حاشية الملك، فعرض عليهم أن يأتيهم بتأويلها، وذلك من خلال تذكره لصاحبه يوسف.

٣. أن الصدق هو الأساس الذي قامت عليه الصحبة بين يوسف وصاحبيه. الصدق في دعوتهما إلى عبادة الله، وحرصه على أن يأخذ كل منهما بحظه من الإيمان خاصة من علم أنه مقتول لا محالة. والصدق في تأويله لرؤياهما. كذلك صدقه في تأويل رؤيا الملك، والصدق في حسن التدبير. كما أن نهاية المحن التي ألمت به كانت خاتمتها الشهادة له بالصدق، ومنها محنة القميص، ومحنة النسوة، ومحنة السجن.

٤. في هذا المبحث تبين مدى تأثير الصاحب على صاحبه سلباً وإيجاباً، ومن ذلك أن يوسف لم يؤثر عليه السجن، ولم يبطه الجو الكثيب الذي يكون فيه، بل زرع هو القوة في شخصية صاحبه الذي خرج من السجن.

الفصل الرابع: الصحبة في سورة الكهف:

المبحث الأول: صحبة أهل الكهف.

المبحث الثاني: صحبة صاحب الجننتين.

المبحث الثالث: صحبة موسى . عليه السلام . لفتاه.

المبحث الرابع: صحبة موسى . عليه السلام . للعبد الصالح.

إن المتأمل في القصص الواردة في سورة الكهف يجد أنها مثلت الصحبة الصالحة في كل قصة من قصصها؛ فنجد أسس الصحبة الصالحة متمثلة في قصة أولئك الفتية الذين جمعهم الإيمان بالله،" وكان المنطلق الذي أدى إلى انتقاء أخوتهم وتوحيد كلمتهم، واندفاع همتهم في الطريق الذي اختاروه لأنفسهم من الوقوف في وجه الطغيان وترك رغد العيش والعصيان فراراً بدينهم في سبيل الله".^(١) وكان هذا قاعدة وأساساً لهذه الصحبة ثم عضد بالمحبة وحسن الظن والتناصح، فقامت بينهم أفضل صحبة حتى إنه من بركتها نال الكلب شرفها أيضاً. ونجد أثر الصاحب الصالح على صاحبه، في قصة صاحب الجنتين، عندما قدم له النصيح لصاحبه الذي افتتن بماله وولده.

ومثل لنا نبي الله موسى - عليه السلام - أدب الصحبة في السفر مع فتاه. وتمثلت آداب الصحبة مع العالم، في قصة موسى - عليه السلام - مع العبد الصالح. وفي سورة الكهف قصص أخرى تمثلت فيها الصحبة لم أتعرض لها تجنباً للإطالة مثل؛ قصة ذي القرنين، وصحبة النبي ﷺ لقومه، ومع ضعفاء المؤمنين، وغيرها. وفي هذا الفصل سنقصر الحديث على المباحث الآتية:

١. المبحث الأول: صحبة أهل الكهف.
 ٢. المبحث الثاني: صحبة صاحب الجنتين.
 ٣. المبحث الثالث: صحبة موسى . عليه السلام . لفتاه.
 ٤. المبحث الرابع: صحبة موسى . عليه السلام . للعبد الصالح.
- علنا نخرج من هذه المباحث بالعظات والعبر التي تفيدنا في مجال الصحبة.

(١) تعلم الحياة مع قصص سورة الكهف، يزن أحمد عبده، دار العلوم، عمان، الأردن، ط: الأولى، ٢٠٠٥م. ٣٥.

المبحث الأول: صحبة أهل الكهف

جاءت قصة أصحاب الكهف كإحدى آيات الله العجيبة، الدالة على قدرته سبحانه على البعث، وكانت جواباً من الله جل ثناؤه للتساؤلات التي طرحها المشركون بمعاونة من اليهود^(١).

قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾ [سورة الكهف ٩/١٨] فجاءت الإجابة عنها واضحة جلية على لسان خير البشر ﷺ وحياً مُبَلَّغاً، فقال تعالى: ﴿مَنْ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ [سورة الكهف ١٣/١٨]. فأخبر الله سبحانه أن أمر هؤلاء الفتية ليس بأعجب من خلق السموات والأرض وما فيهن من آيات الله، بل أمرهم يعد إحدى الآيات العظيمة الدالة على كمال قدرته سبحانه وتعالى على البعث بعد الموت، وأنه على كل شيء قدير ولا يعجزه شيء. بل إن أمرهم يعد تأصيلاً للعقيدة الصحيحة، والمنهج التطبيقي لما يجب أن يكون عليه فكر الإنسان السوي مع آيات الله، وهو التدبر والتفكير في مخلوقات الله لأن هذا هو الطريق الذي يقود للإيمان الصحيح.

(١) روى عن ابن عباس، رضي الله عنهما، أنه قال: بعثت قريش النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط إلى أحبار اليهود بالمدينة فقالوا لهم: سلوهم عن محمد وصفوا لهم صفته وأخبروهم بقوله، فإنهم أهل الكتاب الأول، وعندهم ما ليس عندنا من علم الأنبياء. فخرجوا حتى أتيا المدينة فسألوا أحبار اليهود عن رسول الله ﷺ ووصفا لهم أمره وبعض قوله. فقالوا لهما: سلوه عن ثلاث، فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل، وإن لم يفعل فالرجل متقول! سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان أمرهم فإنه كان لهم أمر عجيب، وسلوه عن رجل طواف بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان نبؤه، وسلوه عن الروح ما هو. فأقبلا حتى قدما على قريش، فقالوا: قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد. فجاءوا رسول الله ﷺ فسألوه. فقال: أخبركم غدا بما سألتكم عنه ولم يستثن. فانصرفوا، ومكث رسول الله ﷺ خمس عشرة ليلة لا يحدث الله في ذلك إليه وحياء، ولا يأتيه جبريل؛ حتى أرحف أهل مكة، وحتى أحزن رسول الله ﷺ مكث الوحي عنه، وشق عليه ما يتكلم به أهل مكة، ثم جاءه جبريل من الله بسورة أصحاب الكهف فيها معاتبته إياه على حزنه عليهم، وخبر ما سألوه عنه من أمر الفتية والرجل الطواف. لباب النقول ١٤٣/١، السيرة النبوية ١٤٠/٢.

قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ فَتِيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَهُمْ هُدًى﴾ هؤلاء الفتية،^(١) لم يرد في الكتاب العزيز ولا في السنة المطهرة ذكر أسمائهم أو قريتهم، إنما ذكر الله قصتهم مجملة ثم فصل ما يحتاج إلى تفصيل، ليبين الغاية من قصتهم وهو تمكن الإيمان في قلوبهم، واجتماعهم عليه، وقيام الصحبة بينهم على هذا الأساس، "فكان هذا سبباً في الاستمرار على الحق، والفوز بالمعية والعناية الإلهية"^(٢).

(فابتدأت قصتهم بمحل العبرة الصادقة والقدوة الصالحة، وهو التجاؤهم إلى ربهم واستجابته لهم. فبين أنهم مجموعة من الشباب من صالحى الأمم السالفة، ثبتوا على دين الحق في وقت شيوع الكفر والباطل. فقد عاشوا في زمن ملك كافر مشرك يعبد الأصنام ويذبح لها، ويحمل الناس على الكفر ويستعين بمن معه من الكهنة والسدنة الذين يرسخون مفاهيم الكفر في الناس، ويصرفون أنظارهم إلى الخرافات والأساطير ليعبدوهم عن دين الحق. فتبعه أهل المدينة، إلا هؤلاء الفتية فقد امتن الله عليهم بنعمة انشراح صدورهم للإيمان، كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ فَتِيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَهُمْ هُدًى﴾. وقد اختلف المفسرون في إيمان هؤلاء؛ فقليل: إنهم آمنوا إما بفطرتهم السليمة وعقولهم الراجحة التي قادتهم إلى الإيمان، أو أن ما كانوا عليه نابع من أصول شرعية من بعض الحواريين، أو من بعض مؤمني الأمم السالفة)^(٣).

هؤلاء الفتية اختاروا الإيمان بالله وحده لا شريك له، ولما وقر الإيمان في قلوبهم زادهم إيمانهم بربهم وبصيرة بدينهم وهدى، حتى صبروا على هجران دار قومهم والهرب من بين أظهرهم بدينهم، فلما علم الله منهم الصدق والإخلاص أمددهم^(٤).

ولقد تباينت آراء المفسرين حول الهدى الذي زادهم الله. فمن قائل: إن الهدى هو العلم النافع والعمل الصالح^(٥). ومنهم من قال: الهدى التثبيت على الدين وإظهار مكنوناته ومحاسنه^(١).

(١) فتية: جمع قلة، مفردة: فتى وهو الشاب المكتمل. التحرير والتنوير ١٥/٢٤.

(٢) تعلم الحياة مع قصص سورة الكهف ٣٦.

(٣) انظر: المحرر الوجيز ١١٧٦، الجامع لأحكام القرآن ١٠/٣١٢، التحرير والتنوير ١٥/٢٠-٢١، تأملات في قصة أصحاب الكهف، الدكتور: أحمد محمد الشرقاوي، حولية كلية أصول الدين جامعة الأزهر، العدد ١٧ السنة ١٤٢٠هـ-٢٠٠٤م، مبحث في صفحة الشيخ الشرقاوي في موقع صيد الفوائد.

(٤) جامع البيان ١٧/٣٢١، مع قصص السابقين في القرآن ٦/٥١.

(٥) تفسير ابن سعدي ٤٢١.

وهناك من قال: التقوية بالصبر على هجران الأوطان والنعيم، والفرار بالدين^(٢). وقيل: التيسير للعمل الصالح، والانقطاع إلى الله، ومباعدة الناس والزهد في الدنيا^(٣).

وبعد هذا، هاهي ذي العناية الإلهية تحيط بهم فتربط على قلوبهم بالصبر والثبات، قال تعالى: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ وعبر بالربط ليبين شدة عزمهم وقوة صبرهم على مخالفة قومهم، وصبرهم على مفارقة ما كانوا عليه من العيش الرغيد. فكانت قلوبهم مطمئنة، وهذا من لطف الله بهم وبره أن وفقهم للإيمان والهدى والصبر والثبات والطمأنينة^(٤).

وقد تقدم أن من أهم أسس الصحبة الصالحة أساس الإيمان. وهؤلاء الفتية اجتمعت فيهم خصال الصحبة الصالحة، فكانت الصحبة فيما بينهم قائمة على أساس الإيمان بالله، والإخلاص والمحبة والتناصح فيما بينهم، وهذا سبيل لتآلف القلوب وتعارف الأرواح واجتماع الكلمة، كما جاء في قوله ﷺ: ((الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف، وما تنافر منها اختلف))^(٥).

وبعد أن تبين لهم الحق هاهم يجمعون على مقت ورفض ما كان عليه قومهم من الضلال والبعد عن الله. (ولم يكتفوا بهذا بل قاموا بتقديم النصح والدعوة لقومهم، وتبيين ما هم عليه من الخطأ. قال تعالى عنهم: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا﴾ [سورة الكهف ١٨/١٤] فبينوا في هذه الآية حقيقة من يُعبد، وهو أن من خلق السموات والأرض، وخلق الخلق، ورزقهم هو المستحق للعبادة، وليست تلك الأصنام التي عبدوها.

(١) تفسير أبو السعود ٥/٢١٠.

(٢) الكشف ٦١٣.

(٣) انظر المحرر الوجيز ١١٧٩، الجامع لأحكام القرآن ١٠/٣١٨، وقيل: إن هذه الآية دليل على أن الإيمان يزيد وينقص. تفسير ابن كثير ٣/٨٣.

(٤) انظر تفسير ابن كثير ٣/٨٣، الجامع لأحكام القرآن ١٠/٣١٨.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب الأرواح جنود مجندة (٣/١٢١٣ ح ٣١٥٨)، من حديث عائشة ؓ، ومسلم في صحيحه، باب الأرواح جنود مجندة (٤/٢٠٣١ ح ٢٦٣٨) من حديث أبي هريرة ؓ.

ثم بينوا أنهم لن يدعوا إلهاً غيره، و بينوا إن هم فعلوا ذلك ودعوا غيره فإنهم في شطط عن الحق، وفي طريق بعيدة عن الصواب^(١).

وطالبوا قومهم بالإتيان بالحجج والبراهين الدالة على صدق ما هم عليه، و بينوا أنهم لن يستطيعوا سبيلاً إلى ذلك، وأن ما هم فيه من قبيل الافتراء والكذب على الله، وهذا من أعظم الظلم^(٢). قال تعالى: ﴿ هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ إِهْلَهُمْ لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ [سورة الكهف ١٥/١٨]

(فما كان من قومهم وملكهم إلا أن وقفوا ضدهم وهددوهم وتوعدوهم بالرحم حتى الموت إن لم يعودوا عما هم عليه - كعادة الطغاة والجبابرة- وعندما علموا أنهم لا يستطيعون مواجهة قوة وجبروت قومهم لقتلهم وقلة عتادهم، فما كان منهم إلا أن اختاروا الفرار بدينهم، واعتزال الناس، فتركوا الأهل والمال وزينة الحياة الدنيا خلفهم)^(٣)، وفضلوا العزلة في كهف مقفر بعيد عن أنظار المتربصين بهم. كما حكى المولى جل ثناؤه ما دار بينهم من حديث وما خرجوا به من قرارات، فقال: ﴿ وَإِذِ اعْتَرَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْوْا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا ﴾ [سورة الكهف ١٦/١٨].

وكانوا من قبل قد دعوا الله بدعوة صادقة من قلوب خالصة و نفوس زكية ترجو رحمة ربها وتلتمس رشده^(٤)، قال تعالى: ﴿ إِذِ أَوْى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾ [سورة الكهف ١٠/١٨]. "أي: يسر لنا ما نبتغي وما نلتمس من رضاك، والهرب من الكفر بك ومن عبادة الأوثان التي يدعوننا إليها قومنا رشداً يقويننا، وسداداً إلى العمل بالذي تحب"^(٥).

(١) والشطط: الإفراط في مخالفة الحق والصواب، التحرير والتنوير ٣٠/١٥، الجور وتعدى الحد والغلو المحرر

الوجيز، ١١٧٩، الباطل والكذب والبهتان، تفسير ابن كثير ٨٤/٣.

(٢) بتصرف من تفسير ابن سعدي ٤٢٢.

(٣) العواصم من الفتن في سورة الكهف، عبد الحميد طهماز، دار القلم، دمشق، دار المنار، بيروت، ط: الأولى ١٤١٧هـ. ٥١ بتصرف.

(٤) تأملات في قصة أصحاب الكهف.

(٥) جامع البيان ٢٠٠/١٥.

وقال الشيخ ابن سعدي رحمه الله: "رشدا: أي ما تثبتنا به وتحفظنا به من الشر وتوقفنا للخير، وتيسر لنا كل سبب موصل إلى الرشد، وأصلح لنا ديننا ودينانا. فجمعوا بين السعي والفرار من الفتنة إلى محل يمكن الاستخفاء فيه وبين التضرع وسؤال الله لهم بتيسير أمورهم، وعدم اتكالهم على أنفسهم أو على أحد من خلقه"^(١).

فكان أن عمهم الله بفضلهم، وشملهم برحمته، وأحاطهم بعنايته. وبهذا جمعوا بين أمرين؛ رحمة الله بهم وإرشاده لهم^(٢).

ثم إنهم قد أحسنوا الظن بالله حين جمعوا بين التبرؤ من حولهم وقوتهم وصدق التجائهم إليه في صلاح أمرهم، ودعائه بذلك وبين الثقة بأن الله سيفعل ذلك، لا جرم أن نشر لهم من رحمته وهياً لهم من أمرهم مرتفقاً. فحفظ لهم دينهم، وجعلهم آية على خلقه، ونشر لهم من الثناء الحسن ما هو من رحمته بهم ويسر لهم كل سبب حتى المحل الذي ناموا فيه كان في غاية ما يمكن من الصيانة^(٣).

﴿فَأَوَّأَ إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ وفي الكهف ينكشف العجب في شأن تلك القلوب المؤمنة، التي فضلت اعتزال الناس، وهجر الديار، ومفارقة الأهل والخلان، والتجرد من زينة الحياة الدنيا، واختارت العيش في كهف ضيق مظلم خشن بمكوناته، فسيح رحيب برحمة الله. وهذا ما تشير إليه لفظة (يَنْشُرْ) التي تدل على البسط والسعة، والتيسير والستر^(٤).

سار الفتية نحو الكهف، وتبعهم كلب لعله لأحدهم ولازمهم^(٥)، ولقد تكرر ذكره في ثنايا قصتهم أربع مرات وفي هذا ما يدل على شرف صحبة الصالحين، وفيه ما يدل على ثمره الصحبة الطيبة وعموم نفعها وشمول بركتها^(٦).

(١) بتصرف من تفسير ابن سعدي ٤٢١.

(٢) تأملات في قصة أصحاب الكهف.

(٣) تفسير ابن سعدي ٤٢٢.

(٤) جامع البيان ٣٠٩/١٥، تفسير أبو السعود ٢١١/٥، تفسير الخازن ٣٠٤/٤.

(٥) خاض بعض المفسرين في اسمه ولونه وسبب لحاقه بهم، وليس هذا مقام بحث هذه المسألة، ولا فائدة ترجى فيها.

(٦) تأملات في قصة أصحاب الكهف.

وعندما دخل هؤلاء الفتية الكهف ناموا متوكلين على الله مفوضين أمرهم إليه، ثقة برحمته. وشاء الله سبحانه وتعالى أن يمتد نومهم ويطول حتى يتجاوز حدود الليالي والشهور إلى السنين والقرون. قال تعالى: ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴾ [سورة الكهف ١٨/١١]. هذا عبارة عن إلقاء الله تعالى عليهم النوم. فضرب على آذانهم حجاباً مانعاً عن السماع، فلا يسمعون شيئاً يوقظهم، فسد آذانهم من نفوذ الأصوات إليها. والمعنى: أنامهم إنامة ثقيلة لا تنبهم فيها الأصوات^(١).

ثم صور الحق تبارك وتعالى حالهم داخل الكهف، وما سخر لهم من جنوده، فقال جل ثناؤه: ﴿ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزْوُرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا ﴾ [سورة الكهف ١٧/١٨-١٧].

(فأمر الشمس أن تدخل إلى كهفهم ولكن لا تمس أجسادهم، حتى لا تؤذيها، فكانت عند الصباح تميل عن أجسادهم، فلا تقع عليها، وكانت عند الغروب تميل عنها كذلك، فلا تأتيها.

وكذلك من آيات حفظ الله لهم، أن كانت عيونهم مفتوحة رغم أنهم نائمون، وذلك لئلا تفسد وتبلى، وليدخل إليها الهواء، فيكون هذا أبقى لها، ولتكون أداة تخويف لمن ينظر إليهم، فلا يمد إليهم يده بسوء، فلو اطلع عليهم أحد لولى منهم فرارا، وملتئ منهم رعبا. ثم كان تقليب الله لهم ذات اليمين وذات الشمال مزيداً كرامة لهم، وحفظاً لأجسادهم من أن تأكلها الأرض^(٢).

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن ٣١٦/١٠، العواصم من الفتن في سورة الكهف ٥٥، وعبر بالماضي في قوله (ضربنا) ليدل على قوة المباشرة واللصوق، واللزوم، وذكر الجار التي هي الأذن لأن منها يكون السمع، ولا يستحكم النوم إلا مع تعطل السمع.

(٢) التقلب: تغيير وضع الشيء من ظاهره إلى باطنه، واختار الفعل المضارع للدلالة على التجدد والاستمرار وليدل على أن التقلب كان دائما مستمرا. وهذا فيه كرامة لهم حيث أجرى عليهم حال الأحياء الأيقاظ فجعلهم تتغير أوضاعهم عن أيمانهم وعن شمائلهم، والعكس. التحرير والتنوير ٣٦/١٥.

ومن كمال عنايته وحفظه لهم، أن جعل كلبهم يجلس على عتبة الباب كعادة الكلاب، ويبسط ذراعيه وينام مثلهم، ولكن لم يشمله التقليل، بل بقي على حاله تلك المدة ليبين الغرض من وجوده معهم وهو حراستهم، فلم يجرؤ أحد على الاقتراب منهم وكلبهم على هذه الحالة^(١).

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: "شملت كلبهم بركتهم، فأصابه ما أصابهم من النوم على تلك الحالة، وهذه فائدة صحبة الأخيار، فإنه صار لهذا الكلب ذكر وخبر وشأن"^(٢).

وقال الإمام القرطبي رحمه الله: "إذا كان بعض الكلاب قد نال هذه الدرجة العليا بصحبته ومخالطته الصالحاء والأولياء حتى أخبر الله تعالى بذلك في كتابه، فما ظنك بالموحدين المؤمنين المخالطين المحبين للأولياء والصالحين، بل في هذا تسلية وأنس للمؤمنين المقصرين عن درجات الكمال المحبين للنبي صلى الله عليه وسلم"^(٣).

توالت الأيام والشهور والسنون على هؤلاء الفتية وهم نيام في هذا الكهف، إلى أن شاء المولى جل وعلا إيقاظهم وبعثهم من نومهم ليكونوا آية من آياته الدالة على البعث بعد الموت، فقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ [سورة الكهف ١٨/١٩]. فكان أول التساؤلات فيما بينهم عن مدة مكثهم في هذا الكهف، فقال قائل منهم: كم لبثتم؟ فأجابه أحدهم لبثنا يوماً أو بعض يوم! أي: لعلنا نمنا يوماً كاملاً أو جزءاً من اليوم^(٤).

(١) انظر: مع قصص السابقين في القرآن ٦/٣١-٣٢-٧٠-٧١.

(٢) تفسير ابن كثير ٣/٨٥.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ١٠/٣٢٣.

(٤) مع قصص السابقين في القرآن ٦/٧٢.

هذا الحوار الذي دار بينهم يدل على أن الله أيقظهم من نومهم على ما كانوا عليه في هيبتهم وثيابهم وأحوالهم، فلم تطل شعورهم وأظفارهم ولم تصفر وجوههم أو تبل ثيابهم، كما في بعض الروايات، بل إنه قد حفظ أجسادهم طوال هذه المدة من التغير^(١).

ولما علموا أنهم عاجزون عن تقدير مدة لبثهم أوكلوها إلى الله، قال تعالى: ﴿قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾، ثم انصرفوا إلى التفكير في تدبير طعام يسدون به جوعهم، فما كان منهم إلا أن أخرجوا ما معهم من نقود، ودفعوها لأحدهم، ليقضي لهم هذه الحاجة، فأطاعهم في أمرهم وقضى لهم حاجتهم،^(٢) كعادة الأصحاب فيما بينهم، وأوصوه بأن يتخير لهم من الطعام أزكاه وأطيبه. وعندما هم بالخروج، قدموا له النصح بالتلطف عند شراء الطعام حتى لا ينكشف أمرهم، قال تعالى: ﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾^(٣) إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدْنَا

وأكدوا وصيتهم له بالتلطف خشية انكشاف أمرهم وافتضاح شأنهم، وذلك لأن في انكشاف أمرهم خطرا كبيرا على عقيدتهم وعلى حياتهم^(٣). وفي هذا إشارة إلى وجوب التحري في انتقاء الطعام، فإن على الإنسان إذا كان في مكان لا يعلم إيمان أهله أن يتحرى ما هو حلال ويتعد عن الحرام. وفي توصيتهم له بالتلطف التفات ذكي منهم إلى أهمية اللطف واليسر والسماحة في الحياة وفي الاتصال بالناس والتعامل معهم خاصة في البيع والشراء. وهي لفظة ضرورية لكل مسلم ووصية مهمة له، وذلك أن حياته لن تستقيم إلا بالتلطف، وأن علاقته مع الآخرين لن تتوثق إلا بالتلطف، وأن تعامله معهم في مختلف مجالات العمل ومرافق الحياة لن ينجح إلا بالتلطف^(٤).

(١) الجامع لأحكام القرآن، ٣٢٥/١٠، من العواصم من الفتن في سورة الكهف ٦١.

(٢) تعلم الحياة مع قصص سورة الكهف ٤١.

(٣) بتصرف من: العواصم من الفتن في سورة الكهف ٦١. تعلم الحياة مع قصص سورة الكهف ٤٠.

(٤) انظر: مع قصص السابقين في القرآن ٦/ ٧٨.

وكما شاء الله سبحانه وتعالى نومهم هذه المدة الطويلة، شاء إطلاع الناس عليهم بعد هذه المدة، فانكشف أمرهم لأهل المدينة، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَعْتَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَن وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَأَنَّ السَّاعَةَ لَأَرْيَبَ فِيهَا﴾ [سورة الكهف ٢١/١٨]. أي: أطلعنا عليهم وأظهرنا أمرهم.^(١) وذلك أن الإعتار، معناه: الإطلاع والعرفان، لأن العائر الذي يسقط لوجهه ينظر إلى موضع عثرته. وفيه دلالة أنهم كانوا يتداولون حكاية غيابهم، ويبحثون عنهم فلا يجدونهم!. وكان الإعتار مفاجأة كبيرة لأصحاب الكهف عرفوا بعدها أن الدنيا تغيرت كثيراً من حولهم، وأنهم من جيل قديم مضت عليه القرون، وأنهم أصبحوا أعجوبة في نظر الناس. وكانت مفاجأة لقومهم، وقد بين الحق تبارك و تعالى الحكمة والعبارة من إظهار حقيقتهم، فقال: ﴿لِيَعْلَمُوا أَن وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَأَنَّ السَّاعَةَ لَأَرْيَبَ فِيهَا﴾ وذلك ليعلم الناس أن وعد الله حق وأن يوم القيامة آت لا ريب فيه. فدللت قصة أصحاب الكهف على بعث الناس يوم القيامة. يمثل واقعي محسوس يقرب للناس حقيقة هذا اليوم. ولهذا بعثهم الله من نومهم وكشف شأنهم للناس ليبين أن من قدر على حفظ أجسام هؤلاء الفتية مدة ثلاثة قرون متوالية من التعفن والتفتت، والتحلل من تعرضهم للحر والبرد، ثم إعادتهم للحياة مرة أخرى.. قادر على إعادة الأجسام بعد موتها وتفرق أجزائها^(٢).

و بعد انكشاف أمرهم، إذ بهم يموتون، فيقع التنازع في أمرهم من قبل أهل تلك المدينة. قال تعالى: ﴿إِذْ يَتَنَزَّعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ [سورة الكهف ٢١/١٨]، فانقسم الناس إلى فريقين: فريق مؤمن، طالب ببناء بنيان عليهم، وليس مسجداً يقدس، إنما هو بمثابة قبر لهم من أجل إكرامهم، يدفنون فيه وأعرضوا عن الخوض في أمرهم وأوكلوا أمرهم إلى علم الله تعالى.

أما الفريق الثاني وهم الحكام المتسلطون الذين وصفهم الله بقوله (قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ) كان لهم رأيهم في أن يُبنى عليهم مسجد.

(١) تفسير ابن كثير ٣/٨٦، الجامع لأحكام القرآن ١٠/٣٢٨.

(٢) بتصرف من العواصم من الفتن في سورة الكهف ٦٢-٦٣.

وفي هذا نلحظ روح التعالي والتكبر والتسلط في قولهم، (لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا) لقد غلبوا قومهم على أمرهم وتحكموا فيهم، وعاملوهم بتكبر واستعلاء، وخاطبوهم بحزم وجزم لا يقبل الحوار والمناقشة أو التراجع، وأخذوا يخوضون في عدد هؤلاء، وفي مدة مكثهم داخل الكهف بما ليس لهم به علم.

وبهذا انتهت قصة أصحاب الكهف بما فيها من عظات وعبر. ولقد عقب المولى جل وعلا على قصتهم بعدد من الآيات،^(١) منها:

- أمره لنبيه ﷺ أن يكون مع الصالحين، ولا تعدو عيناه عنهم.
- وأن يصبر نفسه مع من صبر ويكون في صحبتهم.
- ولا يعدل عنهم إلى غيرهم ممن اغتر بزينة الحياة الدنيا. وذلك لأن صحبة الصالحين تفيض على صاحبها بمعاني الخير والبركة بفضلهم، وصحبة الأشرار تجعل لصاحبها نصيبه من الشر والخسارة، فقال تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ، وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [سورة الكهف ١٨/٢٨].

وفيها "توجيه ومنهج لكل مسلم، بأن يحافظ على الصلة القوية مع من صحبه بالمحبة وحسن التعامل والتواصل معهم.

وأن عليه الصبر عن كل عنت ومشقة وأذى ينتج عن مثل هذه الصلة التي تربطه بأصحابه الذين أخلصوا لله دينهم وأحسنوا العبادة والعمل"^(٢).

(١) انظر: مع قصص السابقين في القرآن ٦/١١٥-١٢٢.

(٢) منهج الدعاة إلى الله في رحاب سورتي الكهف والقصص، الدكتور: محمد صالح الخضري، دار النفائس، عمان الأردن، ط: الأولى، ١٤١٨هـ-٣٢.

ومن هنا نخلص إلى الفوائد الآتية:

- أن الصحبة الصالحة لا تقوم إلا على أسس ثابتة، مستمدة من هدى الله.
- أن الإيمان بالله هو أساس توحيد القلوب وهو أساس اجتماعها، وقوتها في مواجهة الطغيان.
- أن الصحبة الصالحة من عوامل الثبات على الحق .
- إنعام الله على أوليائه الصالحين وتثبيتهم وإحاطته بهم وشموله لهم بالرحمة.
- بيان حفظ الله لهؤلاء الفتية المؤمنات بكل أنواع الحفظ الحسي والمعنوي.
- تسخير الله لجنوده من كائنات وأحوال جووية لحفظ هؤلاء الفتية.
- بروز معالم الصحبة الصالحة بكل أسسها، وآدابها وحقوقها من خلال قصة هؤلاء الفتية.
- التوجيه إلى أخذ الحيطة والحذر فيما بين الصحبة الصالحة في التعامل مع مخالفيهم.
- اتباع أسلوب اللطف في التعامل في أمور الحياة اليومية فضلاً عن أمور الدعوة التي هي أولى بهذا الأسلوب.
- بعث هؤلاء الفتية لتقرير عقيدة البعث بعد الموت.
- أمر الله نبيه محمدًا ﷺ بملازمة وصحبة الصالحين وإن كانوا فقراء ولا يعدوهم إلى غيرهم ممن غرته الدنيا بزينتها عن الله.

المبحث الثاني: صحبة صاحب الجنتين

أمر الله تبارك وتعالى رسوله ﷺ بملازمة صحبة الضعفاء والفقراء من المؤمنين الصالحين، الذين أخلصوا دينهم لله، فدعوه ليلاً ونهاراً ابتغاء ما عنده من الثواب، ونهاه عن طاعة الكافرين الذين شغلتهم أموالهم، وزادهم تكبراً واستعلاءً، إذ طلبوا من رسول الله ﷺ ترك مجالسة هؤلاء المؤمنين لفقيرهم، وأمروه بطردهم^(١)، ظناً منهم أن الغني والفقير هما الميزان الذي يجب أن تقوم عليه الصحبة والمجالسة. وضرب الله سبحانه لذلك مثلاً بقصة الفقير وصاحبه الغني ذي الجنتين من الأمم السابقة، ليتبين أن الغني والفقير ليسا قاعدة للعلاقات التي يرتضيها المولى جل جلاله، وأن الإيمان بالله والعمل الصالح هو أساس تلك العلاقات، فلا فرق في الإسلام بين غني و فقير إلا بالتقوى.

ثم بين لهم حقيقة الغني والفقير، وأن هذه النعم من عند الله يعطيها من يشاء ويمنعها ممن يشاء على سبيل الابتلاء والاختبار، لينظر حال من أعطاه أيشكر أم يكفر؟! وحال من منعه أيصبر على فقره أم يجزع ويسخط؟! كما قال تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [سورة الكهف ١٨/٧]. فجاء هذا المثل ليجلي هذه القاعدة ويبين خطأها.

قال تعالى: ﴿ وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ ﴾ [سورة الكهف ١٨/٣٢] أي: اضرب يا محمد لهؤلاء المشركين الذين سألوك طرد الفقراء ممن آمن بك لفقيرهم وضعفهم؛ مثلاً رجلين ممن كان قبلكم^(٢)، أحدهما أنعم الله عليه وآتاه من زينة الحياة الدنيا ما أنساه المنعم به عليه، فتكبر وطغى على صاحبه الفقير، وأخذ يعيره بفقره ودنو مكانته. وآخر مؤمن بربه ترك زينة الدنيا ابتغاء ما عند الله، معتز بإيمانه.

و لبيان حقيقة أن الله هو المالك والمقسم للأرزاق، وأن جميع ما في هذا الكون ملكه والخلق عبيده، إن أعطى بفضله وإحسانه، وإن منع فله حكمه ومشيعته^(٣).

(١) جامع البيان ١٧/٤١٣، نظم الدرر ٥/١٤٤.

(٢) قيل: إنهما كانا أخوين من بني إسرائيل، زاد المسير ٧٨٠، المحرر الوجيز ١١٩١.

(٣) انظر: العواصم من الفتن في سورة الكهف ٧١-٧٢.

ونقل لنا صورة وصفية دقيقة لتلك الجنتين، فقال - عز من قائل -: ﴿جَنَّيْنِ مِنْ أَعْنَبٍ وَحَفَفْنَاهُمَا
بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا ﴿٣٢﴾ كَلَّمَا الْجَنَّيْنِ ءَأْتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلْدَاهُمَا نَهْرًا ﴿٣٣﴾﴾ [سورة
الكهف ٣٢/١٨-٣٣].

هاتان الجنتان في وسطهما أشجار العنب، وأحاطهما بأشجار النخيل لتكون كالسور
لهما، و جعل بينهما أنواعاً مختلفة من الزروع والفواكه المتنوعة. ولكي يزداد جمال هاتين
الجنتين شق في وسطهما نهراً يروي أشجارها وزروعهما. - والمتأمل في هذه النعم يجد أنها
مقرونة بضمير العظمة لبيان أن الله هو المتصرف والمنعم وليس لأحد أي فضل في تكوين هذه
النعم. - هاتان الجنتان توافرت فيها كل مقومات الزراعة فأنت كل جنة ثمارها أضعافاً
مضاعفة، ولم ينقص من ثمارهما شيء.

ولم يكن هذا فحسب، بل إن الله أنعم على هذا الرجل زيادة على هذه النعمة بأنواع أخرى
من المال^(١)، الأولاد والخدم والحشم.

وهذه هي الأماني التي تتعلق بها قلوب كثير من الناس. قال قتادة: تلك والله أمنية الفاجر كثيرة
المال وعزة النفر^(٢). كما قال تعالى: ﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا
وَأَعَزُّ نَفْرًا ﴿٣٤﴾﴾ [سورة الكهف ٣٤/١٨].

هذا الرجل كان له صاحب صادق فقير في ماله، غني بإيمانه، كان يراجعه ويقوم بوعظه
ويدعوه إلى إخلاص العبادة لله، وشكره على ما أنعم به عليه. فكان الغني يقابل تلك الدعوة
بالتكبر والاستعلاء والتفاخر بما عنده، شأنه شأن أهل الغطرسة والنقائص في عدولهم عن
المجادلة بالحسنى، إلى إظهار العظمة والكبرياء لمن يقدم لهم النصح^(٣).

في يوم من الأيام دخل هذا الرجل جنته بصحبة أخيه الفقير، وأخذ يتجول معه فيها،
وهو معجب بما أوتي مفتخر به كافر بنعمة ربه عليه، معرض نفسه لسخط الله، فقال: ﴿مَا
أُظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴿٣٥﴾﴾ [سورة الكهف ٣٥/١٨]، وهذا غرور منه لما رأى ما فيها من الزروع

(١) قال الزمخشري: أي أنواع من المال من ثمر ماله إذا كثر، وقال مجاهد الذهب والفضة. الكشاف. ٦٢٠. وقيل: كان له
مال من غير الجنتين. التحرير والتنوير ٦٦/١٥.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير، العواصم من الفتن في سورة الكهف ٧٣.

(٣) العواصم من الفتن في سورة الكهف ٧٣، التحرير والتنوير ٦٦/١٥.

والثمار والأثمار، لم يتصور أن يضمحل كل هذا. وما هذا التصرف منه إلا دليل على قلة عقله وضعف يقينه بالله وإعجابه بالحياة الدنيا وزينتها، فقاده هذا إلى إنكار البعث والحساب يوم القيامة فقال: ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾ كأن الله لم يخلقه ولم ينعم عليه إلا ليأكل ويشرب ويتنعم ويتكبر ويتجبر فقط.

ثم ازداد بطراً وأشراً وطغياناً فأقسم أنه إن رجع إلى الله على سبيل التهكم- من كلام صاحبه- ليعطينه الله جنة في الآخرة خيراً من جنته هذه التي في الدنيا، فقال: ﴿وَلَئِن رُّدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنْقَلَبًا﴾ [سورة الكهف ١٨/٣٦]. أي: ولئن كان معاد ورجعة ومرد إلى الله ليكون لي هناك أحسن من هذا الحظ عند ربي، ولولا كرامتي على الله ما أعطاني هذا (١).
"قاده هذا كله إلى أن يتيه على صاحبه المؤمن عندما حاوره، ظنا منه أن مجال التفضيل هو كثرة المال، وأن مبدأ الاحترام ومجال التقديم هو النفر والسلطان والجاه. إن الغرور يعمي صاحبه عن الحقائق، وإن التوجه نحو المتاع الدنيوي الزائل يُغشي أبصار أصحابه عن الطريق الصحيح المستقيم" (٢).

فما كان من هذا الصاحب أمام هذا التكبر والجحود والنكران إلا أن تحركت في قلبه عزة الإيمان، دون أن يبالي بضعف حاله وقلة ماله، فوقف لصاحبه محاوراً ومجادلاً في عزة ويقين وثبات، فخاطبه بخطاب الصاحب الناصح، فوضح له خطأه، ودله على الطريق الصحيح، وبين له حقيقة الظلم ليردعه عن ظلم نفسه.

هذا الموقف يعضده قول النبي ﷺ: ((انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً)) فقال له رجل: يا رسول الله أنصره إذا كان مظلوماً، أفرأيت إن كان ظالماً، كيف أنصره؟! قال ﷺ:

(١) انظر: جامع البيان ١٧/٤٢٠-٤٢١، تفسير ابن كثير ٣/٨٤، الكشاف ٦٢٠، الجامع لأحكام القرآن ١٠/٣٥٠.

(٢) مع قصص السابقين في القرآن ٦/١٣٨.

((تجزه أو تمنعه من الظلم فإن ذلك نصره))^(١) (٢).

قال تعالى مصوراً ما كان بينهما: ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا﴾ [سورة الكهف ١٨/٣٧].

إن المتأمل في عبارات هذا الصاحب يجد أنه استخدم أسلوباً ناجحاً لاستئصال مرض الكبر الذي أصاب صاحبه الغني، فبدأ معه بتذكيره بأصل خلقته الوضيع الذي لا يدع للتكبر نصيباً في قلب أي إنسان. ونلاحظ في عباراته مدى العناية باختيار الألفاظ، ومن ذلك اختياره للفظه ﴿أَكَفَرْتَ﴾ التي تلقي بظلال من الرهبة والخوف في النفس بالاستفهام الإنكاري، ويكون لها تأثير قوي للوقوف مع هذه النفس ومراجعتها، وتقويمها^(٣).

فذكره بأصل خلقه فقال: ﴿أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ﴾ أراد بذلك خلق أبي البشر آدم عليه السلام من تراب، ﴿ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ أي: أنشأك بعد ذلك من نطفة الرجل والمرأة، وأتبعه بتذكير صاحبه بما تفضل الله عليه من خلقه وتكوينه سواه في أحسن صورة، ﴿ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا﴾. وليس أنثى^(٤)، وهذا من تقرير الواقع، وأن الرجل عادة أكثر اعتزازاً بنفسه من المرأة، كما قال تعالى في موضع آخر في معرض امتنانه على الخلق حيث قال: ﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا عَرَفَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾^(٦) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ^(٧) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿[سورة الانفطار ٨٢/٦-٨]

ثم هز كيانه صاحبه بإعلان الوجدانية لله والتبرؤ مما سواه من القوى والغايات الزائلة الزائفة. فقال: ﴿لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ [سورة الكهف ١٨/٣٨] أي: أما أنا

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الإكراه، باب يمين الرجل لصاحبه: أنه أخوه. (٦/٢٥٥٠ ح ٦٥٥٢)، وفي رواية تأخذ فوق يديه (٢/٨٦٣ ح ٢٣١٢)، وعند مسلم، بمعناه، وقال: إن كان ظالماً فلينبهه فإن ذلك له نصر، باب نصر الأخ ظالماً أو مظلوماً. (٤/١٩٩٨ حدث ٢٥٨٤).

(٢) قال ابن بطال: النصر عند العرب الإعانة، وتفسير لنصر الظالم بمنعه من الظلم من تسمية الشيء بما يؤول إليه. وقال البيهقي: معناه: إن الظالم مظلوم في نفسه فيدخل فيه ردع المرء عن ظلمه حساً ومعنى. انظر: فتح الباري ٩٨/٥.

(٣) تعلم الحياة مع قصص سورة الكهف ٥٦-٥٧.

(٤) انظر: جامع البيان ١٧/٤٢٢، تعلم الحياة مع قصص سورة الكهف ٥٦.

فلا أقول مقالتك، بل أعتزف وأقر لله بالوحدانية والربوبية، وألتزم طاعته وعبادته، ولا أشرك به أحداً من المخلوقات^(١).

ثم ذكر صاحبه بالواجب عليه نحو الله تبارك وتعالى ليصح موازينه، ويوجهها لشكره سبحانه على ما أنعم به عليه، فأرشده إلى التصرف الصحيح الذي يشكر فيه ربه، ويعمل على دوام نعمته عليه، فطلب منه أن يلجأ إلى الله وأن يعلق الأمر بمشيئته، ويجعله مرهوناً بقدرته، وأن يستمد قوته من قوة الله^(٢)، فقال: ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنَّ تَرَنِّيًا أَقَلَّ مِنْكَ مَا لَّا وَوَلَدًا﴾ [سورة الكهف ١٨/٣٩] (أي: هلا قلت حين أعجبتك جنتك: ما شاء الله! فاعترفت أن ما نلته من مال وولد هو بإرادة الله ومشيئته، وليس بجهدك ولا كسبك، وتبرأت من حولك وقوتك إلى قوة الله، لأن الله هو القوي القادر، وهو الذي يهب القوة للناس. وإذا سلبها من إنسان فلن تنفعه قوى الأرض كلها، ولن تقدر على منحه القوة).

فهذه العبارة ﴿مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ دليل على قوة إيمان قائلها، وعلى صدق لجوئه إلى ربه، وشعوره بفقره وضعفه بين يديه، وتدعو قائلها إلى التواضع والاعتدال فتقضي على الفخر والبطر والعلو والتكبر الذي يعتلي القلوب، وتدعو صاحبها إلى حسن استخدام النعمة التي بين يديه في نفع عباد الله فيما يقرب إليه، وتعينه على ذكر ربه وشكره وحسن عبادته^(٣).

ثم بين له أن نعمة الله عليه بالإسلام والإيمان ولو مع قلة المال والولد هي النعمة الحقيقية، وأن ما عداها معرض للزوال والعقوبة والنكال. وذلك ليقرر حقيقة قرآنية إيمانية جازمة: وهي "أن المتاع الدنيوي الزائل ليس مظهرًا للتكريم الرباني، والحرمان من هذا المتاع ليس مظهرًا للهوان على الله، وأن هذا المتاع أهون على الله من أن يكون مجالاً للتكريم، أو الهوان، أو المحبة، أو البغضاء، ولذلك يهب الله هذا المتاع الزائل للكافرين أكثر مما يمنحه

(١) تفسير ابن كثير ٩٣/٣، تفسير ابن سعدي ٤٢٧.

(٢) مع قصص السابقين في القرآن ١٤٠/٦، تعلم الحياة مع قصص سورة الكهف ٥٧.

(٣) مع قصص السابقين في القرآن ١٤٠/٦.

للمسلمين، وقد ذم الله من ظن هذا الظن بقوله: ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْنَلَهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْنَلَهُ فَقَدَّرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ ﴿١٦﴾﴾ [سورة الفجر ١٥/١٦-١٧].^(١)

ثم ختم موعظته له ونصحه بترهيبه وتخويفه بهلاك وزوال جنته إن هو أصر على ما هو عليه من الكبر والبطر^(٢)، فقال: ﴿فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَنُصِيبُ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصِيبُهَا مَاءً غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ﴿٤١﴾﴾ [سورة الكهف ٤٠/٤١-٤٢]. لعل الله أن يؤتيني خيراً من جنتك في الدار الآخرة، أما جنتك فيرسل عليها عذاباً من السماء فيهلكها فتصبح أرضاً ملساء لا نبات فيها بعد أن كانت خضراء يانعة الثمار. أما ما فيها من أنهار فإنها تغور في باطن الأرض ولن تستطيع رد ما فيها من ماء، ولن تقدر على جلبه^(٣).

لم يأخذ هذا الصاحب الغني الكافر بنصيحة صاحبه الفقير المؤمن، (فضل على كفره، وتكبره وبطره، وفجوره. فما كان إلا أن عاقبه الله بما يستحق، وأوقع به ما كان حذره منه صاحبه المؤمن من إرسال الحسبان على جنته، فأهلك كل ما فيها من ثمار وأموال، في لحظة، كما يفهم ذلك من قوله تعالى: ﴿وَأَحِيطَ بِشَمْرِهِ﴾) ولم يحدد نوع العذاب ولا وقته، إنما عقب بذكر نتيجة هذا العذاب وما حل به، فذكر أنه عندما شعر بخسارته وضلاله، وندم ندماً بالغاً عبر عنه المولى بقوله: ﴿فَأَصْبَحَ يُغْلِبُ كَفْيَهُ عَلَىٰ مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ [سورة الكهف ١٨/٤٢]. أي: أصبح يصفق بكفيه متأسفاً متلهفاً على هاتين الجنتين وما أنفق من أموال عليهما^(٤). وعندما علم أنه أتى من قبل شركه تمنى لو أنه لم يكن مشركاً،^(٥) فانطلق لسانه قائلاً: ﴿يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ أي: يا ليتني عرفت نعم الله علي، وعرفت أنها كانت بقدره الله ولم أكفر به. وهذا الندم منه لا ينفعه في هذه الحال^(٦).

(١) مع قصص السابقين في القرآن ١٣٣/٦.

(٢) تعلم الحياة مع قصص سورة الكهف ٥٨.

(٣) انظر: جامع البيان ١٧/٤٢٦-٤٢٧، تفسير ابن كثير ٣/٩٤، المحرر الوجيز ١١٩٣، الجامع لأحكام القرآن ١٠/٣٥٤.

(٤) انظر: تفسير ابن كثير ٣/٩٤، الجامع لأحكام القرآن ١٠/٣٥٤، مع قصص السابقين في القرآن ٦/١٤١.

(٥) العواصم من الفتن في سورة الكهف ٧٥.

(٦) الجامع لأحكام القرآن ١٠/٣٥٥.

ثم عقب المولى جل ثناؤه - بنفي النصرة له من قبل من اغتر بكثرتهم وقوتهم، وأنه لا مولى ولا ناصر إلا هو، فقال تعالى: ﴿وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْصِرًا﴾ [سورة الكهف ٤٣/١٨] أي: لم تكن له عشيرة يمنعونه من عذاب الله، وضل عنه من افتخر بهم من الخدم والولد، فلم يستطيعوا دفع العذاب عنه في هذا الوقت الذي احتاجهم فيه. وكيف ينتصر أو يكون له انتصار على قضاء الله وقدره الذي إذا شاء أمضاه وقدره^(١).

(ثم عقب الله على خسارة الرجل الكافر وإهلاك جنتيه بقوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ الْوَلِيَّةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ [سورة الكهف ٤٤/١٨] هذا التعقيب يقدم لنا حقيقة قرآنية صادقة وقاعدة إيمانية دائمة؛ أن الله وحده هو الولي وأن الولاية لا تكون إلا لله، وأن من تولاه الله فهو الفائز، وأن من تخلى عنه الله فهو الخاسر المخذول. وأن عاقبة الولاية لله، الفلاح والنجاح والخير، وأن صاحبها ينال من الله الثواب الجزيل.

فهذا المؤمن الذي اتخذ الله ولياً، ورغب بما عنده، واستعلى على متاع الدنيا وزينتها، وقام بواجبه تجاه صاحبه، فوعظه وذكره بالله وبما يستوجب عليه من حقوق وواجبات الصحبة فيما بينهما، كانت عاقبته الخير والثواب من الله.

أما ذاك الصاحب الكافر فقد والى وركن إلى غير الله، واغتر بغير الله، وآثر الحياة الدنيا وزينتها، فكان مصير ذلك كله خُسراً. فقد أذهب الله عنه كل ما والاه واعتمد عليه، واغتر به وركن إليه، ذهب في لحظة فأصبح إنساناً ضعيفاً عاجزاً مهموماً مخذولاً نادماً متحسراً ضائعاً، كما قال تعالى: ﴿وَأُحِيطَ بِشَمْرِهِ فَاصْبَحَ يَقْلِبُ كَفَيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٤٢﴾﴾ [سورة الكهف ٤٢-٤٣] ونسي أن الله خير ثواباً في الدنيا والآخرة لمن آمن به، وخير عاقبة لمن رجاه وآمن به^(٢).

مما تقدم يتبين لنا عظم حق الصحبة وأنها تستوجب لمن جمعت بينهم حقوقاً وآداباً لا بد من الإتيان بها حتى تكون الصحبة سالحة، ومن ذلك:

(١) بتصرف من: تفسير ابن سعدي ٤٢٧، الجامع لأحكام القرآن ٣٥٦/١٠.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن ٣٥٦/١٠، مع قصص السابقين في القرآن ٦/١٤٤-١٤٥.

- أن الإيمان هو الأساس الذي تبني عليه العلاقات فيما بين البشر، ولذا على الأصحاب واجب النصيح والإرشاد لتخليص هذا الأساس مما يشوبه من شرك أو كفر، وهذا ما فعله هذا الصاحب الصالح عندما علم أن صاحبه قد فتن واغتر بما آتاه الله من النعم، فكفر بالمنعم و دعاه هذا إلى إنكار البعث. فما كان من أخيه الصالح إلا أن أخذ على يديه فبين له خطأه وخطأ الطريق الذي سلكه في إشراكه بربه وخالقه المنعم عليه بهذه النعم.
- على الإنسان ألا يغتر بما أنعم الله به عليه من النعم بل عليه شكر ربه على هذه النعم، وذلك أن النعم تزيد بالشكر وهذا حال الأنبياء والرسل، فهذا سليمان - عليه السلام- حينما رأى عرش ملكة سبأ عنده قال: ﴿هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّيَ عَنِّي كَرِيمٌ﴾ [سورة النمل ٢٧/٤٠]، وقال أيضا عنه بعدما سمع ما قالته عنه النملة: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدِّخُنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكِ الصَّالِحِينَ﴾ [سورة النمل ١٩/٢٧].
- يجب على كل إنسان أن يشكر ربه على ما أنعم عليه من نعم وهذا ما وصى به الحق تبارك وتعالى جميع الخلق فقال ثناؤه: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي بُنِّيتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [سورة الأحقاف ٤٦/١٥].
- العظة من حال الرجل المؤمن المعتز بإيمانه وبخالقه، الموقن بأن الرزق من عند الله يعطيه من يشاء ويمنعه عمن يشاء، وأن هذه الدنيا وما فيها من زينة مآلها إلى زوال، وما عند الله هو خير وأبقى.

- والعبرة من حال الرجل الكافر الذي اغتر بما عنده من مال وولد وجاه، فظن أنه لم يعطه الله هذا إلا لمكاته عنده، ونسي أن الله ينعم على العبد لينظر أيشكر أم يكفر، هذا الرجل كفر بالمنعم فكان أن عاقبه الله بزوال جنتيه في الدنيا.

المبحث الثالث: صحبة موسى عليه السلام وفتاه

إن مما امتن الله به على خلقه أن بصرهم بما فيه منفعتهم، في أمور دينهم و دنياهم، وما يتعلق بها من حقوق وآداب لهم أو لمن جمعت بينهم صحبة أو علاقة ما.

وفي هذا المبحث يبين الحق تبارك وتعالى لعباده خلق وأدب نبي من أنبيائه مع صاحب له في السفر، وأن هذه الآداب وهذه الحقوق هي المتعينة بين الأصحاب حضراً وسفراً. وقد جاءت قصتهما في حالة السفر الذي هو مظنة المشقة وضيق الحال.

جاء ذكر قصة موسى عليه السلام وفتاه في هذه السورة العظيمة مقدمة لقصة أعظم هي قصة موسى عليه السلام مع العبد الصالح كما سيأتي بيانها في المبحث القادم^(١). وقد حذف الغرض الذي سار لأجله موسى عليه السلام لأنه سيذكر بعد، وهو حذف إيجاز وتشويق^(٢).

وقد أجمع المفسرون رحمهم الله^(٣) أن سبب هذه القصة وما بعدها، ما روي عن أبي بن كعب رضي الله عنه مرفوعاً عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((إن موسى عليه السلام قام خطيباً في بني إسرائيل فسئل: أي الناس أعلم؟ فقال: أنا، فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه، فأوحى إليه أن عبداً بمجمع البحرين هو أعلم منك. قال موسى: يا رب فكيف لي به؟

قال: تأخذ معك حوتاً فتجعله في مكثل فحيثما فقدت الحوت فهو ثمّ...))^(٤)^(٥).

(١) قال البقاعي في نظم الدرر ١٦٨/٥: "وفي هذا الأمر من هذه القصة قاصمة للسائلين، والأميرين لهم بالسؤال، لأن المراد - والله أعلم - أن هذا الأمر وقع لني هؤلاء المضلين، فأمر قريشا أن يسألوهم عن هذه القصة، فإن أخبروهم عنها بمثل ما أخبرتهم فصدقوهم، لزمهم أن يؤمنوا بالبعث لأمر هذا الحوت الذي أحياه الله بعد أن كان مشوياً وصار كثير منه في البطون، وإن لم يصدقوهم في هذا وصدقوهم في غيره مما يتعتون به فهو تمكّم. وإن كانوا يتهموهم في كل أمر كان سؤالهم لهم عبثاً. وليس هذا من أفعال من يعقل".

(٢) التحرير والتنوير ١٥/١٠٠

(٣) انظر: جامع البيان ٤٧١/١٧، تفسير ابن كثير ١٠٢/٣، زاد المسير ٧٨٨، الجامع لأحكام القرآن ١١/١٣.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب فلما جاوزا قال لفتاه (٤/١٧٥٧ ح ٤٤٥٠). وعند مسلم بنحوه باب من فضائل الخضر (٤/١٨٤٧ ح ٢٣٨٠).

(٥) قال القرطبي في الجامع لأحكام القرآن معلقاً ١٢/١١: "قال علماؤنا، هو (أعلم منك) أي بأحكام ووقائع مفصلة، وحكم نوازل معينة، لا مطلقاً، بدليل قول الخضر عليه السلام، لموسى إنك على علم علمك الله لا أعلمه أنا، وأنا على علم علمنيه لا تعلمه أنت".

﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ قَوْلَهُ: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَتْنَهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقْبًا ﴾ [سورة الكهف ١٨/٦٠] أي: اذكر يا محمد خبر موسى بن عمران عليه السلام^(١) وشدة رغبته في الخير وطلبه للعلم^(٢). إذ إنه عندما علم أن هناك من عنده علم لم يعلمه تشوقت نفسه وهيمته العالية لتحصيل هذا العلم الذي لم يعلمه، ورغب في لقاء من هو أعلم منه، فعزم على هذا، وسأل سؤال الدليل عن طريقة الوصول إليه. فأمر بالارتحال. وقيل: له احمل معك حوتاً مملحاً ومشوياً في مکتل، وحيثما تفقده فستجد غايتك^(٣).

بعدما علم موسى عليه السلام أن غايته ومراده يتطلب منه سفرًا طويلاً، وقد يلحقه من ذلك مشقة بالغة، أعد العدة لهذا السفر، وخطط له من جميع جوانبه النفسية و الجسمانية. فاتخذ له صاحباً يصحبه في سفره يؤنس وحشته ويقوم بخدمته، وهو ما عبر عنه بقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَتْنَهُ ﴾ وهو يوشع بن نون^(٤)، ونلاحظ أن موسى عليه السلام عرض على فتاه الأمر، وبين له وجهته بقوله: ﴿ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقْبًا ﴾ أي: لا أزال أسير حتى أبلغ المكان الذي أوحى الله إلي أبي سأجد فيه العبد الصالح الذي عنده من العلم ما ليس عندي^(٥). وبين له أن مدة سفره قد تطول بقوله: ﴿ أَوْ أَمْضِيَ حُقْبًا ﴾ أي: لا أزال مسافراً وإن طالت عليّ الشقة، أو لحقتني المشقة حتى أصل إلى غايتي. ثم قال له: لا

(١) جامع البيان ١٧/٤٧١.

(٢) تفسير ابن سعدي. ٤٣١.

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن ١١/١٣.

(٤) يوشع بن نون بن إفرائيم بن يوسف عليه السلام، قيل: إنه ابن أخت موسى. وقيل إنما سمي فتى موسى لأنه لزمه ليتعلم منه وإنه كان حراً. وقيل إنما سماه فتى لأنه قام مقام الفتى وهو العبد. والفتى في كلام العرب الشاب: أنه لما كان الخدم أكثرهم فتياناً قيل للخادم فتى على جهة حسن الأدب. وقد نذبت الشريعة الإسلامية لذلك، قال رسول الله ﷺ: " لا يقولن أحدكم: عبدي وأمتي، كلكم عبيد الله، وكل نسائكم إماء الله، ولكن ليقل: غلامي وجاري، وفتاى وفتاى". (أخرجه مسلم في صحيحه، باب حكم إطلاق لفظة العبد والأمة ٤/١٧٦٤-٢٢٤٩). وقد ذكر أنه نبيء بعد موسى عليه السلام. انظر: زاد المسير ٧٨٩، التفسير الكبير ٢١/١٢٣، الجامع لأحكام القرآن ١١/١٣، تفسير ابن سعدي ٤٣١، التحرير والتنوير ١٥/٩٨-٩٩.

(٥) قال الشيخ ابن عثيمين: إنه مكان الله أعلم به، لكن موسى يعلم، وقيل: إنه ملتقى البحر الأحمر مع البحر الأبيض، وكان فيما سبق بينهما أرض، حتى فتحت القناة وهذا ليس ببعيد. تفسير القرآن، ابن عثيمين ٦/٨٧. وقيل: وهو مكان اجتماع بحر فارس وبحر الروم. جامع البيان ١٧/٤٧١، تفسير ابن كثير ٣/١٠٢.

أكلفك شيئاً إلا أن تخبرني إذا فارقك الحوت، فقال: ما كلفت كثيراً^(١) ^(٢) في مشهد يبين أن على الصاحب أن يكون على بينة من أمره مع صاحبه، فإن كان له قدرة على المضي معه، وإلا فإنه لا يكلف الله نفساً إلا وسعها.

خرج موسى عليه السلام من أرضه بصحبة فتاه يوشع بن نون، فكان موسى عليه السلام أمير الرحلة ويوشع يقوم بالخدمة وحمل الزاد وهو الحوت المملح الذي كانا يأكلان منه، وكان فقدته العلامة لهما للوصول لغايتهما. وبعدهما وصلا إلى مجمع البحرين^(٣) مقر اللقاء، أويا إلى صخرة فيه، ليأخذا قسطاً من الراحة.. فناما، وقيل: إن يوشع لم ينم، فاضطرب الحوت، وقيل: أصابه بلل من البحر. وقيل: إن هناك عيناً تسمى عين الحياة فأصابت رشاشات منها الحوت فاضطرب وكان في المكتل^(٤) فعادت إليه الحياة، فظفر من المكتل إلى البحر بإذن الله. وصار مع حيوانات البحر. فجعل يسير في الماء، والماء له مثل الطاق لا يلتئم بعده: ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا﴾ [سورة الكهف ٦١/١٨] أي: مسلماً ومذهباً. وقيل: إن الحوت أصبح لا يمس شيئاً من البحر إلا يبس حتى يكون صخرة. قال قتادة: سرب من البحر حتى أفضى إلى البحر، ثم سلك فيه فجعل لا يسلك فيه طريقاً إلا صار ماءً جامداً^(٥).

فقال الفتى: لا أوقفه، حتى إذا استيقظ نسي أن يخبره بحال الحوت أو نسي أن يحمله. كما عبر عن ذلك بقوله: ﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾ ونسب النسيان إليهما مع أن النسيان كان من الفتى وحده ليعين أنهما مشتركان في ذلك بسبب الصحبة التي بينهما^(٦). "وذلك أن من

(١) انظر: تفسير ابن كثير ٣/١٠٤، تفسير ابن سعدي ٤٣١.

(٢) الحقب: المسافة الطويلة، قال النحاس: الذي يعرفه أهل اللغة أن الحقب والحقبة زمان من الدهر مبهم غير محدد. الجامع لأحكام القرآن ١١/١٤، التحرير والتنوير ١٥/١٠٢، تفسير ابن سعدي ٤٣١.

(٣) زاد المسير ٧٨٩.

(٤) الزنبيل الذي حمل فيه الحوت.

(٥) انظر: تفسير ابن كثير ٣/١٠٣، زاد المسير ٧٨٩، تفسير ابن سعدي ٤٣١.

(٦) الجامع لأحكام القرآن ١١/١٣.

مستلزمات الصحبة الاشتراك بين الأصحاب في كل أمر سواء المادي منها أو المعنوي، وهذا ما أفادته الضمائر المثناة في هذه القصة، لتنبه على هذا الحق الذي تستلزمه الصحبة"^(١).

وقيل: "نسب النسيان إليهما لحكمتين:

الأولى: أنه ذكرهما من باب التغليب، فطالما أنهما رفيقان في السفر فهما مشتركان في الرحلة وما يحدث فيها من النسيان.

الثانية: أن عاقبة النسيان ونتيجته واقعة بهما وليس بالفق وحده، حيث نتج عن النسيان للاثنتين طول الرحلة والنصب والتعب والجوع"^(٢).

هذا النسيان منهنما نسيان ذهول وليس نسيان ترك، وأن الله أنساهما ذلك لحكمة! وهذا الحوت قد جعله الله علامة لموسى للقاء العبد الصالح"^(٣).

وقيل: "إلهما نسيان أن يراقبا حاله، وإسناد النسيان إليهما حقيقة لأن يوشع وإن كان هو الموكل بحفظ الحوت فكان عليه مراقبته، إلا أن موسى عليه السلام هو القاصد لهذا العمل فكان يهيمه تعهده ومراقبته، وهذا يدل على أن صاحب العمل أو الحاجة إذا وكل إلى غيره أمراً لا ينبغي له ترك تعهده"^(٤).

استيقظ موسى عليه السلام ونسي صاحبه أن يخبره بخبر الحوت. فانطلقا بقية يومهما وليلتهما، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ إِنَّا غَدَاءٌ نَأْكُلُ لَقِينًا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾ [سورة الكهف ١٨/٦٢] أي: لما جاوزا المكان المطلوب والغاية التي كانا يرجوانها شعرا بالتعب والمشقة والجوع. وقيل: لم يجد موسى النصب حتى جاوز المكان الذي أمر الله به.

فقال لفتاه: ﴿إِنَّا غَدَاءٌ نَأْكُلُ لَقِينًا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾ أي: لطلب من صاحبه بأدب جم ما يتقوى به على ما حصل لهما من المشقة والعناء"^(٥). ثم علل طلبه هذا بقوله: ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾ أي: لقينا من سفرنا هذا عناء وتعباً. قال له ذلك ليشعره بأهميته، وأنه ليس مجرد خادم أو تابع وإنما هو

(١) تعلم الحياة مع قصص سورة الكهف ٤٤-٤٥.

(٢) مع قصص السابقين في القرآن ٦/١٩٩.

(٣) تفسير القرآن، ابن عثيمين ٦/٨٨.

(٤) التحرير والتنوير ١٥/١٠٣.

(٥) الغداء: طعام النهار مشتق من كلمة الغدوة، لأنه يؤكل في وقت الغدوة، وضده العشاء وهو طعام العشي. التحرير والتنوير ١٥/١٠٤.

صاحب وله حق المشاركة، فيكون ذلك أدعى للفتى للاستجابة وتقديم العون لصاحبه.^(١) فموسى كان بإمكانه أن يقول: آتنا غداءنا على سبيل الأمر فقط، لكنه عدل عن هذا، وبين أن ما ناله ونال صاحبه من المشقة والعناء واحد، فنظر إلى حاله وحال صاحبه، ولم يكتف بالنظر إلى حالته وحده.

عندها تذكر هذا الصاحب حال الحوت فأخذ يخبر موسى عليه السلام بخبر نسيانه فقال: ﴿أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَيْنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ، وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾ [سورة الكهف ١٨/٦٣] على سبيل الاعتذار منه^(٢) والاستعطاف حتى لا يغضب منه صاحبه. إني نسيت أن أذكر لك شأن الحوت العجيب. مع أنه أمر لا ينسى، لكن قدر الله تعالى له أن ينسى. وذلك تنبيهاً على أن العلم لا يحصل إلا بالتعليم من الله وحفظه في قلب الإنسان وذاكرته، والتذكر والنسيان لا يخضعان لإرادة الإنسان، ثم رد الفتى سبب النسيان إلى الشيطان تأديباً مع الله سبحانه وتعالى^(٣) (٤).

فقال: ﴿وَمَا أَنسَيْنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾ "هذا نسيان آخر غير النسيان الأول، فهذا نسيان ذكر الإخبار عنه. والمعنى: ما أنساني أن أذكره لك إلا الشيطان.

ووجه حصر إسناده هذا الإنشاء إلى الشيطان أن ما حصل له من النسيان أن يخبر موسى بتلك الحادثة نسيان ليس من شأنه أن يقع في زمن قريب مع شدة الاهتمام بالأمر المنسي وشدة عنايته بإخبار نبيه به. ومع كون المنسي أعجوبة شأنها ألا تنسى يتعين أن الشيطان يسوؤه التقاء هذين العبدین الصالحين، وما له من الأثر في بث العلوم الصالحة، فهو يصرف عنها ولو بتأخر وقوعها طمعاً في حدوث العوائق"^(٥).

(١) انظر: تعلم الحياة مع قصص سورة الكهف ٤٠.

(٢) جامع البيان ١٧/٤٧٦، الجامع لأحكام القرآن ١١/١٦.

(٣) التفسير الكبير، العواصم من الفتن في سورة الكهف ٩٥-٩٦.

(٤) وقيل: المراد من النسيان شغل القلب بوسوس الشيطان التي هي فعله دون النسيان الذي هو يصاد الفكر، لأن ذلك لا يصح إلا من قبل الله. تفسير الخازن ٤/٣٢٣.

(٥) التحرير والتنوير ١٥/١٠٤.

(وهذه حقيقة، إذ إن الشيطان هو الذي يوقع الإنسان في النسيان، وهو الذي يحمله على النسيان، ويجعله ينسى ربه، وينسى دينه، وينسى واجباته. وذلك حتى يسهل عليه السيطرة ويستحوذ على قلبه.

والشيطان لا يتمكن من الإنسان إلا إذ غفل ونسي، أما المسلم الفطن المبصر فإن الشيطان لا سبيل له إليه، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [سورة الأعراف ٢٠١/٧] (١).

ثم قص عليه خبر الحوت وكيف أنه اتخذ طريقه في البحر ودخل فيه بطريقة عجيبة بعد أن كان ميتا، قال تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾ أي: إن مسلك الحوت كان عجبا لموسى وفتاه، حيث إن بعث الحياة فيه - وهو حوت مشوي مملح، وقد تزودا منه، وموضوع في مكث - وخروجه من مكثه، وذهابه في البحر وحبس الماء خلفه كل هذه المعجزات تدعو للعجب والتعجب من البشر (٢).

كما قال رسول الله ﷺ عند ذكره هذه الآية: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحَوْتَ وَمَا أَنْسَنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ، وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾ قال: ((فكان للحوت سربا ولموسى وفتاه عجبا...)) الحديث (٣).

بعد هذا الاعتذار من الفتى قال له موسى عليه السلام: ﴿قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ فَأَرْتَدَّ عَلَيَّ آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ [سورة الكهف ٦٤/١٨] أي: هذا هو مطلبنا وغايتنا .
وذلك أنه قيل لموسى عليه السلام: إن صاحبك الذي تريده حيث تنسى الحوت (٤).

(١) مع قصص السابقين في القرآن ٢٠٢/٦ .

(٢) فسر اختلاف التعبير هو الناحية التي لحظها التعبير القرآني والزاوية التي نظر للقصة من خلالها. ففي المرة الأولى نظر للحادثة من زاوية الحوت ويلحظ حركة الحوت في البحر فقال: سربا. أما في الثانية فنظر للحادثة من زاوية موسى وفتاه ويلحظ أثر حركة الحوت على نفسيتهما وشعورهما ولا شك أنهما سيعجبان من حركته، لذا قال: عجبا. مع قصص السابقين في القرآن ٢٠٤/٦ .

(٣) سبق تخريجه ص ٣٤١ .

(٤) جامع البيان ٤٧٩/١٧، تفسير ابن سعدي ٤٣١ .

بعبارة توحى بالعتب ولكن دون زجر أو نهر. وهذه هي أخلاق أصفياء الرحمن في مثل هذه المواقف التي هي مظنة الغضب، وما يترتب على هذه الحالة من إنزال العقوبة بالمخالف، إلا أن الحلم والأناة وحسن المعاملة تغلب على هؤلاء الأصفياء.

وقد كان في رسول الله ﷺ أسوة حسنة في مثل هذه المواقف، فقد نقل الصحابي الجليل أنس ابن مالك رضي الله عنه ما كان من حاله مع رسول الله ﷺ، فقال: "خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين، والله ما قال لي: أف قط، ولا قال لشيء: لم فعلت كذا، وهلا فعلت كذا"^(١).

ثم قال تعالى: ﴿فَارْتَدَّ عَلَيَّ آثَارُهُمَا قَصَصًا﴾ أي: رجعا يقصان أثرهما إلى المكان الذي نسيا فيه الحوت^(٢). ولم ينشغل موسى عليه السلام بلوم مرافقه على تقصيره. بل رجعا يتبعان آثار أقدمهما ناكصين على أعقابهما، حتى وصلا إلى الصخرة التي نسيا الحوت عندها فوجدا غايتهما، وتم اللقاء بين موسى عليه السلام و العبد الصالح^(٣). كما قال تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِمَّا لَدُنَّا عِلْمًا﴾ [سورة الكهف ١٨/٦٥].

مما تقدم يتبين أن على الإنسان إذا أراد السفر أن يعتني بعدة أمور منها^(٤):

١. ينبغي له أن يتخذ صاحباً يصحبه في سفره لورود النهي عن السفر منفرداً، قال النبي ﷺ: ((لو يعلم الناس ما في الوحدة ما أعلم ما سار راكب بليل وحده))^(٥).

٢. على صاحب أن يبين لصاحبه الغاية من هذا السفر، ومدته، وكل ما يتطلبه. ويعد العدة له من جميع الجوانب النفسية والجسمانية، وألا يتكل على أحد، بل يجب عليه أن يتابع أموره بنفسه.

٣. على صاحب أن يبين لصاحبه بعض الأمور التي يستوجب معرفتها، إذ كان تجيل الفتى الإخبار عن انبعاث الحياة في الحوت حالاً سبباً مفضياً إلى نسيانه لاحقاً.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، باب كان الرسول ﷺ أحسن الناس خلقاً (٤/٤١٨٠ ح ٢٣٠٩).

(٢) تفسير ابن سعدي ٤٣١.

(٣) جامع البيان ١٧/٤٨٠، وتفسير ابن كثير ٣/١٠٣.

(٤) وقد سبق الحديث ص ١٠٥.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، باب السير وحده (٣/١٠٩٢ ح ٢٨٣٦).

٤. على أمير السفر أن يتفقد الأمور المهمة المتعلقة به وبأصحابه في كل مرحلة، فإن عدم تفقد موسى - عليه السلام - الحوت أدى إلى مسيرهما مرحلة زائدة سبب لهما نصيباً.
٥. لا بد للأصحاب في السفر من العناية بآداب الرفقة من الإحسان والشورى فيما بينهم، وقضاء الحوائج، وتقديم كل ما يمكن لئلا تلحقهم مشقة أو عناء زائد عن عناء السفر المعتاد.
٦. إذا وقع للمسافر خطأ أو نسي شيئاً هو أو من بصحبته عليه أن يقابل هذا بالرفق وحسن المعاملة، وهذا هو المتعين له ، أما الغضب وسوء الخلق فلا يعود عليه وعلى أصحابه إلا بالخسارة والندم.

المبحث الرابع: صحبة موسى — عليه السلام — للعبد الصالح

ما زال الحديث عن الصحبة في سورة الكهف، وها هي ذي صحبة نبي الله موسى - عليه السلام - مع العبد الصالح في مشهد يبين كيف تكون الصحبة بين العالم والمتعلم. تقدم معنا أن موسى عليه السلام ارتحل في طلب العلم عند العبد الصالح، وكان فقد الحوت هو العلامة التي يجده عندها. وعندما أخبره فتاه أنه نسي الحوت عند الصخرة التي تجاوزها، ارتدا يقصان أثرهما حتى انتهيا إلى الصخرة، وعندما وجدا العبد الصالح كما قال تعالى: ﴿قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبِغُ فَأَرْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِّن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾﴾ [سورة الكهف ١٨/٦٤-٦٥] قال: رسول الله ﷺ: ((فرجعا يقصان أثرهما حتى انتهيا إلى الصخرة، فإذا رجل مُسجى بثوب، فسلم عليه موسى، فقال الخضر: وأن بأرضك السلام. فقال: أنا موسى، فقال: موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم، أتيتك لتعلمني مما علمت رشداً.....)) الحديث^(١).

هذا العبد الصالح هو الخضر^(٢) كما صح عن النبي ﷺ، أنه قال: ((بيننا موسى في ملأ من بني إسرائيل. إذ جاءه رجل فقال: تعلم مكان رجل أعلم منك؟ قال: لا. فأوحى الله إلى موسى: بلى عبدنا خضر. فسأل موسى السبيل إلى لقياه.....)) إلى أن قال: ((فارتدا على آثارهما قصصاً، فوجدا عبدنا خضراً فكان من شأنهما ما قص الله في كتابه))^(٣).

(١) سبق تخريجه ٣٤١.

(٢) وقد روي عن النبي ﷺ قوله: " إنما سمي الخضر لأنه جلس على فروة بيضاء فإذا هي تمتاز من خلفه خضراء". (أخرجه البخاري في صحيحه (٣/١٢٤٨ ح ٣٢٢١). وقد اختلف المفسرون في الخضر هل هو نبي أم لا؟ فقد رجح الإمام ابن كثير ﷺ في تفسيره ١١١/٣ وفي كتاب البداية والنهاية ١/٣٢٥-٣٢٨، القول بأنه نبي، وأورد أدلة على هذا. وكذلك الإمام الألوسي في روح المعاني ١٥/٣٢١-٣٢٢، والإمام الشنقيطي في كتاب أضواء البيان ٣/٣٢٢، والإمام القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ١١/١٨ وغيرهم. وقال الإمام ابن عطية في المحرر الوجيز ٣/١٢٠٣: الخضر نبي عند الجمهور، وقيل: عبد صالح غير نبي. وقال العلامة ابن عثيمين ﷺ في تفسيره: ٦/٩٠: "كل ذلك ممكن، لكن النصوص على أنه ليس برسول ولا نبي، إنما هو عبد صالح أعطاه الله كرامات ليبين الله بذلك أن موسى عليه السلام لا يحيط بكل شيء علماً، وأنه يفوته من العلم الشيء الكثير".

(٣) تفسير ابن كثير ٣/١٠٧، الحديث سبق تخريجه ١٠٣.

فبدأ الحق تبارك وتعالى يصف هذا العبد الصالح الذي عنده من العلم ما لم يكن عند كليمه موسى عليه السلام. ومن جملة هذه الأوصاف التي جاءت مرتبة على النحو التالي: (أولاً: وصفه بالعبودية، حيث قال: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا﴾ وهي أسمى مقامات التشريف، إذ إنه أضيف في ارتباطه وتبعيته لله جل وعلا، و تستلزم هذه الصفة من العبد العالم معاني عدة منها:

- ابتغاء الأجر من الله في تعليم العلم، وهذا دأب أنبياء الله، وكل من آتاه الله علماً.
 - دوام المراقبة لله في السر والعلانية، وقد قيل: ليس العلم ما حفظ، لكن العلم ما نفع.
 - دوام السكينة والوقار والخشوع والتواضع لله والخضوع.
 - الإخلاص وعدم الرياء، بأن يقصد العلم في الحال تحلية باطنه وتجميله بالفضيلة. ولا يقصد به الرياسة والمال وممارسة السفهاء ومباهاة الأقران.
 - رد العلم إلى الله وعدم الشعور بالغرور، فلا ينبغي للمرء مهما أوتي من العلم والحكمة أن يغفل عن سعة علم الله الذي يتجاوز تصورات البشر ومداركهم .
- وهذا ما أراده المولى - جل ثناؤه - أن يعلمه لموسى عليه السلام، عندما جمعه مع العبد الصالح، وكذلك قول الخضر لموسى: ﴿وَمَا فَعَلْنَاهُ عَنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [سورة الكهف ١٨/٨٢]، فرد العلم إلى الله^(١).

ثم جاء الوصف الثاني لهذا العبد وهو الرحمة،^(٢) حيث قال تعالى: ﴿ءَأَيُّتُهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا﴾ هذه الرحمة قال بعض المفسرين: إنها هي النبوة. وقيل: النعمة^(٣). وعلى كلٍّ فهي رحمة خاصة أعطاه الله إياها، بما زاد علمه وحسن عمله^(٤).

هذه الرحمة تؤتي إيتاء من الله للعبد، فهي فيض من الله يغمر الشخص فيعيش في سعادة وهناء. ولقد قدمت على العلم وذلك؛ أن الرحمة من الله شاملة لكل المخلوقات، فلا حياة لها

(١) تعلم الحياة مع قصص سورة الكهف ٦٨-٧٠.

(٢) وقد تقدم معنا في مبحث أسس الرحمة بيان لمعاني الرحمة.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ١١/١٨.

(٤) تفسير ابن سعدي ٤٣١.

إلا برحمة الله. كما أن الرحمة شاملة لبني البشر مسلمهم وكافرهم، ولولا رحمة الله لما تسنى لهم العيش في هذه الدنيا.

أما العلم فإنه لا يُعَلَّم من الله تعليماً لأنه يحتاج إلى جهد وتعلُّم وكسب وسعي. وإذا لم يتفاعل الإنسان مع العلم، ولم يسع إلى تحصيله لم يكتسب منه شيئاً. كذلك فإن الله لا يمنحه لكل المخلوقات، كما أنه لا يمنحه لكل الناس، وبخاصة إذا كان العلم علماً لدنياً خاصاً، مثل العلم الذي علمه الله للخضر.

ونظراً لعموم الرحمة فقد عبر الحق جل جلاله عنها بكلمة (مِنْ عِنْدِنَا) العامة، ونظراً لخصوصية العلم عبر عنه بكلمة (مِنْ لَدُنَّا) الخاصة^(١).

وإذا كانت الرحمة من الأسس التي تقوم عليها الصحبة، فهي "الأساس الذي يسبق العلم وهي الجو والبيئة المناسبة لنفع العلم، وخيره وبركته، فإذا نزعَت الرحمة من العلم، وإذا لم تسبقه ولم تكن تمهيداً وأساساً له، كان العلم شراً وخراباً وتدميراً"^(٢).

وتستلزم هذه الصفة من العالم (سعة صدره في تعامله مع تلاميذه، فلا يضيق لأقل الأسباب ولا يغضب من تصرفاتهم، بل عليه أن يذكرهم ويوجههم عند وقوع الخطأ، ويشفق عليهم ويتلطف بهم. وهذا ما كان عليه الخضر مع موسى عليه السلام، وما وقع فيه من النسيان لما وعده به من عدم السؤال عما سيفعله، فما كان من الخضر إلا أن عامله معاملة ملؤها الرحمة والشفقة وسعة الصدر، فما زاد على أن ذكره بوعدة له قائلاً: ﴿إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ [سورة الكهف ٦٧/١٨].

كذلك تستوجب على المعلم أن يوضح للمتعلم مآل الأمور حتى لا يكلفه فوق طاقته لعلمه بحقيقة الأمر المقدم عليه. فقد أوضح الخضر لموسى عليه السلام بعبارة صريحة عدم قدرته على الصبر على ما سيرى من أفعاله رحمة به، كما في قوله: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾

(١) انظر مع قصص السابقين في القرآن ٦/٢٠٦ - ٢٠٨.

(٢) المرجع السابق ٦/٢٠٨.

[سورة الكهف ٦٨/١٨]، وقوله: ﴿ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِمَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴾ [سورة الكهف ٧٨/١٨] (١).

ثم عطف بالصفة الثالثة من صفات العالم، وهي العلم (٢) قال تعالى: ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴾ أي: "يعني علماً لا يطلع عليه الناس، وهو علم الغيب في هذه القصة المعينة، وليس علم النبوة ولكنه علم خاص؛ لأن هذا العلم الذي اطلع عليه الخضر لا يمكن إدراكه، وليس شيئاً مبنياً على المحسوس، فيبني المستقبل على الحاضر، بل شيء من الغائب، فأطلع الله على معلومات لا يطلع عليها البشر" (٣).

هذه الصفة كانت بغية موسى عليه السلام ومقصده من سفره هو وفتاه، كما في الحديث: ((إن موسى سئل هل في الأرض أحد أعلم منك؟ فقال: لا...)) إلخ، فكره ذلك له، فأراد الله تعريفه أن من عباده في الأرض من هو أعلم منه.

هذه الصفة هي التي اختص بها الخضر دون بقية الخلق، وهي العلم اللدني: الذي عبر عنه بعض أهل العلم؛ فقال: هو "ما يحصل للعبد من غير وساطة بل بإلهام من الله، وتعريف منه للعبد. ولذا قال تعالى: ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴾ ، والعلم اللدني ثمرة العبودية والمتابعة والصدق مع الله والإخلاص له، وبذل الجهد في تلقي العلم من مشكاة رسوله وكمال الانقياد له" (٤).

(١) انظر تعلم الحياة مع قصص سورة الكهف ٧٠-٧١.

(٢) العلم: إدراك الشيء بحقيقته، وذلك ضربان؛ أحدهما: إدراك ذات الشيء، والثاني: الحكم على الشيء بوجود شيء هو موجود له أو نفي شيء هو منفي عنه. ومن وجه آخر ضربان؛ سمعي وعقلي، ومن وجه نظري وعملي. انظر المفردات ٣٤٣. والعلم الذي يعلمه الله لعباده نوعان: علم مكتسب: يدركه العبد بجده واجتهاده. وعلم لدني: يهبه الله لمن يشاء من عباده. والعلم النافع: هو العلم المرشد إلى الخير، فكل علم يكون فيه رشد وهداية لطريق الخير وتحذير عن طريق الشر أو وسائله فهو من العلم النافع. وما عداه فهو من الضار. تفسير ابن سعدي ٤٣٣-٤٣٤.

(٣) تفسير ابن عثيمين ٩٠/٦.

(٤) وقسم إلى علم لدني رحمان: وذلك ما جاء موافقاً لما جاء به الرسول عن ربه. وعلم لدني شيطاني، باطني وهو ما يعبر عنه بالوحي، ولا وحي بعد الرسول. ولذا فإن العلم اللدني هو ما قام الدليل الصحيح عليه أنه جاء من عند الله على لسان رسوله، وما عداه فلدني من عند نفس الإنسان، منه بدأ وإليه يعود. انظر: مدارج السالكين ٢/٤٧٥-٤٧٦.

قال ابن عطية رحمته الله: "كان علم الخضر معرفة بواطن قد أوحيت إليه لا تعطى ظواهر الأحكام أفعالها بحسبها، وكان علم موسى عليه السلام، علم الأحكام والفتيا بظاهر أقوال الناس وأفعالهم" (١).

ثم انتقل الحق تبارك وتعالى إلى بيان بعض صفات المتعلم وبعض آدابه المتمثلة في نبيه موسى عليه السلام، والتي تفهم وتستخرج من قوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [سورة الكهف ١٨/٦٦] ، ومن أهم هذه الصفات: صفة التواضع من موسى عليه السلام مع منزلته ومكاته وقربه من الله إلا أنه جعل نفسه تبعاً للخضر رغم أفضليته عليه، فهذا هو ذا يرتحل ليأخذ العلم ممن هو دونه، كذلك تواضعه في الحديث مع هذا العالم حيث ابتداءً معه بعرض طلب اتباعه بلطف بشكل غير مباشر. فهذه المتابعة تقتضي منه التسليم لمعلمه وترك منازعته والاعتراض عليه، لأنه سوف يأخذ منه علماً لا يعلمه، وفي هذا دليل على أنه ينبغي لطالب العلم أن يتلطف مع شيخه وأستاذه وأن يعامله باحترام (٢).

كذلك على المتعلم أن يحدد الهدف الذي يسعى إليه سواء في تعلمه أو في أي أمر من أموره. ونبي الله موسى عليه السلام، حدد هدفه من صحبته للخضر بقوله: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ أي: هلا أصحبك على أن تعلمني مما علمك الله شيئاً أسترشد به في أمري من علم نافع وعلم صالح (٣).

ثم خصص من هذا العلم بما فيه الرشد والخير، وذلك أن العلم الذي لا رشاد فيه ولا هداية يكون فتنة لصاحبه وقائداً به إلى الهلاك.

(١) المحرر الوجيز ١٢٠٣.

(٢) انظر: تفسير ابن سعدي ٤٣٣، تفسير ابن عثيمين ٩١/٦، العواصم من الفتن في سور الكهف ٩٩.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير ١٠٧/٣، هذا وقد قرئت (رُشْدًا): بضم الراء وسكون الشين وهي قراءة الجمهور. وقرأ أبو عمرو ويعقوب بفتح الراء و الشين. وكلتاها لغة. التحرير والتنوير ١٠٧/١٥.

وذلك أن مهمة العالم والواجب المترتب عليه هو الإرشاد والهداية، وموسى عليه السلام ما طلب العلم للعلم، إنما طلبه ليزداد هداية ورشداً. وهذا دليل على كمال تواضعه وإخلاصه عليه السلام^(١).

ولما عرف العبد الصالح المكانة العالية لموسى عليه السلام قال له: ﴿قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ [سورة الكهف ٦٧/١٨] أي: إنك لا تقدر على مصاحبتى لما سوف ترى من الأفعال التي تخالف شريعتك، لأني على علم من علم الله ما علمك الله، وأنت على علم من علم الله ما علمنيه الله. فكل منا مكلف بأمر من الله دون صاحبه، وأنت لا تقدر على صحبتي فيه، إذ إن الإنسان العالم يشق عليه أن يسكت إذا سمع أو رأى شيئاً يخالف علمه. وهذا ما دعاه إلى زيادة قوله: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾ [سورة الكهف ٦٨/١٨] أي: وكيف تصبر وأنت نبي ورسول على أمور منكورة في ظاهرها؟^(٢).

وفي هذا تحذير لموسى عليه السلام وتنبية على ما يستقبل منه حتى يقدم على متابعته وصحبته إن شاء على بصيرة وعلى غير اغترار. وذلك لتحقيق خطورة أعماله وغرابتها في المتعارف بحيث لا تتحمل^(٣).

في إشارة منه إلى أن الصبر على تعلم العلم من أهم الصفات التي ينبغي أن يتحلى به طالب العلم، "فمن ليس له قوة صبر على صحبة العالم والعلم وحسن الثبات على ذلك، ليس بأهل لتلقي العلم، فمن لا صبر له لا يدرك العلم، ومن استعمل الصبر ولازمه أدرك به كل أمر سعى إليه"^(٤).

كذلك من الصفات الإخلاص وحب العلم، المتمثلة في نبي الله موسى عليه السلام، التي جعلته يقول للعبد الصالح عبارة فيها من الحزم والعزم على الصبر على تعلم هذا العلم الذي ارتحل

(١) العواصم من الفتن في سور الكهف ١٠٠ .

(٢) انظر تفسير ابن كثير ١٠٨/٣، والعواصم من الفتن في سور الكهف ١٠٠ .

(٣) التحرير والتنوير ١٥/١٠٨ .

(٤) تفسير ابن سعدي ٤٣٤ .

وتحمل المشاق في سبيل الوصول إليه: ﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا﴾ أي: ستجدني صابراً على ما أرى منك وإن كان خلافاً لما هو عندي صواب^(١).

وهذا أبلغ في ثبوت الصبر، لأنه يدل على حصول صبر ظاهر لرفيقه. ولما كان هذا الصبر الكامل يقتضي طاعة الأمر فيما يأمره عطف عليه ما يفيد الطاعة إبلاغاً في الاتسام بأكمل أحوال طالب العلم^(٢). ثم أبدى عزمه على الصبر بقوله: ﴿وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ [سورة الكهف ٦٩/١٨] أي: لا أخالفك في شيء، بل أمتثل بما تأمرني^(٣).

ولما علم الخضر عزم موسى عليه السلام على المضي معه، شرط عليه شرطاً فقال:

﴿قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحَدِّثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ [سورة الكهف ٧٠/١٨] أي: إن عزمت على مصاحبتي فلا تسألني عن شيء أعمله مما تستنكره، فإنني قد أعلمتك أي أعمل العمل على الغيب الذي لم تحط به علماً، حتى أكون أنا الذي أفسره لك.

وهذا العمل من الخضر تأديب وإرشاد لما يقتضي دوام الصحبة، وذلك أن الصبر وعدم الاعتراض على الصاحب مما يزيد من الألفة والمحبة في عموم الصحبة. بخلاف ما إذا قل الصبر وكثر الاعتراض على الصاحب فإنه يفضي إلى التفرق، وهذا ما حصل من موسى عليه السلام، فلو صبر ودأب لرأى العجب، لكنه أكثر من الاعتراض فتعين الفراق والإعراض^(٤).

تم عقد الصحبة بينهما وانطلقا في رحلتها في طلب العلم، في مشهد يعد برنامجاً تطبيقياً عملياً لبرنامج الصحبة بين العالم والمتعلم، وقد صور الحق تبارك وتعالى ثلاث مراحل من هذه الصحبة:

المرحلة الأولى: حرق السفينة^(٥)، قال تعالى: ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْنَاهَا لِنُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾ [سورة الكهف ٧١/١٨]. حيث أشارت الآية إلى انطلاقهما في سفر، لكن لم يحدد وجهته ولا الهدف منه، لكن أشار به إلى إتمام عقد الصحبة

(١) جامع البيان ١٧/٤٩٤.

(٢) التحرير والتنوير ١٥/١٠٩.

(٣) بتصرف من تفسير ابن كثير ٣/١٠٧.

(٤) بتصرف من الجامع لأحكام القرآن ١١/١٩.

(٥) الحرق: الثقب والشق وهو ضد الالتئام. التحرير والتنوير ١٥/١١١.

فيما بينهما.. وقد جاء في الحديث الذي رواه أبي ابن كعب رضي الله عنه المتقدم: ((فانطلقا يمشيان على ساحل البحر، فمرت سفينة فكلموهم أن يحملوهم، فعرفوا الخضر فحملوهم بغير نول^(١)، فلما ركبا في السفينة لم يفاجأ موسى إلا والخضر قد قلع منها لوحاً من ألواح السفينة بالقدوم))^(٢). فما كان من موسى عليه السلام إلا أن استعظم هذا الأمر فقال: ﴿ قَالَ أَخْرَقْنَهَا لِنُغْرَقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴾ أي: لقد ارتكبت أمراً عظيماً شنيعاً^(٣)، لأن ظاهر هذا الأمر منكر لأنه عيب للسفينة، وإغراق لأهلها الذين أحسنوا إليهما.

هذا التصرف من موسى عليه السلام وعدم صبره، قابله الخضر بلين ورفق ولم يزد على أن ذكره بما تقدم من شرط بينهما فقال: ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ [سورة الكهف ١٨/٧٢] أي: هذا الصنيع فعلته قصداً، وهو من الأمور التي اشترطت عليك ألا تنكرها علي، لأنك لم تحط بما خيرا^(٤). فتنبه موسى عليه السلام لهذا، وقدم عذره للخضر واعتذر له بالنسيان حيث قال: ﴿ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴾ [سورة الكهف ١٨/٧٣] أي: إن ذلك كان بسبب النسيان، وإن هذا الأمر عظيم يدهش منه، أن تغرق السفينة وهم على ظهرها وقد أحسن أهله إليهما. هذا الفعل يوجب النسيان.

ثم طلب منه ألا يعسر عليه في هذا وأن يسمح له بمتابعته، وقد جمع بين الإقرار بالنسيان والعذر منه،^(٥) كما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم، قوله: ((كانت الأولى من موسى نسياناً))^(٦). فسمح له الخضر وقبل اعتذاره...

ثم ينقلنا النص القرآني إلى المرحلة الثانية: وهي قتل الغلام، حيث قال تعالى: ﴿ فَأَنْظِلْنَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَ غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي لَقَدْ جِئْتُ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتُ شَيْئًا تُكْرَهُ ﴾ [سورة الكهف ١٨/٧٤]. هذا

(١) أي: بغير أجرة.

(٢) سبق تخريجه ص ٣٤١.

(٣) جامع البيان ١٧/٤٩٦، تفسير ابن كثير ٣/١٠٨، تفسير ابن سعدي ٤٣٢.

(٤) تفسير ابن كثير ٣/١٠٨.

(٥) تفسير ابن سعدي ٤٣٢.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب حديث موسى مع الخضر، (٣/١٢٤٧ ح ٣٢٢٠) ومسلم في صحيحه باب من فضائل الخضر عليه السلام (٤/١٨٤٩ ح ٢٣٨٠).

الانطلاق يفهم منه أنهما كانا يسيران في البر، فيكون المعنى: فبينما هما يسيران وإذ بمجموعة من الغلمان يلعبون، فتقدم الخضر إلى أحدهم فأخذه فقتله^(١).

لما شاهد موسى عليه السلام هذا الفعل أنكره إنكاراً أشد من الإنكار السابق. وبادر بقوله: ﴿أَقَلَّتْ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾ أي: لقد ارتكبت بفعلتك هذه أمراً منكراً عظيماً. وذلك كون هذا الغلام صغيراً لم يبلغ الحلم ولم يقترب إثمًا بعد، وهذا يفهم من وصف موسى عليه السلام لهذه النفس بقوله: (زَكِيَّةٌ) أي: المطهرة التي لم تذنّب قط لصغرها،^(٢) وقيل التائبة المغفور لها ذنوبها.^(٣) ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾ أي: منكراً عظيماً.

ولقد فرق العلماء بين عبارتي (إمراً) و (نكراً) ومن ذلك قول من قال: "إن الإمر أخص من النكر. ولكل منهما معنى؛ فقوله: (إمراً) أفضح وأهول من حيث هو متوقع عظيم. وقوله: (نكراً) أبين في الفساد لأنه مكروه وقد وقع"^(٤).

وإنكار موسى على الخضر في هذه المرحلة ليس نسياناً ولكنه رجح تغيير المنكر العظيم، وهو قتل الغلام بدون موجب على واجب الوفاء بالالتزام. أو لأنه نسي وأعرض عن الاعتذار بالنسيان لسماحة تكرار الاعتذار به^(٥). وذلك أن حرق السفينة قد يكون به الغرق وقد لا يكون. وهذا هو الذي حصل إذ لم تغرق السفينة. أما قتل الغلام فهو منكر حادث، ما فيه احتمال^(٦).

ثم هاهي ذي سماحة المعلم الرؤوف تتجلى في طريقة معاتبته لتلميذه حيث أعاد تذكيره بوعده الذي قطعه على نفسه لكن بزيادة في اللفظ، حيث قال: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ

(١) قيل: إن هذا الغلام كان أحسنهم منظراً، وقد تعددت الأقوال في طريقة قتله.. الجامع لأحكام القرآن ٢١/١١.

(٢) وعلى هذا المعنى قراءة عامة أهل الحجاز والبصرة (زاكية).

(٣) على قراءة أهل الكوفة (زكية)، وقال الإمام ابن جرير الطبري في تفسيره والصواب: أنهما بمعنى واحد. ١/١٨.

(٤) المحرر الوجيز ١٢٠٥.

(٥) التحرير والتنوير ١١٣/١٥.

(٦) تفسير ابن عثيمين ٦/٩٤.

صَبْرًا ﴿ [سورة الكهف ١٨/٧٥]. قال بعض العلماء زيادة المبني تدل على زيادة المعنى، فيكون المعنى زيادة في لوم أشد على موسى عليه السلام^(١).

عند ذلك بادر موسى عليه السلام فشرط على نفسه شرطا يطمئن به نفس صاحبه لما رأى أنه لا عذر له، فقال: ﴿ قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَحِّبْنِي ﴾ أي: إن عاد إلى سؤال صاحبه فقد جعل له الحق في الاستغناء عن هذه الصحبة، وأنه مُعذر في ترك صحبته، وعلل ذلك بقوله: ﴿ قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا ﴾ [سورة الكهف ١٨/٧٦] أي: قد وصلت إلى حالة تعذر فيها بترك صحبتي، ولم تقصر معي.

قال رسول الله ﷺ: ((رحمة الله علينا وعلى موسى لولا أنه عجل لرأى العجب ولكنه أخذته من صاحبه ذمامة، قال: إن سألتك عن شيءٍ بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدي عذراً، ولو صبر لرأى العجب))^(٢). وفي رواية: ((يرحم الله موسى لو كان صبر لقص علينا من أمرهما))^(٣).

فقبل الخضر اعتذار موسى عليه السلام. وانطلقا في طريقهما لتبتدئ المرحلة الثالثة من صحبتهما؛ قال تعالى: ﴿ فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَى أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ فَاقَامَهُ. قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾ [سورة الكهف ١٨/٧٧]. أي: سارا حتى وصلا إلى قرية لثام أهلها، كما في الحديث: ((حتى إذا أتيا أهل قرية لثاماً^(٤) فأبوا أن يضيفوهما، فوجد جداراً يريد أن ينقض فأقامه))^(٥). أي: طلبا من أهلها طعاماً، فأبوا أن يضيفوهما، وهذا خلاف الكرم، وخلاف كمال الإيمان، حيث إن النبي ﷺ قال: ((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه))^(٦).

(١) كما قال الزمخشري في الكشاف ٦٢٦: معنى زيادة لك زيادة المكافحة بالعتاب على رفض الوصية، والوسم بقلة الصبر عند الكرة الثانية .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه باب من فضائل الخضر عليه السلام (٤/١٨٥١ ح ٢٣٨٠).

(٣) سبق تخريجه ص ٣٦٢.

(٤) أي: بخلاء

(٥) سبق تخريجه ص ٣٤١.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه بعدة روايات منها، كتاب الأدب، باب إكرام الضيف وخدمته (٥/٢٢٧٣ ح ٥٧٨٥). ومسلم في صحيحه، باب الحث على إكرام الضيف (١/٦٨ ح ٤٧).

وبينما هما يسيران في هذه القرية وإذ بجدار مائل يكاد يسقط، فأقامه الخضر^(١).

موسى عليه السلام في هذا الموقف أشار بمشورة على الخضر فقال: ﴿لَوْ شِئْتَ لَخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ أي: لو شئت لم تقم لهؤلاء القوم جدارهم حتى يعطوك عوضاً عن بنائه، فهؤلاء القوم لم يضيفونا.

عندها قال الخضر: ﴿قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ أي: هنا ينتهي ما بيني وبينك فلا صحبة بيننا، حيث إنك شرطت عند قتل الغلام ألا تسألني عن شيء وإن سألتني فإني معذور في ترك صحبتك. فقد شرطت ذلك على نفسك ولم يبق الآن عذر ولا موضع للصحة^(٢).

﴿سَأْنَيْتُكَ بِنَاوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ [سورة الكهف ١٨/٧٨] أي: سأخبرك بما أنكرت علي، وأنبتك بمال عاقبة أفعالي التي فعلتها، ولم تستطع ترك مسألتي أو ترك الإنكار علي، وأبين لك أن لي في ذلك مآرب^(٣). وهذا من حقوق الصحبة وآدابها، إذ ينبغي للصاحب ألا يفارق صاحبه في حالة من الأحوال ويترك صحبته حتى يعتبه ويعذر منه^(٤).

ثم شرع الخضر في تفسير تصرفاته التي لم يصبر موسى عليه السلام عليها، فبدأ بالسفينة فبين له وجه الحكمة من حرقها بقوله: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ [سورة الكهف ١٨/٧٩] أي: إن هذه السفينة كانت لمجموعة من المساكين^(٥)، الذين اتخذوا منها وسيلة لطلب الرزق.

(١) أقام الجدار: أي سوى ميله. وقد اختلف في كيفية إقامته، فقيل أقامه بيده وقيل: هدمه ثم أعاد بناءه من جديد، وقال ابن جرير الطبري (١٠/١٨): والصواب أن يقال: إن الله أخبر أن صاحب موسى وجد جداراً يريد أن ينقض فأقامه صاحب موسى بمعنى عدل ميله حتى عاد مستويا.

(٢) تفسير ابن عثيمين ٩٦/٦، تفسير ابن سعدي ٤٣٥.

(٣) بتصرف من جامع البيان ١٣/١٨.

(٤) تفسير ابن سعدي ٤٣٥.

(٥) المساكين: بمعنى ضعفاء المال الذين يرتزقون من جهدهم ويرق لهم لأنهم يكدحون دهرهم لتحصيل عيشهم، ووصفهم بالمساكين: ليس المراد أنهم فقراء أشد الفقر بل المراد أنهم يرق لهم. التحرير والتنوير ١٥/١١٧.

وبين أن غرضه من فعلته بها هو قوله: (أَعْيَبَهَا) وليس إغراق أهلها. وذلك لأن لهؤلاء المساكين ملكاً ظالماً جائراً لا يراعي حق الصحبة فيمن تحته من الرعية. فقد كان يأخذ كل سفينة صالحة لنفسه ويحرم أهلها منها. أما السفن التي بها عيب فإنه يتركها.

ومن هذا تبين لموسى عليه السلام أن فعل الخضر بالسفينة (تصرف يرمى المصلحة الخاصة عن إذن من الله بالتصرف في مصالح الضعفاء، إذ كان الخضر عالماً بحال الملك، أو أن الله أعلمه بوجوده حينئذ. فتصرف الخضر قائم مقام تصرف المرء في ماله بإتلاف بعضه لسلامة الباقي. فتصرفه وإن كان في ظاهره إفساد فهو في الواقع إصلاح، وهو من باب دفع أشد الضررين بأخفهما، وهذا أمر خفي لم يطلع عليه إلا الخضر، ولذا أنكره موسى عليه السلام)^(١).

ثم بين له المراد من قتل الغلام فقال: ﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنِينَ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهَقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ [سورة الكهف ٨٠/١٨] إن هذا الغلام كان كافراً، كما ثبت في الصحيح، من قوله ﷺ: ((قال: الغلام الذي قتله الخضر طبع يوم طبع كافراً ولو عاش لأرهبق أبويه طغياناً وكفراً))^(٢). أما أبواه فقد كانا مؤمنين، فبين السبب في قتله وهو خشيته كما أشار بقوله: (فَخَشِينَا) أي: خفنا أن يحملهما جبهما لهذا الغلام إلى الطغيان والكفر، إما لمحبتهما له، أو غير ذلك من الأسباب. فتقودهما صحبتهما إياه إلى الكفر؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا آمَاؤُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة الأنفال ٢٨/٨]، ثم بين السبب والغاية من هذه الفعلة بقوله: ﴿فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ [سورة الكهف ٨١/١٨] أي: إن قتلي له، لاطلاعي على ذلك، سلامةً لدين أبويه المؤمنين، فهو تصرف بوحى من الله، جار على قطع فساد خاص علمه الله وأعلم به الخضر بالوحي، وليس من مقام التشريع^(٣). فهذا الفعل وإن كان في ظاهره شراً لهما وقطعا لذريتهما فإن الله سيعطيتهما من الذرية ما هو خير منه، فأردنا أن يبدلنا ربهما بولد صالح أزكى^(٤) من هذا

(١) التحرير والتنوير ١٥١١٨.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، باب حكم موت أطفال الكفار (٤/٢٠٥٠ ح ٢٦٦١).

(٣) التحرير والتنوير ١١٨/١٥.

(٤) الزكاة: الطهارة والنقاء من الذنوب. الكشاف ٦٢٨.

وأرحم بهما منه. فإن هذا الغلام الذي قتل لو بلغ لعقهما أشد العقوق، وحملهما على الكفر والطغيان^(١).

فأراد الله اللطف بأبويه وحفظ إيمانهم لطفاً خارقاً للعادة جارياً على مقتضى سبق علمه. وفي هذا حفظ للدين بحفظ أتباعه من الكفر^(٢)(٣).

أما بناؤه للجدار في تلك القرية اللثام أهلها وعدم أخذه لأجرة البناء، ففسره بقوله: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّنَ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾

[سورة الكهف ١٨/٨٢] أي: إن هذا الجدار الذي أقمته، حتى لا ينهدم كان لغلامين يتيمين لم يبلغا الحلم، مات أبوهما، فصار في حالة تقتضي الرأفة والرحمة بهما. وكان تحت هذا الجدار كنز^(٤) تركه لهما أبوهما. ولو ترك الجدار ينقض لانكشف الكنز لأهل هذه القرية اللثام ولأخذوه وحرموا منه أهله، فكان تصرفه في شأنهما عن إرادة الله اللطيف باليتيمين. ثم بين سبب هذه الرحمة وهذا الحفظ لهما قال تعالى: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ أي: كان هذا الحفظ من الله جزاء لأبيهما على صلاحه. وقد قيل: إن هذا الأب هو الأب السابع لهما، مما يبين عظم ومنزلة الصلاح عند الله. فلو سقط الجدار قبل بلوغهما لتناولت الأيدي مكانه بالحفر ولعثر عليه عاثر، وهذا لطف خارق للعادة. فأقمت هذا الجدار حتى يبلغ هذان الغلامان ويستخرجا كنزهما.

وقد أسند الإرادة في قصة الجدار إلى الله دون القصتين السابقتين، لأن العمل فيهما كان من شأنه أن يسعى إليه كل من يقف على سره لأن فيهما دفع فساد عن الناس،

(١) بتصرف من تفسير ابن كثير ٣/١٠٩.

(٢) التحرير والتنوير ١٥/١١٨.

(٣) روي أنه ولدت لهما جارية تزوجها نبي فولدت نبيا هدى الله على يديه أمة من الأمم. الكشاف ٦٢٨.

(٤) هذا الكنز قيل: هو مال مدفون تحته. وقيل: كان صحفا فيها علم مدفون، وقال الإمام ابن جرير في تفسيره: وأولى القولين بالصواب: أنه مال مدفون وذلك لأن العرب تطلق اسم الكنز على المال المدفون. جامع البيان ١٨/٢٢.

بخلاف هذه القصة التي فيها كرامة من الله لأبي هذين الغلامين^(١) (٢).

ثم عقب الخضر على هذه الأفعال بقوله: ﴿وَمَا فَعَلْنَاهُ عَنْ أَمْرِ رَبِّي﴾: إن ما قمت به ليس تصرفاً ذاتياً واجتهاداً شخصياً، وإنما كان ذلك بأمر الله ورحمته.

﴿ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ هذا هو التأويل لهذه الأفعال التي لم تطق الصبر عليها.

ولقد فرق أهل العلم بين عبارتي الخضر (تَسَطَّعَ) و (تَسَطَّعَ) فقالوا: إنه لما كان الإشكال قوياً ثقیلاً على نفس موسى وعلى الحالة النفسية التي كان يعيشها لشدة وقع الأفعال الثقيلة على نفسه والتي لا يعرف وجه الحكمة منها جاء اللفظ مثقلاً بالتاء لموافقة الثقل النفسي لموسى عليه السلام.

ولما فسر له وبين ووضح أزال المشكل عنه وزال الثقل النفسي وخف حمله منها، لذ حذفت التاء فقال: (تَسَطَّعَ) بحذف التاء لتوافق خفة الكلمة الخفة النفسية التي فيها موسى بعد تفسير هذه الأفعال^(٣).

وهنا ينتهي خبر الخضر وتنتهي صحبته لموسى - عليه السلام - وقد روي أن موسى لما فارق الخضر قال أوصني فقال: لا تطلب العلم لتحدث به واطلب العلم للعمل به.

وفي هذه القصة التي أخبر الله نبيه ﷺ فيه خبر موسى وصاحبه، تأديب منه له، وتقدم إليه بترك الاستعجال بعقوبة المشركين الذين كذبوه واستهزؤوا به وبكتابه، وإعلامه أن أفعاله بهم وإن جرت فيما ترى الأعين بما قد يجري مثله أحياناً لأولياته فإن تأويله صائر بهم إلى أحوال أعدائه فيها، كما كانت أفعال صاحب موسى واقعة بخلاف الصحة في الظاهر عند

(١) التحرير والتنوير ١١٩/١٥.

(٢) وقد ذكر بعض المفسرين توجيهات لتغاير عبارات الخضر حيث قال في المرحلة الأولى: فأردت، وفي الثانية: فأردنا، وفي الثالثة: فأراد ربك. ومن ذلك: قول القائل: إنه لما ذكر العيب أضافه إلى نفسه على سبيل التأدب مع الله. ولما قتل عبر عن نفسه بلفظ الجمع تنبيهاً على أنه من العلماء العصماء في علم الباطن وعلوم الحكمة. انظر: تفسير الخازن ٤/٣٢٨، الكشاف ٦٢٧. وقيل: إنه أمل كان قد رآه هو وأصحابه الصالحون وتكلم منه على معنى الخشية على الوالدين وتمنى التبديل لهما. ولما ذكر حفظ المصالح في مال اليتيمين لأجل صلاح أبيهما أضافه إلى الله لأنه حفظ الأبناء بصلاحه وهذا رعاية حق الآباء وليس إلا لله سبحانه وتعالى - وقيل لأن في أمر مستأنف في الزمن طويل غيب من الغيوب فحسن إفراده. المحرر الوجيز ١٢٠٩.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير ٣/١١١، ومع قصص السابقين في القرآن ٦/٢٣٣.

موسى إذ لم يكن عالماً بعواقبها، وهي ماضية على الصحة في الحقيقة وآيلة إلى الصواب في العاقبة. ينبئ عن صحة ذلك قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْيلاً﴾ [سورة الكهف ٥٨/١٨] وأعلم نبيه أن تركه جل جلاله تعجيل العذاب لهؤلاء المشركين، بغير نظر منه لهم، وإن كان ذلك فيما يحسب من لا علم له بما الله مدبر فيهم، نظراً منه لهم، لأن تأويل ذلك صائر إلى هلاكهم وبوارهم بالسيف في الدنيا واستحقاقهم من الله في الآخرة الخزي الدائم.^(١)

ومن خلال ما تقدم نخلص إلى:

١. التفصيل والإيضاح للسبب الذي لأجله ارتحل موسى عليه السلام وفتاه وتحملا المشاق في سبيل الوصول إليه.
٢. جاء في هذه الآيات ذكر لأهم الصفات التي ينبغي أن تكون في العالم العابد. وهذه الصفات تعد قاسماً مشتركاً بين أنبياء الله والعلماء. مما يبين المنزلة العالية لأهل العلم، كما قال ﷺ: ((وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء، لم يورثوا دينارا، ولا درهما، إنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر)).^(٢) ومن هذه الصفات: العبودية الكاملة لله، والرحمة التي يزداد بها العلم ويحسن بها العمل، والعلم النافع الموصل إلى الهدى والرشاد.
٣. ذكر الحق تبارك وتعالى أهم صفات طالب العلم، وبين أن الاتصاف بها مما يقوي الصحبة بين العالم والمتعلم، ومنها؛ التواضع الذي يفضي إلى التلطف في الكلام وفي المعاملة. كذلك الصبر على الصاحب وعلى تعلم العلم، وعدم الاعتراض على المعلم لأن هذا مما يزيد الألفة والمحبة في عموم العلاقات.
٤. إذا تم عقد صحبة بين شخصين فلا بأس بأن يشترط كل منهما ما يراه مناسباً لاستمرار هذه العلاقة بينهما، وإن أحل أحد منهما بأحد الشروط فلآخر حق فسخ هذه العلاقة.

(١) انظر: جامع البيان ٢٥/١٨.

(٢) ذكره ابن حبان في صحيحه (١/٢٨٩ ح ٨٨)، وأبو داود في سننه (٣/٣١٧ ح ٣٦٤١) وصححه الألباني في صحيح الجامع ٦٢٩٧.

٥. صور الحق تبارك وتعالى برنامجاً لصحبة موسى والخضر، وبين من خلاله عدة فوائد، منها:

١- أن النسيان آفة تفضي بصاحبها إلى تفويت علم كثير، وتقود أحياناً إلى مشكلات كبرى.

٢- ينبغي لمن هذه حاله أن يقدم العذر لأصحابه، ويترك لهم حرية قبول هذا العذر أو رفضه.

٣- إن الرفق واللين في معاملة المخطئ على خطئه هي الطريقة التي سار عليها خير أهل العلم.

٤- إن الصبر على التعلم وما يقتضيه من أهم صفات طالب العلم.

٥- إذا تم الفراق بين الأصحاب، فلا بد من بيان الأسباب المفضية إليه وتوضيح المشكل من التصرفات، وألا يترك كل منهما الآخر إلا بعد أن يعذره ويعتبه.

٦- عندما شرع الخضر في بيان الحكمة في أفعاله، كانت كل حادثة منها عبرة وعظة بذاتها:

- ففي قصة السفينة بيان لما يجب أن يكون عليه الراعي مع رعيته وأنه ينبغي عليه أن يراعي مصالح من تحته، ثم إن تصرفه فيها كان لهذا السبب.
- وفي قصة الغلام بين أن رحمة الله بوالديه وحمائته لدينهما كانت السبب وراء قتل هذا الغلام، وقطع فساده المتوقع. ولذا أقدم الخضر على ما أقدم رجاء أن يبدلها الله خيراً منه في الصفاء والنقاء وفي الصلة.
- وفي قصة الجدار بين عظم منزلة الصلاح عند الله، وأنه سبيل لحفظ الأجيال جيلاً بعد جيل. إذ حفظ الله سبحانه للغلامين اليتيمين كنزهما حتى يبلغا أشدهما ويستخرجاه بسبب صلاح أبيهم.

ثم ختم الخضر بأن رد العلم وهذه الأفعال التي كان في ظاهرها الشر فصارت كلها خيراً إلى الفاعل الحقيقي لها وهو الله جل جلاله.

٦. أن على المصلحين والعلمين ألا يصيبهم اليأس والقنوط عندما يرون أن أصحاب المعاصي يرفلون بالنعم، بل لا بد لهم أن يعلموا أن نعيم الدنيا إلى زوال مهما كان عظيماً!

الباب الثالث

الباب الثالث: الصحبة: حقوقها، وآثارها، وفيه فصلان:

الفصل الأول: حقوق الصحبة، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الحقوق العامة.

المبحث الثاني: الحقوق الخاصة.

الفصل الثاني: آثار الصحبة، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: آثار الصحبة في الدنيا، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: آثار الصحبة الصالحة على الفرد والمجتمع.

المطلب الثاني: آثار الصحبة السيئة على الفرد والمجتمع.

المبحث الثاني: عاقبة الصحبة في الآخرة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: عاقبة الصحبة الصالحة.

المطلب الثاني: عاقبة الصحبة السيئة.

الفصل الأول: حقوق الصحة:

المبحث الأول: الحقوق العامة.

المبحث الثاني: الحقوق الخاصة.

المبحث الأول: الحقوق العامة

للإنسان مع من حوله في ظل الإسلام حقوق شتى منها ما هو عام لجميع المسلمين، وهو ما يعبر عنه بحقوق الأخوة الإسلامية، كالرحمة والإحسان فإنهما واجب لجميع الناس، بل يتعداهم لشمول جميع الكائنات من حيوانات ونباتات.

ومنها ما هو خاص يتصل بالعلاقات الفطرية كالعلاقة بين الولد والديه، أو المكتسبة كعلاقات الصحبة والصدقة في العمل والدراسة وغيرها من المجالات.

ولما كانت الصحبة علاقة تستوجب حقوقاً وآداباً لكل من جمعت بينهم، حث الإسلام عليها وأكدها ورغب فيها لما تحققه من ألفة ومحبة. وهذه الحقوق تختلف في حكمها، فمنها ما هو واجب، ومنها ما هو مندوب إليه.

وإن المتتبع لما أوجبه الله جل جلاله من حقوق وآداب سواء كانت واجبة أو مندوب إليها في كتابه العزيز أو في سنة نبيه ﷺ فيتعذر حصرها في مبحث كهذا، لكن سنقتصر على بيان بعض منها، ونحيل القارئ إلى بعض المصادر للاستزادة منها.

وهذا عرض لبعض الحقوق والآداب العامة لمن جمعت بينهم علاقة الصحبة بنوعيتها، أو علاقة الأخوة الإيمانية بالشكل العام أو غيرها من العلاقات:

❖ أولاً: إفشاء السلام وردده:

السلام^(١) شعيرة من شعائر الإسلام وسنة من سننه العظمى، شرعه الباري جل جلاله لتوثيق المودة والألفة بين أبناء هذه الأمة، وجعله شعاراً للأمن والأمان في الدنيا والآخرة.

قال تعالى في شأن أصحاب الجنة: ﴿دَعْوَتُهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَتُهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة يونس ١٠/١٠].

(١) السلام: أصله سلمت سلاماً مقصود منه الإنشاء، والسلام في الأصل: اسم يقوله القائل لمن يلاقيه بلفظ السلام عليك. ومعناه سلامة وأمن لك لا نكول فيه. وأصل المقصود منه هو التأمين عند اللقاء إذ قد يكون بين المتلاقيين إحن أو يكون من أحدهما إغراء بالآخر، فكان لفظ السلام كالعهد بالأمان. التحرير والتنوير ٢٨٢/١٩. لسان العرب ٢٩١/١٢ مادة (سلم).

أما في الدنيا فقد جعله سبحانه وسيلة لبث الأمان والطمأنينة، كما قال: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَيَّ أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [سورة النور ٢٤/٢٧]، وقال تبارك وتعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَيَّ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبْرَكَةً طَيِّبَةً﴾ [سورة النور ٢٤/٦١].

ثم أرشد إلى كيفية السلام ورده، وبين أن رده واجب بإحدى طريقتين؛ إما رده بلفظ يماثله، أو بتحية أفضل منه أي بزيادة لفظ فيه،^(١) كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّئْتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا بِكُلِّ شَيْءٍ حَسِيْبًا﴾ [سورة النساء ٤/٨٦].

كذلك جعله النبي ﷺ من أهم حقوق المسلم على أخيه المسلم حيث قال: ((حق المسلم على المسلم خمس؛ رد السلام، وعبادة المريض، واتباع الجنائز، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس))^(٢). وفي رواية قال: ((حق المسلم على المسلم ست. قيل: ما هن يا رسول الله؟ قال: إذا لقيته فسلم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحمد الله فشمته، وإذا مرض فعده، وإذا مات فاتبعه))^(٣). كذلك جعله ﷺ السبيل إلى المحبة التي يكمل بها إيمان المرء، وتكون سبباً لدخوله الجنة، كما في قوله ﷺ: ((لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؛ أفشوا السلام بينكم))^(٤). وقال: ((يا أيها الناس: أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا والناس نيام؛ تدخلوا الجنة بسلام))^(٥).

(١) جامع البيان ٣١٦/٧.

(٢) سبق تخريجه ٩٥.

(٣) سبق تخريجه ١٧٩.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون (١/٧٤١ ح ٥٤).

(٥) أخرجه الحاكم في المستدرک (٣/١٤٤ ح ٤٢٨٣) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وابن ماجه في سننه (١/٤٢٣ ح ٤١٣٤)، الترمذي في الجامع (٤/٦٥٢ ح ٢٤٨٥)، وقال: حديث صحيح، والألباني في السلسلة الصحيحة ١١٣/٢، وقال: صحيح على شرط الشيخين.

وأجمع العلماء على أن إلقاء السلام سنة ورده واجب، ويستحب السلام على من عرفت ومن لم، قال النبي ﷺ لمن سأله: ((أي الإسلام خير؟ فقال: ((تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف))^(١).

وللسلام آداب وأحكام كثيرة ليس هذا مجال بسطها^(٢).

❖ ثانياً: التحلي بمكارم الأخلاق، والتي منها:

● الوفاء بالعهد:

(لقد عظم الله سبحانه وتعالى العهود وأوجب الوفاء بها، وحذر من الغدر والخيانة ونقض أي عهد، أو محاولة التحلل من بعض فقراته. لأن الإسلام يقر الناس على اتفاقهم وعهودهم المشروعة من أجل توفير مناخ الاستقرار-بين أبنائه وأتباعه-، وإشاعة السلام ونشر الثقة بين الناس، ومنع المنازعات، ودفن الخلافات التي تؤدي إلى الفتنة والفساد)^(٣).

والتأمل في آيات الذكر الحكيم و أحاديث النبي ﷺ يجد فيها الأمر بالوفاء بالعهد والنهي عن مخالفته والإحلال بموجباته وشروطه. قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَتْ مَسْئُولًا﴾ [سورة الإسراء ١٧/٣٤] أي: ما تعاهدون عليه الناس، والعقود التي تعاملون بها، فإن الوفاء بها مطلوب، ومسؤول عن الوفاء به والمحافظة عليه وعدم تضييعه. بل إنه سيسأل عنه يوم القيامة. فإن تم الوفاء كان الثواب من الله، وإن لم يتم الوفاء فالعقاب لمن لم يف بالعهد^(٤).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب إطعام الطعام من الإسلام (١/١٣ ح ١٢)، ومسلم في صحيحه، باب بيان الإيمان الذي يدخل الجنة، (١/٦٥ ح ٣٩).

(٢) كتاب الآداب، فؤاد الشلهوب، دار القاسم، الرياض، ط: الأولى ١٤٢٣ هـ. ٣٩-٦١، أخلاق المسلم، الدكتور: وهبة الزحيلي، دار الفكر بيروت، ط: الأولى ١٤٢٣ هـ. ٢٤٣-٢٥٠، سبعون حقاً للأخوة، الدكتور: محمود الطباخ، دار عمار، ط: الأولى ١٤٢٢ هـ.، ٢٢-٢٧.

(٣) أخلاق المسلم ١٧٣.

(٤) بتصرف من تفسير ابن كثير ٣/٤٥، تفسير ابن سعدي ٤٠٩، أخلاق المسلم ١٧٤.

قال تعالى: ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ [سورة النحل ١٦/٩١]. فأمر المولى جل ثناؤه في هذه الآية "بالوفاء بما أوجب العبد على نفسه من عهود، وهذا يشمل ما عاهد العبد عليه ربه، من النذور والأيمان، التي يجب أن يكون بها برّاً. ويشمل أيضاً ما تعاقد عليه هو وغيره، كالعهود بين المتعاقدين، وكالوعد الذي يعده العبد لغيره ويؤكد على نفسه فعله في جميع ذلك الوفاء وتتميمها مع القدرة"^(١).

وحذر في آية أخرى من مخالفته فقال - جل جلاله-: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ [سورة الصف ٦١/٢-٣]. قال صاحب أضواء البيان: " هذا من أقوى الأدلة في الوفاء بالعهد، لأن المقت الكبير من الله على عدم الوفاء بالقول يدل على التحريم الشديد في عدم الوفاء به. وقال ابن حجر: إنجاز الوعد مأمور به مندوب إليه عند الجميع وليس بفرض لاتفاقهم على أن الموعد لا يضارب بما وعد به مع الغرماء. اهـ.

والذي يظهر لي في هذه المسألة والله تعالى أعلم أن إخلاف الوعد لا يجوز لكونه من علامات المنافقين. ولأن الله يقول: ﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ وظاهر عمومه يشمل إخلاف الوعد، ولكن الواعد إذا امتنع من إنجاز الوعد لا يحكم عليه به ولا يلزم به جبراً، لأن أكثر علماء الأمة على أنه لا يجبر على الوفاء به لأنه وعد بمعروف محض. والعلم عند الله تعالى "^(٢).

ولقد عد رسول الله ﷺ الإخلال بهذا الحق آية على نفاق صاحبها، قال ﷺ: ((آية المنافق ثلاث؛ إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان))^(٣). ومن خلال ما تقدم يتبين أهمية هذا الحق، وبه تبرهن أمة الإيمان بكل أفرادها وتجمعاتها على صدق إيمانها، وسلامة دينها، وصحة أهدافها^(١). ولذا حرص الإسلام على الالتزام بهذا

(١) تفسير ابن سعدي ٤٠٠.

(٢) أضواء البيان ٤٤١/٣، وقول ابن حجر في فتح الباري ٥/٢٩٠.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٢١/١-٣٣) كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، ومسلم في صحيحه (١/٧٨-٥٩) باب بيان خصال المنافق.

الحق لأنه سبيل إلى توحيد الصفوف، والتعبير الصادق عن صدق العلاقات فيما بينهم، كما قال تعالى في وصف من أفلح من المؤمنين: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ [سورة المؤمنون ٢٣/٨].

● حسن الخلق:

حسن الخلق خصلة تغرس بذور الألفة والمودة بين المؤمنين، وتجعلهم إخوة متحابين، وأصحاباً متقاربين غير متباعدين ولا متباغضين^(١). وبه تدوم العشرة وتتمازج الأرواح فتكون كالجسد الواحد.

وحسن الخلق هو ما ذكره الحق تبارك وتعالى عن رسوله ﷺ حيث قال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [سورة القلم ٦٨/٤].

ثم بين أنه بحسن خلقه آلف به قلوب أتباعه، وبه يستطيع كل إنسان أن يصل إلى مبتغاه، حيث قال: ﴿فِيمَا رَحِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [سورة آل عمران ١٥٩/٣].

كذلك جعل النبي ﷺ حسن الخلق أكمل درجات إيمان المرء حيث قال: ((أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً))^(٢).

● العفو عن الزلات وكظم الغيظ:

لما كانت مخالطة الناس ومعاشرتهم لا بد أن يعترئها شيء من التقصير والتفريط والتعدي من بعضهم على بعض إما بقول أو فعل، مما يؤدي بتلك العلاقات إلى التفكك وزعزعة الألفة، فكان لا بد من علاج لهذا، فأنزل الله جل جلاله العلاج والدواء الذي يضمده به هذه

(١) سبعون حقاً للأخوة ٦٨.

(٢) سبعون حقاً للأخوة ٥٣، والآداب الشرعية ١٩١/٢ بتصرف.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه (٤/٢٢٠ ح ٤٦٨٢)، والترمذي في سنن الجامع (٣/٤٦٦ ح ١١٦٢) وقال: حديث حسن صحيح، والإمام أحمد في المسند (٢/٢٥٠ ح ٧٣٩٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع ١٢٣٠.

الجراح، فقال تعالى: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ [سورة الأعراف ١٩٩/٧]. وقال: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِيَعْفُوا وَلِيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [سورة النور ٢٤/٢٢]. وقال في موضع آخر: ﴿ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [سورة آل عمران ٣/١٣٤]. فأرشد إلى فضيلة العفو والصفح عن الزلات. فقد بين أن هؤلاء يقابلون كل أذية توجب غيظهم، وتملاً لقلوبهم حقناً، ويدفعهم إلى الانتقام إما بالقول أو الفعل، بالعفو والصفح، وكظم ما في القلوب، والصبر عن مقابلة المسيء بإساءته.

وبيّن أن العفو عن الزلات ليس ضعفاً ولا نقصاناً، بل هو رفعة لصاحبه وعزٌّ عند الله وعند الناس، كما بين ذلك النبي ﷺ حيث قال: ((ما زاد الله رجلاً بعفو إلا عزاً))^(١). والعفو أبلغ من الكظم، لأن العفو ترك المؤاخذة مع السماحة عن المسيء. وهذا لا يكون إلا فيمن تحلى بالأخلاق الفاضلة، وتحلى عن الرذائل^(٢). فالمتعين على الصاحب أن يعفو عن زلة صاحبه، ويتغاضى عن هفواته ويصفح عنه، لأنه بهذا تنجذب القلوب ويدفع بها إلى حب من أحسن إليها ولم يعاتبها. وقد قيل: ينبغي أن تستنبط لزلة أخيك سبعين عذراً، فإن لم يقبله قلبك فردّ اللوم على نفسك^(٣). قال الشاعر^(٤):

إذا ما أتت من صاحب لك زلة فكن أنت محتالاً لزلته عذرا

(١) رواه الترمذي في سنن الجامع (٤/٣٧٦-٣٧٧ ح ٢٠٢٩). وقال: هذا حديث حسن صحيح. والإمام أحمد في المسند (٢/٣٨٦ ح ٨٩٩٦)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي ٢٠٢٩.

(٢) كتاب الآداب ٣٣٥

(٣) سبعون حقاً للأخوة ٦٥.

(٤) سالم بن وابصة الأسدي، أمير، شاعر، تابعي، دمشقي، سكن الكوفة، وولي أمانة الرقة، لمحمد بن مروان، مات في آخر خلافة هشام. الأعلام ٣/٧٣، ديوان الحماسة ٢/١٦.

• التواضع ولين الجانب:

من الحقوق العامة بين الأصحاب التواضع^(١)، فهو الذي تدوم به العشرة فيما بينهم، وتشيع المحبة، وتقوى به روابطهم^(٢). ولذا أمر الله جل جلاله رسوله ﷺ به حيث قال: ﴿لَا تَمْدَنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَأَحْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة الحجر ١٥/٨٨]. أي: أَلن جانبك، وحسّن خلقك، وابذل محبتك وإكرامك لمن تبعك من المؤمنين. وهذا مثل المعاملة باللين والتواضع^(٣). وجاء الأمر بهذا في المعاملة مع الوالدين خاصة، كما سبق بيانه في مبحث صحبة الوالدين.

ووصى لقمان ابنه وحثه على التواضع مع الخلق، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخَالٍ فَخُورٍ﴾ [سورة لقمان ٣١/١٨]. في إشارة إلى أن التواضع هو الوسيلة لجمع القلوب وائتلافها.

ولقد كان التواضع السمة التي اتسمت بها علاقات المؤمنين فيما بينهم، حيث وصفهم الحق تبارك وتعالى بالتواضع فيما بينهم والشدة والغلظة على من عادهم. قال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [سورة الفتح ٤٨/٢٩]. فهم متواضعون فيما بينهم، وأقوياء متغلبون على أعدائهم^(٤).

وجاءت السنة النبوية مؤكدة فضيلته، ومن ذلك قوله ﷺ: ((إن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبيع أحد على أحد))^(٥). وقوله ﷺ: ((ما تواضع أحد لله إلا رفعه الله))^(٦). وجاء في التعليق على هذا الحديث: "أن فيه وجهين؛ أحدهما:

(١) التواضع: التذلل، يقال: تواضع الرجل ذل، وتواضعت الأرض انخفضت عما يليها، لسان العرب ٣٩٧/٨ مادة (و ض ع). وهو مأخوذ من مادة (و ض ع) التي تدل على الخفض للشيء وحطه. واصطلاحاً: إظهار التنزل عن المرتبة لمن يراد تعظيمه. نضرة النعيم ١٢٥٥/٤.

(٢) بتصرف من كتاب الآداب ٣٣٠.

(٣) تفسير ابن سعدي ٣٨٨ التحرير والتنوير ١٩/٢٠٦.

(٤) أخلاق المسلم بتصرف ١٤٦.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة (٤/٢١٩٨-٢١٩٩ ح ٢٨٦٥).

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه، باب استحباب العفو والتواضع (٤/٢٠٠١ ح ٢٥٨٨).

يرفعه في الدنيا، ويثبت له بتواضعه في القلوب منزلة، ويرفعه الله عند الناس ويجل مكانه .
والثاني: أن المراد ثوابه في الآخرة ورفعها فيها بتواضعه في الدنيا"^(١).
وبهذا يتبين ما للتواضع ولين الجانب من الأثر العظيم في جلب الألفة والمحبة والمودة بين
المؤمنين بصفة عامة، وبين من جمعت بينهم علاقة الصحبة بصفة خاصة، وأنهم بهذا يكونون
كالجسد الواحد^(٢).

❖ ثالثاً: من الحقوق العامة فيما بين الأصحاب اجتناب الأخلاق الذميمة التي تؤثر على
الصحبة وتكون سبباً في الفرقة وعدم الألفة، والتي من أهمها:

❖ اجتناب الغيبة والنميمة^(٣):

لقد حرص الإسلام على استقرار المجتمع المسلم، وصون علاقاته الإنسانية سواء كانت
علاقات صحبة أو أخوة أو غيرها من العلاقات. فحرم كل ما من شأنه زعزعة تلك
العلاقات، ولذلك فقد حرم الغيبة والنميمة، إذ إنهما من بذور الشحناء والخصومات التي
تكون بين الناس. وهما من الأدواء التي تهلك الأفراد والمجتمعات، فتفسد الألفة والوحدة

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ١٦/١٤٢.

(٢) سبعون حقاً للأخوة ٧٧ بتصرف.

(٣) الغيبة ذكر الإنسان في غيبته بما يكره، شرح النووي ١٦/١٤٢. وقيل: الغيبة ثلاث كلها في كتاب الله؛ الغيبة،
والإفك، والبهتان. فأما الغيبة: فأن تقول في أخيك ما هو فيه. وأما الإفك: فأن تقول فيه ما بلغك عنه، وأما البهتان فأن
تقول فيه ما ليس فيه. النكت والعيون ٤/١٥٤.

ضابط الغيبة: كل ما أفهمت به غيرك نقصان مسلم فهو غيبة محرمة. كتاب الآداب ١١٩.

النميمة: نقل ما يسمع مما يسوء و يجرش النفوس. المحرر الوجيز ١٨٨٣.

قال النووي في شرح مسلم ٢/١١٢: النميمة نقل كلام الناس بعضهم إلى بعض على جهة الإفساد بينهم. وحقيقتها: إفشاء
السر وهتك الستر مما يكره كشفه.

واختلف العلماء في الغيبة والنميمة هل هما متغايرتان أم متحدتان. والراجح التغاير وأن بينهما عمومًا وخصوصًا. وذلك
لأن النميمة نقل حال الشخص لغيره على جهة الإفساد بغير رضاه سواء كان بعلمه أم بغير علمه. والغيبة ذكره في غيبته
بما لا يرضيه. فامتازت النميمة بقصد الإفساد ولا يشترط ذلك في الغيبة. وامتازت الغيبة بكونها في غيبة المقول فيه.
واشتركتا فيما عدا ذلك. فتح الباري ١٠/٧٤٣.

وتوغر القلوب وتزعزعها، وتنشأ عنها القطيعة بين الأهل والقرابة. فهي من أخطر المنافذ التي تزرع الضغينة والحقد، والقطيعة والمجران بين أصحابها^(١).

ولذا كان من أهم حقوق الصاحب على صاحبه حفظه في السر والحضر، والبعد عن الغيبة والنميمة. وذلك امتثالاً لأمر الله تبارك وتعالى حيث قال: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ

إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا

فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ [سورة الحجرات ٤٩/١٢]. فبعد أن عرض الحق سبحانه وتعالى عدة أمور ينبغي تجنبها ذكر الغيبة وذكر مثلاً منفراً منها، فقد شبه المغتاب بمن يأكل لحم أخيه ميتاً، وهي صورة حسية مكروهة للنفوس غاية الكراهة. فكأنه قال: إذا كنتم تكرهون أكل لحمه ميتاً فاقد الروح، فلتكرهوا غيبته وأكل لحمه حياً^(٢).

كذلك بينها النبي ﷺ فقال لأصحابه: ((أتدرون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: ذكرك أخاك بما يكره. قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبت، وإن لم يكن فيه فقد بهته))^(٣).

وقال جابر بن عبد الله رضي الله عنه: كنا مع رسول الله ﷺ فارتفعت ريح منتنة، فقال رسول الله ﷺ: ((أتدرون ما هذه الريح هذه؟ ريح الذين يغتابون المؤمنين))^(٤).

كذلك جاء التحذير من الاستماع للنمام كما حذر المولى جلا جلاله رسول الله ﷺ حيث قال: ﴿وَلَا تُطْعَمُ كُلُّ حَلَا فِي مَهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّا زِمَّ شَاءَ بَنِي عِمْرٍ ﴿١١﴾﴾ [سورة القلم ٦٨/١٠-١١]. أي: الذي يمشي و يجرش بين الناس، وينقل الحديث على جهة الإفساد، وإيقاع العداوة والبغضاء فيما بينهم^(٥).

(١) انظر: كتاب الآداب ١١٩ أخلاق المسلم ٣١٥-٣٢١ سبعون حقاً للأخوة ١٠٨-١١١.

(٢) تفسير ابن سعدي ٧٤٥.

(٣) رواه مسلم في صحيحه، باب تحريم الغيبة (٤/٢٠٠١ ح ٢٥٨٩).

(٤) رواه الإمام أحمد في المسند ٣/٣٥١، الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/٩١. وقال: رواه أحمد ورجاله ثقات، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب ٢٨٤٠.

(٥) تفسير ابن كثير ٤/٤٤٤، تفسير ابن سعدي ٨١٤.

وبين النبي ﷺ أن من كانت هذه حاله فهو من أشر خلق الله، حيث قال: ((ألا أخبركم بخياركم؟ قالوا: بلى، قال: الذين إذا رؤوا ذكر الله، أفلا أخبركم بشراركم؟ قالوا: بلى، قال: المشاؤون بالنميمة، المفسدون بين الأحبة، الباغون البراء العنت))^(١).

والنميمة من الكبائر التي يعذب عليها الإنسان في القبر، قال ابن عباس رضي الله عنهما: ((مر النبي ﷺ على قبرين فقال: ((إنهما ليعذبان وما يعذبان من كبير. ثم قال: بلى، أما أحدهما فكان يسعى بالنميمة، وأما أحدهما فكان لا يستتر من بوله)). قال: ثم أخذ عوداً رطباً فكسره باثنتين ثم غرز كل واحد منهما على قبر، ثم قال: ((لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا))^(٢).

ومما تقدم يتبين عظم خطر هاتين الصفتين على العلاقات بشكل عام، وعلى علاقة الصحبة بشكل خاص. فعلى الصاحب أن يستعلي عليهما، ولا يرعي لهما بالاً، وأن يحفظ لأخيه حق الغيبة وحق الحضر.

❖ ترك السخرية والاستهزاء:

جاء الإسلام ليوحد صفوف أتباعه، فشرع لهم حقوقاً تضمن سلامة علاقاتهم ببعضهم، ومن هذه الحقوق ترك السخرية والاستهزاء وما يتبعهما من تنابز بالألقاب وغيرها من الصفات التي توغر الصدور، وتفرق الجماعات، قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرُوا بِأَلْقَابٍ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءً مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبَّ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [سورة الحجرات ٤٩/١١]. فالسخرية: الاستهزاء والاحتقار والازدراء.

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد (١١٩ ح ٣٢٣)، وأحمد في المسند (٤٥٩/٦ ح ٢٧٦٤٠)، والهيتمي في مجمع الزوائد (٩٦/٨) وقال: في شهر بن حوشب: وقد وثقه غير واحد، وبقية رجال أحد أسانيد رجال الصحيح، وحسنه الألباني في صحيح الأدب المفرد ٢٤٦.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب عذاب القبر من الغيبة (١/٤٦٤ ح ١٣١٢)، ومسلم في صحيحه، باب الدليل على نجاسة البول (١/٢٤٠ ح ٢٩٢).

ولقد جاء لفظ السخرية بلفظ عام ليشمل كل قول أو فعل يدل على تحقير المسلم لأخيه المسلم، ولذا جاء النهي أيضا مخصصاً للرجال وللنساء، كما قال أهل العلم: نص على نهي الرجال وعطف بنهي النساء، وما ذلك إلا لعظم هذا الحق، ودفعاً لتوهم تخصيص النهي بسخرية الرجال، إذ كانت السخرية متأصلة في النساء^(١).

كذلك جاء النهي عن اللمز و التنايز بالألقاب^(٢) أي: لا يعب بعضكم بعضاً، ولا تدعوا بالألقاب التي يسوء الشخص سماعها.

ولقد جاء في سبب نزول هذه الآية ما روي عن أبي جيرة بن الضحاك^(٣) رضي الله عنه أنه قال: فينا نزلت في بني سلمة: ﴿وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ قال: "قدم النبي ﷺ المدينة وليس فينا رجل إلا وله اسمان أو ثلاثة فكان إذا دعا أحدا منهم باسم من تلك الأسماء، قالوا: يا رسول الله إنه يغضب من هذا. فنزلت الآية"^(٤).

ولقد ختمت الآية بقوله: ﴿يَسَّ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيْمَنِ وَمَنْ لَمْ يَتَّبِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ أي: بعس الصفة والاسم الفسوق، التنايز بالألقاب. ثم بين أن الواجب على العبد حيال ذلك التوبة إلى الله من هذه الخصال الذميمة والأفعال القبيحة، ورد الحق إلى أصحابه، وذلك بالتحلل ممن قيلت في حقه، ومدحه في المجالس مقابلة على ما قام به من ذمه، والاستغفار^(٥).

(١) انظر جامع البيان ١٩٥/٢٨، تفسير ابن كثير ٢٣١/٤، التحرير والتنوير ٢٠٦/٢٦.

(٢) واللمز هو: ذكر ما يعده الذاكر عيباً لأحد مواجهاة، فهو المباشرة بالمكروه، فإن كان بحق فهو وقاحة واعتداء، وإن كان باطلا فهو وقاحة وكذب، وكان شائعا بين العرب في جاهليتهم قال تعالى ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [الهمزة: ١] يعني نفرا من المشركين كان دأبهم لمز رسول الله ﷺ، ويكون بحالة بين الإشارة والكلام بتحريك الشفتين بكلام خفي يعرف منه المواجه به أنه يذم أو يتوعد، أو ينتقص باحتمالات كثيرة، وهو غير النبز وغير الغيبة. أما النبز فهو اللقب السوء. التحرير والتنوير ٢٠٦/٢٦.

(٣) ابن خليفة بن ثعلبة بن عدي بن كعب بن عبد الأشهل الأنصاري الأشهلي، ولد بعد الهجرة، وقال بعضهم: له صحبة، وقيل: لا صحبة له، وهو كوفي روى عنه ابنه قيس والشعبي. انظر أسد الغابة ٥١/٦، الإصابة ٦٣/٧.

(٤) لباب النقول ١٩٨، الإمام أحمد في المسند ٢٦٠/٤ ح ١٨٣١٤.

(٥) تفسير ابن سعدي بتصرف ٧٤٥.

❖ ترك إساءة الظن والتجسس:

حرم الله جل جلاله كل ما من شأنه إلحاق الضرر بالآخرين، ومن صور ذلك تحريمه إساءة الظن، لأن الظنون السيئة هي التي توقع العداوة، وتمزق الألفة، وتقضي على الوحدة التي أمر الله بها، وهي من أكبر عوامل الضعف التي تهدد الأمة الإسلامية^(١).

وقد تقدم أن من أسس الصحبة الصالحة حسن الظن كما تبين أنه من الحقوق اللازمة في عنق كل مسلم، فكيف بمن جمع بينهم عقد الصحبة.

قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْرٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة الحجرات ١٢/٤٩]. وذلك أن الظن الخالي من الحقيقة والقريبة هو ظن السوء الذي يقترن به الكثير من الأقوال والأفعال المحرمة - التي سبق بيانها -، وبقاء تلك الظنون في القلب لا يقتصر على صاحبه بل لا يزال به حتى يقول ما لا ينبغي، ويفعل ما لا يجوز فعله^(٢).

كذلك حذر النبي ﷺ من هذا، وعده من أكذب الحديث، حيث قال: ((إياكم والظن! فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا، ولا تجسسوا، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا، ولا تباغضوا، وكونوا عباد الله إخواناً))^(٣).

وعقب النهي عن ظن السوء بالنهي عن السبيل للتحقق منه، وهو التجسس على الآخرين. قال القرطبي رحمه الله: "قال علماؤنا فالظن هنا وفي الآية هو التهمة. ومحل التحذير والنهي إنما هو تهمة لا سبب لها يوجبها، كمن يتهم بالفاحشة أو بشرب الخمر مثلاً، ولم يظهر عليه ما يقتضي ذلك، ودليل كون الظن هنا بمعنى التهمة قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ وذلك أنه قد يقع له خاطر التهمة ابتداءً، ويريد أن يتجسس خبر ذلك، ويبحث عنه ويتبصر ويستمع لتحقيق ما وقع له من تلك التهمة، فنهى النبي ﷺ عن ذلك. وإن شئت قلت: والذي يميز الظنون التي

(١) سبعون حقاً للأخوة ٧٠.

(٢) تفسير ابن سعدي ٧٤٥ بتصرف.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب ما ينهى عن التحاسد والتدابير (٥/٢٢٥٣ ح ٥٧١٧)، ومسلم في صحيحه، باب تحريم الظن والتجسس (٤/١٩٨٥ ح ٢٥٦٣).

يجب اجتنابها عما سواها أن كل ما لم تعرف له أمانة صحيحة وسبباً ظاهراً كان حراماً واجب الاجتناب" (١).

❖ ترك الحسد والحقد والتباغض:

إن صفاء الإيمان وكمال الإسلام يقتضيان صفاء القلوب وضرورة تخليصها من الأمراض القلبية والمعنوية، ومن أخصها الحسد والحقد والبغضاء. خاصة في تلك العلاقات التي تتطلب إشاعة الود والتسامح، وتدعو إلى التراحم، وترك الاستعلاء والتكبر بين من جمعت بينهم تلك العلاقات القوية مثل علاقة الصحبة (٢).

والمأمل في آيات الذكر الحكيم يجد أن المولى جل ثناؤه جاء ببيان علاقة المؤمنين بعضهم ببعض، فبين أنها علاقات أخوة بكل ما تعنيه هذه الكلمة من معانٍ فقال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [سورة الحجرات ١٠/٤٩]، وأن هذه العلاقة قائمة على الحب والألفة، والتعاون على البر والتقوى. ودعاهم إلى كل ما فيه خير وصلاح لاستمرار هذه العلاقة، ونهاهم عن كل ما يؤدي إلى زعزعتها، فنهى عن الحسد (٣). كما قال تعالى مبيناً عظم هذا الفعل بقوله: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [سورة النساء ٤/٥٤]. ونهى النبي ﷺ عن ذلك فقال: ((إياكم والحسد! فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب، أو قال: العشب)) (٤).

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٦/٣٣١.

(٢) بتصرف من أخلاق المسلم ٣٤١.

(٣) الحسد: تمنى زوال النعمة من مستحق لها، وربما كان مع ذلك سعي في إزالتها. المفردات ١١٨، كذا عند ابن منظور في لسان العرب ٣/٤٨١ مادة (حسد)، حيث قال: الحسد معروف، إذا تمنى أن تتحول إليه نعمته وفضله، أو يسلبها.

(٤) رواه أبو داود في سننه (٤/٢٧٦ ح ٤٩٠٣)، وضعفه الألباني في ضعيف أبي داود ٤٩٠٣.

ولقد جاء عن النبي ﷺ النهي عن كل ما من شأنه التأثير على علاقة المؤمن بأخيه المؤمن، فقال: ((لا تحسسوا، ولا تجسسوا، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا، ولا تباغضوا، وكونوا عباد الله إخوانا))^(١). أي: لا تحدثوا في النفوس بغضا يعم القلوب، ولا يحسد أحدكم غيره بأن يتمنى زوال النعمة عنه، ولا يعرض أحدكم عن أخيه، ولا تسلكوا السبل المؤدية إلى الكراهة، والنفرة^(٢).

(١) سبق تخريجه ٣٨٧.

(٢) بتصرف من أخلاق المسلم ٣٤٣.

المبحث الثاني: الحقوق الخاصة

هي تلك الحقوق التي تجب بين الناس بحكم علاقتهم الخاصة الفطرية أو المكتسبة. ولقد جاء الإسلام بالتأكيد على هذه الحقوق، وأمر بالمحافظة عليها.

وتقدم في مبحث أنواع الصحبة مباحث خاصة بصحبة القرابة، وتحدثنا فيها عن أنواع الصحبة الخاصة كصحبة الوالدين، والصحبة بين الزوجين، و صحبة الأقارب. وتخلل هذه المباحث ذكر لشيء من هذه الحقوق الخاصة.

وعرض في الفصل الثالث، من الباب الأول: أسس الصحبة الصالحة، ومن ضمن هذه الأسس ما يعد من حقوق الصحبة الخاصة كأساس المحبة، والإخلاص وإحسان الظن وبذل النصح، وغير ذلك مما يعد من الحقوق التي يُكتفى بذكرها في موضعها.

وسنعرض في هذا المبحث لبعض الحقوق الخاصة علما أن جميع ما ذكر سواء في المباحث المتقدمة أو في مبحث الحقوق العامة فإنه يندرج اندراجا أوليا مع الحقوق الخاصة.

ونوجز هذه الحقوق في:

أولا: الحقوق القلبية الخاصة للصاحب على صاحبه.

فالقلب هو المكان الذي تجتمع فيه العواطف الإنسانية بعضها تجاه بعض، والصحبة وما يترتب لها من عواطف مفرها القلب، لذا فإن هذه العواطف لا بد أن تحد بحدود وحقوق إذا قام بها كل صاحب تجاه صاحبه كانت الألفة والمحبة والاجتماع فيما بينهم. أما إذا انتاب هذه العواطف شيء من السوء فإنه يكدر صفو هذه الصحبة فتنتقل من صحبة صالحة دالة على الخير، إلى صحبة سيئة تعود على صاحبها بالخسران في الدنيا والآخرة.

وبناء على ذلك فإنه يجب أن يكون الحب والإخلاص وحسن الظن بالصاحب هو ما يغلب على هذه العلاقة، وأن يتجنب الصاحب كل الصفات الذميمة التي تهدد علاقته، وخاصة علاقة الصحبة كالتباغض والحسد وغيرها من الأخلاق والصفات الذميمة. كما تقدم في المبحث السابق.

ثانياً: الحقوق المتعلقة بالمعاملات أو التعاملات المادية والمعنوية:

إن من الحقوق الخاصة المتعينة للصاحب على صاحبه حق المشاركة المادية المتعلقة بالمال: وهذا الحق يقتضي التعاون في السراء والضراء^(١).

وإن المتأمل في كتاب الله ليخلص إلى وجوب هذا الحق مستمداً ذلك من قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتُمْ أَيْمَانُهُمْ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعاً أَوْ أَشْتَاتاً فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبْرَكَةٌ طَيِّبَةٌ كَذَلِكَ بَيَّنَّ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [سورة النور ٢٤/٦١].

قال ابن كثير رحمه الله معلقاً على هذه الآية: "يستدل بها على وجوب النفقة على الأقارب بعضهم على بعض"^(٢).

وقد جمع في هذه الآية بين نوعي الصحبة؛ صحبة القرابة وصحبة المقارنة. ونفى الحرج من الأكل من بيوت الآباء والأمهات وهذا خاص بصحبة الوالدين، وذكر بيوت الإخوة والأخوات والأعمام والعمات والأخوال والخالات وهؤلاء ممن اختص بصحبة الأقارب. وكذلك ممن اختص بقرب إلى الإنسان بهذه الصلات.

ثم عطف عليهم من جمع بينه وبينهم صلوات صداقة ومودة. فبين أنه يجوز الأكل - وهو جزء من مال الإنسان - إذا علم رضا صاحب البيت بصريح الإذن أو بقرينة دالة عليه. ولذلك خص هؤلاء بالذكر لاعتيادهم التبسط فيما بينهم^(٣).

وروي في سبب نزول هذه الآية: أن أحد الصحابة خرج غازياً مع رسول الله ﷺ وخلف

(١) إحياء علوم الدين ٦٥٣.

(٢) تفسير ابن كثير ٣/٣٣٧.

(٣) تفسير أبو السعود ٦/١٩٦.

صاحباً له على أهله، فلما رجع وجده مجهوداً، فسأله عن حاله فقال: تخرجت أن آكل طعامك بغير إذنك. فأنزل الله هذه الآية^(١).

"وقال بعض العلماء: هذا إذا أذنوا له في ذلك. وقال آخرون: أذنوا له أو لم يأذنوا فله أن يأكل لأن القرابة التي بينهم هي إذن منهم، لأن في تلك القرابة عطفاً تسمح النفوس منهم بذلك العطف أن يأكل هذا من شئهم ويسرّوا بذلك إذا علموا.

ونقل عن ابن العربي^(٢) قوله: أباح لنا الأكل من جهة النسب من غير استئذان إذا كان الطعام مبدولاً، فإذا كان محرزا دونهم لم يكن لهم أخذه، ولا يجوز أن يجاوز إلى الادخار أو إلى ما ليس بمأكول وإن كان غير محرز عنهم إلا بإذنه"^(٣).

ثم خص الصديق بالافراد" إشارة إلى أن شأن الصداقة رفع الاثنية ورفع الحرج في الأكل من بيت الصديق لأنه أَرْضَى بالتبسط وأسر به من كثير من ذوي القرابة. وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: الصديق أكبر من الوالدين. ثم قال: إن الجهنميين لما استغاثوا لم يستغيثوا بالآباء أو الأمهات بل قالوا: ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَفِيعِينَ﴾ (١٠٠) ﴿وَالصَّادِقِ حَمِيمٍ﴾ [سورة الشعراء ١٠٠/٢٦-١٠١] "^(٤).

وقال جعفر الصادق رضي الله عنه: "من عظم حرمة الصديق أن جعله الله من الأنس والثقة والانبساط ورفع الحشمة بمنزلة الأب والأخ"^(٥).

ولقد ضرب الأنصار أروع المثل في بيان هذا الحق وذلك عندما آخى النبي صلى الله عليه وسلم بينهم وبين إخوانهم المهاجرين. فقد روي عن بعضهم أنه قسم ماله إلى شطرين، وكانت له امرأتان فخير

(١) البغوي ٣/٣٥٨ والخازن ٥/٢٠.

(٢) تفسير أبو السعود ٦/١٦٩، وروح المعاني ١٨/٢٢٠.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ١٢/٢٨٨.

(٤) تفسير أبو السعود ٦/١٦٩، وروح المعاني ١٨/٢٢٠.

(٥) جعفر بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط، الهاشمي القرشي، أبو عبد الله، الملقب بالصادق: سادس الأئمة الاثني عشر عند الإمامية. كان من أجلاء التابعين. وله منزلة رفيعة في العلم. أخذ عنه جماعة، منهم الإمامان أبو حنيفة ومالك. ولقب بالصادق لأنه لم يعرف عنه الكذب قط. له (رسائل) مجموعة في كتاب، ورد ذكرها في كشف الظنون. ولد بالمدينة سنة ٨٠هـ وتوفي بها سنة ١٤٨هـ. الأعلام ٢/١٢٦.

(٦) روح المعاني ١٨/٢٢٠.

أحاه أيهما يريد فيطلقها ليتزوجها. كما قال تعالى في وصفهم: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [سورة الحشر ٩/٥٩].
ولقد رتب الإمام الغزالي رحمه الله هذا الحق بين الأصحاب على ثلاث مراتب فقال ^(١):
" أدناها: أن تقوم بحاجته من فضل مالك، فإذا سنحت له حاجة، وكان عندك فضل، أعطيته ابتداءً ولم توجه إلى السؤال، فإن أحوجته إلى السؤال، فهو غاية التقصير في حق الأخوة.

الثانية: أن تنزله منزلة نفسك، و ترضى بمشاركته إياك في مالك.

قال الحسن البصري رحمه الله: كان أحدهم يشق إزاره بينه وبين أخيه، و جاء رجل إلى أبي هريرة رضي عنه و قال: إني أريد أن أواخيك في الله، فقال: أتدري ما حق الإخاء؟ قال: عرفني، قال ألا تكون أحق بدينارك و درهمك مني، قال: لم أبلغ هذه المنزلة بعد، قال اذهب عني.

و قال علي بن الحسين رحمه الله لرجل: هل يدخل أحدكم يده في كم أخيه أو كيسه، فيأخذ منه ما يريد بغير إذنه؟ قال: لا، قال: فلستم بإخوان.

الثالثة: و هي العليا، أن تؤثره على نفسك، و تقدّم حاجته على حاجتك. وهذه رتبة الصديقين، و منتهى درجات المحبين.

قال ابن عمر رضي الله عنهما: " أهدي لرجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رأس شاة، فقال: إن أخي فلانا و عياله أحوج إلى هذا منا، قال: فبعث إليه، فلم يزل يبعث به واحد إلى آخر حتى تداولها سبعة أبيات حتى رجع إلى الأول" ^(٢).

فكانت هذه المرتبة العليا من الإيثار، هي مرتبة الصحابة الكرام رضي الله عنهم.

(١) إحياء علوم الدين ٦٥٥.

(٢) ذكره الحاكم في المستدرک (٢/٥٢٦ ح ٣٧٩٩) في سبب نزول قوله تعالى: [ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة]، وقال: حديث صحيح الإسناد، و لم يخرجاه.

وروي عن أنس رضي الله عنه أنه قال: ((لما قدموا المدينة نزل المهاجرون على الأنصار، فنزل عبد الرحمن بن عوف على سعد بن الربيع، فقال: أقاسمك مالي، وأنزل لك عن إحدى امرأتي، قال: بارك الله لك في أهلك و مالك))^(١).

وتتنوع صور ومجالات تحقيق هذا الحق فمن صور الهدية؛ إذ هي من وسائل دوام المحبة و تمتين العلاقات^(٢). قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((تهادوا تحابوا))^(٣).

كذلك الانبساط للإخوان في النفس والمال، وألا يرى بينه وبينهم فرقاً؛ لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان ينبسط في مال أبي بكر رضي الله عنه، ويحكم فيه كانبساطه في ماله وحكمه^(٤).

ثالثاً: من الحقوق الخاصة المشاركة المعنية بين الأصحاب:

وهذه المشاركة تتجلى في عدة أمور منها:

● الإعانة بالنفس في قضاء الحاجات، والقيام بها قبل السؤال وتقديمها على الحاجات

الخاصة^(٥) وهذا من باب التعاون على البر والتقوى المأمور به، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [سورة المائدة ٢/٥].

وقال صلى الله عليه وسلم: ((والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه))^(٦). وقال: ((ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته))^(٧).

فيكون كل منهما عوناً لصاحبه يقضي حاجته ويقدمها على نفسه، ويتفقد أحواله كما يتفقد حاله، ويؤثره على نفسه، وعلى أهله وولده. يسأل عنه: إن كان مريضاً عادته، وإن كان مشغولاً أعانته، وإن كان ناسياً ذكره، يرحب به إذا دنا، ويوسع له إذا جلس، قال صلى الله عليه وسلم:

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب الوليمة ولو بشاة (٥/١٩٨٣ ح ٤٨٧٢).

(٢) آداب الصحبة بين النساء ٧٨.

(٣) سبق تخريجه ١٦٧.

(٤) آداب الصحبة ٣١.

(٥) إحياء علوم الدين ٦٥٥.

(٦) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن (٤/٢٠٧٤ ح ٢٦٩٩).

(٧) سبق تخريجه ١٦٧.

((ثلاثة يصفين لك ود أخيك: تسلم عليه إذا لقيته، وتوسع له في المجلس، وتدعوه بأحب أسمائه إليه))^(١).

كذلك تصغي إليه إذا تحدث، قال ابن عباس رضي الله عنهما: للجلس على ثلاث: أن أرميه بطرفي إذا أقبل، وأن أوسع له إذا جلس، وأن أصغي إليه إذا تحدث^(٢).

ومن صور المشاركة المعنوية أيضا: ألا يكلفه ما يشق عليه، وألا يحمله ما لا طاقة له به حتى يرضى عنه، فإن من أبسط الحقوق للأخوة أو الصحبة ألا يحوج صاحب صاحبه إلى أن يتكلف له فيبذل له ما لا طاقة به حتى يرضى ويقبل صحبته ومودته؛ لأنه ليس من حقه عليه أن يتكلف له، وإنما يجود بالموجود^(٣)؛ لأن المقصود من هذه الصحبة هو المحبة والاستئناس باللقاء والاستعانة به على نوائب الدهر.

ونقل عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قوله: " شر الأصدقاء من تكلف لك، ومن أحوجك إلى مداراة وألجأك إلى الاعتذار " ^(٤).

وقال الغزالي رحمه الله: " اعلم أن الناس ثلاثة؛ رجل تنتفع بصحبته، ورجل تقدر على أن تنفعه ولا تتضرر به، ولكن لا تنتفع به، ورجل لا تقدر على أن تنفعه وتتضرر به. فهذا الذي ينبغي أن تتجنبه، أما الثاني فلا تتجنبه، لأنك تنتفع في الآخرة بشفاعته وبدعائه، وبثوابك على القيام به " ^(٥).

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحین (٣/٤٨٥ ح ٥٨١٥)، الطبرانی في المعجم الأوسط (٨/١٩٢ ح ٨٣٦٩)،

والهيثمي في مجمع الزوائد (٨/٨٢) وقال: فيه موسى بن عبد الملك وهو ضعيف، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع ٢٥٧٢.

(٢) سبعون حقاً للأخوة ٨٦، الأخوة الإسلامية وآثارها، عبد الله الجار الله، مكتبة ابن الجوزي، ط:

الثانية ٤٠٨ هـ. ٥٥.

(٣) سبعون حقاً للأخوة ٩٦، والأخوة الإسلامية ٥٧.

(٤) إحياء علوم الدين ٦٧٢.

(٥) المصدر السابق. ٦٧٢.

رابعاً: الحقوق المتعلقة باللسان إما نطقاً وإما سكوتاً:

اللسان هو وسيلة التخاطب بين الأصحاب، وهو سلاح ذو حدين. فبعبارة تخرج من هذه العضلة قد تولف بين قلبين كان أحدهما من أشد الناس عداوة للآخر، وبأخرى قد تؤدي إلى قطع كل الصلات التي كانت تربط فيما بينهم. فلعظم هذا كان من حقوق الصحبة تنظيم وتحسين كل ما يخرج منه.

فمن وسائل تنظيمها أن شرع الحق تبارك وتعالى، للصاحب على صاحبه حق النصيحة وتقديمها إذا احتاجها، وهذا من تكاليف الشرع التي كلف بها المؤمنين.

قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ

حَكِيمٌ﴾ [سورة التوبة ٩/٧١]، إضافة إلى ما تقدم الحديث عنه في مبحث أساس التناصح . ولا شك في أن النصيحة حينما تكون خالصة لوجه الله قائمة بشروطها وحقوقها فإنها تلقى أذناً واعية. وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يوصي بعضهم بعضاً، كما قيل: إذا لقي الرجل صاحبه تلا عليه قول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَالْعَصْرُ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ﴾ [سورة العصر ١٠٣/١-٣] ، فكانوا يوصون أنفسهم وغيرهم ويتواصون على الصبر وعلى التمسك بالحق؛ "لذا فإن على المؤمنين الحرص على إسداء النصح لكل مسلم بكل رفق ولين حتى يتم قبولها القبول الحسن، وينشرح الصدر بها وترضى النفوس، وتجد هذه العبارات طريقها إلى القلوب فيكون لها الأثر الطيب في تغيير السلوك والتصرفات. وبها تزداد الصحبة عمقاً وأصالاً ويتحقق معنى الجسد الواحد المتألف المتعاطف" (١) .

"وقد قال رسول الله ﷺ لأبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: ((أبَاهِرْ! أَحْسَنَ مَجَاوِرَةً مِنْ جَاوِرِكَ تَكُنْ مُسْلِمًا، وَأَحْسَنَ مَصَاحِبَةً صَاحِبِكَ تَكُنْ مُؤْمِنًا)) (٢) .

(١) سبعون حقاً للأخوة ٤٣.

(٢) ذكره ابن الشهاب في مسنده (١/٣٧٢ ح ٦٤٢)، إحياء علوم الدين ٦٦٤.

فالصحة تقتضي حقوقاً كثيرة في أحوال متقاربة مترادفة على الدوام، ومن ذلك التعليم والنصيحة فليس حاجة أخيك إلى العلم بأقل من حاجته إلى المال. فإن كنت غنيا بالعلم فعليك مواساته من فضلك وإرشاده إلى كل ما ينفعه في الدين و الدنيا. فإن علمته وأرشدته ولم يعمل بمقتضى العلم فعليك النصيحة ، بأن تذكر آفات ذلك الفعل، وفوائد تركه، وتخوفه بما يكرهه في الدنيا

والآخرة لينزجر عنه، وتنبهه على عيوبه، وتقبح القبيح في عينه، وتحسن الحسن. ولكن ينبغي أن يكون ذلك في سر لا يطلع عليه أحد، فما كان على المألأ فهو توبيخ وفضيحة، وما كان في السر فهو شفقة و نصيحة؛ إذ قال عليه السلام: ((المؤمن مرآة المؤمن))^(١) ^(٢).

ثم إن حق التناصح بين الأصحاب يتنوع إما بطلب كما في الحديث: ((إذا استنصحك فانصحه))^(٣). وإما بدون طلب، وذلك أن الصاحب إذ رأى صاحبه على خطأ وحاد عن الطريق الصحيح قام بنصحه وتبصيره بخطئه، وإعادته إلى جادة الحق بمقتضى الصحة التي بينهما.

ومن الحقوق المتعلقة باللسان حق المشورة والاستشارة^(٤):

إن علم الإنسان محدود، وإطالعه على جميع الأحداث والمعلومات والمعارف مستحيل، وهناك قضايا ومستجدات تعرض للمسلم في حياته فيحتاج معها إلى مشاركة من إخوانه. والصاحب الناصح هو من يفتح صدره لصاحبه، ويسمع منه، ويقدم له المشورة الصالحة التي تعود عليه بالنفع والخير. فيسترشد برأيه ويقبل النظر فيها فيأخذ بما فيها من خير ورشاد له ولأمته^(٥).

(١) رواه أبو داود في سننه(٤/٢٨٠ح٤٩١٨)، والبيهقي في السنن الكبرى(١٦٧/٨ح١٦٤٥٨) وصححه الألباني في صحيح الجامع٦٦٥٥.

(٢) إحياء علوم الدين ٦٦٤.

(٣) سبق تخريجه ص١٧٧.

(٤) المشورة بضم الشين مفعلة، وشاوره مشاوره وشوارا و استشاره: طلب منه المشورة، وأشار الرجل يشير إشارة إذا أوماً بيديه، ويقال: شورت إليه بيدي، وأشارت إليه أي: لوحته إليه وألحت أيضاً. وأشار إليه باليد أوماً، وأشار عليه بالرأي، وأشار يشير إذا ما وجه الرأي، ويقال: فلان جيد المشورة. لسان العرب ٤/٣٧٧ مادة (شور). ومختار الصحاح ١٤٧ مادة (ش و ر).

(٥) بتصرف من أخلاق المسلم ٢٠٠.

ومعلوم أن الشورى نظام إسلامي ضروري في المسائل العامة والخاصة، وهذا مستمد من قوله تعالى وتوجيهه لنبيه ﷺ حيث قال في معرض وصاياه له: ﴿فِمَارَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [سورة آل عمران ١٥٩/٣] أي: شاورهم في الأمور التي تحتاج إلى استشارة ونظر وفكر، وذلك تطيباً لنفوسهم وتأليفاً لقلوبهم على الدين، وليروا أن هذا الرسول يسمع منهم ويستعين بهم، وإن كان الله قد أغناه بتدبير أموره^(١).

وقد ذكر الشيخ ابن سعدي رَحِمَهُ اللهُ عَدَّةً فَوَائِدَ لِلِاسْتِشَارَةِ، مِنْهَا: "أَنَّ فِيهَا تَسْمِيحًا لِلخَوَاطِرِ، وَإِزَالَةً لِمَا يَصِيرُ فِي الْقُلُوبِ عِنْدَ الْحَوَادِثِ، فَإِنَّ مِنْ لَه الْأَمْرَ عَلَى النَّاسِ - إِذَا جَمَعَ أَهْلَ الرَّأْيِ وَالْفَضْلِ وَشَاوَرَهُمْ فِي حَادِثَةٍ مِنَ الْحَوَادِثِ - أَطْمَأْنَنَتْ إِلَيْهِ نَفُوسُهُمْ وَأَحْبَبُوهُ، وَعَلِمُوا أَنَّهُ لَيْسَ يَسْتَبِدُّ عَلَيْهِمْ، وَإِنَّمَا يَنْظُرُ إِلَى الْمَصْلِحَةِ الْكُلِّيَّةِ الْعَامَةِ لِلْجَمِيعِ، فَبَدَّلُوا جَهْدَهُمْ وَمَقْدُورَهُمْ فِي طَاعَتِهِ لِعَلْمِهِمْ بِسَعْيِهِ فِي مَصَالِحِ الْعُمُومِ. بِخِلَافٍ مِنْ لَيْسَ كَذَلِكَ فَيُتَمَرَّضُونَ بِحُبُونِهِ مَحَبَّةً صَادِقَةً وَلَا يَطِيعُونَهُ، وَإِنْ أَطَاعُوهُ فَطَاعَةٌ غَيْرُ تَامَةٍ.

ومنها: أن في الاستشارة تنويراً للأفكار بسبب إعمالها فيما وضعت له فصار في ذلك زيادة للعقول.

ومنها: ما تنتجه الاستشارة من الرأي المصيب فإن المشاور لا يكاد يخطئ في فعله وإن أخطأ أو لم يتم له مطلوب فليس بملوم. فإذا كان الله يقول لرسوله ﷺ - وهو أكمل الناس عقلاً وأعزهم علماً وأفضلهم رأياً - ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ فكيف بغيره؟ ثم قال تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ﴾ أي: على أمر من الأمور بعد الاستشارة فيه إن كان يحتاج إلى استشارة: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾^(٢).

وكذلك جعل الله سبحانه وتعالى الشورى من صفات المؤمنين الذين استجابوا لله ووحدوه فقال فيهم: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [سورة

(١) جامع البيان ٦ / ١٧٦.

(٢) تفسير ابن لسعدي ١٥٤.

الشورى ٤٢/٣٨] أي: إذا حزمهم أمر تشاوروا فيه،^(١) "فلا يستبد أحد منهم برأيه في أمر من الأمور المشتركة بينهم وهذا لا يكون إلا فرعاً عن اجتماعهم و تألفهم، وتوادهم، وتحابهم. فمن كمال عقولهم أنهم إذا أرادوا أمراً من الأمور التي تحتاج إلى إعمال الفكر والرأي فيها اجتمعوا لها وتشاوروا وبحثوا فيها؛ حتى إذا تبينت لهم المصلحة انتهزوها وبادروها، وذلك كالرأي في الغزو والجهاد وتولية الموظفين لإمارة أو قضاء أو غيرهما، وكالبحث في المسائل الدينية عموماً؛ فإنها من الأمور المشتركة، والبحث فيها لبيان الصواب مما يحبه الله وهو داخل في هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ﴾ أي: وصل إليهم من أعدائهم ﴿هُمْ يَنْصُرُونَ﴾ [سورة الشورى ٤٢/٣٩] لقوتهم وعزتهم، ولم يكونوا أذلاء عاجزين عن الانتصار، فوصفهم بالإيمان والتوكل على الله واجتناب الكبائر والفواحش الذي تُكفر به الصغائر، والانقياد التام والاستجابة لرهم، وإقامة الصلاة، والإنفاق في وجوه الإحسان، والمشاورة في أمورهم، والقوة والانتصار على أعدائهم. فهذه خصال الكمال قد جمعوها ويلزم من قيامها فيهم فعل ما هو دونها وانتفاء ضدها"^(٢).

وإذا كان المؤمنون في كل زمان ومكان مطالبين بحمل رسالة الخير والهدى للناس كافة فإن عليهم أن يستشير بعضهم بعضاً لتحقيق هذه الغاية النبيلة بأفضل السبل التي تتناسب مع أوضاعهم ومستجداتهم^(٣).

كذلك من الحقوق الخاصة باللسان الدعاء للصاحب في حياته وبعد مماته بكل ما يحبه لنفسه ولأهله وكل متعلق به^(٤). وقد يكون الدعاء للصاحب في حضرته وعلى مسمع منه، وقد يكون في ظهر الغيب وهو الأفضل كما في قوله ﷺ: ((ما من مسلم يدعو لأخيه بظهر الغيب إلا قال الملك ولك مثل ذلك))^(٥).

(١) جامع البيان ٢٦/٤٣٨.

(٢) تفسير ابن سعدي ٧٦٠.

(٣) سبعون حقاً للأخوة ٦٩.

(٤) إحياء علوم الدين ٦٦٩. وقد تقدم مبحث خاص عن الدعاء في أسس الصحة الصالحة.

(٥) سبق تخريجه ص ١٩٤.

وقد قال أحد الصالحين: "أين مثل الأخ الصالح؟ أهلك يقتسمون ميراثك ويتنعمون بما خلفت وهو منفرد بحزنك مهتم مما قدمت وما صرت إليه يدعو لك في ظلمة الليل وأنت تحت أطباق الثرى"^(١).

وقيل: من بلغه موت أخيه فترحم عليه واستغفر له كتب له كأنه شهد جنازته وصلى عليه^(٢).

ومن الحقوق الخاصة باللسان السكوت؛ وله صور منها: كف اللسان عن ذكر عيوب صاحب، وعدم نشر سقطاته بين الناس، وترك الممارسة والجدل معه حتى لا يغير القلب ويفسد الود، وحفظ سره والحذر من إفشائه ولو لأقرب قريب، وعدم مواجهته بما يكره مما فيه مسبة له وذم سواء مما سمعه، أو مما اكتشفه فيه بالمخالطة، بل ينبغي أن يترفق في نصحه ووعظه^(٣).

وهناك حقوق للصحبة وآداب تعزز هذه الرابطة وتقويها نجمل بعضها^(٤):

- مشاركة صاحب في أحزانه وأفراحه.
- البشاشة عند لقائه.
- أن يكون صاحب وفيًا لصاحبه شاهداً وغائباً، حياً وميتاً.
- أن يحسن استقباله ويفسح له في المجلس.... وغير ذلك من الآداب التي لا يتسع المقام لذكرها.

(١) إحياء علوم الدين ٦٦٩.

(٢) إحياء علوم الدين ٦٦٩، الأخوة الإسلامية وآثارها ٥٩٩.

(٣) وقد تقدم الحديث عن شيء من هذا عند الحديث عن ترك الغيبة والنميمة. الصداقة في الإطار الشرعي ١٢٧ بتصرف

(٤) للاستزادة انظر آداب الصحبة للسلمي، وسبعون حقاً للأخوة.

الفصل الثاني: آثار الصحبة

المبحث الأول: آثار الصحبة في الدنيا، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: آثار الصحبة الصالحة على الفرد والمجتمع.

المطلب الثاني: آثار الصحبة السيئة على الفرد والمجتمع.

المبحث الثاني: عاقبة الصحبة في الآخرة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: عاقبة الصحبة الصالحة.

المطلب الثاني: عاقبة الصحبة السيئة.

المبحث الأول: آثار الصحبة في الدنيا:

المطلب الأول: آثار الصحبة الصالحة على الفرد والمجتمع.

المطلب الثاني: آثار الصحبة السيئة على الفرد والمجتمع.

المطلب الأول: آثار الصحبة الصالحة على الفرد والمجتمع.

من المعلوم أن الإنسان اجتماعي بطبعه، يميل للمخالطة والإيلاف، ولذا سمي الإنسان إنساناً لأنه يأنس مع غيره من الناس، و يميل إلى من يجد عنده الأنس والنفعة. وهو مفطور على التأثر والتأثير مع من يتلاءم معه من الناحية النفسية والسلوكية والاجتماعية. ولما كانت الصحبة مطلباً نفسياً لا يستغني عنه الإنسان في جميع مراحل حياته. إذ هي أمراً طبيعياً وتربوي ذو أبعاد عملية في الحياة. وذلك أن هناك حاجات نفسية واجتماعية وثقافية لا يجدها الإنسان إلا في ظل الصحبة الصالحة والمناخ الصالح. كما أن آثارها وتأثيراتها تكون قوية وفعالة على طباع الصاحب وسلوكه، فهي ترفع من شخصيته وتمده بالثقافة، وتؤثر على سلوكه وانفعالاته واتجاهاته الفكرية والسلوكية والعقدية. ولذا قال النبي ﷺ: ((المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل))^(١). وقال الشاعر^(٢):

عَنِ الْمَرْءِ لَا تَسْأَلُ وَسَلَّ عَنْ قَرِينِهِ فَكُلُّ قَرِينٍ بِالْمُقَارِنِ يَقْتَدِي

لذا جاء التوجيه والإرشاد إلى وجوب انتقاء الصحبة وخاصة الصحبة الصالحة صحبة المتقين الأبرار، وجاء النهي والتحذير من صحبة أهل المعاصي والآثام. كما قال تعالى مبيناً مآل هذه العلاقات: ﴿الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [سورة الزخرف ٦٧/٤٣].

ولقد أشار النبي ﷺ إلى آثار هذه الصحبة وصورها بتمثال وضح فيه المنافع المرجوة من الصحبة الصالحة والآثار السلبية للصحبة السيئة، فقال ﷺ: ((مثل الجلوس الصالح و السوء كحامل المسك و نافع الكبير؛ فحامل المسك؛ إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة. و نافع الكبير؛ إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة))^(٣). حيث شبه رسول

(١) سبق تخرجه ١٦.

(٢) ديوان طرفة بن العبد ٢٠.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الذبائح والصيد، باب المسك (٥/٢١٠٤ ح ٥٢١٤) ومسلم في صحيحه بزيادة لفظي (إنما مثل، والجلوس السوء، باب استحباب مجالسة الصالحين ومجانبة قرناء السوء (٤/٢٠٢٦ ح ٢٦٢٨).

الله ﷺ الصاحب الصالح برجل يحمل العطور والروائح الزكية، فجليسه وصاحبه لن يعدم الفائدة من مجالسته وصحبته، فهو إما أن يبتاع منه، وإما أن ينال منه شيئاً من هذه الروائح كهدية ونحوها، وإما أن تعلق بثيابه بعض الروائح الزكية. وهكذا الصاحب الصالح؛ إما أن يرشد صاحبه إلى عمل صالح، وإما أن ينتفع بصحبته فيتأثر ببعض سلوكه وتصرفاته حتى في طريقة كلامه. وإما أن تناله السمعة الحسنة بمجرد مصاحبته لهذا الصاحب.

أما صاحب السوء فمثل له بنافخ الكير^(١)، وهو: الحداد الذي ينفخ في النار بآلة فيتطاير منها الشرار والرماد، ويتصاعد الدخان. فمن هذه حاله فجليسه إما أن يتضرر بشرار تلك النار التي ينفخ فيها فتحترق ثيابه، أو يجد الرائحة الكريهة من هذا العمل.

❖ خصال الصاحب الصالح:

الصحبة الصالحة لا تؤتي ثمارها على الصاحب وسلوكه وتوجهاته، إلا إذا اجتمعت في الصاحب خصال منها^(٢):

١. أن يكون الصاحب عاقلاً، إذ العقل رأس المال، وهو الأصل، فلا خير في صحبة الأحمق لأنه يريد أن ينفع صاحبه فيضره^(٣). والعقل السليم الرشيد ميزان قسط لدى صاحبه، يقيمه على العدل في النظر إلى الأمور والأحكام والتعامل، ويحميه من التردّي في حضيض الجهالة، ولذا سمي العقل عقلاً لأنه يعقل صاحبه ويحبسه عما لا يليق. ولذا قيل في الحكم: عداوة العاقل أقل ضرراً من مودة الأحمق، لأن الأحمق ربما ضرّ وهو يريد أن ينفع، والعاقل لا يتجاوز الحد في مضرتّه، فمضرتّه لها حد يقف عليه العقل، ومضرة الجاهل ليست بذات حد^(٤).
كما قيل^(٥):

فلا تصحب أخوا الجهل وإياك إياه

(١) الكير: كير الحداد وهو المبني من الطين، وقيل: الزق الذي ينفخ به النار. النهاية في غريب الحديث ٤/٢١٧.

(٢) انظر: إحياء علوم الدين ٦٥٠، مختصر منهاج القاصدين ١١٢، أدب الدنيا والدين ٢٠٨-٢١٠، والصدقة في الإطار الشرعي ١٨٨.

(٣) المراد بالعاقل: هو الذي يفهم الأمور على ما هي عليه، إما بنفسه، وإما إذا فهم فهم. إحياء علوم الدين ٦٥١.

(٤) أدب الدنيا والدين ٢٠٨-٢١٠.

(٥) ديوان علي بن أبي طالب ١٧٤.

فكم من جاهل أردى حليماً حين آخاه

٢. أن يكون الصاحب من أهل الدين والتقوى، وذلك أن الفاسق الخارج عن طاعة ربه لا يؤمن جانبه، ولا يوثق بصدافته، بل يتغير بتغير الأغراض، كذلك المبتدع لأن في صحبته خطرٌ سرّاية البدعة وتعدّي شؤمها إليه، والمبتدع مستحق للهجر والمقاطعة فكيف تؤثر صحبته^(١). لذا قال تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعِشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ، وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [سورة الكهف ١٨/٢٨]. وقال- جل ثناؤه-: ﴿فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى﴾ [سورة طه ٢٠/١٦].

"الملتصين في الصاحب أن يكون متمثلاً بالإسلام، متحققاً بالإيمان، يجد فيه الصاحب عوناً على الطاعة ودافعاً نحو طلب ما عنده. أما الفاسق وريق الدين الذي ضعف خوفه من الله فلا يليق بالتقوى مصاحبته، لأنه لا تؤمن بوائقه، ولا يوثق بصدافته؛ وذلك أنه تجرأ على حدود الله وانتهكها فهو على حقوق الآخرين أجراً"^(٢).

٣. أن يكون الصاحب حسن الخلق: إذ رُبَّ عاقلٍ يدرك الأشياء على ما هي عليه لكن إذا غلبه غضب أو شهوة أو بخل أو جبن أطاع هواه وخالف ما هو معلوم عنده ببعجزه عن قهر صفاته وتقويم أخلاقه فلا خير في صحبته^(٣).

فإذا توافرت هذه الشروط في الصاحب تحققت الثمرة من هذه الصحبة وتحققت الألفة، وانقطعت الوحشة .

ولقد جمع أحد الصالحين هذه الشروط في وصيته لابنه، فقال: "يا بني إذا عرضت لك إلى صحبة الرجال حاجة فاصحب من إذا خدمته صانك، وإن صحبته زانك، وإن قعدت بك مؤنة مانك"^(٤). واصحب من إذا مددت يدك بخير مدها، وإن رأى منك حسنة عدها، وإن

(١) انظر: إحياء علوم الدين ٦٥١.

(٢) الصداقة في الإطار الشرعي ١٨٨.

(٣) إحياء علوم الدين ٦٥١.

(٤) أي: كفلك.

رأى سيئة سدها. اصحب من إذا سألته أعطاك، وإن سكت ابتداك، وإن نزلت بك نازلة
واساك. اصحب من إذا قلت صدق قولك، وإن حاولتما أمراً أمرك، وإن تنازعتما آثرك"^(١).

❖ من آثار الصحبة الصالحة:

أولاً: الآثار النفسية للصحبة الصالحة:

الصحبة مطلب نفسي لا يستغني عنه الإنسان في جميع مراحل حياته، وذلك أن
الصاحب يقضي معظم أوقاته مع هؤلاء الأصدقاء، سواء كانوا من صحبة القرابة أو صحبة
المقارنة. يبتئ إليهم همومه، ويحكي لهم عن آماله، ويتبادل معهم الآراء والخبرات حول هذه
الهموم وهذه الآمال والطموحات، ويشاركهم ويشاركونه في أحاسيسه ومشاعره.

ونجد مثالا لهذا الأثر في قصة أصحاب الكهف السابق ذكرها، حيث بين الله جل ثناؤه كيف
تم الانسجام فيما بينهم، وكيف أنهم اجتمعوا وبت بعضهم إلى بعض همومهم، وأخذوا
يتبادلون الآراء حول قومهم وما يعبدون من دون الله، ثم بين اتفاقهم على اتخاذ الرأي
الأصوب وهو العزلة والفرار من قومهم واللجوء إلى الكهف، وطلب العون من القوي العزيز،
قال تعالى: ﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ
وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا﴾ [سورة الكهف ١٨/١٦]. ثم ما تم بعد ذلك من تنفيذ لما تقرر
اتخاذ.

والتأمل لهذا المثال يجد أن هناك عوامل أدت إلى التجاذب بينهم منها^(٢):

● الحاجة النفسية: كون الرفقة أو الصحبة تغذي حاجة نفسية ملحة يندر أن يستأنس

المرء بدونها.

● التشابه في الطباع والأحاسيس فيما بينهم.

ولما كانت الصحبة مطلبا نفسيا كان الابتعاد عن الأصدقاء من أشد أنواع العقوبات على
الإنسان. ولقد استخدم النبي ﷺ هذا النوع من العقاب مع بعض أصحابه كما في قصة

(١) وصية علقمة العطاردي، من كتاب إحياء علوم الدين ٦٥١.

(٢) مقال من موقع طريق الجنة بعنوان أثار الصاحب

<http://www.aljannahway.com/vb/showthread>

الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك حينما نهي ﷺ عن كلامهم، فاعتزلهم الناس وتغيروا عليهم، كما روى ذلك كعب بن مالك ^(١) حيث قال: ((نهي رسول الله ﷺ المسلمين عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه ، قال: فاجتنبنا الناس وتغيروا لنا حتى تنكرت لي في نفسي الأرض فما هي بالأرض التي أعرف، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة .

فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان، وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم، فكنت أخرج وأشهد الصلاة وأطوف في الأسواق ولا يكلمني أحد، وآتي رسول الله ﷺ فأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة ، فأقول في نفسي هل حرك شفتيه برد السلام أم لا ؟ ثم أصلي معه و أسارقه النظر، فإذا أقبلت على صلاتي نظر إلي وإذا التفت نحوه أعرض عني... حتى إذا طال ذلك علي من جفوة المسلمين، مشيت حتى تسورت جدار حائط أبي قتادة وهو ابن عمي وأحب الناس إلي، فسلمت عليه ، فوالله ما رد علي السلام ، فقلت : يا أبا قتادة أنشدك بالله هل تعلم أبي أحب الله ورسوله ؟ فسكت، قال : فعدت فناشدته فسكت، فعدت فناشدته فقال: الله ورسوله أعلم ! ففاضت عيناى. وتوليت حتى تسورت الجدار... حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين، إذ برسول رسول الله ﷺ يأتيني فيقول لي: إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تعتزل امرأتك. فقلت لامرأتي: الحقي بأهلك فكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر... فلبثنا عشراً لتكتمل لنا خمسون ليلة)) ^(٢)، حتى جاء الفرج بقبول توبتهم كما قال تعالى: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا صَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَصَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ [سورة التوبة ٩/١١٨].

فأخذ أصحابهم يتسارعون لنقل البشارة بقبول التوبة فانطلق أحدهم يمشي مسرعاً بالبشرى، وأخذ الآخر يصيح بها بصوته. فسمع كعب رضيه الصوت قبل أن يرى الرجل، فما كان منه

(١) كعب بن مالك ، أحد شعراء رسول الله ﷺ وصاحبه، وأحد الثلاثة الذين خلفوا، فتاب الله عليهم.شهد بيعة العقبة، وكان أحد النقباء الأثني عشر وأحدا وما بعدها تخلف عن بدر وتبوك، وله أحاديث تبلغ الثلاثين. ت ٥٩هـ. انظر: أسد الغابة ٤/٥١٤، الإصابة ٥/٦١٠-٦١١.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب حديث كعب بن مالك(٤/١٦٠٥ح٤١٥٦)ومسلم في صحيحه، باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه(٤/٢١٢٤ح٢٧٦٩).

إلا أن خلع ثوبيه وأعطاهما لمن بشره بقبول توبته^(١). وهذا المثل يبين مدى صعوبة الحياة بلا أصحاب يأنس بهم الإنسان.

ثانياً: آثار الصحة الاجتماعية:

الصحة تجعل للإنسان علاقات طيبة فلا يقتصر في تعامله على محيط الصحة المقربة، بل تتعداهم لتشمل جميع من يحيط بالإنسان؛ سواء كانوا ممن جمعت بينهم هذه العلاقة أو غيرهم.

فحب الخير الذي يكنه الصاحب لصاحبه يتعداه لغيره بحكم إيمانه وامثاله لأوامر الدين الخفيف، كما قال النبي ﷺ: ((لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه))^(٢).

قال أحد علماء النفس: (ولقد أكدت الدراسات والبحوث النفسية الحديثة المتصلة بوظائف الصداقة أنها تعكس في مجموعها وظيفتين أساسيتين للصداقة هما:

١. خفض مشاعر الوحدة ودعم المشاعر الإيجابية السارة.

٢. الإسهام في عملية التنشئة الاجتماعية.

وخلصت الدراسات إلى الاتفاق على أن حاجة الأشخاص إلى حد أدنى من التفاعل الاجتماعي بغض النظر عن أية مساعدات يتحقق بمجرد الاجتماع بالأصحاب، وأنه يجد عندهم قدراً وافراً من الارتياح الوجداني في ظروف الحياة العادية. وتزداد الحاجة إلى الارتباط بالآخرين عند التعرض لمشقة أو شعور بقلق ونحو ذلك.

ثم بين الآليات النفسية التي من خلالها تتحقق وظيفة خفض مشاعر الوحدة ودعم المشاعر الإيجابية، وهذه الآليات هي:

● المقارنة الاجتماعية.

● الإفصاح عن الذات.

● المساندة الاجتماعية.

● المشاركة في الميول والاهتمامات.

وأورد لكل آلية بحثاً ودراسات من أبرز نتائجها:

(١) جامع البيان ١٣/٢٣١-٢٣٦، تفسير ابن كثير ٢/٤٤٤.

(٢) سبق تخريجه ص ١٥٩.

توصل بعض الباحثين إلى أن التجمع بين الأصحاب يخفف القلق خاصة في أوقات الأزمات، أو تحت وطأة الشعور بالوحدة؛ حيث تهتز ثقة الأفراد في قدراتهم على تحمل الضغوط والظروف الصعبة.

وفي تلك الظروف ينخفض تقدير الذات، وتختل الثقة في دقة الأحكام الشخصية، ويصبح الشخص مستعداً للاعتماد على الآخرين، إما بهدف مقارنة الذات بهم، ثم التحقق أو تعديل الآراء والأحكام الشخصية، أو التماس المساندة النفسية الوجدانية.

ومن هنا تظهر خطورة العزلة والوحدة التي تحرم الشخص من الراحة النفسية التي يمكن أن يجنيها من مقارنة آرائه واتجاهاته ومشاعره بمثلتها لدى الآخرين وقت الشدة بوجه خاص.

أما الإفصاح عن الذات فهو أثر يتحقق من خلال التخاطب والحديث عن الأمور العامة، وعن أدق التفاصيل فيما بين الأصحاب.

وأما المساندة الاجتماعية فهي التي تمثل أهم وظائف الصداقة، ومنها المساعدة والنصيحة والفهم والتوجيه والحماية من الوقوع في الخطأ. وهي إما مساندة مالية، أو مساندة نفسية بعرض الآراء ودعم الثقة في النفس.

أما عن المشاركة في الميول والاهتمامات الشخصية: فهذه تحقق للشخص التخفيف من مشاعر الضيق والملل والتوتر، وحتى تنمية المشاعر الإيجابية السارة حيث تؤدي المشاركة في الميول والاهتمامات إلى إثارة المشاعر الإيجابية السارة المتضمنة المرح والتسلية والترفيه^(١).

وإذا كانت هذه الآثار ذكرت خاصة بالصداقة فهي عامة في سائر أنواع الصحبة.

ثالثاً: آثار الصحبة السلوكية:

الثابت في علم النفس أن الإنسان إذا صحب إنساناً فإنه يكتسب من علمه وخبرته ومن أخلاقه. وأبرز ما يميز الصحبة هو تبادل التأثير بين سلوك أفرادها، فإن كان الصاحب صالحاً كان تأثيره على سلوك صاحبه واضحاً فيغير من سلوكهم السيئ إلى السلوك الحسن، فصاحب الخلق الحسن يؤثر على صاحبه فيجعل خلقه حسناً إذا كان ما بينهما قائماً على أسس ثابتة قوية. فقد بين النبي ﷺ أن للصاحب ثلاث حالات للاستفادة من صاحبه؛ وهي

(١) انظر: الصداقة من منظور علم النفس. الدكتور: أسامة سعد أبي سريع، عالم المعرفة، سلسلة كتب يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب: الكويت، ٦٥-٨٥.

إما الإحذاء ، أو أخذ شيء يسير من صفاته وإما تناله السمعة الحسنة كما في الحديث حامل المسك.

كذلك تخصيصه ﷺ للاقتران بالمرأة صاحبة الدين ، وتفضيله لها في قوله ﷺ: ((تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك))^(١). وما ذاك إلا لأن المرأة أكثر الناس مخالطة لزوجها، ولها تأثير عليه، فإن كانت ذات دين كان تأثيرها حسنا صالحا عليه وعلى أبنائهما وعلى من حولهما. وأما إن كانت غير ذلك أفسدت عليه دينه وأولاده وعلاقاته بمن حوله. وصدق المصطفى ﷺ حين قال: ((المرء على دين خليله))^(٢).

وصدق الشاعر إذ يقول^(٣):

إذا كنت في قوم فصاحب خيارهم ولا تصحب الأردى فتردى مع الردي
والمأمل في تاريخ الأمم السابقة يجد مدى تأثير الصحبة الصالحة على تغيير سلوك أصحابها. ومن الأمثلة على ذلك ما كان من تغيير لسلوك قبيلتي الأوس والخزرج من العداوة والتناحر والحروب إلى الحب والمودة والإخاء. وذلك بسبب صحبتهم للنبي ﷺ وصدق اتباعهم لما جاء به الشرع الحكيم، فأصبحت أخوة الدين فيما بينهم أقوى من أي شيء.

رابعاً: الآثار الأمنية للصحبة الصالحة:

وهي كثيرة جدا للفرد و للمجتمع. فكلما كانت الصحبة التي تجمع بين أفراد المجتمع صالحة ساد الأمن في المجتمع؛ وأمن الصاحب صاحبه على نفسه وماله وعرضه، لأنه يعلم أن صاحبه يجب له ما يجب لنفسه، كما قال النبي ﷺ: ((لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه))^(٤).

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب الأكفاء في الدين (٥/١٩٥٨ ح ٤٨٠٢)، والإمام مسلم في صحيحه، باب استحباب نكاح ذات الدين (٢/١٠٨٦ ح ١٤٦٦).

(٢) سبق تخريجه ص ١٦.

(٣) ديوان طرفه ابن العبد ٢٠.

(٤) سبق تخريجه ص ١٥٢.

وقال: ((لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه))^(١). ليبين مدى تحقق الأثر الأمني على الجار وعلى الأصحاب.

وإذا تحققت هذه الآثار فيما بين الأصحاب، نتج عنها مجتمع صالح ينعم جميع أفرادها بالاستقرار وطيب المعشر والازدهار في شتى مناحي الحياة.

وخير مثال لبيان مدى تأثير هذه الصحة على المجتمع وأفراده، تلك الصحة التي قامت بين النبي ﷺ وصحابته الكرام رضوان الله عليهم، حين تأثروا بصحبته ﷺ، فكانت نتيجة ذلك أن توحدت نفوسهم، ونقيت مما شأها من صنوف العدا، فانقلب ما كان بينهم من عداوة إلى أخوة ومحبة، وما كان من شتات وضعف إلى قوة وعز؛ وبين الحق سبحانه وتعالى ذلك في

معرض امتنانه عليهم حيث قال: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [سورة آل عمران ١٠٣/٣].

(١) سبق تخريجه ص ٩٤.

المطلب الثاني: آثار الصحبة السيئة على الفرد والمجتمع

لما كانت الصحبة الصالحة تنتج إنساناً صالحاً متمسكاً بدينه محباً لمجتمعه وإخوانه، وتكوّن من خلالها مجتمعاً صالحاً، مترابطاً بين أفراد،ه قوياً في علاقاته، مزدهراً في كل جوانب الحياة؛ فإن الصحبة السيئة تنتج إنساناً عارياً عن الخلق والدين، غير صالح في المجتمع، بل هو مثل الداء العضال في الجسم السليم ينخر فيه حتى يفسده ويهلكه.

❖ خصال صاحب السيئ:

وقبل الحديث عن آثار الصحبة السيئة نذكر بعض خصال أصحاب السوء^(١):
 إن أهم ما يميز أصحاب السوء هو ضعف الوازع الديني لديهم، فهم لا يقومون بأمور الدين ولا شرائعه، ولا يكتفون بهذا بل إنهم يعينون على تضييع حقوق الله بارتكاب المعاصي وترك الواجبات. قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾^(٣٦)
 وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿ [سورة الزخرف ٤٣/٣٦-٣٧].
 إنهم متقلبون حسب المصلحة. ومن هذا خلقه أهلك نفسه وأهلك صاحبه. بل إنه غير مؤتمن على هذه الصحبة لأن الصحبة أمانة كما جاء في الحديث: ((إنما يجالس المتجالسون بأمانة الله فلا يجلس لأحدهم أن يفشي عن صاحبه ما يكره))^(٢).

كذلك مما يميزهم سوء أخلاقهم وخبث سرائرهم، وعدم اهتمامهم بالأخلاق والفضائل. وعدم مراعاتهم لحقوق الصحبة وواجبات القرابة أو أي نوع من الصلات. بل همهم تحقيق مآربهم وأهوائهم وإن كان على حساب دينهم ومروءتهم... إلى غير ذلك من الصفات الذميمة.

أما عن أسلوب صاحب السيئ في التأثير على غيره فيختلف، فهناك صحبة يكون تأثيرهم على أصحابهم عن طريق الإغواء، وهناك صحبة تؤثر تأثيراً مباشراً، وهناك نوع يتخذ من أسلوب القسر والإرهاب طريقة له، ومنهم من يتخذ التهديد وفضح الأسرار أسلوباً له.

(١) إحياء علوم الدين ٦٥٢ .

(٢) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه، باب المجالس بالأمانة ١١/٢٢ ح ١٩٧٩١ .

وإن المتأمل في قصص السابقين منذ بدء الخليقة إلى يومنا هذا يجد أن من يمثل هذه الفئة هم أعداد قليلة، لكن آثارهم تمتد لتصل إلى جميع من حولهم. ومن الأمثلة على ذلك؛ قوم لوط عليه السلام، الذين خالفوا سنن الله في خلقه، كما قال تعالى عنهم على لسان لوط- عليه السلام - ﴿وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ ۗ﴾ [سورة الأعراف ٨٠/٧-٨١]. وكانوا سبباً في هلاك قومهم بعداب لم يعذب به أحد من قبل، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّنْ سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾﴾ [سورة هود ٨٢/١١]؛ حيث قلب الله ديارهم عليهم وأمطر عليهم حجارة شديدة الحرارة؛ إذ هي من نار جهنم، تتبعهم فلا يستطيع أحد منهم أن يفر منها^(١).

وها هو ذا فرعون يستعلي على الناس ويتخذ له زمرة تعينه على الطغيان والبطش، فكان أن أنكر وكذب بما جاء به نبي الله موسى - عليه السلام - من الدلائل والبراهين الدالة على وحدانية الله واستحقاقه وحده للعبادة. ولم يكتف بهذا بل أخذته العزة بالإثم، وأرعى سمعه لتلك الزمرة الفاسدة ممن حوله الذين أخذوا يزينون له الباطل ويعظمونه ويجرضونه على موسى - عليه السلام - ومن آمن معه، كما قال الحق تبارك تعالى عنهم: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَنْذَرْنَاهُ وَمُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَبِذَرِكُمْ وَعَالِيهِمُ الْعَذَابُ ۗ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [سورة الأعراف ٧/١٢٧].

فكان الله له ولهم بالمرصاد فأغرقهم في اليم، وصاروا بذلك عبرة لمن يعتبر، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَفُ دَرَكًا وَلَا تُخَشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَهْدَىٰ ﴿٧٩﴾﴾ [سورة طه ٧٧/٢٠-٧٩].

كذلك ما كان من أصحاب السوء الذين حالوا بين أبي طالب وبين الإيمان، فمات على الكفر متأثراً بأفكارهم، كما سبق الحديث عن ذلك.

(١) تفسير ابن سعدي ٣٨٦ بتصرف.

❖ آثار الصحبة السيئة:

أولاً: الآثار النفسية للصحبة السيئة على صاحب:

إن للصحبة السيئة تأثيراً نفسياً خطيراً على من جمعت بينهم هذه العلاقة، وذلك أن هذه العلاقة قامت على أسس غير سليمة. فمن آثارها النفسية: أنها تجعل الإنسان يعيش في قلق وخوف وتوتر دائم. وأسيراً منقاداً لهؤلاء، فلا يعمل عقله، ولا يقيم وزناً للأخلاق والأعراف والعادات. سواء كان هذا صاحب زوجاً أو صديقاً أو غير ذلك. هذه العلاقة تلغي شخصية الإنسان وتحد من قدراته. تجعل من السهل السيطرة عليه فكرياً وسلوكياً ووجدانياً، فتسهل السيطرة عليه واستخدامه لتلبية حاجات هذا صاحب السيء.

ولقد صور الحق تبارك وتعالى مثلاً للصحبة السيئة كانت آثارها النفسية واضحة جلية على تصرفات أصحابها، إنهم المنافقون الذين أظهروا الإسلام وأضمروا النفاق في قلوبهم، فلما أنزل الله فيهم آياته الفاضحة لمخططاتهم ظهرت عليهم الآثار النفسية من قلق وتوتر ووجل، كما قال تعالى عنهم: ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرِيكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [سورة التوبة ٩/١٢٧].

كذلك بين حال أصحاب موسى عليه السلام، الذين كانت صحبتهم له سيئة، من ذلك موقفهم عندما طلب منهم دخول القرية التي فيها الجبابرة، قال تعالى: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنَ نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتَلْنَا نَاهُنَا قَعِدُونَ﴾ [سورة المائدة ٢٤/٥]، وقال عنهم في موضع آخر: ﴿قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ

عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عُدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [سورة الأعراف ٧/١٢٩]. فتبين من خلال هذا كيف أتهم خذلوا رسولهم، وبثوا في أتباعهم الخوف، فكان تأثيرهم النفسي أشد من تأثيرهم الفعلي، فما كان من موسى - عليه السلام - إلا أن توجه إلى ربه طالباً نصره عليهم، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ (٢٥) قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [سورة المائدة ٥/٢٥-٢٦].

ثانياً: الآثار الاجتماعية للصحة السيئة:

الصحة السيئة تجعل صاحب يقتصر على فئة معينة أو على شخصية معينة يحتاج إليها في كل أوقاته، يبت إليها همومه ولا يتعداها إلى غيرها. بخلاف الصحة الصالحة التي لا تنقيد بشخص ولا فئة فكل من يجد عنده الحل لمشكلته ويرى عنده الرأي الراجح يلجأ إليه، ويأخذ بمشورته، وله الحق بتركها إن شاء. أما هؤلاء فلا يسعى صاحب إلا أن يأخذ بمشورتهم وإن كانت تخالف الدين أو تخالف أهواءه.

كذلك فإن الصحة الصالحة تنمي عند صاحب فنونا كثيرة كفن الاستماع وقبول النصيحة وبذلها. أما الصحة السيئة فلا يسع صاحب إلا قبول الأوامر الصادرة من قبلهم وتنفيذها دونما مشورة أو توضيح لهذه الأوامر.

الصحة السيئة تعود صاحب على عدم قبول النصيح وخاصة إذا كانت النصيحة مقدمة من أهل الدين والصلاح، أو حتى لو كانت من الأب أو الأم. وتتضاعف تلك حين تتعلق بشخص ممن ينتسب إليه بهذه العلاقة، كصديق أو غيره، أو من يمت لهذه الفئة بعلاقة. كذلك تجعل هذا صاحب سيئ الظن بكل ناصح أو محب له، وتوغر صدره عليهم، وتجعله أكثر انطواءً وبعداً عن التجمعات وخاصة التجمعات العائلية. فلا يحضر مع قرابته المناسبات كالأعياد والأفراح، وإن حضرها كان شعور التوتر والخوف والقلق سائداً على تصرفاته. وهذه الآثار كانت واضحة جلية في قصة نوح - عليه السلام - مع ابنه الذي كان تأثير الصحة السيئة عليه واضحاً كما صور الحق تبارك وتعالى ذلك عنه حيث قال: ﴿وَهِيَ تَجْرِي

بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ، وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَبْنِي أَرْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ

﴿٤٤﴾ قَالَ سَاوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا

الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُعْرِقِينَ ﴿سورة هود ٤٢/١١-٤٣﴾. ثم بين حال نوح عليه السلام بعد

هذا، وكيف أن عاطفته قادتته للسؤال عن مصير ابنه، قال تعالى: ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ، فَقَالَ رَبِّ

إِنِّي مِنَ الْاهْلِ وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴿سورة هود ٤٥/١١﴾. فجاء الرد بقطع

صلته بهذا الابن وبيان مصيره، قال تعالى: ﴿قَالَ يَنْوُحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي

مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّيْ أَعْظَمُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّيْ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِيْ بِهِ عِلْمٌ
وَإِلَّا تَغْفِرْ لِيْ وَتَرْحَمْنِيْ أَكُنْ مِنَ الْخَسِرِينَ ﴿﴾ [سورة هود ٤٦/١١ - ٤٧].

ثالثا: الآثار السلوكية للصحة السيئة:

إن أبرز دليل على تأثير الصاحب على صاحبه هو السلوك، سواء كان في اللباس أو الحركة أو الكلام أو غير ذلك. فإذا كان هذا الصاحب سيئ السلوك اكتسب منه صاحبه هذا السلوك غير السوي.

بل إن هذا السلوك ينمو ويتطور شيئاً فشيئاً مع طول المدة حتى يكون علامة يتميز بها أصحاب هذه العلاقة.

ولخطورة هذا الأثر كان لا بد من إعطاء بعض الأمثلة لبعض السلوكيات الخاطئة التي تنفشي بين أصحاب السوء، والتي يجب التحذير منها سواء من قبل الوالدين أو المعلمين والمعلمات أو المجتمع بأسره :

ظهور الانحرافات الجنسية.

ظهور جرائم كالسرقة .

التدخين.

تعاطي المخدرات

تفشي الكذب.

العدوانية..... إلى غير ذلك.

فإذا اكتشف وجود شيء من هذه الأنواع أو غيرها فإنه يجب الوقوف عندها، ودراستها، وإيجاد الحلول المناسبة لها، لأنه إذا لم يبين خطورها وخطأها فإنها تنمو وتتفشى، فإذا تفشت في المجتمع صعب القضاء عليها، وكانت سبباً في هلاكه.

والتأمل في قصص القرآن الكريم يجد تأثر أصحاب السوء على سلوك أصحابهم واضحاً. فهذا فرعون ذاك الحاكم الظالم عندما لم يجد فيمن حوله من يقوم سلوكه الخاطيء ويقوده للحق، زاد بطره وطمع حتى وصل به الحد إلى أن ادعى الألوهية ومحاكاة رب العزة والجلالة، كما قال تعالى: ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ [سورة النازعات ٢٤/٧٩]. وقال عنه في موضع آخر

وهو يخاطب قومه: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ إِنِّي آتِيهَا أَلَمًّا مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَدَهُمْ نَارًا عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأظنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ [سورة القصص ٣٨/٢٨]، فكان أن أهلكه الله ومن معه.

وفي مقابل هذا ذكر الحق تبارك وتعالى مثلاً للصحبة الصالحة التي تقوم سلوك أفرادها كما في قصة أصحاب الجنة الذين سبق الحديث عنهم، وكيف أن أوسطهم لما ذكرهم بالله عادوا وسبحوا بحمده فأبدلهم جنة خيراً من جنتهم التي أهلكتها نار الحسد والجشع.

رابعاً: الآثار الأمنية للصحبة السيئة:

عندما يعيش الإنسان في مجتمع مترابط قائم على أسس ثابتة فإنه ينعم هو وأهله بالأمن والأمان. بخلاف ما إذا كانت علاقات أصحابه قائمة على الكره وحب الذات فتتفشى الرذيلة وسوء الأخلاق بين أفرادها. ومن أبرز الآثار الأمنية للصحبة السيئة: انتشار الجرائم.

الخوف على النفس والمال والعرض والخوف على الدين. في ظل هذه العلاقات المتوترة. ثم إن سبب هلاك الأمم هو أصحاب السوء، كما قال الحق تبارك وتعالى: ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴾ [سورة الإسراء ١٦/١٧]. قال الشيخ ابن سعدي رحمته الله: "بالجملة فمصاحبة الأشرار مضرّة من جميع الوجوه على من صاحبهم، وشر على من خالطهم، فكم هلك بسببهم أقوام! وكم قادوا أصحابهم إلى المهالك من حيث لا يشعرون!"^(١).

فليحذر كل واحد منا صغيراً كان أم كبيراً من مصاحبة أهل السوء والريب؛ فإن صاحب ساحب، والطبع سراق، ولا يغرنك من أصحاب المعاصي طيب معشرهم، وحلاوة ألسنتهم، فالماء قد يصفو منظره وطعمه خبيثاً!. قال تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ ۖ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴾ [سورة البقرة ٢٠٤/٢].

(١) بحجة قلوب الأبرار، الشيخ عبد الرحمن السعدي، دار الفتح: الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، ط: الأولى:

المبحث الثاني: عاقبة الصحة في الآخرة:

المطلب الأول: عاقبة الصحة الصالحة.

المطلب الثاني: عاقبة الصحة السيئة.

تمهيد:

من المعلوم أن الدنيا دار عمل، والآخرة هي المستقر والمآل، والصحة كغيرها من العلاقات والمعاملات ينقسم أتباعها يوم القيامة إلى فريقين سعداء وأشقياء .

ففي هذا اليوم الذي يملأ القلوب فزعا من شدة أهواله، وتشخص فيه أبصار الخلائق، وتضع

كل ذات حمل حملها، وتذهل مما فيه، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ

عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ

عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [سورة الحج ٢٢/٢].

في هذا الموقف تنقطع علائق الأنساب فيما بينهم: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ

وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ [سورة المؤمنون ١٠١/٢٣]، ولا ينفع بعضهم بعضاً مهما قرب نسبه، أو

حقوقه، فكل إنسان في هذا الموقف لديه ما يشغله؛ حتى إنه لا يلتفت إلى جواره، بل إنه يفر

من أحب وأقرب وألصق الناس به ممن تربطه بهم علاقات الصحة سواء كانت صحة

قربا؛ كالأبوة، أو البنوة، أو الأخوة، أو الزوجية، أو غيرها من العلاقات... كما صور الحق

تبارك وتعالى ذلك بقوله: ﴿يَوْمَ يَقْرَأُ الْمُرءُؤُا مِنْ أَخِيهِ ۗ وَأُمَّهُ وَوَأَبِيهِ ۗ وَصَحْبَهُ وَبَنِيهِ ۗ لِكُلِّ أُمْرٍؤٍ مِّنْهُمْ

يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [سورة عبس ٣٧-٣٤/٨٠] .

حتى إذا وقع الفصل وبدأ الحساب تمنى الكافر الذي أعرض عن الله وعن رسله أن يفتدي

نفسه من هذا العذاب بكل شيء، سواء بماله أو بأقرب وأعز الناس الذين أحبهم وسعى في

الدنيا للاستزادة منهم، قال تعالى: ﴿يَبْصُرُونَهُمْ يُؤدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ۗ

وَصَحْبِهِ وَوَأَخِيهِ ۗ وَوَأَصْلِبَتِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ۗ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ﴾ [سورة المعارج ١١/٧٠-

١٤] . لكن هيهات له ذلك! ففي هذا المقام لا ينفع نفسا إيمانها إن لم تكن آمنت من قبل،

ولن تغني الأموال ولا الأولاد من عذاب الله شيئا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ

وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ﴾ [سورة آل عمران ١٠/٣].

ومن هنا كان لا بد من بيان عاقبة الصحة الصالحة، وعاقبة الصحة السيئة في هذا الموقف

وما بعده، على من جمعت بينهم.

المطلب الأول: عاقبة الصحبة الصالحة

إن كل علاقة تربط الإنسان بغيره لا بد لها من نهاية. والصحبة من هذه العلاقات، لكن الصحبة الصالحة إذا قامت على أسس ثابتة، وتحلى أفرادها بالخلال الحميدة، وقام كل منهم بأداء ما عليه من حقوق أثمرت هذه الصحبة، وآتت ثمارها اليانعة؛ إما ما يلقاه صاحب من صاحبه في الدنيا مما تقدم ذكر بعض منها. وإما ما أعده الله من الثواب لهؤلاء في الآخرة. والمتأمل في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ يجد أن الله جل ثناؤه عندما وصف الجنة وذكر أهلها وذكر ما فيها من النعيم خص أهل الصحبة الصالحة بمزيد من النعيم يغبطهم عليه النبيون والصديقون والشهداء.

وفيما يلي عرض لصور انتفاع صاحب الصالح من صحبته، فمن ذلك:

• أن الصحبة الصالحة تكون سبباً لدخول الجنة وسبباً لرفعة الدرجات.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [سورة الطور ٢١/٥٢]. ففي هذه الآية يوضح الحق تبارك وتعالى أن الصحبة إن كانت قائمة بين الآباء والأبناء على الإيمان بالله والتواصي بالحق فإن الله سبحانه يلحق الأبناء بآبائهم في الجنة تطيباً لقلوب عباده بأن يجمع بينهم وبين آبنائهم.

روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في تفسير قوله تعالى: ﴿الْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾: "إن الله يرفع ذرية المؤمن في درجته وإن كانوا دونه في العمل. ثم قرأ: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ يقول: وما نقصناهم" (١).

وقال بعض أهل التفسير: ألحق بهم ذريتهم لتقر بهم أعينهم، وهذا كرامة للأبناء بسبب الآباء. وقيل: إن هذا في الأولاد الذين ماتوا صغاراً، وقيل: على الإطلاق في الأبناء المؤمنين (٢).

(١) رواه الحاكم في المستدرک ٥٠٩/٢.

(٢) انظر: الكشاف ١٠٥٦، تفسير أبو السعود ١٤٨/٨٥.

• أن الصحبة الصالحة في الدنيا تمتد لتصل صاحب بصاحبه في الجنة.

فقد بين الحق سبحانه وتعالى أن صحبتهم باقية لا تنقطع ولا تنقلب إلى عداوة، بخلاف غيرها من أنواع العلاقات التي تنقلب في هذا اليوم العسير إلى عداوة وبغضاء وتتصل من المسؤولية، قال تعالى: ﴿الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [سورة الزخرف ٤٣/٦٧]. فهنا بين الله جل جلاله حال من جمعت بينهم الصحبة في الدنيا بأن من كانت حلتهم وصحبتهم قائمة على المعاصي وتلبية ملذات النفس وشهواتها فإنها تنقلب يوم القيامة إلى عداوة، ويتبرأ كل منهم من خليله وصاحبه. وأما من كانت صحبتته قائمة على الإيمان والتقى فإنها تدوم بل تتأصل في هذا الموقف، فاستثنى المتقين من عموم العداوة التي تقع بين الأخلاء يوم القيامة.

وقد تقدم الأثر المروي عن علي بن أبي طالب عليه السلام والذي فيه: "كان خليلان مؤمنان وخليلان كافران، فمات أحد المؤمنين، فقال: يارب إن فلانا كان يأمرني بطاعتك وطاعة رسولك، كان يأمرني بالخير وينهايني عن الشر، ويخبرني أي ملائكتك، يارب فلا تضله بعدي، واهده كما هديتني، وأكرمه كما أكرمتني، فإذا مات خليله المؤمن جمع الله بينهما فيقول الله تعالى: ليثن كل واحد منكما على صاحبه. فيقول: يارب إنه كان يأمر بطاعتك وطاعة رسولك، ويأمرني بالخير، وينهايني عن الشر، ويخبرني أي ملائكتك. فيقول تعالى: نعم الخليل ونعم الأخ ونعم صاحب....." (١).

كذلك ما كان بين الزوجين الصالحين من صحبة فإنها تمتد ليتم اللقاء في جنات النعيم. قال تعالى: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ﴾ [سورة الزخرف ٤٣/٧٠]. وقال - جل ثناؤه -: ﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ [سورة الرعد ٢٣/١٣]. وقال سبحانه: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكَاهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِفُونَ﴾ [سورة يس ٥٥/٥٦]، وقال: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [سورة الطور

(١) جامع البيان ٩٤/٢٥، تفسير ابن كثير ٤/١٣٤.

[٢١/٥٢]، فيجمع الله لأهل الجنة بين أنواع السرور من اجتماع بالزوجة والذرية والإخوان الذين اجتمع بهم في الدنيا على حب الله وطاعة رسوله ﷺ. وبين أن سبب هذا النعيم هو الإيمان وخاصة إيمان الآباء وصلاتهم. ثم أتبع وألحق بهؤلاء الأصحاب بدرجتهم، وإن كانت أعمالهم لا تصل بهم إلى هذه الدرجة من النعيم. إنما تفضل عليهم بمزيد من الثواب فألحقهم بدرجة أعلى من درجتهم ليتم السرور ويكتمل الفرح بالاجتماع بهم^(١).

• **الصاحب الصالح إذا كان أعلى مقاماً في الجنة من صاحبه فإن الله جل وعلا يرفع الآخر إلى مقامه ويلحقه بدرجته.** كما تلتحق الذرية الصالحة بالأبوين والأهل بعضهم ببعض، لأن الأخوة إذا كانت في سبيل الله لم تكن دون أخوة الولادة^(٢).

• **الصحبة الصالحة تكون سبباً في حصول الشفاعة^(٣) بين الأصحاب.**

قال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِّن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَّ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفْعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [سورة البقرة ٢/٢٥٤]. وقال - عز شأنه -: ﴿فَمَا نَنْفَعُهُمْ شَفْعَةُ الشَّفِيعِينَ﴾ [سورة المدثر ٤٨/٧٤].. فقد بين الحق تبارك وتعالى أن الكفار لا ينتفعون بأي شفاعة تقدم لهم ولا يشفع أحد منهم لأحد. ومفهوم كونها لا تنفع الكفار أنها تنفع غيرهم^(٤). قال قتادة رحمته الله: " يعلمون أن الصديق إذا كان صالحاً نفع، وأن الحميم إذا كان صالحاً شفع^(٥)".

(١) بتصرف من الكشاف ١٠٥٦.

(٢) إحياء علوم الدين ٦٣٦.

(٣) الشفاعة: السؤال عن التجاوز عن الذنوب لمن وقع منه جنابة. (التعاريف ٤٣٢) قال الراغب: الشفع ضم الشيء إلى مثله، والشفاعة انضمام شخص إلى آخر ناصر له. وأكثر ما يستعمل في انضمام من هو أعلى حرمة إلى من هو أدنى. ومنه الشفاعة يوم القيامة، وفيه آيات كثيرة منها: ﴿من يشفع شفاعة حسنة﴾ وقوله: ﴿ومن يشفع شفاعة سيئة﴾ أي: من انضم إلى غيره وعاونه وصار شافعاً له وشفيعاً في فعل الخير والشر فعاونه وقواه وشاركه في نفعه وضره. المفردات ٢٦٣. (٤) أضواء البيان ٨/٣٦٧.

(٥) انظر جامع البيان ٨٩/١٩، تفسير ابن كثير ٣/٣٤١.

روي عن الحسن البصري رحمته الله قوله: " استكثروا من الأصدقاء المؤمنين فإن لهم شفاعاة عند الله. وفي رواية: فإن الرجل منهم يشفع في قريبه وصديقه. فإذا رأى الكفار ذلك قالوا: ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَفِيعِينَ﴾ (١٠٠) وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿﴾" (١) [سورة الشعراء ٢٦/١٠٠-١٠١].

كذلك قال ابن عطية رحمته الله: "قص الله في هذه الآية عن الكافرين قولهم على جهة التلهف والتأسف حين رأوا شفاعاة الملائكة والأنبياء والعلماء نافعة في أهل الإيمان عموماً، وشفاعة الصديق في صديقه خاصة. وقال: ولفظة الشفيع تقتضي رفعة مكانه، ولفظ الصديق يقتضي شدة مساهمة ونصرة، وهو فعيل من صدق الود. والحميم الولي والقريب الذي يخصك أمره ويخصه أمرك، وحامة الرجل خاصته. بينما هم يتبرأ بعضهم من بعض، ويلعن بعضهم بعضاً بل تنقطع سبل الوصال فيما بينهم. كما قال تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ [سورة البقرة ٢/١٦٦]" (٢).

قال الإمام الغزالي رحمته الله: "اعلم أنه إذا حق دخول النار على طائفة من المؤمنين، فإن الله يقبل فيهم شفاعاة الأنبياء والصديقين، بل شفاعاة العلماء الصالحين. وكل من له عند الله جاه وحسن معاملة فإن له شفاعاة في أهله وقربته وأصدقائه ومعارفه. كما روى عن النبي صلوات الله عليه أنه قال: ((ليدخلن الجنة بشفاعة رجل من أمتي، أكثر من بني تميم)) (٣). قال بعض السلف: استكثروا من الإخوان فإن لكل مؤمن شفاعاة، فلعلك تدخل في شفاعاة أخيك" (٤).

قال تعالى: ﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ؕ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ [سورة الشورى ٤٢/٢٦]. قال ابن عباس رحمتهما الله: يشفعهم في إخوانهم فيدخلهم الجنة معهم. ويقال إذا غفر الله للعبد شفع في إخوانه. ولذلك حث جماعة من السلف على الصحبة والألفة والمخالطة، وكرهوا العزلة والانفراد.

(١) انظر: تفسير البغوي ٣/٣٩١، تفسير السمعاني ٤/٥٦.

(٢) المحرر الوجيز ١٤٠٣.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرک (١/٤٢١ ح ٢٣٦) والطبراني في المعجم الكبير (٢٢/٧٦ ح ١٨٨)، وصححه الألباني صحيح الجامع ٨٠٦٩.

(٤) إحياء علوم الدين ٢٠١٥-٢٠١٨.

ونقل عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قوله: عليكم بالإخوان فإنهم عدة في الدنيا والآخرة ألا تسمع إلى قول أهل النار: ﴿فَمَلْنَا مِنْ شَفِيعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾^(١).

• الصحبة الصالحة تحقق للإنسان أعظم رفقة في الآخرة.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ [سورة النساء ٤/٦٩].
كذلك تجمعه بمن أحب كما في الحديث: ((أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الساعة. فقال متى الساعة؟ قال: ((وماذا أعددت لها)) قال لا شيء إلا أني أحب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم. فقال: ((أنت مع من أحببت))^(٢).

توحد العلاقة فيما بينهم في الجنة، فكل من جمعت بينهم الصحبة في الدنيا وتنوعت سواء كانت صحبة قرابة أو صحبة مقارنة فإنها في هذا اليوم تنصب في نوع واحد لتكون أخوة.
قال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمْ أَلا يَتَهَرَّؤْنَ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَن هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رَسُولَنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَن تِلْكَ كُمُ الْبَغْتَةِ أَوْرِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [سورة الأعراف ٧/٤٣].

كذلك جاءت السنة النبوية المطهرة ببيان بعض النعيم الذي ينتظر أهل الصحبة الصالحة، ومن ذلك:

■ أن الصحبة الصالحة تكون سبباً للدخول في ظل عرش الرحمن يوم لا ظل إلا ظله، كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله...)) إلى أن قال: ((ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه))^(٣).

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن ١٣/١١٦، إحياء علوم الدين ٦٣٨.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمر بن الخطاب (٣/١٣٤٩ ح ٣٤٨٥) وبنحوه عند مسلم باب المرء مع من أحب (٤/٢٠٣٢ ح ٢٦٣٩).

(٣) سبق تخريجه ص ١٦٨.

وقال ﷺ: ((إن الله يقول يوم القيامة أين المتحابون بجلالي اليوم أظلمهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي)) (١).

■ الصحبة الصالحة من أسباب النجاة والأمن يوم القيامة، والدخول تحت مسمى

أولياء الله، وانتفاء الخوف والحزن عنهم، وقرب مجالسهم من الله، ولهم منابر من نور تميزهم بين أهل الجنة.

وقد روي عن النبي ﷺ أحاديث حوت هذه النعم وغيرها منها قوله ﷺ: ((إن الله عبادا ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الشهداء والأنبياء يوم القيامة؛ لقربهم من الله تعالى ومجلسهم منه. فجتنا أعرابي على ركبتيه، فقال: يا رسول الله صفهم لنا، وجلهم لنا؟! قال: ((قوم من أفناء الناس؛ من نزاع القبائل، تصادقوا في الله، وتحابوا فيه، يضع الله عز وجل لهم يوم القيامة منابر من نور، يخاف الناس ولا يخافون، هم أولياء الله عز وجل الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون)) (٢). وفي رواية قال: ((يا أيها الناس اسمعوا واعقلوا واعلموا أن الله عز وجل عبادا ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم النبيون والشهداء على منازلهم وقربهم من الله)) فجتنا رجل من الأعراب من قاصية الناس وألوى بيده إلى النبي الله ﷺ، فقال: يا رسول الله ناس من المؤمنين ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء على مجالسهم وقربهم من الله انعتهم لنا، جلهم لنا، يعني صفهم لنا. فسر وجه رسول الله ﷺ لسؤال الأعرابي. فقال رسول الله ﷺ: ((هم ناس من أفناء الناس ونوازع القبائل لم تصل بينهم أرحام متقاربة تحابوا في الله وتصافوا، يضع الله لهم يوم القيامة منابر من نور، فيجلسهم عليها، فيجعل وجوههم نورا، وثيابهم نورا يفرح الناس يوم القيامة ولا يفرعون، وهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون)) (٣).

وقال ﷺ: ((إن من عباد الله عبادا ليسوا بأنبياء يغبطهم الأنبياء والشهداء قيل: من هم لعنا نجبهم؟ قال: ((هم قوم تحابوا بنور الله من غير أرحام ولا انساب وجوههم نور على منابر من

(١) سبق تخريجه ص ١٦٨.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک، كتاب البر والصلة (٤/١٨٨ ح ٧٣١٨) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، والألباني في السلسلة الصحيحة ٣٤٦٤، وقال: إسناده صحيح ورجاله ثقات.

(٣) رواه الإمام أحمد في المسند (٥/٣٤٣ ح ٢٢٩٥٧) والهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/٢٧٩) وقال: رجاله وثقوا، وحسنه الألباني في فقه السيرة ١٥١.

نور، لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس. ثم قرأ: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [سورة يونس ٦٢/١٠] ((^(١)). وغير ذلك من الأحاديث. جعلنا الله منهم.

(١) رواه ابن حبان في صحيحه (٣٣٢/٢) و صححه الألباني في صحيح الترغيب ٣٠٢٣.

المطلب الثاني: عاقبة الصحبة السيئة

إن المتأمل في آيات الذكر الحكيم يجد أن الحق تبارك وتعالى بين حال أصحاب النار: من هم، وكيف اجتمعوا في هذا المكان، وما حالهم فيه. فبين أن أصحاب النار الملازمين لها هم أصحاب السوء الذين اجتمعوا في الدنيا على تلبية ملذاتهم وشهواتهم، وصدوا عن سبيل الله بأموالهم وأنفسهم. فكان جزاؤهم أن سخط الله عليهم وأدخلهم النار فكان هذا هو الخزي العظيم. قال تعالى: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدِ جَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ﴾ [سورة الأعراف ٤٤/٧-٤٥].

وقال - جل وعلا -: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْنَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَهُمْ كَمَا نَسُوا الْقَاءَ يَوْمَهُمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ [سورة الأعراف ٥٠/٧-٥١].

ولقد جاءت نصوص الكتاب العزيز بعرض صور لعاقبة الصحبة السيئة في الدنيا والآخرة. فمن صور تلك العاقبة السيئة لأصحاب السوء:

١. انقطاع العلائق وانقلابها في هذا اليوم إلى عداوة وفرقة. فقد بين الحق تبارك وتعالى أن ما كان بين الأصحاب من علاقات مودة وألفة وصحبة تتلاشى وتنقطع ولا ينتفع بشيء منها. بل تنقلب لتصبح عداوة وفرقة، قال تعالى: ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [سورة الزخرف ٤٣/٦٧]. قال أهل التفسير^(١): هذا حال المتخالين يوم القيامة، الذين كانت خلتهم ومحبتهم في الدنيا لغير الله واجتمعوا على معصية الله أو لأجل أمور دنيوية. فإن خلتهم يوم القيامة تنقلب إلى عداوة وبغضاء وتبرؤ، وذلك لأن الضرر داخل على

(١) انظر جامع البيان ٢٥/٩٤، تفسير أبو السعود ٨٥/٥٤، تفسير ابن سعدي ٧٦٩.

بعضهم من صحبته للآخر. فلهول ما يرون من أسباب العذاب يحصل منهم هذا. إلا المتقين الذين كانت خلقتهم في الدنيا لله فإنها تبقى على حالها وتدوم بدوام من كانت لأجله.

كذلك صور وجسد مدى العذاب المعنوي الذي يعاينه صاحب الخلة السيئة يوم القيامة،

فقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ

أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾

[سورة الفرقان ٢٥/٢٧-٢٩] فصور هذا الصاحب النادم على صحبته يعض على يديه^(١) فلا تكفيه يد واحدة يعضّ عليها، بل هو يداول بين هذه وتلك أو يجمع بينهما لشدة ما يعاينه من الندم اللاذع المتمثل في عضه على اليدين.

والكناية هنا تقتضي لحاق أمثاله من المشركين الذين أطاعوا أخلاءهم في الشرك ولم يتبعوا سبيل الرسول وهديه. ولا يخلو أحد من المشركين عن خليل مشرك مثله يصده عن متابعة الرسول، والدخول في الإسلام إذا همّ به، فيثبته على دين الشرك، فيندم على طاعته له يوم الجزاء.

وقيل: إن الداعي إلى التسمية (فُلَانًا) وعدم التصريح باسمه؛ إما قصد إخفائه، أو خيفة من أهله، أو للجهل، أو لعدم الفائدة من ذكره، بل لأنه يختلف اسمه من شخص إلى شخص.

ففي هذا الموقف يتمنى هذا الصاحب أنه سلك طريق الرسول ولم يفارقه ولم يضل عنه، ويتمنى أنه لم يتخذ هذه الخلة وهذه الصحبة التي صدته عن الهدى وأضلته. وإن كان تمنيه أنه لم يتخذه خليلًا دون تمنى أن يكون عصاه فيما سول له قصداً للاشمئزاز من خلته من أصلها، إذ كان الإضلال من أحوالها. وفي هذا إيماء إلى أن شأن الخلة الثقة بالخليل وحمل مشورته على النصيح، فلا ينبغي أن يضع المرء خلته إلا حيث يوقن بالسلامة من إشارات السوء^(٢).

(١) العض: الشد بالأسنان على الشيء ليؤلمه أو ليمسكه. والعض على اليد كناية عن الغيظ والندامة والحسرة. التحرير والتنوير ٣٨/١٩، تفسير أبو السعود ٦٤/٢١٤.

(٢) انظر: التحرير والتنوير ١٣/١٩.

وقد روي في سبب نزول هذه الآيات والآية السابقة أنها نزلت في عقبه بن أبي معيط^(١) وخليله الذي كني عنه بفلان هو أبي بن خلف^(٢) فقيل: إن عقبه كان يكثر مجالسة النبي ﷺ، فدعاه يوماً إلى ضيافته فأبى ﷺ أن يأكل من طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل. وكان أبي بن خلف صديقه فعاتبه. فقال: صبأت. فقال: لا ولكن أبي أن يأكل من طعامي وهو في بيتي فاستحييت منه فشهدت له. فقال: إني لا أرضى منك إلا أن تأتيه فتطأ قفاه وتبزق في وجهه. فوجده ساجداً في دار الندوة ففعل ذلك. فقال ﷺ: ((لا ألقاك خارجاً من مكة إلا علوت رأسك بالسيف))^(٣). فأسر يوم بدر وقتل. وأما أبي فقد أصيب يوم أحد ثم مات بعد أن رجع إلى مكة^(٤).

وقيل: إن المراد بالظالم العموم وأن عقبه داخل فيه دخولاً أولاً، وذلك لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. فكل ظالم أطاع خليله في الكفر حتى مات على ذلك يجري له مثل هذا^(٥).

وتقدم قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "كان خليلان مؤمنان وخليلان كافران..... ويموت أحد الكافرين فيقول: يارب إن فلانا كان ينهاي عن طاعتك وطاعة رسولك، ويأمرني بالشكر وينهايني عن الخير ويخبرني أني غير ملائيك. فيقول له: ببئس الأخ وبئس الخليل وبئس الصاحب"^(٦).

٢. تنصل الصاحب من تبعات صحبته. فقد أخبر تعالى في كتابه العزيز عن حال الذين

(١) عقبه بن أبي معيط، واسم أبي معيط أبان بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس، ويكنى أبا الوليد، وكان من أشد الناس أذى لرسول الله وعداوة له وللمسلمين، عمد إلى مكنتل فجعل فيه عذرة وجعله على باب رسول الله فبصر به طليب بن عمير بن وهب بن عبد مناف بن قصي وأمه أروى بنت عبد المطلب فأخذ المكنتل منه وضرب به رأسه وأخذ بأذنيه فشكاه عقبه إلى أمه فقال: قد صار ابنك ينصر محمداً فقالت: ومن أولى به منا أموالنا وأنفسنا دون محمد. وأسر عقبه يوم بدر فقتل صبراً بالصفراء بعرق الظبية وصلب، وهو أول مصلوب في الإسلام. الكامل في التاريخ ١/٥٩٥.

(٢) وقيل أخوه أمية

(٣) ذكره الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار ٢/٤٥٧-٤٥٨

(٤) جامع البيان ٨/١٩، تفسير ابن كثير ٣/٣١٨، تفسير أبو السعود ٦/٢١٣-٢١٤، الجامع لأحكام القرآن ١٦/١٠٩.

(٥) أضواء البيان ٦/٤٥.

(٦) جامع البيان ٢٥/٩٤، تفسير البغوي ٤/١٤٥.

ظلموا أنفسهم من أهل الكفر والضلال أنهم يتبرؤون ممن صحبتهم وسار على نهجهم عند معاينتهم لعذاب الله، قال تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ [سورة البقرة ٢/١٦٦]. سواء كانوا آلهة أو أصحاباً أو غير ذلك ممن يتبع ويظن أنه على حق. ففي هذا اليوم يتصل منه ويتبرأ، إما بقول كما في هذه الآية، وإما بالعجز عن دفع العذاب عن هذا الصاحب لعجزه عن دفع العذاب عن نفسه فكيف يدفعه عن غيره، وإما يكون التبرؤ بإظهار الندم على ما كان من الكفر بالله والإعراض عن اتباع رسله^(١).

﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ جاء في تفسير هذه الأسباب:^(٢) سبعة أقوال؛ الأول: أنها المواصلات التي كانوا يتواصلون عليها. الثاني: الأرحام التي كانوا يتعاطفون بها. الثالث: الأعمال التي كانوا يلزمونها. الرابع: العهود والحلف التي كانت بينهم يتوادون عليها. الخامس: ما كانوا يتواصلون به من الكفر وكان بها انقطاعهم. السادس: المنازل التي كانت لهم في الدنيا. السابع: أسباب النجاة تقطعت عنهم. والأظهر دخول الكل فيه لأن ذلك كالنفي فيعم الكل فكأنه قال: وزال عنهم كل سبب يمكن أن يتعلق به، وأهم لا ينتفعون بالأسباب على اختلافها من منزلة وسبب ونسب وخلف وعقد وعهد، وذلك نهاية ما يكون من اليأس، فحصل فيه التوكيد العظيم في الزجر.^(٣) فلا ينصر بعضهم بعضاً ولا ينتفعون بنسب ولا رحم، بل إن أعمالهم تصير عليهم حسرات، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ

(١) التفسير الكبير تصرف ٤/١٨٩-١٩٠ وانظر كتاب الأتباع والمتبعين في القرآن. ٥٥، ٧٢، ٨٢، ٨٧.

(٢) أصل السبب في اللغة الحبل، قالوا: ولا يدعى الحبل سبباً حتى ينزل ويصعد به، ومنه قوله تعالى ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ﴾ [الحج: ١٥] ثم قيل لكل شيء وصلت به إلى موضع أو حاجة تريدها سبب، يقال ما بيني وبينك سبب، أي: رحم ومودة. وقيل: للطريق سبب، لأنك بسلوكه تصل الموضع الذي تريده قال تعالى ﴿فَاتَّبِعْ سَبَباً﴾ [الكهف: ٨٥] أي: طريقاً. وأسباب السموات أبواهما لأن الوصول إلى السماء يكون بدخولها قال تعالى مخبراً عن فرعون ﴿لَعَلِّي أُلْبِغُ الْأَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ﴾ [غافر: ٣٦-٣٧] قال الشاعر:

ومن هاب أسباب المنايا ينلنه ولو رام أسباب السماء بسلم

والمودة بين القوم تسمى سبباً لأنهم بها يتواصلون. التفسير الكبير ٤/١٩٠-١٩١.

(٣) المصدر السابق ٤/١٩٠.

لَنَاكَرَةً فَنَتَبَّرَ أَمْثَهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿سورة البقرة ١٦٧/٢﴾.

٣. تنوع صور العداة بين أصحاب السوء؛ فمن ذلك تبادل الاتهامات فيما

بينهم، وإلقاء اللوم بعضهم على بعض، ولعن بعضهم بعضاً، قال تعالى: ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كَمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعْنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا آذَرَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَبْتُمْ وَأَنْتُمْ رَبِّنَا هَذَا أَضَلُّنَا فَاتَّبَعْنَاهُمْ عَدْوَ آبَائِنَا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِنْ لَا نَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أُولَهُنَّ لِأَخْرَبْنَهُمْ فَمَا كَانَتْ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿سورة الأعراف ٣٨/٣٩-٣٨/٧﴾.

ونظيره قوله - جل ثناؤه -: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْفُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لَنْ نَصْغِبَكُمْ عَنْ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْرُونَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿سورة سبأ ٣١-٣٣/٣٤﴾.

فهذه الآيات وغيرها تبين حال المتبوعين ومن تبعهم في ضلالهم، كيف يشهد بعضهم على بعض بالضلالة ويلعن بعضهم بعضاً.

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَيَتَّبِعُ الْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿سورة الزخرف ٣٦-٣٩/٤٣﴾.

٤. ذكر بعض صور العذاب الخاص لمن جمعت بينهم الصعبة. فمن ذلك؛ الاجتماع

بالزوجات في النار. قال تعالى: ﴿أَحْسَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿سورة الصافات ٣٧/٢٢﴾. إذا كان أصحاب الجنة يزداد نعيمهم بإلحاق ذريتهم وزوجاتهم الصالحات بهم في الجنة، لتطمئن قلوبهم بهم. فإن أصحاب النار على النقيض من ذلك، فإن الله - جل وعلا -

وإن جمع بين هؤلاء في هذا الموقف، فإنما هذا زيادة في العذاب لهم جميعاً. وهذا مفهوم من قوله تعالى: ﴿أَحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ فهنا نلاحظ مدى اختلاف التعبير بين العبارات الخاصة بالمؤمنين حين قال تعالى: ﴿أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ﴾ [سورة الزخرف ٤٣/٧٠] وقوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [سورة الطور ٥٢/٢١]. بينما هنا قال: ﴿أَحْشُرُوا﴾: لئلا ينشأ من اجتماعهم بهم ليس النعيم وإنما الاشتراك في العذاب كما اشتركا في الدنيا على الصلابة السيئة.

وكما يلتقي الزوج الصالح من أصحاب الجنة بزوجه الصالحة. فإن أصحاب النار يلتقون بزوجاتهم من أهل النار، لا ليتنعموا بهن ولكن ليشاركنهم العذاب، وبعضهن يكون لها دور في زيادة العذاب على هذا الزوج. كما حكى ذلك عن أبي لهب واجتماعه بامرأته، قال تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا إِذْ أَتَىٰ لَهَبٍ ۝٣ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ [سورة المسد ١١١/١-٥]. كما تقدم بيان حالهم في المبحث الخاص بصحبة امرأة فرعون وامرأة أبي لهب. وتبين من خلال العرض السابق أن امرأته تجمع الحطب الذي يؤجج النار التي يعذب بها بعدما كانت تقدم له أسباب التنعم في الحياة الدنيا وتطيعه في كل أمر. فكان التنكيل بهم جميعاً حيث كانت صحبتهم في الدنيا قائمة على البعد عن الله وعن طاعته فتكون عاقبتهم العذاب الأليم.

٥. انتفاء النفع بالمال والولد. قال الحق تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَٰئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ﴾ [سورة آل عمران ٣/١٠]. أشار الحق تبارك وتعالى أن من أفنى عمره في جمع الأموال والتكاثر بالأولاد في الدنيا ظناً منه أنها تنفعه سواء في الحياة الدنيا أو في الآخرة، فإن ظنه قد خذله فلم تنفعه في الدنيا بل تشغله عن اتباع الهدى، ويوم القيامة لا تنفعه ولا تخفف عنه من عذاب الله شيئاً.

قال الفخر الرازي في تفسيره: "اعلم أن كمال العذاب هو أن يزول عنه كل ما كان منتفعاً به، ثم تجتمع عليه جميع الأسباب المؤلمة؛ أما الأول فهو المراد بقوله: ﴿لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾، وذلك لأن المرء عند الخطوب والنوائب في الدنيا يفرع إلى المال

والولد فهما أقرب الأمور التي يفزع المرء إليها في دفع الخطوب، فبين الله تعالى أن صفة ذلك اليوم مخالفة لصفة الدنيا لأن أقرب الطرق إلى دفع المضار إذا لم يتأت في ذلك اليوم فما عداه بالتعذر أولى. ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [سورة الشعراء ٢٦ / ٨٨ - ٨٩] وقوله: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرًا أَمَلًا﴾ [سورة الكهف ١٨ / ٤٦] وقال: ﴿وَنَزِثْنَاهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾ [سورة مريم ١٩ / ٨٠]. وقوله: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرْدَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرْكُمَا مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [سورة الأنعام ٦ / ٩٤].

وأما القسم الثاني من أسباب كمال العذاب فهو أن تجتمع عليه الأسباب المؤلمة وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ﴾ وهذا هو النهاية في شرح العذاب فإنه لا عذاب أزيد من أن تشتعل النار^(١) بهم جميعا. وقال الإمام ابن جرير رحمه الله: "إنما خص أولاده وأمواله، لأن أولاد الرجل أقرب أنسابه إليه، وهو على ماله أقرب منه على مال غيره، وأمره فيه أجوز من أمره في مال غيره، فإذا لم يغن عنه ولده لصلبه وماله الذي هو نافذ الأمر فيه فغير ذلك من أقربائه وسائر أنسابه وأموالهم أبعد من أن تغني عنه من الله شيئا"^(٢).

٦. انتفاء الشفاعة فيما بينهم، قال تعالى مصورا حالهم: ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ﴾ [سورة الشعراء ٢٦ / ١٠٠]. حينما يأذن المولى جل وعلا بالشفاعة في أهل الموقف، يتقدم الملائكة والنيبون والصالحون للشفاعة في من رضي الله عنه، قال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [سورة الأنبياء ٢١ / ٢٨] بل إن الصاحب الصالح في الدنيا يتقدم ليشفع لصحبه.

(١) التفسير الكبير ٧ / ١٦٠.

(٢) جامع البيان ٤ / ٥٨.

فقد قيل: إن الرجلين كانا صديقين في الدنيا فيمر أحدهما بصاحبه، وهو يجر إلى النار فيقول له أخوه: والله ما بقي لي إلا حسنة واحدة أنجو بها. خذها أنت يا أخي فتنجو مما أرى وأبقى أنا وإياك من أصحاب الأعراف. قال: فيأمر الله بهما جميعا فيدخلان الجنة^(١).

أما من كانت صحبتهم قائمة على الأسس السيئة، فلا ينتفعون بشفاعه أحد وليس لهم شفعاء أصلا ، ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ﴾ (١٠٠) وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿نعم هذا لسان حالهم، يقولون: ليس لنا شفعاء ممن كنا نعدهم شفعاء من الآلهة التي كنا نعبد من دون الله أو من غيرهم فيشفعوا لنا عند الله فيعفو عنا وينجيننا من عقابه. كما نرى للمؤمنين شفعاء من الملائكة والنبين والصالحين. وليس لنا أصدقاء ممن صادقناهم في الدنيا من الإنس والجن، كما نرى لهؤلاء أصدقاء يشفعون لهم، وذلك أنه لا صداقة في الآخرة إلا للمؤمنين، ولا خلة إلا خلة المتقين: ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [سورة الزخرف ٤٣/٦٧].

٧. اطلاع أهل الجنة على حال ومصير رفقاء السوء الذين كانوا يريدون إغوائهم في الدنيا، وذلك تثبيتا لهم ليحمدوا الله على أن وفقهم للإيمان، ونجاهم من العذاب المهين، قال تعالى: ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ إِذْ آمَنَّا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا إِذْ نَا لَمِدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَبْتَلِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [سورة الصافات ٣٧/٥١-٦٠].

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٣/١١٨.

ومما تقدم نجد أن عاقبة الصحبة السيئة تتلخص فيما يأتي:

- (١) أن الصحبة السيئة تكون من أسباب دخول النار.
- (٢) أن علاقة المودة والألفة التي كانت تجمع بين هؤلاء الأصحاب تنقطع وتتلاشى، بل تنقلب إلى عداوة وبغضاء في هذا المقام.
- (٣) أن علاقات هؤلاء الأصحاب يوم القيامة تقوم على التلاعن والتبرؤ والتنصل من تبعات هذه العلاقات التي جمعت بينهم في الدنيا.
- (٤) أن أصحاب النار إذا اجتمعوا بأولادهم وزوجاتهم فاجتماعهم ليس على وجه النعيم لهم، بل يزدادون عذاباً بهذا الاجتماع. فالأولاد يلقون باللائمة على أهليهم في أنهم كانوا سبباً في غوايتهم في الدنيا وعذابهم في الآخرة. وكذا الزوجات رغم ما كان بينهم من مودة وألفة إلا أنهم في هذا الحال لن ينتفعوا بهن بل قد يسهمن في إنزال أشد أنواع العذاب بهم.
- (٥) انتفاء الشفاعة فيما بين هؤلاء الأصحاب، فإذا كانت الشفاعة تنفع المؤمنين في هذا اليوم، فإن أصحاب النار الذين كانت الشفاعات تنفعهم في الدنيا، لن تنفعهم شفاعة شافع، وليس لهم أصلاً شافع يشفع لهم، ولا صديق مقرب يخفف عنهم من عذاب الله شيئاً.

الخاتمة

وبعد فإنه مما تقدم نخلص إلى الحقائق الآتية:

❖ أن مفهوم الصحبة مفهوم شامل ، لكل علاقة تجمع الإنسان بمن حوله سواء طالت تلك المدة أم قصرت.

❖ تعدد الألفاظ والمصطلحات المشاكلة للفظ الصحبة الواردة في القرآن الكريم دليل على إعجاز هذا الكتاب، إذ إن لكل مصطلح أفراداً، وله حقوق خاصة به.

❖ دقة وتميز عرض القرآن الكريم لأنواع الصحبة وما يتعلق بها من حقوق وواجبات.

❖ أن للصحبة الصالحة أسسا وقواعد ثابتة لا بد أن تجتمع فيمن نرغب بصحبته، هذه الأسس عمادها الإيمان، وتغذيته المحبة والنصيحة وحسن الظن.

❖ أما الصحبة السيئة فإنها لا تقوم إلا على الجهل والكبر وسوء الخلق، فإذا توافرت هذه الصفات في صاحب فاعلم أنه من أصحاب السوء.

❖ بعد النظر فيما ورد في القرآن الكريم من صور لأنواع الصحبة ظهرت الحقائق الآتية:

■ أن الأنبياء كانوا من أبرز من تمثل بأسس الصحبة الصالحة في جميع علاقاتهم، سواء كانت مع من أحسن صحبتهم أو مع من أساء لهم، سواء كانوا من قرابتهم أو من غيرهم.

■ أن الإيمان بالله تعالى هو الميزان الذي توزن به أي علاقة، وعلاقة الصحبة بشكل خاص، فهو الذي فرق بين إبراهيم عليه السلام وأبيه، ونوح وابنه وآسية وزوجها. وهو الذي جمع بين رسول الله ﷺ و سلمان الفارسي رضي الله عنه وبين أولئك الفتية المؤمنات في الكهف، فكان سبب نجاةهم من قومهم الكفرة.

■ الصحبة الصالحة طريق لتقويم الأخلاق وتهذيب السلوك وحفظ الأمن والسعادة في الدارين. كما حدث مع يوسف عليه السلام في صحبته لعزير مصر وزوجته، كيف قوم سلوكها، وارتقى بها من الشهوانية إلى الخوف من الله والاعتراف بالذنب.

❖ تنوع حقوق الصحبة، فمنها ما هو عام كإفشاء السلام وحفظ العهود وإنجازها، وحسن الخلق والعفو وكظم الغيظ، والتواضع ولين الجانب... وغيرها من مكارم الأخلاق.

والبعد عن الأخلاق الذميمة من نيمة وغيبة وسخرية واستهزاء وحسد... وغيرها من الصفات التي تكون سببا في قطع أي علاقة، وعلاقة الصحبة بشكل خاص. كذلك تعدد الحقوق الخاصة سواء كانت القلبية؛ كالحبة والمودة، أو الخاصة بالمعاملات المادية أو المعنوية، كالمشاركة والتعاون في السراء والضراء وقضاء الحاجات وغيرها من الصور. وكذا المتعلقة باللسان من نصيحة وإبداء مشورة، أو دعاء بظهر الغيب، أو بكف الأذى عنه بشئ صورته.

❖ تباين آثار الصحبة على الفرد والمجتمع، فالصحبة الصالحة تحقق الأمن النفسي والترابط الاجتماعي والتأثير الإيجابي على سلوك من جمعت بينهم، والأمن والأمان في مجتمعهم، فيتكون من خلالها مجتمع مترابط بين أفرادها، قوي في علاقاتها، مزدهر في كل جوانب الحياة.

❖ أما الصحبة السيئة فإن آثارها تنعكس سلباً على كل من جمعت بينهم هذه العلاقة، فيسود القلق والخوف، وتظهر العزلة والبعد عن التجمعات الخاصة والعامة، وتظهر أنواع مختلفة من السلوك غير السوي على هؤلاء الأصحاب. وتكون سبباً في الإخلال بالأمن وانتشار الجرائم وضياع الحقوق الخاصة والعامة... وغيرها من الآثار السلبية.

❖ أن علاقة الصحبة الصالحة لا تنقطع بموت أو غيره، بل تمتد لتصل الصاحب بصاحبه يوم القيامة، فتكون تلك العلاقة سبباً لدخول الجنة، ورفع الدرجات، والفوز بأعلى مقام في الجنة وهو مرافقة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

❖ أن الصحبة السيئة تكون وبالأعلى صاحبها في الدنيا والآخرة، فكما أن الصاحب في الدنيا يتبرأ من صاحبه إذا انتفت المصلحة، فكذلك الحال في الآخرة حيث يتبرأ كل صاحب من صاحبه وينقلب ما كان بينهم من مودة إلى عداوة.

أهم التوصيات:

- ❖ على المربين والمعلمين وخطباء المساجد تبصير من حولهم بتبيين معاني الصحبة ودلالاتها، وبيان أنواعها وعرض الحقوق الخاصة والعامة بها.
- ❖ على كل من أراد أن تكون صحبته خالصة لوجه الله أن يعرض جميع علاقاته على أسس الصحبة الصالحة وأسس الصحبة السيئة، فيحددها لكي يفيد من أهل الصلاح ويحذر من قرناء السوء.
- ❖ تحذير الطلاب والطالبات في جميع المراحل من أصحاب السوء وأساليهم ، ليعلموا أن مصير هذه الصحبة إما إلى زوال، وإما إلى خسران في الدنيا والآخرة.
- ❖ ثم ليعلموا أن سلوك مسلك الصالحين شرف وعز وإن كانوا في نظر بعض الناس ضعفاء سواء في الجاه أو المال. وليجعلوا الإيمان هو المقياس الذي توزن به هذه العلاقة.

وختاماً:

أرجو أن أكون قد وفقت في هذا البحث، وأسأل الله العليّ القدير أن يتقبله قبولاً حسناً. فما كان فيه من خير فبفضل الله ورحمته، وما كان فيه من خلل فمن نفسي ومن الشيطان. فأسأله سبحانه أن لا يؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، وأن يغفر لنا ولوالدينا ولمشايخنا ولأساتذتنا، ولأصحاب الحقوق علينا، وللمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات، وصلى اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الفهارس

الفهارس

- فهرس الآيات القرآنية.
- فهرس الأحاديث.
- فهرس الآثار.
- فهرس الأعلام.
- فهرس الأماكن والبلدان.
- فهرس الأبيات الشعرية.
- ثبت المصادر والمراجع.
- فهرس الموضوعات.

فهرس الآيات القرآنية

م	السورة والآية	رقمها	الصفحة
	٢- سورة البقرة		
١	﴿ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾	٩	٢٠٢
٢	﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً ... ﴾	٢٢	١١٢
٣	﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ... ﴾	٣٠	١٩٨
٤	﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ ... ﴾	٣٤	٧٤
٥	﴿ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾	٣٦	١١٢
٦	﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾	٣٨	٧٤
٧	﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ... ﴾	٣٩	٣١٧, ٩
٨	﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ ... ﴾	٦٣	١١٥
٩	﴿ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ﴾	٨٢	٣١٧
١٠	﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ ... ﴾	٨٣	٦٢, ٢٩
١١	﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْقُلُوكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ ... ﴾	١٦٤	١١٢
١٢	﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّوهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ... ﴾	١٦٥	١٥٦
١٣	﴿ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأُوا الْعَذَابَ وَنَقَطَعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴾	١٦٦	٤٣٠, ٤٢٣

م	السورة والآية	رقمها	الصفحة
١٤	﴿ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَتَيْنَا لَوْ أَنَّا كُنَّا نَدْرِكُهُمْ لَسَأَلْنَا لَهُمْ أَنفُسَهُمْ لِيَسْتَأْذِنُوا كَمَا نَتَأْذِنُ الْبَنِينَ إِذْ يَبْعَثُ رَبُّكَ سَفِيرًا بِحِجَابٍ مُدِيمٍ ﴿١٤﴾	١٦٧	٤٣١
١٥	﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوْا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ... ﴿١٥﴾	١٦٨	٨١
١٦	﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا	١٧٠	٨٠، ٧٦
١٧	﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ... ﴿١٧﴾	١٧٧	٦٧
١٨	﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ... ﴿١٨﴾	١٨٠	٦٧، ٦٤
١٩	﴿ هُنَّ لِيَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَاسٌ لَهُنَّ ﴿١٩﴾	١٨٧	٤٣، ٤١
٢٠	﴿ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٠﴾	١٩٥	١٥٧
٢١	﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴿٢١﴾	٢٠٤	٤١٧
٢٢	﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّوَالِدَيْنِ	٢١٥	٦٦
٢٣	﴿ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّى تُؤْمِنَ وَلَا مِمَّنْ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَا تُعْجِبُكُمْ... ﴿٢٣﴾	٢٢١	١٣٨
٢٤	﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٤﴾	٢٢٢	١٥٧
٢٥	﴿ وَهُنَّ مِثْلُ لَوْلَا الَّذِي عَلَيْهِنَ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ... ﴿٢٥﴾	٢٢٨	١٨١، ٥٤، ٤٨، ٤٤
٢٦	﴿ أَلْطَلْقُ مَرَّتَانٍ فَمَا سَاكُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ﴿٢٦﴾	٢٢٩	٥٤
٢٧	﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضَعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلِينَ كَامِلِينَ... ﴿٢٧﴾	٢٣٣	٤٥
٢٨	﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَرِيضَنَّ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ	٢٣٤	٥٨
٢٩	﴿ قَالَ الَّذِينَ يَطُنُّونَ أَتَنْتَدُونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ كَمَا مَنَّ مِنْ فَتْنَةٍ	٢٤٩	١٧٠
٣٠	﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِّنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَنَّ يَوْمَ لَا	٢٥٤	٤٢٢، ١٧، ١٤

م	السورة والآية	رقمها	الصفحة
٣١	بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَعَةٌ... ﴿١﴾ ﴿٢﴾ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْبَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُجِيءُ هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ... ﴿٣﴾ ٣- سورة آل عمران	٢٥٩	١٢٢
٣٢	﴿١﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ﴿٢﴾	١٠	٤٣٢, ٤١٩
٣٣	﴿١﴾ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ... ﴿٢﴾	١٤	١٦٦, ١٥٧, ١٢٠
٣٤	﴿١﴾ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْعُ... ﴿٢﴾	٢٠	٧٩
٣٥	﴿١﴾ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢﴾	٣١	١٥٩, ٧٧
٣٦	﴿١﴾ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾	٣٣	٧٦
٣٧	﴿١﴾ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٢﴾	٣٨	١٨٩
٣٨	﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ... ﴿٢﴾	١٠٢	١٣٣
٣٩	﴿١﴾ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا... ﴿٢﴾	١٠٣	٤١١, ١٣٢, ٩١
٤٠	﴿١﴾ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ... ﴿٢﴾	١١٠	١٣٣
٤١	﴿١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢﴾	١٣٢	١٥٥
٤٢	﴿١﴾ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ... ﴿٢﴾	١٣٤	٣٨١
٤٣	﴿١﴾ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَآئِفَةً مِّنكُمْ... ﴿٢﴾	١٥٤	١٧٠
٤٤	﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي... ﴿٢﴾	١٥٦	٢٣

م	السورة والآية	رقمها	الصفحة
٤٥	﴿ فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ... ﴾	١٥٩	١٠٨, ٨٩, ٧٨ ٣٩٨, ٣٨٠, ١٥١
٤٦	﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ... ﴾	١٦٩	٢٤٥
٤٧	﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَقَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ... ﴾	١٩٥	٢٠٩
٤ - سورة النساء			
٤٨	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ... ﴾	١	٦٢, ٤٠
٤٩	﴿ وَءَاتُوا النِّسَاءَ صَدَقَاتِهِنَّ نِحْلَةً... ﴾	٤	٤٥
٥٠	﴿ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينُ... ﴾	٨	٦٨, ٦٤
٥١	﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِ كَرِ مِثْلَ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ... ﴾	١١	٦٨
٥٢	﴿ وَإِنْ كَانَتْ رَجُلٌ يُورِثُ كَلَلَةً أَوْ امْرَأَةً وَلَهُ أُخٌ أَوْ أُخْتُ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ... ﴾	١٢	٦٨, ٦٤
٥٣	﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُنَّ شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾	١٩	٥٠, ٤٧, ٢٤
٥٤	﴿ وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا... ﴾	٢٠	٥١
٥٥	﴿ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذَتْ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴾	٢١	٥١
٥٦	﴿ وَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾	٢٥	١٣
٥٧	﴿ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴾	٢٧	٢٠١
٥٨	﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ	٣٤	٥٧, ٥٥, ٥٣, ٥٠, ٤٤ ١٨١

م	السورة والآية	رقمها	الصفحة
٥٩	بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ... ﴿١﴾ ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ ...﴾	٣٦	٦٣، ٤٩، ٢٩، ٩ ١٦٣، ١٠٦، ٩٨
٦٠	﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ...﴾	٥٤	٣٨٨، ٢٠٣
٦١	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوِّبِ الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾	٥٩	٨٩
٦٢	﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ...﴾	٦٩	٤٢٤، ٢١، ١١
٦٣	﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ...﴾	٧٨	٢٤٢
٦٤	﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَرُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ ...﴾	٨١	٢٠٢
٦٥	﴿وَإِذَا حُجِّبُ بِنَجِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ...﴾	٨٦	٣٧٧
٦٦	﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾	١٢٥	٧٧، ١٥
٦٧	﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ...﴾	١٢٩	١٦٣
٦٨	﴿فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا﴾	١٣٥	٨٢
٥- سورة المائدة			
٦٩	﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾	٢	٣٩٤، ٢٠٣، ١٠٨
٧٠	﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ وَلَا مِتَّخِذِي أَخْدَانٍ ...﴾	٥	١٣٨، ١٣
٧١	﴿قَالُوا يَمُوسَىٰ إِنَّا لَن نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا ...﴾	٢٤	٤١٤
٧٢	﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحْرَمَةٌ عَلَيْهِمْ ثَرْبَعِينَ سَنَةً ...﴾	٢٦	٤١٤
٧٣	﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنِ ءَادَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُنْقَبَلْ مِنَ الْآخَرِ ...﴾	٢٧	١٨٢
٧٤	﴿لِيَنْبَسُطَ إِلَيْكَ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطِ يَدِي إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ﴾	٢٨	١٨٢

م	السورة والآية	رقمها	الصفحة
٧٥	﴿ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴾	٢٩	١٨٢
٧٦	﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ، فَاصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾	٣٠	١٨٢
٧٧	﴿ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ، كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ ... ﴾	٣١	١٢٢
٧٨	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ، فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ... ﴾	٥٤	١٥٧
٦ - سورة الأنعام			
٧٩	﴿ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾	٥	١٩٩
٨٠	﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي ءَايَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ... ﴾	٦٨	١٩٩
٨١	﴿ كَأَن لِي أَسْتَهْوَتَهُ الشَّيْطَانُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانٌ لَهُ، أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى أُوْتِنَا ... ﴾	٧١	٢٤٥، ١٠
٨٢	﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرْدَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ... ﴾	٩٤	٤٣٣
٨٣	﴿ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً ﴾	١٠١	٩
٨٤	﴿ وَلَا تَقْرُبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾	١٥١	١٤
٨٥	﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ... ﴾	١٥٣	٧٩
٧ - سورة الأعراف			
٨٦	﴿ فَذَلَّلْنَاهَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ ... ﴾	٢٢	١١٦
٨٧	﴿ قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا ... ﴾	٣٨	٤٣١

م	السورة والآية	رقمها	الصفحة
٨٨	وَقَالَتْ أُولَئِئِهِمْ لِأَخْرَجْنَهُمْ فَمَا كَانَتْ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾	٣٩	٤٣١
٨٩	﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ...﴾	٤٣	٢٤٢
٩٠	﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ...﴾	٤٤	٤٢٧، ٩
٩١	﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ﴾	٤٥	٤٢٧
٩٢	﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ...﴾	٥٠	٤٢٧
٩٣	﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا...﴾	٥١	١٧٨
٩٤	﴿وَالِإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا...﴾	٦٥	٢٣
٩٥	﴿وَالِإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ...﴾	٧٣	٢٣٢
٩٦	﴿وَأذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا...﴾	٧٤	٢٢٩، ١١٤
٩٧	﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِمَنْ آمَنَ...﴾	٧٥	٢٣١
٩٨	﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾	٧٦	٢٣١، ١٩٩
٩٩	﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَنِيمِينَ﴾	٧٨	٢٣٥
١٠٠	﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَ رَبِّي...﴾	٧٩	٢٣٥
١٠١	﴿وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَنَاحَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾	٨٠	٤١٣
١٠٢	﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ...﴾	٨١	٤١٣، ١٥٨
١٠٣	﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ	٨٢	٢٢٢

م	السورة والآية	رقمها	الصفحة
	﴿ قَرَيْتِكُمْ... ﴾		
١٠٤	﴿ وَإِلَى مَدِينِ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا... ﴾	٨٥	١١٨
١٠٥	﴿ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴾	١٠٩	٢٦٩
١٠٦	﴿ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾	١١٠	٢٦٩
١٠٧	﴿ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴾	١١١	٢٦٩
١٠٨	﴿ يَا تَوَكُّبِكِ لِكُلِّ سِحْرٍ عَلِيمٍ ﴾	١١٢	٢٦٩
١٠٩	﴿ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴾	١١٣	٢٦٩
١١٠	﴿ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾	١١٨	٢٦٩
١١١	﴿ وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سِحْرَ بَدِينٍ ﴾	١٢٠	٢٦٩
١١٢	﴿ قَالُوا يَا مَنَّا رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾	١٢١	٢٦٩
١١٣	﴿ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴾	١٢٢	٢٦٩
١١٤	﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَنْتَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذُرْكُمُ الْهَتَكُ ﴾	١٢٧	٤١٣
١١٥	﴿ قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا... ﴾	١٢٩	٤١٤
١١٦	﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ، قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ... ﴾	١٤٣	١١٥
١١٧	﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ... ﴾	١٥٧	٧٧
١١٨	﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا... ﴾	١٨٩	١٨٩، ٣٩
١١٩	﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾	١٩٩	٣٨٠
١٢٠	﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴾	٢٠١	٣٥٣

م	السورة والآية	رقمها	الصفحة
١٢١	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَخَوْنُوا أَمْنَتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾	٢٧	٢٢٥
١٢٢	﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا ءَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ ۥٓ	٢٨	٣٦٧
	أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾		
١٢٣	﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۗ	٣٠	٢٠٢
	﴿...﴾		
١٢٤	﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾	٣٣	١٨٧
١٢٥	﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَنْفِقُونَ ءَمْوَالَهُمْ لِصُدُوءٍ عَنْ سَبِيلِ	٣٦	١٩٩
	اللَّهِ ۗ...﴾		
١٢٦	﴿ هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِنَصْرِهِ ۖ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴾	٦٢	١٦٦، ١٦٥
١٢٧	﴿ وَأَلْفَ بَيْتٍ قُلُوبِهِمْ ۖ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلْفَتْ	٦٣	١٦٦، ١٦٥، ٩٨
	بَيْتَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ ۗ...﴾		
١٢٨	﴿ وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ۗ...﴾	٧١	٢٠٢
١٢٩	﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۗ...﴾	٧٤	٢٠٨
	٩ - سورة التوبة		
١٣٠	﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾	٤	١٥٧
١٣١	﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلِمَ	٦	٩٧
	اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ...﴾		
١٣٢	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءِآبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ ءَوْلِيَاءَ	٢٣	١٩٨
	إِنْ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَىٰ الْإِيمَانِ...﴾		
١٣٣	﴿ قُلْ إِنْ كَانَ ءِآبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ...﴾	٢٤	١٦٧، ١٥٧، ٢٤
١٣٤	﴿ إِلَّا نَصْرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ	٤٠	١١٥، ١٠٢، ٨٨، ٩
	كَفَرُوا ثَاقِبَ أَثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ		٢١٥

م	السورة والآية	رقمها	الصفحة
١٣٥	﴿لَصَحِيحِهِ، لَا تَحْزَنَ إِنْ أَلَّ اللَّهُ مَعَنَا...﴾	٦١	٢٠٣
١٣٦	﴿وَمَنْهُمْ الَّذِينَ يُؤَدُّونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ...﴾	٦٥	١٩٩
١٣٧	﴿سَأَلْتَهُمْ لِيَقُولُوا إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَعَائِلَتِهِ، وَرَسُولِهِ، كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾	٦٧	٢٠٢
١٣٨	﴿الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ...﴾	٧١	٣٩٦
١٣٩	﴿وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ...﴾	٨٨	٢٠٨
١٤٠	﴿لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ، جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ...﴾	١٠٠	٧٩
١٤١	﴿وَالسَّيْفُونَ الْأَوْلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ...﴾	١٠٩	١٩٧
١٤٢	﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُيُوتَهُ، عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُيُوتَهُ، عَلَى شِقَاجِرٍ هَاكِ...﴾	١١٣	٢١٢، ١٤١، ٣٧
١٤٣	﴿مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أَوْلَىٰ أُولَىٰ قُرْبَىٰ...﴾	١١٤	١٤٥، ١٣٨، ٣٧
١٤٤	﴿وَمَا كَانِ اسْتَغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ...﴾	١١٨	١٩١
١٤٥	﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحَبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمُ أَنْفُسُهُمْ...﴾	١٢٧	٤٠٧
١٤٦	﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرِيكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انْصَرَفُوا...﴾	١٢٨	٤١٤
١٤٧	﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾	١٠	٨٨
١٤٨	﴿الآيَاتِ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾	١٠	٣٧٦
	١٠ - سورة يونس	٦٢	٤٢٦
١٤٧	﴿دَعْوَتُهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ...﴾		

م	السورة والآية	رقمها	الصفحة
١٤٩	﴿ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِن أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ ... ﴾	٧٢	٧٩
١٥٠	﴿ فَمَا ءَامَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِم أَن يَفْتِنَهُمْ ... ﴾	٨٣	٢٦٩
١١ - سورة هود			
١٥١	﴿ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَزَّلْنَا إِلَّا بَشْرًا مِّثْلَنَا ... ﴾	٢٧	٢٠٤
١٥٢	﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ... ﴾	٤٠	٧٧، ٢٦
١٥٣	﴿ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ، وَكَانَ فِي مَعْرَظٍ يَبْنَئِي أَرْكَبَ مَعَنَا ... ﴾	٤٢	١٧٩، ١٤١، ٨٤ ٤١٥، ٢٢١، ١٩٠
١٥٤	﴿ قَالَ سَوِّئَ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِن أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَّحِمَ ... ﴾	٤٣	١٩٠، ١٤١، ٨٤ ٤١٥، ٢٢١
١٥٥	﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ وَانَسَمَاءِ أَقْلَعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَىٰ الْجُودِيِّ ... ﴾	٤٤	١١٥
١٥٦	﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَبَّهُ، فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِن أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴾	٤٥	١٩٠، ١٦٠، ١٤١ ٤١٥
١٥٧	﴿ قَالَ يَبْنَوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِن أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْتَلِنَ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ... ﴾	٤٦	١٩٠، ١٤١، ٨٤ ٤١٦، ١٩٨
١٥٨	﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ ... ﴾	٤٧	٤١٦
١٥٩	﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ ... ﴾	٦١	٢٣٠
١٦٠	﴿ قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ... ﴾	٦٢	٢٣١
١٦١	﴿ وَيَنْقُورِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ ... ﴾	٦٤	٢٣٢

م	السورة والآية	رقمها	الصفحة
١٦٢	﴿ فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ... ﴾	٦٥	٢٣٤
١٦٣	﴿ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَرِهِمْ جَنِيحًا ﴾	٦٧	٢٣٤
١٦٤	﴿ كَانَ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا إِلَّا إِنَّا شَمُودًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا بَعْدَ السُّمُودِ ﴾	٦٨	٢٣٥
١٦٥	﴿ قَالُوا أَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴾	٧٣	٢٨٢
١٦٦	﴿ قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ ... ﴾	٨١	٢٢٧، ١٣٩
١٦٧	﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا ... ﴾	٨٢	٤١٣، ٢٦٣، ٨٥، ٨٣
١٦٨	﴿ مُسَوِّمَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾	٨٣	٢٦٣
١٦٩	﴿ قَالُوا يَشْعِيبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرِيكَ فِينَا ضَعِيفًا ... ﴾	٩١	٨٧
١٧٠	﴿ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ ... ﴾	٩٨	٨٥
١٢ - سورة يوسف			
١٧١	﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا ... ﴾	٤	٢٨٠
١٧٢	﴿ قَالَ يَبْنَئُ لَاقْتَضُصُ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا ... ﴾	٥	٢٨٠
١٧٣	﴿ وَكَذَلِكَ يَجْنِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ... ﴾	٦	٣٢٤، ٢٨٠
١٧٤	﴿ إِذْ قَالَ لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيَّ أَيْنَمَا مَنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ ... ﴾	٨	٢٨١
١٧٥	﴿ اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَبْحِلُ لَكُمْ وَجْهَ آيِكُمْ ... ﴾	٩	٢٨١
١٧٦	﴿ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَالْقَوَاهُ فِي غَيْبَتِ الْجَبِّ ... ﴾	١٠	٢٨٢، ٢٨١
١٧٧	﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ ﴾	١١	٢٨١، ١٧٨
١٧٨	﴿ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾	١٢	٢٨١، ١٧٨
١٧٩	﴿ قَالَ إِنِّي لَيَحْزَنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّمْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴾	١٣	٢٨٤، ١٧٨، ١٧٢
١٨٠	﴿ قَالُوا لَيْنَ أَكَلَهُ الذِّمْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَسِيرُونَ ﴾	١٤	٢٨٤
١٨١	﴿ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَاجْتَمَعُوا أَنْ يُجْعَلُوهُ فِي غَيْبَتِ الْجَبِّ ... ﴾	١٥	٢٨٦، ٢٨٥

م	السورة والآية	رقمها	الصفحة
١٨٢	﴿ وَجَاءُوا آبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ﴾	١٦	٢٨٥
١٨٣	﴿ قَالُوا يَا بَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَلَعِنَا فَاكَلَهُ الذِّئْبُ... ﴾	١٧	٢٨٦
١٨٤	﴿ وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾	١٨	١٧٥، ١٧٣، ١٧٢ ٢٨٧
١٨٥	﴿ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَبُشْرَى هَذَا غُلْمٌ... ﴾	١٩	٢٨٨
١٨٦	﴿ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا... ﴾	٢١	٣٢٤، ٣٠١، ٢٨٨
١٨٧	﴿ وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ... ﴾	٢٥	٣١٠
١٨٨	﴿ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾	٢٧	٣٠٨
١٨٩	﴿ فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴾	٢٨	٣٠٩
١٩٠	﴿ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴾	٢٩	٣٠٢
١٩١	﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا... ﴾	٣٠	٣٠٣، ٣٠١، ١٥٨
١٩٢	﴿ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكًا... ﴾	٣١	٣٠٦
١٩٣	﴿ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاودنُهُ عَنْ نَفْسِهِ... ﴾	٣٢	٣٠٧
١٩٤	﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ... ﴾	٣٣	٣٠٧، ١٩٣، ١٨٧
١٩٥	﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾	٣٤	٣٠٨، ١٩٣
١٩٦	﴿ ثُمَّ بَدَأَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوْا الْآيَاتِ لَيْسَجُتُهُ حَتَّى حِينٍ ﴾	٣٥	٣٠٨
١٩٧	﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ ﴾	٣٦	٣١٤، ٣١٣

م	السورة والآية	رقمها	الصفحة
	﴿ خَمْرًا... ﴾		
١٩٨	﴿ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِيهِ إِلَّا نَبَأُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ... ﴾	٣٧	٣١٥
١٩٩	﴿ وَاتَّبَعَتْ مَلَءَءَ أَبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ... ﴾	٣٨	٣١٦
٢٠٠	﴿ يَصْصِجِي السَّجْنَءَ أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَالِدُ الْقَهَّارُ ﴾	٣٩	٣١٧
٢٠١	﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِي إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ... ﴾	٤٠	٣١٨
٢٠٢	﴿ يَصْصِجِي السَّجْنَءَ أَمَا أَحَدُكُمْ فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا... ﴾	٤١	٣١٩
٢٠٣	﴿ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ... ﴾	٤٢	٣٢٠
٢٠٤	﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ... ﴾	٤٣	٣٢١، ٣٠٩
٢٠٥	﴿ قَالُوا أَضْغَثٌ أَحْلَطٌ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ ﴾	٤٤	٣٢٢، ٣٠٩
٢٠٦	﴿ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ﴾	٤٥	٣٢٢، ٣٢١
٢٠٧	﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ... ﴾	٤٦	٣٢٣، ١٨
٢٠٨	﴿ قَالَ نَزَّرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَابًّا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذُرُّهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا نَأْكُلُونَ ﴾	٤٧	٣٢٣، ١٢٨
٢٠٩	﴿ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴾	٤٨	٣٢٣
٢١٠	﴿ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُعَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْرِضُونَ ﴾	٤٩	٣٢٤
٢١١	﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ انْتُوْنِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَسَعَلَهُ مَا بِآلِ الْيَسُوْعِ الَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ... ﴾	٥٠	٣٢٤، ٣٠٩
٢١٢	﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ... ﴾	٥١	٣٠٩

م	السورة والآية	رقمها	الصفحة
٢١٣	﴿ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِبِينَ ﴾	٥٢	٣١٩
٢١٤	﴿ قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾	٥٥	١٨٣
٢١٥	﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ... ﴾	٥٦	٢٨٩
٢١٦	﴿ وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴾	٥٨	٢٨٩
٢١٧	﴿ وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ قَالَ أَتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ... ﴾	٥٩	٢٨٩
٢١٨	﴿ فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ ﴾	٦٠	٢٨٩
٢١٩	﴿ قَالُوا سُرُودٌ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ ﴾	٦١	٢٩٠
٢٢٠	﴿ وَقَالَ لِفَتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضْعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾	٦٢	٢٩٠
٢٢١	﴿ فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ... ﴾	٦٣	٢٩٠
٢٢٢	﴿ وَلَمَّا فَتَحُوا مَتْعَهُمْ وَجَدُوا بِضْعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ... ﴾	٦٥	٢٩١
٢٢٣	﴿ قَالَ لَنْ أَرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُتَوَّنُوا مُوْتِقًا مِنْ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَن يُحَاطَ بِكُمْ... ﴾	٦٦	٢٩١
٢٢٤	﴿ وَقَالَ يَبْنَئِي لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ... ﴾	٦٧	٢٩١
٢٢٥	﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ... ﴾	٦٩	٢٩٢
٢٢٦	﴿ فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ... ﴾	٧٠	٢٩٢
٢٢٧	﴿ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ... ﴾	٧٣	٢٩٢
٢٢٨	﴿ قَالُوا جَزْؤُهُ مِنْ وُجْدٍ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزْؤُهُ... ﴾	٧٥	٢٩٢
٢٢٩	﴿ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ... ﴾	٧٦	٢٩٢
٢٣٠	﴿ قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ... ﴾	٧٧	٢٩٣
٢٣١	﴿ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَّعَيْنَا عِنْدَهُ... ﴾	٧٩	٢٩٣
٢٣٢	﴿ فَلَمَّا أَسْتَنْسَوْا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا... ﴾	٨٠	٢٩٣

م	السورة والآية	رقمها	الصفحة
٢٣٣	﴿يَتَابَانَا إِن ابْنِكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا...﴾	٨١	٢٩٤
٢٣٤	﴿وَسئِلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا...﴾	٨٢	٢٩٤
٢٣٥	﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عسى الله أن يأتيني بهم جميعاً...﴾	٨٣	٢٩٤
٢٣٦	﴿يَتَأَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَأَبْيَضَتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾	٨٤	٢٩٥
٢٣٧	﴿قَالُوا تَأَلَّوْا تَقْتُوا تَذَكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾	٨٥	٢٩٥
٢٣٨	﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾	٨٦	٢٩٥، ١٨٧
٢٣٩	﴿يَبْنِي أَذْهَبُوا فَحَسَبُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ...﴾	٨٧	٢٩٥
٢٤٠	﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ...﴾	٨٨	٢٩٦، ١٩٣
٢٤١	﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾	٨٩	٢٩٧، ١٩٣
٢٤٢	﴿قَالُوا آءِ نَتَكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي...﴾	٩٠	٢٩٧، ١٩٣
٢٤٣	﴿قَالُوا تَأَلَّوْا تَأَلَّوْا لَقَدْ ءَاثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخٰطِئِينَ﴾	٩١	٢٩٨، ١٩٣
٢٤٤	﴿قَالَ لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمْ أَيُّومٌ يُغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾	٩٢	١٩٣، ١٧٥، ١٦٤ ٢٩٨
٢٤٥	﴿أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَالْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا...﴾	٩٣	٢٩٨
٢٤٦	﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفْنِدُونَ﴾	٩٤	٢٩٨
٢٤٧	﴿قَالُوا تَأَلَّوْا تَأَلَّوْا لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾	٩٥	٢٩٨
٢٤٨	﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْفَهُ عَلَى وَجْهِهِ فَازْتَدَّ بَصِيرًا﴾	٩٦	٢٩٩

م	السورة والآية	رقمها	الصفحة
٢٤٩	﴿ قَالُوا يَا بَانَ اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴾	٩٧	٢٩٩، ١٦٠
٢٥٠	﴿ قَالَ سَوْفَ اسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾	٩٨	٢٩٩، ١٦٠
٢٥١	﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ ... ﴾	٩٩	٢٩٩
٢٥٢	﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ... ﴾	١٠٠	٣٠٠، ٢٩٩
٢٥٣	﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ الْمَلِكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ... ﴾	١٠١	١٨٧
٢٥٤	﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ... ﴾	١٠٨	٧٩
١٣ - سورة الرعد			
٢٥٥	﴿ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلْنَا فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ﴾	٣	٢٦
٢٥٦	﴿ جَنَّاتٍ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ ... ﴾	٢٣	٤٢١، ٢٢٣، ٦١
٢٥٧	﴿ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾	٢٤	٦١
٢٥٨	﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ... ﴾	٣٥	١١٩
٢٥٩	﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ... ﴾	٣٨	٥٩
١٤ - سورة إبراهيم			
٢٦٠	﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ... ﴾	٢٢	٨٢
٢٦١	﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴾	٢٨	٣١٦
٢٦٢	﴿ قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعُ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ ﴾	٣١	١٧، ١٥
٢٦٣	﴿ وَءَاتَيْنَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ... ﴾	٣٤	١٢٠
٢٦٤	﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ ءَامِنًا وَاجْعَلْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ... ﴾	٣٥	١٨٩

م	السورة والآية	رقمها	الصفحة
٢٦٥	﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ ... ﴾	٣٧	١٨٦, ١١٣
٢٦٦	﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴾	٤١	١٩١, ٣٣
١٥ - سورة الحجر			
٢٦٧	﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾	٩	٧٩
٢٦٨	﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلِيقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ ﴾	٢٨	٣٩
٢٦٩	﴿ فَإِذَا سَوَّيْتَهُ وَنَفَخْتَ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾	٢٩	٣٩
٢٧٠	﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾	٤٢	٣٢١
٢٧١	﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍ إِحْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴾	٤٧	١٦٨
٢٧٢	﴿ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ ﴾	٨٠	٢٢٩
٢٧٣	﴿ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ مُصْبِحِينَ ﴾	٨٣	٢٣٤
٢٧٤	﴿ فَأَصْفَحَ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴾	٨٥	٩٩
٢٧٥	﴿ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ ... ﴾	٨٨	٣٨٢
٢٧٦	﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾	٩٥	١٩٩
٢٧٧	﴿ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾	٩٦	١٩٩
١٦ - سورة النحل			
٢٧٨	﴿ وَاللَّاتُ عَمَلٌ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ ... ﴾	٥	١٢٠
٢٧٩	﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴾	٦	١٢٠
٢٨٠	﴿ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ ... ﴾	٧	١٢٠
٢٨١	﴿ وَالخَيْلَ وَالْبَعَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ... ﴾	٨	١١٩, ١١٢
٢٨٢	﴿ وَالْقَنَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَّاسٍ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ ... ﴾	١٥	١١٤

م	السورة والآية	رقمها	الصفحة
٢٨٣	﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً لِّئَلَّا تُؤْتُوا بِطُغْيَانِكُمْ مِنْ بَيْنِ يَدَيْكُمْ وَمِنْ دُونِهَا خَالِصًا سَابِعًا لِلشَّارِبِينَ ﴾	٦٦	١٢٠
٢٨٤	﴿ أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ... ﴾	٧٩	١١٩
٢٨٥	﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا... ﴾	٨٠	١٢٠
٢٨٦	﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا... ﴾	٨١	١١٤
٢٨٧	﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَى... ﴾	٩٠	٦٣
٢٨٨	﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا... ﴾	٩١	٣٧٨
٢٨٩	﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ... ﴾	١٢٥	١٧٧
١٧ - سورة الإسراء			
٢٩٠	﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴾	١٦	٤١٧
٢٩١	﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا... ﴾	٢٣	١٣٧, ٦٣, ٣٣ ١٩١, ١٦١, ١٤٤
٢٩٢	﴿ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾	٢٤	١٩١, ١٤٤, ٣٤
٢٩٣	﴿ وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ ﴾	٢٦	٦٣
٢٩٤	﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ... ﴾	٣٤	٣٧٨
٢٩٥	﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ... ﴾	٤٤	١٢٠, ١٠٤
١٨ - سورة الكهف			
٢٩٦	﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾	٧	٣٣٩
٢٩٧	﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا ﴾	٩	٣٢٨

م	السورة والآية	رقمها	الصفحة
٢٩٨	عَجَبًا ﴿١٠﴾ إِذْ أَوْىءَ الْفِئْتَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١١﴾	١٠	٣٣١
٢٩٩	﴿١٢﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١٣﴾	١١	٣٣٣
٣٠٠	﴿١٤﴾ تَحَنَّنْ نَفْسُ عَلَيْنِكَ يَا هُم بِالْحَقِّ إِنَّمَا فِتْنَةٌ وَأَمْنُوا بِرَبِّهِمْ ﴿١٥﴾ وَرَدَّ نُهُمْ هُدًى ﴿١٦﴾	١٣	٣٢٨
٣٠١	﴿١٧﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ... ﴿١٨﴾	١٤	٣٣٠
٣٠٢	﴿١٩﴾ هَتُّوْا قَوْمَنَا أَخَذُوا مِن دُونِهِ ءَالِهَةً... ﴿٢٠﴾	١٥	٣٣١
٣٠٣	﴿٢١﴾ وَإِذِ اعْتَرَفْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهُ فَأَوَّءُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرُ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ... ﴿٢٢﴾	١٦	٤٠٦, ٣٣١
٣٠٤	﴿٢٣﴾ وَتَرَى السَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزُورُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ... ﴿٢٤﴾	١٧	٣٣٣
٣٠٥	﴿٢٥﴾ وَتَحْسَبُهُمْ آيَةً وَأَنْفُسُهُمْ رِجْدٌ وَنُقِلَبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ... ﴿٢٦﴾	١٨	٣٣٣, ١٢٠
٣٠٦	﴿٢٧﴾ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ... ﴿٢٨﴾	١٩	٣٣٥, ٣٣٤
٣٠٧	﴿٢٩﴾ إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٣٠﴾	٢٠	٣٣٥
٣٠٨	﴿٣١﴾ وَكَذَلِكَ اعْتَرَفْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا... ﴿٣٢﴾	٢١	٣٣٦
٣٠٩	﴿٣٣﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَايٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٣٤﴾	٢٣	٢٥٧
٣١٠	﴿٣٥﴾ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَنْ يَهْدِيَنِي ربي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٣٦﴾	٢٤	٢٥٧
٣١١	﴿٣٧﴾ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ... ﴿٣٨﴾	٢٨	٣٣٧, ٢٠٤, ١٣٤ ٤٠٥
٣١٢	﴿٣٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ	٣٠	٢٧٦

م	السورة والآية	رقمها	الصفحة
٣١٣	﴿ أَحْسَنَ عَمَلًا ... ﴾ ﴿ أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ ... ﴾	٣١	٢٧٦
٣١٤	﴿ وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَبٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ... ﴾	٣٢	٣٤٠, ٣٣٩
٣١٥	﴿ كَلْنَا الْجَنَّتَيْنِ ءِأَنْتَ أَكْلَاهَا وَلَمْ تَطْعَمِ مِنْهُ شَيْئًا ... ﴾	٣٣	٣٤٠
٣١٦	﴿ وَكَانَ لَهُ ثَمْرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴾	٣٤	٣٤٠, ٩
٣١٧	﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴾	٣٥	٣٤٠, ١٨٤, ١٦٦
٣١٨	﴿ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ﴾	٣٦	٣٤١
٣١٩	﴿ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا ﴾	٣٧	٣٤٢, ١٨٤, ٩
٣٢٠	﴿ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْكَ سَيِّئَاتِكَ وَلَنَجْزِيَنَّكَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾	٣٨	١٤٢, ١٨٤
٣٢١	﴿ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ... ﴾	٣٩	٣٤٣
٣٢٢	﴿ فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ ... ﴾	٤٠	٣٤٤
٣٢٣	﴿ أَوْ يُصِيحَ مَا نُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ﴾	٤١	٣٤٤
٣٢٤	﴿ وَأُحِيطَ بِشَمْرِهِ فَاصْبِحْ يَقْلِبُ كَفَيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا ... ﴾	٤٢	٣٤٤, ٣٤٥
٣٢٥	﴿ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِتْنَةً بِنَصْرُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْصَرًّا ﴾	٤٣	٣٤٥
٣٢٦	﴿ هُنَالِكَ الْوَلِيَّةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴾	٤٤	٣٤٥
٣٢٧	﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ... ﴾	٤٦	٤٣٣
٣٢٨	﴿ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا ... ﴾	٥٨	٣٧٠
٣٢٩	﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتْنِهِ لَا آتِبُحَ حَتَّىٰ أَتْلُعَ مَجْمَعًا ﴾	٦٠	٣٤٩

م	السورة والآية	رقمها	الصفحة
٣٣٠	﴿الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضَى حُقُبًا﴾ ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا﴾	٦١	٣٥٠
٣٣١	﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتْنِهِ ء إِنَّا غَدَاءَةٌ نَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾	٦٢	٣٥١
٣٣٢	﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ ...﴾	٦٣	٣٥٢
٣٣٣	﴿قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبِغُ فَأَرْتَدَّا عَلَى ءِثَارِهِمَا قَصَصًا﴾	٦٤	٣٥٦، ٣٥٣
٣٣٤	﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا ء أَنبَأَهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا ...﴾	٦٥	٣٥٦، ٣٥٤
٣٣٥	﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَيْتُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا﴾	٦٦	٣٦٠، ٧٨
٣٣٦	﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾	٦٧	٣٦١، ٣٥٨، ١٠٩
٣٣٧	﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾	٦٨	٣٦١، ٣٥٨
٣٣٨	﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾	٦٩	٣٦٢
٣٣٩	﴿قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾	٧٠	٣٦٢
٣٤٠	﴿فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا ...﴾	٧١	٣٦٢
٣٤١	﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾	٧٢	٣٦٣
٣٤٢	﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِن أَمْرِي عُسْرًا﴾	٧٣	٣٦٣
٣٤٣	﴿فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ ...﴾	٧٤	٣٦٣
٣٤٤	﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾	٧٥	٣٦٥
٣٤٥	﴿قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَـٰجِبْنِي ...﴾	٧٦	٣٦٥، ٩
٣٤٦	﴿فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَنبَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا ...﴾	٧٧	٣٦٥
٣٤٧	﴿قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِمَا أُوِيلُ مَا لَمْ تَسْتَطِيعَ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾	٧٨	٣٥٩، ١١٠، ٨٩
٣٤٨	﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ ...﴾	٧٩	٣٦٦
٣٤٩	﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنِينَ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا﴾	٨٠	٣٦٧

م	السورة والآية	رقمها	الصفحة
٣٥٠	﴿ وَكُفْرًا ﴾ ﴿ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رَحْمًا ﴾	٨١	٣٦٧
٣٥١	﴿ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ ... ﴾ ١٩ - سورة مريم	٨٢	٣٦٨، ٣٥٧
٣٥٢	﴿ كَهَيْعَصَ ﴾	١	١٤٦
٣٥٣	﴿ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ﴾	٢	١٤٦
٣٥٤	﴿ إِذْ نَادَى رَبَّهُ، نِدَاءً خَفِيًّا ﴾	٣	١٤٦
٣٥٥	﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَأَشْتَلَّ الرَّأْسُ شَيْبًا ... ﴾	٤	١٤٨، ١٤٦
٣٥٦	﴿ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوْلَى مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا ... ﴾	٥	١٤٨، ١٤٦
٣٥٧	﴿ يَنْزَكِرِيًّا إِنَّا نَبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى ... ﴾	٧	١٤٩
٣٥٨	﴿ يَنْحِيحِي خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾	١٢	١٤٦
٣٥٩	﴿ وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴾	١٣	١٤٦
٣٦٠	﴿ وَبِرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا ﴾	١٤	١٦١، ٢٩
٣٦١	﴿ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا ... ﴾	٢٣	١١٧
٣٦٢	﴿ وَهَرَىٰ إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقُ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا ﴾	٢٥	١١٨
٣٦٣	﴿ وَبِرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴾	٣٢	١٦١، ٣٠
٣٦٤	﴿ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ... ﴾	٤١	١٨٠، ١٣٧
٣٦٥	﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴾	٤٢	١٨٠، ١٤٥، ١٣٧
٣٦٦	﴿ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعُلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴾	٤٣	١٤٥، ١٣٧، ٧٧ ١٨٠
٣٦٧	﴿ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴾	٤٤	١٨٠، ١٤٥، ١٣٧
٣٦٨	﴿ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ	٤٥	١٨٠، ١٤٥، ١٣٧

م	السورة والآية	رقمها	الصفحة
٣٦٩	لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٦﴾ ﴿ قَالَ أَرَأَيْتُ أَنْتَ عَنِ الْهَيْتِ يَتَّبِرْهُمْ لِيْن لَمْ تَنْتَهَ لِأَرْجَمَنَّكَ ... ﴾	٤٦	١٩٨, ١٤٥, ١٣٧
٣٧٠	﴿ قَالَ سَلِّمْ عَلَيَّ سَأَسْتَغْفِرُكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴾	٤٧	١٩١, ١٤٥, ١٣٧
٣٧١	﴿ وَنَدَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴾	٥٢	١١٥
٣٧٢	﴿ وَنَرِيئُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴾	٨٠	٤٣٣
٣٧٣	﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴾	٩٦	١٦٨, ١٥٩
٢٠ - سورة طه			
٣٧٤	﴿ فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى ﴾	١٦	٤٠٥
٣٧٥	﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى ﴾	١٧	١١٧
٣٧٦	﴿ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي ... ﴾	١٨	١١٧
٣٧٧	﴿ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ ﴾	٣٨	٢٦٦
٣٧٨	﴿ أَنْ أَقْدِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْدِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ ... ﴾	٣٩	٢٦٧
٣٧٩	﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا ... ﴾	٥٣	١١٢
٣٨٠	﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرَبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا ... ﴾	٧٧	٤١٣
٣٨١	﴿ فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُم مِّنَ اللَّيْلِ مَا عَاشَيْهِمْ ﴾	٧٨	٤١٣, ٨٥
٣٨٢	﴿ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ ﴾	٧٩	٤١٣
٣٨٣	﴿ فَقُلْنَا يَا نَادِمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴾	١١٧	٧٤
٢١ - سورة الأنبياء			
٣٨٤	﴿ وَلَا يَسْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ ﴾	٢٨	٤٣٣
٣٨٥	﴿ وَلَا هُمْ مَنَّا يُصْحَبُونَ ﴾	٤٣	٦

م	السورة والآية	رقمها	الصفحة
٣٨٦	﴿ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عِبِيدٌ ﴾	٥٣	٨٠
٣٨٧	﴿ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴾	٧١	٢٢١، ١٠٢
٣٨٨	﴿ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجَبَالَ يُسَبِّحُونَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴾	٧٩	١١٤
٣٨٩	﴿ وَيَتُوبُ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسِيئٌ ضَلَّيْتُ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾	٨٣	١٥٠
٣٩٠	﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرِّهِ... ﴾	٨٤	١٥٠
٣٩١	﴿ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْتَضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ... ﴾	٨٧	١٢٦
٣٩٢	﴿ وَكَرِيحًا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْكَارِثِينَ ﴾	٨٩	١٨٩
٣٩٣	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾	١٠٧	١٤٣
٢٢- سورة الحج			
٣٩٤	﴿ يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُذْهِلُ كُلُّ مَرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ... ﴾	٢	٤١٩
٣٩٥	﴿ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٌ ﴾	٥	١١٦
٣٩٦	﴿ يَدْعُوا لِمَنْ ضَرَّهُمْ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لِيُبْسَ الْمَوْلَى وَلِيُبْسَ الْعَشِيرُ ﴾	١٣	٢٤
٣٩٧	﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَفُصِّحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَةً... ﴾	٦٣	١١٦
٣٩٨	﴿ يَتَأَيَّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ... ﴾	٧٣	١٢٣
٢٣- سورة المؤمنون			
٣٩٩	﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴾	٨	٣٨٠
٤٠٠	﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴾	١٢	٣١
٤٠١	﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴾	١٣	٣١
٤٠٢	﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا... ﴾	١٤	٣١

م	السورة والآية	رقمها	الصفحة
٤٠٣	﴿ فُفِحَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴾ ٢٤ - سورة النور	١٠١	٤١٩
٤٠٤	﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا نَحْسَبُهُمْ شُرَكَاءَ لَكُمْ ... ﴾	١١	١٧٣
٤٠٥	﴿ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا ... ﴾	١٢	٢٠٣، ١٦٩
٤٠٦	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ... ﴾	٢١	٨١
٤٠٧	﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ... ﴾	٢٢	٣٨١، ٧١
٤٠٨	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْذِنُوا وَتَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ... ﴾	٢٧	٣٧٧
٤٠٩	﴿ فِي بُيُوتِ أَذْنِ اللَّهِ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْعُدُوِّ وَالْإِصْحَالِ ﴾	٣٦	٢٤٣
٤١٠	﴿ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ... ﴾	٣٧	٢٤٣
٤١١	﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ ... ﴾	٤٥	١١٩
٤١٢	﴿ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا مِمَّن بِيُوتِكُمْ ... ﴾ ٢٥ - سورة الفرقان	٦١	٣٩١، ٣٧٧، ٢٣، ١٧
٤١٣	﴿ وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴾	٢٧	٤٢٨
٤١٤	﴿ يَا بُولَقَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فَلَانًا حَلِيلًا ﴾	٢٨	٤٢٨، ١٧
٤١٥	﴿ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ حَدُولًا ﴾	٢٩	٤٢٨
٤١٦	﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ	٧٤	١٩١

م	السورة والآية	رقمها	الصفحة
	﴿ أَعْيَبِ وَأَجْعَلْنَا الْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾		
	٢٦ - سورة الشعراء		
٤١٧	﴿ لَعَلْنَا نَبْعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمْ الْغَالِبِينَ ﴾	٤٠	٨٧, ٨١
٤١٨	﴿ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِقِرْعُونَ آيِنَ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴾	٤١	٨٧
٤١٩	﴿ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لِمِنَ الْمُقْرَبِينَ ﴾	٤٢	٨٧
٤٢٠	﴿ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ﴾	٤٣	٨٧
٤٢١	﴿ فَلَمَّا تَرَاهُ الْجَمْعَانِ قَالِ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ﴾	٦١	٩
٤٢٢	﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴾	٨٨	٤٣٣, ٢٧٤
٤٢٣	﴿ إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾	٨٩	٤٣٣
٤٢٤	﴿ فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ ﴾	١٠٠	٤٢٣, ٣٩٢, ١٩
٤٢٥	﴿ وَلَا صَالِحِينَ حَمِيمٍ ﴾	١٠١	٤٢٣, ٣٩٢, ١٩, ١٧
٤٢٦	﴿ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾	١٤٥	٢٣٠
٤٢٧	﴿ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴾	١٤٨	٢٣٠
٤٢٨	﴿ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَرِهِينَ ﴾	١٤٩	٢٣٠
٤٢٩	﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴾	١٥٠	٢٣٣
٤٣٠	﴿ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴾	١٥١	٢٣٣
٤٣١	﴿ الَّذِينَ يَفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾	١٥٢	٢٣٣
٤٣٢	﴿ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسْحَرِينَ ﴾	١٥٣	٢٣٠
٤٣٣	﴿ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بَشَايَةَ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾	١٥٤	٢٣٠
٤٣٤	﴿ وَلَا تَسْوَاهَا بَسُوءٍ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾	١٥٦	٢٣٢
٤٣٥	﴿ كَذَبَتْ قَوْمٌ لُوطَ الْمُرْسَلِينَ ﴾	١٦٠	٢٣٢
٤٣٦	﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا نُنْفِقُونَ ﴾	١٦١	٢٣٢
٤٣٧	﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾	١٦٢	٢٣٢

م	السورة والآية	رقمها	الصفحة
٤٣٨	﴿ فَأَقْبُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴾	١٦٣	٢٣٢
٤٣٩	﴿ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرْتُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾	١٦٤	٢٣٢
٤٤٠	﴿ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾	١٦٥	٢٣٢
٤٤١	﴿ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَوْسَابِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴾	١٦٦	٢٣٢
٤٤٢	﴿ قَالُوا لَنْ نَمُوتَ أَبَدًا وَنَبْنِي بِنُحُوتٍ لِنَكُونَ مِنَ الْمُخْرِجِينَ ﴾	١٦٧	٢٣٢
٤٤٣	﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمِ الظُّلَّةِ... ﴾	١٨٩	١١٨
٤٤٤	﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾	٢١٤	٢١٠, ١٦٤, ٧٠, ٢٤
٢٧ - سورة النمل			
٤٤٥	﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَنُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ... ﴾	١٦	١٢٤
٤٤٦	﴿ وَحَشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودَهُ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾	١٧	١٢٤
٤٤٧	﴿ وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَتِي وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ... ﴾	١٩	٣٤٦, ١٢٤
٤٤٨	﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدْيَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴾	٢٠	١٢٤, ٨٨
٤٤٩	﴿ لِأَعَذِّبَهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لِيَأْتِيَنَّ بِسُلْطَنٍ مُبينٍ ﴾	٢١	١٢٤
٤٥٠	﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ نَحْطُ بِهِ... ﴾	٢٢	١٢٤
٤٥١	﴿ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ... ﴾	٢٣	١٢٤
٤٥٢	﴿ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنُ لَهُمْ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ... ﴾	٢٤	١٢٤
٤٥٣	﴿ أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴾	٢٥	١٢٤
٤٥٤	﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونَ ﴾	٣٢	٨٩

م	السورة والآية	رقمها	الصفحة
٤٥٥	﴿ قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِيهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾	٣٨	١٢٥
٤٥٦	﴿ قَالَ عِفْرِيْتُ مَنِ الْجِنِّ أَنَا ءَانِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ ... ﴾	٣٩	١٢٥
٤٥٧	﴿ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا ءَانِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ... ﴾	٤٠	٣٤٦، ١٢٥
٤٥٨	﴿ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشِي قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوَيْبِنَا أَلَيْسَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴾	٤٢	١٢٥
٤٥٩	﴿ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ بَسْعَةٌ رَهَطٌ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ... ﴾	٤٨	٢٣٢، ٢٣١
٤٦٠	﴿ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ ... ﴾	٤٩	٢٣٤
٤٦١	﴿ فَمَلَكَ بُيُوتَهُمْ بِمَا ظَلَمُوا إِيَّاتِ فِي ذَلِكَ لَأَيَّةٌ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾	٥٢	٢٣٥
٤٦٢	﴿ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ﴾	٦٠	١١٦
٢٨ - سورة القصص			
٤٦٣	﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَاذْخِفِيهِ عَلَيْهِ فَكَالِقَبِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ... ﴾	٧	٢٦٧، ١٦١
٤٦٤	﴿ فَالْقَلْبَ لَهُ ءَالَ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ... ﴾	٨	١٦١
٤٦٥	﴿ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ ... ﴾	٩	٢٦٨، ١٦١
٤٦٦	﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَدَرَعًا ... ﴾	١٠	١٦١
٤٦٧	﴿ وَقَالَتِ لِأُخْتِهِ فَصِّبِي فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ ... ﴾	١١	١٦١
٤٦٨	﴿ وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ ﴾	١٢	١٧٧، ١٦١
٤٦٩	﴿ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ﴾	١٣	١٦١
٤٧٠	﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ ... ﴾	٢٠	١٧٨، ١٠٢

م	السورة والآية	رقمها	الصفحة
٤٧١	﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾	٢١	١٠٢
٤٧٢	﴿فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾	٢٤	١١٦
٤٧٣	﴿قَالَتْ إِحَدُهُمَا يَتَأَتِبَ اسْتَعِجْرَهُ إِنِّي خَيْرٌ مِمَّنْ اسْتَعَجَرَتِ القَوِيُّ الْأَمِينُ﴾	٢٦	١٨٠
٤٧٤	﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا...﴾	٢٩	١١٧
٤٧٥	﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ...﴾	٣٠	١١٧
٤٧٦	﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي...﴾	٣٤	٢٣٧
٤٧٧	﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطٰنًا...﴾	٣٥	٢٤٠
٤٧٨	﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَتَأْتِيهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلٰهِ غَيْرِي﴾	٣٨	٤١٧
٤٧٩	﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ...﴾	٥٦	٢١٢, ١٦٤, ٧٠
٤٨٠	﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا يَلِيتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَدْ رَوْنُ...﴾	٧٩	٢٠٤
٤٨١	﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَابُ اللَّهُ يَبْسُطُ...﴾	٨٢	٢٠٤
٤٨٢	﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ...﴾	٨٥	١١٣
٢٩ - سورة العنكبوت			
٤٨٣	﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا...﴾	٨	٣٥
٤٨٤	﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ...﴾	١٤	٢٢٠

م	السورة والآية	رقمها	الصفحة
٤٨٥	﴿فَمَنْ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾	٢٦	٢٢١
٤٨٦	﴿أَيُّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ...﴾	٢٩	٨٢
٤٨٧	﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ﴾	٣١	٢٢٢
٤٨٨	﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا...﴾	٣٢	٢٢٢
	٣٠- سورة الروم		
٤٨٩	﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾	٢١	١٦٢, ١٤٧, ٤٠, ٢٥
	٣١- سورة لقمان		
٤٩٠	﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَنُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَبْنَىٰ لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ...﴾	١٣	١٨٠, ٣٠
٤٩١	﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنَا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفَصَّلَهُ فِي عَامَيْنِ...﴾	١٤	٣٢, ٣٠
٤٩٢	﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا...﴾	١٥	٧٠, ٣٧, ٣٦, ٣٥ ١٣٧, ٧٦
٤٩٣	﴿وَلَا تَصْعَرَ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا...﴾	١٨	٣٨٢
	٣٢- سورة السجدة		
٤٩٤	﴿جُنُودِهِمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا...﴾	١٦	١٨٧
	٣٣- سورة الأحزاب		
٤٩٥	﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ...﴾	٥٧	٢٠٣
٤٩٦	﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَّرَاءَنَا فَاصْلُنَا السَّبِيلَا﴾	٦٧	٨١
٤٩٧	﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادُوا مُوسَىٰ فَبَرَأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا...﴾	٦٩	٢٠٣

م	السورة والآية	رقمها	الصفحة
	٣٤ - سورة سبأ		
٤٩٨	﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ... ﴾	٣١	٤٣١
٤٩٩	﴿ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لَنْ نَخْشَى صِدْقَكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ... ﴾	٣٢	٤٣١
٥٠٠	﴿ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرٌ آلِيلٍ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ... ﴾	٣٣	٤٣١
	٣٦ - سورة يس		
٥٠١	﴿ وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴾	١٣	٢٣٧، ٢٣٨
٥٠٢	﴿ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ... ﴾	١٤	٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠
٥٠٣	﴿ قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ... ﴾	١٥	٢٣٨، ٢٤١
٥٠٤	﴿ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴾	١٦	٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤١
٥٠٥	﴿ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾	١٧	٢٣٨، ٢٣٩
٥٠٦	﴿ قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَمْ نَنْتَهُوا لَرْجَمْنَاكُمْ... ﴾	١٨	٢٣٨، ٢٤١
٥٠٧	﴿ قَالُوا طَئِرُكُمْ مَعَكُمْ أَيْنَ ذُكِّرْتُمْ... ﴾	١٩	٢٣٨، ٢٤٢
٥٠٨	﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى... ﴾	٢٠	٧٩، ٢٤٣
٥٠٩	﴿ اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْتَلِكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾	٢١	٧٩، ٢٤٣
٥١٠	﴿ وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾	٢٢	٢٤٤
٥١١	﴿ ءَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً إِنْ يُرِدِنِ الرَّحْمَنُ بَصِيرَةَ لَا تُغْنِي عَنْهُ شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا... ﴾	٢٣	٢٤٤
٥١٢	﴿ إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾	٢٤	٢٤٥
٥١٣	﴿ إِنِّي ءَأَمِنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونَ ﴾	٢٥	٢٤٥
٥١٤	﴿ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴾	٢٦	٢٤٥
٥١٥	﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ... ﴾	٢٨	٢٤٦
٥١٦	﴿ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ ﴾	٢٩	٢٤٦

م	السورة والآية	رقمها	الصفحة
٥١٧	﴿يَحْسِرَةٌ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ...﴾	٣٠	٢٤٧
٥١٨	﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمِ فِي شُغْلٍ فَكَاهُونَ﴾	٥٥	٤٢١
٥١٩	﴿هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَلٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكُونَ﴾	٥٦	٤٢١
	٣٧- سورة الصافات		
٥٢٠	﴿أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾	٢٢	٤٣٢، ٤٣١
٥٢١	﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ﴾	٥١	٤٣٤، ٢١
٥٢٢	﴿يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ﴾	٥٢	٤٣٤
٥٢٣	﴿أءِذَا مِنَّا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أءِنَّا لَمَلِيُونٌ﴾	٥٣	٤٣٤
٥٢٤	﴿قَالَ هَلْ أَسْمُرُ مُطَّلِعُونَ﴾	٥٤	٤٣٤
٥٢٥	﴿فَأَطَّلَعَ فَرَأَاهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾	٥٥	٤٣٤
٥٢٦	﴿قَالَ تَأَلَّهْ إِنَّ كِدْتَ لَتُرْدِينُ﴾	٥٦	٤٣٤
٥٢٧	﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾	٥٧	٤٣٤
٥٢٨	﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَبْتَلِينَ﴾	٥٨	٤٣٤
٥٢٩	﴿إِلَّا مَوْتَنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَدِّيْنَ﴾	٥٩	٤٣٤
٥٣٠	﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾	٦٠	٤٣٤
٥٣١	﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينُ﴾	٩٩	١٠٢
٥٣٢	﴿فَمَا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْنَئُ إِنِّي آتِي فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ...﴾	١٠٢	١٧٢، ١٦١
٥٣٣	﴿فَبَدَّدَهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ﴾	١٤٥	١٢٧
٥٣٤	﴿وَأَبْتَسْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ﴾	١٤٦	١٢٧
	٣٨- سورة ص		
٥٣٥	﴿إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾	١٨	١١٣
٥٣٦	﴿يَبْدَأُ وُجُوهَنَا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَأَحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ...﴾	٢٦	٢٠١

م	السورة والآية	رقمها	الصفحة
٥٣٧	﴿ وَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نَعَمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾	٣٠	١٢٣
٥٣٨	﴿ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْإِحْيَادُ ﴾	٣١	١٢٣
٥٣٩	﴿ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ... ﴾	٣٢	١٦٦، ١٢٣
٥٤٠	﴿ رُدُّوهَا عَلَيَّ فطْفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴾	٣٣	١٢٣
٥٤١	﴿ وَخَذَ بِيَدِكَ ضِعْفًا فَأَضْرِبَ بِهِ. وَلَا تَحْنَثُ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا ... ﴾	٤٤	١٥٠
٥٤٢	﴿ مُتَكَبِّرِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفِكَهَمَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴾	٥١	١١٩
٥٤٣	﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴾	٧٨	٧٤
٤٠ - سورة غافر			
٥٤٤	﴿ الَّذِينَ يَجْلِسُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ... ﴾	٧	١٣٥، ٨٣
٥٤٥	﴿ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْأَزْفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظْمِينَ ... ﴾	١٨	٢٢١، ١٩
٥٤٦	﴿ وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَقَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾	٣٨	٨٨
٥٤٧	﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ... ﴾	٥١	٨٣
٥٤٨	﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ... ﴾	٦٠	١٨٦
٤١ - سورة فصلت			
٥٤٩	﴿ وَأَمَّا تَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى ... ﴾	١٧	٢٣٥
٥٥٠	﴿ وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَنْقُوتُونَ ﴾	١٨	٢٣٥
٥٥١	﴿ وَفِضْنَا لَهُمْ قُرْنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ... ﴾	٢٥	٢٠٠، ٢١
٥٥٢	﴿ وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ... ﴾	٣٤	٢٠
٤٢ - سورة الشورى			
٥٥٣	﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ... ﴾	٢٣	١٦٣، ٦٥
٥٥٤	﴿ وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ... ﴾	٢٦	٤٢٣

م	السورة والآية	رقمها	الصفحة
٥٥٥	﴿ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ... ﴾	٣٨	٣٩٩
٥٥٦	﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْصَرُونَ ﴾	٣٩	٣٩٩
	٤٣ - سورة الزخرف		
٥٥٧	﴿ لِيَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ... ﴾	١٣	١٩٤
٥٥٨	﴿ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ﴾	١٤	١٩٤
٥٥٩	﴿ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ... ﴾	٢٢	٨٠، ٧٥
٥٦٠	﴿ قُلْ أَوْلَوْا جِئْتُكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ... ﴾	٢٤	٨٠
٥٦١	﴿ وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُفِضَ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾	٣٦	٤٣١، ٤١٢، ٢٢، ٢١
٥٦٢	﴿ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّوهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴾	٣٧	٤٣١، ٤١٢
٥٦٣	﴿ حَقَّ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ... ﴾	٣٨	٤٣١٠، ٢١
٥٦٤	﴿ وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ أَيْوَمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْكُمُ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾	٣٩	٤٣١
٥٦٥	﴿ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾	٦٧	١٣٤، ١٧. ب.
			٤٢١، ٤٠٣، ١٩٧
			٤٣٤، ٤٢٧
٥٦٦	﴿ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴾	٧٠	٤٣٢، ٤٢١
	٤٤ - سورة الدخان		
٥٦٧	﴿ كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعَيْونِ ﴾	٢٥	١١٩
٥٦٨	﴿ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴾	٢٦	١١٩
	٤٦ - سورة الأحقاف		
٥٦٩	﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ... ﴾	١٥	٣٤٦، ٣٢، ٣١
٥٧٠	﴿ وَالَّذِي قَالَ لَوْلَائِي أَفِ لَكَ مَا أَتَعَدَّيْنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي... ﴾	١٧	١٨٠، ١٤٦
٥٧١	﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا... ﴾	٢٩	١٢٦
٥٧٢	﴿ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِمَا	٣٠	١٢٦

م	السورة والآية	رقمها	الصفحة
	بَيْنَ يَدَيْهِ ... ﴿﴾		
	٤٧ - سورة محمد		
٥٧٣	﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ ... ﴾	٢٢	٦٦
٥٧٤	﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ ﴾	٢٣	٦٦
	٤٨ - سورة الفتح		
٥٧٥	﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ ... ﴾	٤	١٣٢
٥٧٦	﴿ وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمَاتِ بِاللَّهِ ظَلَمَ السَّوَاءَ ... ﴾	٦	١٧١
٥٧٧	﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ... ﴾	١٨	١١٧
٥٧٨	﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ... ﴾	٢٩	١٦٧، ١٥٢، ٨٢ ٣٨٢، ٢٠٩
	٤٩ - سورة الحجرات		
٥٧٩	﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ... ﴾	١٠	٣٨٨، ١٣٣، ٢٢
٥٨٠	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ ... ﴾	١١	٣٨٥، ٢٠١
٥٨١	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ... ﴾	١٢	١٧٠، ١٥٨، ١٣٣ ٣٨٤، ٣٠٤، ٢٠١ ٣٨٧
٥٨٢	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ ... ﴾	١٣	٩١
	٥٠ - سورة ق		
٥٨٣	﴿ قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْفَيْتَهُ وَلَكِن كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴾	٢٧	٢٢
	٥١ - سورة الذاريات		
٥٨٤	﴿ وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَنَّوْا حَتَّىٰ حِينٍ ﴾	٤٣	٢٣٦
٥٨٥	﴿ فَتَوَاعَنَ أَمْرًا بِهِمْ فَآخَذْنَاهُمُ الصَّاعِقَةَ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ... ﴾	٤٤	٢٣٦

م	السورة والآية	رقمها	الصفحة
٥٨٦	﴿فَمَا اسْتَبَعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْصِرِينَ﴾	٤٥	٢٣٦
٥٨٧	﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾	٤٩	٣٩، ٢٥
٥٨٨	﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ٥٢ - سورة الطور	٥٦	١٩٨
٥٨٩	﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ...﴾ ٥٣ - سورة النجم	٢١	٤٣٢، ٤٢٠، ٢١، ٨٤
٥٩٠	﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾	٢	٢١٢، ٢١٠، ٩
٥٩١	﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ ٥٤ - سورة القمر	٤٥	٢٥
٥٩٢	﴿وَنَبِّئَهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلٌّ شَرِبَ مِنْ حَضْرَتِهِ﴾	٢٨	٢٣٣
٥٩٣	﴿فَنَادُوا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ﴾ ٥٦ - سورة الواقعة	٢٩	٢٣٤
٥٩٤	﴿وَاصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾	٢٧	١١٩
٥٩٥	﴿فِي سِدْرٍ مَحْضُودٍ﴾	٢٨	١١٩
٥٩٦	﴿وَطَلْحٍ مَنضُودٍ﴾	٢٩	١١٩
٥٩٧	﴿وَوَيْلٍ مَمْدُودٍ﴾	٣٠	١١٩
٥٩٨	﴿وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ﴾	٣١	١١٩
٥٩٩	﴿وَفَكَهَةٍ كَثِيرَةٍ﴾	٣٢	١١٩
٦٠٠	﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَتَيْتُمُ الضَّالِّينَ الْمُكَذِّبِينَ﴾	٥١	١١٩
٦٠١	﴿لَا تَكُونُوا مِنْ شَجَرٍ مِنْ زُقُومٍ﴾	٥٢	١١٩
٦٠٢	﴿فَمَا تَتُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ﴾	٥٣	١١٩
٦٠٣	﴿فَشَرِبُوا عَلَيْهِ مِنْ الْحَمِيمِ﴾	٥٤	١١٩
٦٠٤	﴿فَشَرِبُوا مِنْ شَرِبِ الْهَمِيمِ﴾ ٥٧ - سورة الحديد	٥٥	١١٩
٦٠٥	﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ...﴾	٢٥	٧٩

م	السورة والآية	رقمها	الصفحة
٦٠٦	﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ... ﴾ ٥٨ - سورة المجادلة	٢٧	٨٢
٦٠٧	﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ... ﴾	٨	٢٠٤
٦٠٨	﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ... ﴾	١١	١٦٨
٦٠٩	﴿ كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَبِينَ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّكَ اللَّهُ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ ٥٩ - سورة الحشر	٢١	٨٣
٦١٠	﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ. وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾	٤	٢٠١
٦١١	﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَن هَاجَرَ إِلَيْهِمْ... ﴾	٩	٣٩٣، ١٦٥، ١٥٨
٦١٢	﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ... ﴾	١٠	١٩٥
٦١٣	﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن أَهْلِ الْكِنْدِ لَئِن أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ... ﴾	١١	٢٠٠
٦١٤	﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ... ﴾ ٦٠ - سورة الممتحنة	٢١	١١٤
٦١٥	﴿ لَن تَنفَعَكُم أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَفْصَلُ بَيْنَكُمْ... ﴾	٣	٢٧٥
٦١٦	﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرءُؤُا مِنكُمْ... ﴾	٤	٧٠
٦١٧	﴿ لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ... ﴾	٨	٧١

م	السورة والآية	رقمها	الصفحة
	٦١- سورة الصف		
٦١٨	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾	٢	٣٧٩
٦١٩	﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾	٣	٣٧٩
	٦٢- سورة الجمعة		
٦٢٠	﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا... ﴾	٥	١٢٢
	٦٥- سورة الطلاق		
٦٢١	﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴾	٢	١٥١
٦٢٢	﴿ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ... ﴾	٣	١٥١
٦٢٣	﴿ أَسْكُنُونَهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجُوهِكُمْ وَلَا تَضَارُوهُنَّ لِنُضِيقُوا عَلَيْنَّ... ﴾	٦	٤٦
٦٢٤	﴿ لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُتَّقِ اللَّهَ فَمَا أَتَانَهُ اللَّهُ... ﴾	٧	٤٦
	٦٦- سورة التحريم		
٦٢٥	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا... ﴾	٦	٦٨، ٥٣
٦٢٦	﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ... ﴾	١٠	٢٢١، ١٣٩
٦٢٧	﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ... ﴾	١١	٢٧١، ١٣٩
	٦٧- سورة الملك		
٦٢٨	﴿ أَوْلَعُ بِرِوَا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَّتْ وَبَقِضْنَ... ﴾	١٩	١٢١
	٦٨- سورة القلم		
٦٢٩	﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾	٤	٣٨٠، ٧٨
٦٣٠	﴿ وَلَا تَطْعُ كُلَّ حَلَاظٍ مَّهِينٍ ﴾	١٠	٣٨٤
٦٣١	﴿ هَمَزَ مَشَاءً بِنَمِيمٍ ﴾	١١	٣٨٤
٦٣٢	﴿ إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ ﴾	١٧	٢٥٤، ٢٥١، ٢٥٠ ٢٥٥

م	السورة والآية	رقمها	الصفحة
٦٣٣	﴿وَلَا يَسْتَنُونَ﴾	١٨	٢٥٤, ٢٥٠
٦٣٤	﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَافٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُرَّ نَائِبُونَ﴾	١٩	٢٥٥, ٢٥٠, ١٢٨
٦٣٥	﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾	٢٠	٢٥٠, ١٢٨
٦٣٦	﴿فَنَادُوا مُصِيبِينَ﴾	٢١	٢٥٠
٦٣٧	﴿أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ﴾	٢٢	٢٥٥, ٢٥٠
٦٣٨	﴿فَانطَلَفُوا وَهُرُّ وَنَحْفَنُونَ﴾	٢٣	٢٥٥, ٢٥٠
٦٣٩	﴿أَن لَّا يَدْخُلْنَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ﴾	٢٤	٢٥٥, ٢٥٠
٦٤٠	﴿وَعُدُّوا عَلَىٰ حَرْدٍ قَدْرِينَ﴾	٢٥	٢٥٥, ٢٥٠
٦٤١	﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَصَّٰلُونَ﴾	٢٦	٢٥٥, ٢٥٠
٦٤٢	﴿بَلْ نَحْنُ مُجْرِمُونَ﴾	٢٧	٢٥٥, ٢٥٠
٦٤٣	﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾	٢٨	٢٥٤, ٢٥٢, ٢٥٠ ٢٥٦
٦٤٤	﴿قَالُوا سُبْحٰنَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظٰلِمِينَ﴾	٢٩	٢٥٦, ٢٥٠
٦٤٥	﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتْلُوْمُونَ﴾	٣٠	٢٥٦, ٢٥٠
٦٤٦	﴿قَالُوا يَا بَرِّئْنَا إِنَّا كُنَّا طٰعِينَ﴾	٣١	٢٥٦, ٢٥٠
٦٤٧	﴿عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رٰغِبُونَ﴾	٣٢	٢٥٦, ٢٥٠
٦٤٨	﴿كَذٰلِكَ الْعَذَابُ وَالْعَذَابُ الْآخِرَةُ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾	٣٣	٢٥٦, ٢٥٠
٦٤٩	﴿وَلَا تَكُن كَصَٰحِبِ الْمَوْتِ﴾	٤٨	١٢٦, ١٠
٦٥٠	٦٩ - سورة الحاقة		
٦٥١	﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هٰنَا حَمِيمٌ﴾	٣٥	٢٠
	٧٠ - سورة المعارج		
	﴿وَلَا يَسْتَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾	١٠	٢٠
٦٥٢	﴿يَبْصُرُونَهُم بِوُدِّ الْمُجْرِمِ لَوْ يَفْتَدِي مِّنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِنِيهِ﴾	١١	٤١٩
٦٥٣	﴿وَصٰحِبَتِهِ وَأَخِيهِ﴾	١٢	٤١٩
٦٥٤	﴿وَفَصَلَّتْهُ الَّتِي تُوِيهِ﴾	١٣	٤١٩

م	السورة والآية	رقمها	الصفحة
٦٥٥	﴿ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ ﴾ ٧١- سورة نوح	١٤	٤١٩
٦٥٦	﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴾	٢٦	٢٢٨
٦٥٧	﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا ﴾ ٧٤- سورة المدثر	٢٨	١٩٥، ٣٣
٦٥٨	﴿ وَمَا جَعَلْنَا أَحْسَبَ النَّارِ إِلَّا مَلِيكَةً... ﴾	٣١	٩
٦٥٩	﴿ فَمَا نُنْفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّافِعِينَ ﴾ ٧٧- سورة المرسلات	٤٨	٤٢٣
٦٦٠	﴿ أَلَمْ تَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ﴾	٢٥	١١٢
٦٦١	﴿ أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا ﴾ ٧٨- سورة النبأ	٢٦	١١٢
٦٦٢	﴿ وَالْجِبَالِ أَوْتَادًا ﴾ ٧٩- سورة النازعات	٧	١١٤
٦٦٣	﴿ أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴾	١٧	٢٦٩
٦٦٤	﴿ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴾ ٨٠- سورة عبس	٢٤	٤١٦، ٢٦٩
٦٦٥	﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ﴾	٢٤	١٢٩
٦٦٦	﴿ أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴾	٢٥	١٢٩
٦٦٧	﴿ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴾	٢٦	١٢٩
٦٦٨	﴿ فَأَبْتْنَا فِيهَا جَبًّا ﴾	٢٧	١٢٩
٦٦٩	﴿ وَعِنبًا وَقَضْبًا ﴾	٢٨	١٢٩
٦٧٠	﴿ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴾	٢٩	١٢٩
٦٧١	﴿ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ﴾	٣٠	١٢٩
٦٧٢	﴿ وَفِكَهَةً وَأُنَّابًا ﴾	٣١	١٢٩
٦٧٣	﴿ مُنْعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴾	٣٢	١٢٩

م	السورة والآية	رقمها	الصفحة
٦٧٤	﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾	٣٤	٤١٩، ٢٢٩
٦٧٥	﴿وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ﴾	٣٥	٤١٩، ٢٢٩
٦٧٦	﴿وَصَحْبِيهِ وَبَنِيهِ﴾	٣٦	٤١٩، ٢٢٩
٦٧٧	﴿لِكُلِّ أَمْرٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُعِينِهِ﴾	٣٧	٤١٩، ٢٢٩
	٨١ - سورة التكوير		
٦٧٨	﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ﴾	٢٢	٢١٢، ٢١٠، ٩
	٨٢ - سورة الأنفطار		
٦٧٩	﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا عَرَكَ رَبِّكَ إِلَكًا رَّيِّبًا﴾	٦	٣٤٢
٦٨٠	﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّدَكَ فَعَدَلَكَ﴾	٧	٣٤٢
٦٨١	﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾	٨	٣٤٢
	٨٨ - سورة الغاشية		
٦٨٢	﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾	١٧	١٢١، ١١٤
٦٨٣	﴿وَأِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾	١٨	١١٤
٦٨٤	﴿وَأِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾	١٩	١١٤
	٨٩ - سورة الفجر		
٦٨٥	﴿وَتُمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾	٩	٢٢٩
٦٨٦	﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْنَلَّهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ...﴾	١٥	٣٤٤
٦٨٧	﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْنَلَّهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ﴾	١٦	٣٤٤
	٩٠ سورة البلد		
٦٨٨	﴿تَعْرَفَ كَانَ مِنَ الَّذِينَ عَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾	١٧	١٥٣
	٩١ - سورة الشمس		
٦٨٩	﴿كَذَبَتْ تُمُودٌ بِطَعُونِهَا﴾	١١	٢٣٥
٦٩٠	﴿إِذْ أَنْبَعَتْ أَشَقُّهَا﴾	١٢	٢٣٥، ٢٣٣
٦٩١	﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا﴾	١٣	٢٣٥
٦٩٢	﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمُ رَبُّهُمُ بِذُنُوبِهِمْ...﴾	١٤	٢٣٥

م	السورة والآية	رقمها	الصفحة
٦٩٣	﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ ١٠٣- سورة العصر	١٥	٢٣٥
٦٩٤	﴿وَالْعَصْرِ﴾	١	٣٩٦
٦٩٥	﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي حُسْرٍ﴾	٢	٣٩٦
٦٩٦	﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ...﴾ ١٠٥- سورة الفيل	٣	٣٩٦
٦٩٧	﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾	١	٢٦٢, ٢٥٨
٦٩٨	﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ﴾	٢	٢٦٢, ٢٥٨
٦٩٩	﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا﴾	٣	٢٦٣, ٢٥٨
٧٠٠	﴿تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ﴾	٤	٢٦٣, ٢٥٨
٧٠١	﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ ١٠٦- سورة قريش	٥	٢٦٤, ٢٥٨
٧٠٢	﴿لَا يَلْفُ قُرَيْشٍ﴾	١	٢٥١, ١٠٣
٧٠٣	﴿إِلَيْهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾	٢	٢٥١, ١٠٣
٧٠٤	﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾	٣	٢٥١, ١٠٣
٧٠٥	﴿الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ ١١١- سورة المسد	٤	٢٥١, ١٠٣
٧٠٦	﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾	١	٢٧٦, ٢٧٤, ٢٧٣ ٤٣٢
٧٠٧	﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ، وَمَا كَسَبَ﴾	٢	٤٣٢, ٣٧٤, ٢٧٣
٧٠٨	﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾	٣	٤٣٢, ٣٧٤, ٢٧٣
٧٠٩	﴿وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾	٤	٤٣٢, ٢٧٤, ٢٧٣
٧١٠	﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾	٥	٢٧٥, ٢٧٤, ٢٧٣ ٤٣٢

فهرس الأحاديث

م	طرف الحديث	الصفحة
١.	((أبا هريرة! أحسن مجاورة من جاورك تكن مسلما وأحسن مصاحبة صاحبك...))	٣٩٦
٢.	((أتدرون ما الغيبة؟ قالوا الله ورسوله أعلم. قال ذكرك أخاك ...))	٣٨٤
٣.	((اثبت أحد فإنا عليك نبي وصديق وشهيدان...))	١١٦
٤.	((أجرنا من أجزت يا أم هانئ))	٩٧
٥.	((أحد جبل يحبنا ونحبه))	١١٥
٦.	((أربع من السعادة: المرأة الصالحة، والمسكن الواسع، والجار الصالح...))	١٠٠
٧.	((إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث؛ ...))	٢٥٣، ١٩١، ٥٩
٨.	((إذا الرجل دعا زوجته لحاجته فلتجبه وإن كانت على التنور))	٥٦
٩.	((إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه...))	١٣٤
١٠.	((إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم...))	١٠٨
١١.	((إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت فبات غضبان لعنتها الملائكة ...))	٥٥
١٢.	((إذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة...))	١٣٠
١٣.	((إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها، وإذا وقع بأرض وأنتم ...))	١٠٢
١٤.	((إذا صلت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحصنت فرجها، ...))	٥٧
١٥.	((أذهبوا فأنتم الطلقاء))	٢٩٨، ١٩٣، ٧١
١٦.	((الأرواح جنود مجنونة فما تعارفت منها ائتلف، وما تنافرت منها اختلف...))	٣٣٠
١٧.	((أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك...))	١٩٥
١٨.	((أستودعك الله الذي لا تضيع ودائعه...))	١٩٥
١٩.	((أعطي يوسف وأمه شطر الحسن))	٣٠٥
٢٠.	((أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً))	٣٨٠
٢١.	((ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم، أفشوا السلام بينكم))	١٦٧
٢٢.	((ألا إني أبرأ إلى كل حل من حلة))	١٥
٢٣.	((ألا واستوصوا بالنساء خيراً فيأمنن عوان عندكم ليس تملكون منهن شيئا ...))	٥٤
٢٤.	((أما إنا قد سألنا عن ذلك، فقال: أرواحهم في جوف طير...))	٢٤٥
٢٥.	((أما بعد يا عائشة فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا، ...))	١٧٣
٢٦.	((إن أعظم النساء بركة أيسرهن مؤنة))	٤٥
٢٧.	((إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون ...))	٣٠٧
٢٨.	((إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ...))	١١

م	طرف الحديث	الصفحة
٢٩.	((إن الله إذا أحب عبداً دعا جبريل. فقال إني أحب ...))	١٥٩
٣٠.	((إن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على ...))	٣٨٢
٣١.	((إن الله تعالى اختارني واختار لي أصحاباً، فجعل لي منهم ...))	٢٠٨
٣٢.	((إن الله حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله والمؤمنين، ...))	٢٦١
٣٣.	((إن الله حبيي كريم يستحي إذا رفع الرجل إليه يديه أن يردهما صفراً))	١٩٦
٣٤.	((إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ من خلقه، قالت ...))	٦٤
٣٥.	((إن الله خير عبدا بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما ...))	٢١٧
٣٦.	((إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف))	١١
٣٧.	((إن الله كتب الإحسان على كل شيء))	١٢٩
٣٨.	((إن الله يقول يوم القيامة أين المتحابون بجلالي اليوم أظلمهم في ...))	٤٢٥، ١٦٨
٣٩.	((أن امرأة أتت النبي ﷺ، فقالت: يا رسول الله ما حق الزوج على زوجته؟ فقال: لا تخرج...))	٥٢
٤٠.	((أن امرأة بغيا رأت كلبا في يوم حار يطيف ببئر قد ...))	١٣٠
٤١.	((أن امرأة دخلت النار في هرة حبستها لا هي أطعمتها ولا ...))	١٢٩
٤٢.	((إن أمن الناس علي في ماله وصحبته أبو بكر، و ...))	٢٢
٤٣.	((إن حسن الظن بالله تعالى من عبادة الله))	١٧٠
٤٤.	((أن رجلاً سأل النبي ﷺ عن الساعة، فقال: متى الساعة؟ قال: وماذا أعددت لها ...))	٤٢٤
٤٥.	((إن رجلاً زار أخاً له في قرية أخرى، فأرصد الله ...))	١٠٥
٤٦.	((إن رسول الله ﷺ قال في خطبة الوداع: ((اتقوا الله في النساء ...))	٥٣، ٥١، ٤٦
٤٧.	((إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن لا ...))	١٢٨
٤٨.	((إن لله عبدا ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الشهداء والنبيون يوم ...))	٤٢٥
٤٩.	((إن من عباد الله عبداً ليسوا بأنبياء يغبطهم الأنبياء والشهداء قيل ...))	٤٢٥
٥٠.	((إن موسى سئل هل في الأرض أحد أعلم منك؟ فقال: لا...))	٣٥٩
٥١.	((إن موسى عليه السلام قام خطيباً في بني إسرائيل فسئل أي: ...))	٣٤٨
٥٢.	((انبعث لها رجل عزيز عارم منيع في رهطه مثل أبي زمعة))	٢٣٣
٥٣.	((أنت صاحبي في الغار وصاحبي على الحوض))	٢١٩
٥٤.	((انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً. فقال له رجل ...))	٣٤١
٥٥.	((إنكن صواحب يوسف))	٤
٥٦.	((إنما بعثت لأتم صالح الأخلاق))	٢٠٢
٥٧.	((إنما يجالس المتجالسون بأمانة الله فلا يجلس لأحدهم أن يفشي عن ...))	٤١٢
٥٨.	((إياكم والحسد فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب أو ...))	٣٨٨

م	طرف الحديث	الصفحة
٥٩.	((إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا ...))	٣٨٧
٦٠.	((إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث))	١٧٥،١٧١
٦١.	((آية المنافق ثلاث؛ إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف، ...))	٣٧٩
٦٢.	((بارك الله لك، وبارك عليك، وجمع بينكما في خير))	١٩٢
٦٣.	((بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة ...))	١٧٩
٦٤.	((بعثت لأتمم صالح الأخلاق))	٢٠٢
٦٥.	((بينما موسى في ملاء من بني إسرائيل. إذ جاءه رجل ...))	٣٥٦،١٠٣
٦٦.	((بينما رجل يمشي فاشتد عليه العطش فنزل بئرا فشرب منها ثم ...))	١٣٠
٦٧.	((بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش، فوجد بئرا فنزل فيها، ...))	١٥٤
٦٨.	((بينما رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، وامرأة من الأنصار.. قال: خذوا ...))	١٢٩
٦٩.	((بينما نحن في سفر إذ جاء رجل على راحلة له فجعل.. فقال رسول الله من كان معه فضل ...))	١٠٩
٧٠.	((تعبد الله ولا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة، وتؤتي ...))	٦٥
٧١.	((تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك))	٤١٠
٧٢.	((تهادوا تحابوا))	٣٩٤،١٦٧
٧٣.	((تهادوا فإن الهدية تذهب وجر الصدور))	١٦٧
٧٤.	((ثلاث دعوات لا ترد؛ دعوة الوالد، ودعوة الصائم، ...))	١٩٥،١٩٠
٧٥.	((ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن؛ دعوة المظلوم، ودعوة ...))	١٩٠
٧٦.	((ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان أن يكون الله ...))	١٥٩
٧٧.	((ثلاثة يصفين لك ود أخيك تسلم عليه إذا لقيته، وتوسع له في المجلس ...))	٣٩٥
٧٨.	((جاء أعربي إلى النبي ﷺ فقال: تقبلون الصبيان ...))	١٤٧
٧٩.	((جاءت امرأة للنبي ﷺ، فقالت: يا رسول الله ما حق الزوج على زوجته؟ ...))	٥٦
٨٠.	((حبب إلي النساء والطيب))	١٦٠
٨١.	((حتى إذا أتيا أهل قرية لئاما فأبوا أن يضيفوهما، ...))	٣٦٥
٨٢.	((حسبك من نساء العالمين؛ مريم بنت عمران، وآسية امرأة ...))	٢٧١
٨٣.	((حق المسلم على المسلم ست. قيل: ما هن يا رسول الله ...))	٣٧٧،١٧٩
٨٤.	((حق المسلم على المسلم خمس؛ رد السلام وعبادة المريض واتباع الجنائز ...))	٣٧٧،٩٥
٨٥.	((خرج رسول الله ﷺ في أضحى أو فطر إلى المصلى ...))	٢٤
٨٦.	((خرج النبي ﷺ إلى البطحاء... فقال: يا صباحاه ...))	٢٧٤
٨٧.	((خير الرفقاء أربعة))	١٣
٨٨.	((خير النساء التي إذا نظرت إليها سرتك وإذا أمرتها أطاعتك وإذا ...))	٥٧

م	طرف الحديث	الصفحة
٨٩.	((خير النساء من تسرك إذا أبصرت، وتطيعك إذا ...))	٥٥
٩٠.	((خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي))	٤٨
٩١.	((الدعاء هو العبادة ثم قرأ ...))	١٨٧
٩٢.	((الدنيا متاع، وخير متاعها المرأة الصالحة))	٦٠
٩٣.	((الدين النصيحة. قلنا لمن؟ قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة ...))	١٨٣، ١٧٨
٩٤.	((رأيت رسول الله ﷺ مر في سوق ذي الحجاز.. ويقول: ((يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله...))	٢٧٢
٩٥.	((الراكب شيطان والراكبان شيطانان والثلاثة ركب))	١٠٦
٩٦.	((الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخال))	١٣٥
٩٧.	((رحمة الله علينا وعلى موسى لولا أنه عجل لرأى العجب ولكنه ...))	٣٦٥
٩٨.	((الرؤيا على رجل طائر ما لم تعبر، فإذا عبرت وقعت))	٣٢٠
٩٩.	((سألت النبي ﷺ أي العمل أفضل؟ قال: الصلاة على وقتها...))	٣٠
١٠٠.	((سئل أي الإسلام خير؟ فقال: تطعم الطعام وتقرأ السلام ...))	٣٧٨
١٠١.	((سئل أي الذنب أعظم؟ قال: أن تجعل لله ندا وهو خلقك...))	٩٩
١٠٢.	((سئل أي الصدقة أعظم؟ قال: أن تصدق وأنت ...))	٦٧
١٠٣.	((سئل أي الناس أحب إليك؟ قال: عائشة))	١٦٣
١٠٤.	((سئل ﷺ عن المرأة تقوم الليل... فقال: لا خير فيها هي من أهل النار...))	٩٦
١٠٥.	((سئل ﷺ عن المرأة تصلي المكتوبة... فقال: هي من أهل الجنة))	٩٧
١٠٦.	((سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله...))	٤٢٤، ٣٠٨، ١٦٨
١٠٧.	((السفر قطعة من العذاب، يمنع أحدكم طعامه وشرابه ونومه، ...))	١٠٧
١٠٨.	((الصدقة على المسكين صدقة، وهي على ذي الرحم اثنان صدقة وصل))	٦٦
١٠٩.	((عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذاك لأحد إلا ...))	٢٩٤، ١٧٠
١١٠.	((عرفة كلها موقف وارتفعوا عن بطن عرنة، والمزدلفة كلها موقف ...))	٢٦١
١١١.	((العلماء ورثة الأنبياء))	٣٧٠
١١٢.	((عندما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ فوجد ...))	٢١٢، ١٤١
١١٣.	((عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ))	٧٩
١١٤.	((فارتدا على آثارهما قصصاً، فوجدنا عبدنا خضراً فكان من شأنهما ...))	٣٥٦
١١٥.	((فاظفر بذات الدين تربت يداك))	١٣٩
١١٦.	((فانطلقا بمشيان على ساحل البحر، فمرت سفينة فكلموهم أن يحملوهم ...))	٣٦٣
١١٧.	((فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد))	٢٧٤
١١٨.	((فرجعا يقصان أثرهما حتى انتهيا إلى الصخرة، فإذا رجل مسحّي ...))	٣٥٥

م	طرف الحديث	الصفحة
١١٩.	((فكان للحوث سربا ولموسى وفتناه عجبا...))	٣٥٣
١٢٠.	((فليحسن إلى جاره))	٩٤
١٢١.	((قال الغلام الذي قتله الخضر طبع يوم طبع كافرا ولو عاش ...))	٣٦٧
١٢٢.	((قال: لي رسول الله ﷺ يا أبا ذرّ إذا طبخت مرقة فأكثر ...))	٩٦
١٢٣.	((قالت: يا رسول الله إن أبا سفيان رجل شحيح، ...))	٤٧
١٢٤.	((قالت: يا رسول الله، إن أُمّي قدمت عليّ وهي راغبة أفأصلها ...))	٧١،٣٦
١٢٥.	((قلت: يا رسول الله، ما حق زوجة أحدنا عليه؟ قال: أن تُطعمها إذا طعمت، ...))	٤٦
١٢٦.	((قبل الحسن بن علي بوكان عنده الأقرع بن حابس ...))	١٤٧
١٢٧.	((قدم على النبي ﷺ سبي، فإذا امرأة من السبي تحلب ثديها تسعى إذ وجدت ...))	١٤٦
١٢٨.	((كان لا يجظى رسول الله ﷺ أن يأتي بيت أبي بكر أحد طرفي ...))	٢١٦
١٢٩.	((كانت الأولى من موسى نسياناً))	٣٦٣
١٣٠.	((الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن ...))	٣١٦
١٣١.	((كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه))	٧٥
١٣٢.	((كلكم راع وكلكم مستول عن رعيتيه))	١٨١
١٣٣.	((كمل من الرجال كثير. ولم يكمل من النساء إلا آسية ...))	٢٧١،١٤٠
١٣٤.	((كنا عند النبي ﷺ جلوسا فجاءته امرأة تعرض نفسها...))	٤٥
١٣٥.	((كنا مع رسول الله ﷺ فارتفعت ريح منتنه، فقال رسول الله ﷺ أتدرون ما هذه الريح ...))	٣٨٤
١٣٦.	((كنت ألب بالبنات عند النبي ﷺ، وكان لي صواحب يلعبن معي ...))	٥٠
١٣٧.	((كنت أنا ورسول الله ﷺ، في سفر فتقدم أصحابه، ...))	٤٨
١٣٨.	((لا ألقاك خارجا من مكة إلا علوت رأسك بالسيف))	٤٢٩
١٣٩.	((لا تصدق بشيء من بيته إلا بإذنه، فإن فعلت كان ...))	٥٦
١٤٠.	((لا تجد امرأة حلاوة الإيمان حتى تؤدي حق زوجها ولو سألها ...))	٥٦
١٤١.	((لا تحسسوا ولا تحسسوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تباغضوا وكونوا ...))	٣٨٩،٣٨٧
١٤٢.	((لا تخرج من بيتها إلا بإذنه، فإن فعلت لعنتها ملائكة ...))	٥٦
١٤٣.	((لا تدخلوا على هؤلاء المعذنين، إلا أن تكونوا باكين ...))	٢٣٦
١٤٤.	((لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا ...))	٣٧٧
١٤٥.	((لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد؛ المسجد الحرام، ...))	١٠٥
١٤٦.	((لا تصاحب إلا مؤمنا ولا يأكل طعامك إلا تقي))	١٣٥
١٤٧.	((لا تصحبنا ناقة عليها لعنة))	١٢٩
١٤٨.	((لا تصوم المرأة وبعها شاهد إلا بإذنه))	٥٦

م	طرف الحديث	الصفحة
١٤٩.	((لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه))	٤١١،٩٤
١٥٠.	((لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة))	١١٧
١٥١.	((لا يفرِّك مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقاً رضي منها آخر))	٥٠
١٥٢.	((لا يؤمن أحدكم حتى يكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين))	١٥٨
١٥٣.	((لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه...))	٤٠٨،١٨٤،١٥٩ ٤١٠
١٥٤.	((لأن يزني الرجل بعشر نساء أسير عليه من أن يزني بامرأة جاره))	٩٧
١٥٥.	((لأن يسرق الرجل من عشرة أبيات أسير من أن يسرق من ...))	٩٧
١٥٦.	((لا يرد القضاء إلا الدعاء))	١٨٨
١٥٧.	((اللهم إني أسألك خيراً وخير ما جبلتها عليه، وأعوذ بك ...))	١٩٥،١٩٢
١٥٨.	((لما نزل رسول الله ﷺ بالناس على تبوك... وقال: إني أخشى أن يصيبكم...))	٢٣٦
١٥٩.	((لما نزلت (تبت يدأ أبي لهب وتب) جاءت امرأة أبي لهب ...))	٢٧٦
١٦٠.	((لو أن أحدهم إذا أراد أن يأتي أهله قال باسم الله ...))	١٩٢
١٦١.	((لو كنت متخذاً خليلاً لا تتخذت أبا بكر خليلاً ولكنه أخي وصاحبي))	٢٣
١٦٢.	((لو وزن إيمان أبي بكر مع إيمان جميع الخلق لرجح إيمان ...))	٢١٤
١٦٣.	((لو يعلم الناس ما في الوحدة ما أعلم ما سار ركب ...))	٣٥٤،١٠٥
١٦٤.	((لو كنت امرأةً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها ...))	٥٤
١٦٥.	((ليدخلن الجنة بشفاعة رجل من أمتي ، أكثر من بني تميم))	٤٢٣
١٦٦.	((ليس الواصل بالملكافي ، ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمة وصلها))	٧١
١٦٧.	((ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويعرف قدر كبيرنا))	١٥٢
١٦٨.	((ما أبدلني الله خيراً منها، آمنت بي إذ كفر بي ...))	٦٠
١٦٩.	((ما أطيبك من بلدة، وأحبك إلي ولولا أن قومك أخرجوني ...))	١١٣،١٠٢
١٧٠.	((ما أغنيت عن عمك،... قال: هو في ضحضاح ...))	٢١٣
١٧١.	((ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم))	٢٥١
١٧٢.	((ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء))	٣٠٧
١٧٣.	((ما تواضع أحد لله إلا رفعه الله))	٣٨٢
١٧٤.	((ما خلأت القصواء وما ذاك لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل))	٢٦١
١٧٥.	((ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلا كانت فيه عنده كبوة ونظر ...))	٢١٣
١٧٦.	((ما زاد الله رجلاً بغفو إلا عزاء))	٣٨١
١٧٧.	((ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه))	٩٤
١٧٨.	((ما كان الرفق في شيء إلا زانه))	١١

م	طرف الحديث	الصفحة
١٧٩.	((ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة ...))	١٨٨
١٨٠.	((ما من عبد مسلم يدعو لأخيه بظهر الغيب إلا قال الملك ولك ...))	٣٩٩،١٩٤
١٨١.	((مثل الجليس الصالح والسوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل ...))	٤٠٣
١٨٢.	((مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذ اشتكى منه ...))	١٥٣،١٣٦
١٨٣.	((مر النبي ﷺ على قبرين فقال: إنهما ليعذبان وما يعذبان من كبير ...))	٣٨٥
١٨٤.	((المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل))	٤١٠،٤٠٣،١٦
١٨٥.	((مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم ...))	١٥٠
١٨٦.	((المسلم أخو المسلم لا يظلمه، ولا يسلمه، ومن كان ...))	١٦٧
١٨٧.	((من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ في أثره فليصل رحمه))	٦٥
١٨٨.	((من أحب الله وأبغض الله ومنع الله فقد استكمل الإيمان))	١٥٩
١٨٩.	((من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد))	٧٨
١٩٠.	((من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: أمك ...))	٣١
١٩١.	((من أحق الناس بحسن الصحبة؟ قال: أمك ثم أمك ...))	٦٩
١٩٢.	((من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة))	١٠٣
١٩٣.	((من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب))	٢٦٣
١٩٤.	((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره))	٩٦
١٩٥.	((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه))	٦٥
١٩٦.	((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره))	١٥٢،٩٤
١٩٧.	((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه))	٣٦٥
١٩٨.	((المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً))	١٥٣
١٩٩.	((المؤمن مرآة المؤمن))	٣٩٧
٢٠٠.	((نهي رسول الله ﷺ، أن يطرق الرجل أهله ليلاً يخوفهم أو ...))	١٧١
٢٠١.	((نهي رسول الله ﷺ المسلمين عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف ...))	٤٠٧
٢٠٢.	((هل بقي علي من بر أبي شيء أبرهما به بعد موتهما قال: نعم ...))	١٣٧،٣٤
٢٠٣.	((واستوصوا بالنساء خيراً؛ فإنهن خلقن من ضلع، وإن أعوج ...))	٥٩
٢٠٤.	((والذي نفسي بيده لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه))	٩٤
٢٠٥.	((والذي يخلف به لو أقر فرعون أن يكون قررة عين له ...))	٢٦٨
٢٠٦.	((والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه))	٣٩٤
٢٠٧.	((والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن ...))	١٧٥،٩٦،٩٤
٢٠٨.	((وإن لكم عليهن ألا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه، فإن فعلن ...))	٥٦،٥٣
٢٠٩.	((وجبت محبتي للمتحابين في ...))	١٦٨

م	طرف الحديث	الصفحة
.٢١٠	((ورأيت النار فإذا أكثر أهلها النساء، يكفرن العشير و ...))	٥٩
.٢١١	((ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته))	٣٩٤,١٦٧
.٢١٢	((يا أبا بكر لا تبك إن أمنّ الناس علي في صحبتته ...))	٢١٧
.٢١٣	((يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما))	٢١٧
.٢١٤	((يا أيها الناس اسمعوا و اعقلوا واعلموا أن الله عز وجل ...))	٤٢٥
.٢١٥	((يا أيها الناس أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا الأرحام وصلوا والناس ...))	٣٧٧
.٢١٦	((يا أيها الناس ألا أنبئكم بخياركم؟ قالوا: بلى. قال: الذين إذ رؤوا ذكر الله ...))	٣٨٥
.٢١٧	((يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني و القمر في ...))	٢١١
.٢١٨	((يا نساء المسلمات لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاه))	٩٩
.٢١٩	((يرحم الله موسى لو كان صبر لقص علينا من أمرهما))	٣٦٥
.٢٢٠	((يقول الله تعالى أنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسما من ...))	١٥١,٦٤

فهرس الآثار

الصفحة	القائل	الأثر
١٧٦	أبو أيوب الأنصاري وزوجته	(أما تسمع ما يقول الناس في عائشة؟ قال: نعم وذلك كذب...)
٤٢٠	ابن عباس	(إن الله يرفع ذرية المؤمن في درجته وإن كانوا دونه في العمل)
٤٨	ابن عباس	(إني أحب أن أتزين لامرأتي كما أحب أن تتزين لي)
٣٩٣	ابن عمر	(أهدي لرجل من أصحاب رسول الله ﷺ رأس شاة فقال: أخي فلان أحوج مني...)
٢١٤	علي بن أبي طالب	(أيها الناس أخبروني من أشجع الناس؟ قالوا: أنت، قال: أما إني ما بارزت أحد إلا وانتصفت منه...)
٣٩٥	ابن عباس	(الجليس على ثلاثة؛ أن أرمية بطرفي إذا أقبل، وأن أوسع له...)
٣٥٤	أنس بن مالك	(خدمت النبي ﷺ عشر سنين والله ما قال لي أف قط...)
٤٢٩، ٤٢١، ١٣٥	علي بن أبي طالب	(خليلان مؤمنان وخليلان كافران، فمات أحد المؤمنين...)
٣٩٥	علي بن أبي طالب	(شر الأصدقاء من تكلف لك، ومن أحوجك إلى مداراة وألجأك إلى اعتذار)
٣٩٢	ابن عباس	(الصديق أكبر من الوالدين)
١٩	ابن عباس	(الصديق أوكد من القرابة...)
٤٢٢	علي بن أبي طالب	(عليكم بالإخوان فإنهم عدة في الدنيا والآخرة)
٣٨٦	أبو جبيرة بن الضحاك	(فيما نزلت في بني سلمه) ولا تنابزوا بالألقاب) قال: قدم النبي ﷺ المدينة وليس فينا رجل إلا وله اسما...)
٣١	ابن عمر	(لا ولا بطلقة واحدة ولكنك أحسنت والله يشيك...)
٣٩٤	أنس بن مالك	(لما قدموا المدينة نزل المهاجرون على الأنصار...)
٤٢	ابن عباس	(المودة: حب الرجل امرأته، والرحمة: رحمته إياها أن)

الصفحة	القائل	الأثر
		يصيبها بسوء)
٢٢٥	ابن عباس	(ما بغت امرأة نبي قط)
٢٢٥	ابن عباس	(نساء الأنبياء معصومات..)
٢٤٦	ابن عباس	(نصح قومه في حياته بقوله: (يقوم اتبعوا المرسلين) وبعد مماته بقوله: (باليت قومي يعلمون)
١٠٤	عمر ابن الخطاب	(هل صحبته في السفر الذي يستدل به على مكارم الأخلاق؟ قال: لا فقال: ما صحبته)
٣٥	سعد بن أبي وقاص	(يا أماه لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفساً نفساً ما تركت ديني هذا...)
١٣٠	أبوبكر الصديق	(يا أيها الناس قفوا أوصيكم بعشر فاحفظوها عني؛ لا تخونوا ولا...)
٤٢٣	ابن عباس	(يشفعهم في إخوانهم فيدخلهم الجنة معهم)

فهرس الأعلام

م	العلم	الصفحة
٠١	آزر	١٩٨, ١٨٠
٠٢	آسية بنت مزاحم	٤٣٦, ٢٧٧, ٢٧١, ٢٦٠, ٢٦٩, ٢٦٧, ١٤٠
٠٣	إبراهيم بن محمد=الزجاج	١٦
٠٤	أبرهة	٢٦٥, ٢٦٤, ٢٦١, ٢٦٠, ٢٥٩, ٢٥٨
٠٥	أبو بكر الصديق <small>رضي الله عنه</small>	٢١٣, ١٤٢, ١٣٠, ١١٥, ١٠٩, ١٠٢, ٧١ ٣٩٤, ٢٧٦, ٢١٩, ٢١٨, ٢١٧, ٢١٦, ٢١٥, ٢١٤
٠٦	أبي بن خلف	٤٢٩
٠٧	أبي بن كعب <small>رضي الله عنه</small>	٣٦٣, ٣٤٨
٠٨	أحمد بن علي=ابن حجر	٣٧٩, ١٨٨, ١٠٧
٠٩	أحمد ابن فارس	٢٥, ٢١, ٤
٠١٠	أحمد بن محمد=الإسفرائيني	٨
٠١١	أروى بنت حرب= أم جميل	٢٧٦, ٢٧٣, ٢٧١
٠١٢	أسماء بنت أبي بكر <small>رضي الله عنها</small>	٢١٦, ٧٠, ٣٦
٠١٣	الأقرع بن حابس <small>رضي الله عنه</small>	١٤٧
٠١٤	أنس بن مالك <small>رضي الله عنه</small>	٣٩٤, ٣٥٤, ١٥٣
٠١٥	بدر الدين أبو البركات الغزي	٩٨
٠١٦	جابر بن عبد الله <small>رضي الله عنه</small>	٣٨٤, ١٧٩, ١٠٤, ٤٦
٠١٧	جعفر الصادق	٣٩٢
٠١٨	جندب بن جنادة=أبو ذرّ الغفاري	٩٦
٠١٩	أبو جبيرة بن الضحاك <small>رضي الله عنه</small>	٣٨٦
٠٢٠	حسين بن محمد=الراغب	٢٢٥, ٢٣, ٢٠, ١٨, ١٤, ٦, ٥
٠٢١	خالد بن زيدأبو أيوب الأنصاري	٢٠٣, ١٧٦, ٨٩
٠٢٢	خديجة بنت خويلد <small>رضي الله عنها</small>	٢٧١, ١٦٣, ١٤٠, ٦٠

م	العلم	الصفحة
٢٣	خويلد بن خالد=أبو ذويب الهذلي	٦
٢٤	رقية <small>رضي الله عنها</small>	٢٧٦
٢٥	أبو رغال	٢٦٥, ٢٥٩
٢٦	سعد بن أبي وقاص <small>رضي الله عنه</small>	٣٥
٢٧	سعد بن مالك=أبو سعيد الخدري	١٠٩, ٣٤
٢٨	سعيد بن المسيب	٢٧٥
٢٩	سلمان الفارسي <small>رضي الله عنه</small>	٤٣٦, ١٨٤
٣٠	سلمى بنت رائطة=أم مسطح	١٧٣
٣١	سهل بن سعد <small>رضي الله عنه</small>	٤٥
٣٢	أبو سفيان ابن حرب <small>رضي الله عنه</small>	٢٧٣
٣٣	أم سلمة <small>رضي الله عنها</small>	١٨٢
٣٤	صفوان بن المعطل <small>رضي الله عنه</small>	١٧٤, ١٧٣
٣٥	طارق المحاربي <small>رضي الله عنه</small>	٢٧٢
٣٦	أبو طالب	٢١٠, ١٩٨, ١٦٤, ١٤٢, ١٤٠, ٧٠ ٤١٣, ٢١٨, ٢١٤, ٢١٢, ٢١١
٣٧	عائشة <small>رضي الله عنها</small>	١٧٦, ١٧٤, ١٧٣, ١٦٣, ١٤٧, ٨٩, ٥٠, ٤٨, ٢٥ ٢١٦, ٢٠٣
٣٨	عماد الدين إسماعيل ابن كثير	٢٨٣, ٢٥٣, ٢٣٩, ٢٢٧, ٤٨, ٤٦ ٣٩١, ٣٣٤, ٣١١
٣٩	عامر بن شراحيل الشعبي	١٠٤
٤٠	العباس ابن عبد المطلب <small>رضي الله عنه</small>	٢١٢
٤١	عبد الحق بن غالب ابن عطية	٤٢٣, ٣٦٠, ٢٤١, ٦٧, ٦٤, ٣٦, ٢٠, ٧
٤٢	عبد السلام ابن تيمية	١٥٦, ٥٥
٤٣	عبد الرحمن بن سعدي	٤١٧, ٣٩٨, ٣٣٢, ٣٠٧, ١٨٤, ١٨٣, ١٤٣
٤٤	عبد الرحمن بن صخر=أبو هريرة	٣٩٦, ٣٩٣
٤٥	عبد الرحمن بن علي=ابن الجوزي	٢٥٣, ٧

م	العلم	الصفحة
٤٦	عبد الله بن أبي أمية	٢١٨, ٢١٢, ١٤١
٤٧	عبد الله ابن عباس <small>رضي الله عنهما</small>	٢٢٥, ٢٢٣, ٩٣, ٥٦, ٥٠, ٤٨, ٤٢, ٣٩, ١٩, ١٤ ٣٨٥, ٢٧٦, ٢٦٩, ٢٥٢, ٢٤٦ ٤٢٠, ٣٩٥, ٣٩٢
٤٨	عبد الله ابن عمر <small>رضي الله عنهما</small>	٣٩٣, ١٣٥, ١٠٩, ٥٦, ٣١
٤٩	عبد الله بن مسعود <small>رضي الله عنه</small>	٢٤٥, ٣٠
٥٠	عبد المطلب	٢٧١, ٢٦٥, ٢٦٠, ٢١٢, ٢١٠, ١٤١
٥١	عتبة بن أبي لهب	٢٧٢
٥٢	عتيبة بن أبي لهب	٢٧٢
٥٣	عثمان بن عفان <small>رضي الله عنه</small>	١٤٢, ١١٦
٥٤	عقبة بن أبي معيط	٤٢٩, ١٩٨
٥٥	علي بن أبي طالب <small>رضي الله عنه</small>	٤٢٤, ٤٢١, ٣٩٥, ٢١٤, ١٤٠, ١٣٥, ١١١, ٤٢٩
٥٦	علي بن الحسين	٣٩٣
٥٧	عمار بن ياسر <small>رضي الله عنه</small>	٨٨, ٢٥
٥٨	عمر ابن الخطاب <small>رضي الله عنه</small>	١٤٦, ١٤٢, ١١٥, ١٠٤
٥٩	عمران بن حصين <small>رضي الله عنه</small>	١٢٩
٦٠	عمرو بن هشام = أبو جهل	٢١٢, ١٤١
٦١	ابن العربي	٣٩٢
٦٢	قارون	٢٠٤
٦٣	قتادة	٤٢٢, ٣٥٠, ٣٤٠, ٢٤٦, ٢٣٩
٦٤	قذار بن سالف	٢٣٣
٦٥	كعب بن مالك <small>رضي الله عنه</small>	٤٠٧
٦٦	أم كلثوم <small>رضي الله عنها</small>	٢٧٢
٦٧	الحسن بن علي	١٤٧
٦٨	الحسن بن يسار البصري	٤٢٣, ٣٩٣, ٩٧, ٣٣
٦٩	مجاهد بن جبر	١١٠, ١٠٩, ٩٣, ٢٥

الصفحة	العلم	م
١٧٤	مسطح بن أثانة	.٧٠
٣٨٧,٣٣٤,٢٢٦,١١٥,٩٢,٦٤,٣٣	محمد بن أحمد القرطي	.٧١
٢١٥,١٠٦,٩٣,٩٢,٤٨,٢٥,١٦,١٤ ٤٣٣,٣١٥,٢٧٥	محمد ابن جرير الطبري	.٧٢
٤٣٢,٤١,١٢	محمد بن عمر الرازي	.٧٣
٤٢٣,٣٩٥,٣٩٣,١٠١,٩٧,٥٨,٤٩,٨	محمد بن محمد الغزالي	.٧٤
٢٧١,٢٤٢,١٩	محمود بن عمر الزمخشري	.٧٥
٢٥٨	النجاشي	.٧٦
٤٧	هند بنت عتبة <small>رضي الله عنها</small>	.٧٧
١٠٧,١٠٦,٦٩	يحيى بن شرف = النوي	.٧٨
٣٥٠,٣٤٩	يوشع بن نون	.٧٩

فهرس الأماكن والبلدان

م	المكان	الصفحة
.١	الأرض المباركة	٢٢١,١٠٢
.٢	أنطاكية	٢٣٩,٢٣٨
.٣	بابل	٢٢١
.٤	تبوك	٤٠٦,٢٣٥,٢١٥
.٥	الحيشة	٢٦٥,٢٥٩,٢٥٨,١٠٢
.٦	الحجر	٢٣٥,٢٣٤,٢٢٩
.٧	سدوم	٢٢١
.٨	الشام	٢٦١,١٣٠,١٠٤
.٩	صنعاء	٢٥٨,٢٥٢
.١٠	الطائف	٢٥٩,١٢٥
.١١	المدينة	٣٩٤,٣٨٦,٢٥١,١٧٣,١١٣,١٠٤,١٠٢
.١٢	مصر	٢٩٤,٢٩٣,٢٩١,٢٨٩,٢٨٨,٢٨٢,٢٧٩,٢٦٨,١٨٣,١٠٤,١٧ ٤٣٦,٣١٢,٣٠٩,٣٠٨,٣٠٣,٣٠١,٢٩٩,٢٩٦
.١٣	المُعَمَّس	٢٦٠
.١٤	مكة المكرمة	٢١٦,٢١٤,٢١١,٢٠٤,١٩٣,١٢٧,١٢١,١١٢,١٠٢,٩٧,٧١,٣٧ ٢٥٩,٢٥٨,٢٥١,٢٥٠,٢٤٢,٢٣٧ ٤٢٩,٢٩٨,٢٦٦,٢٦٢,٢٦١,٢٦٠
.١٥	اليمن	٢٦١,٢٥٩,٢٥٨,١٠٤

فهرس الأبيات الشعرية

م	البيت	الصفحة
١	على أنّها كانتْ تأوّلُ حُبّها	٥
٢	إن لك الفضل على صحبتي	٥
٣	أما والذي لو شاء لم يخلق النوى	٦
٤	يرعى بروض الحزن من أبه	٦
٥	وأغضُّ طرفي ما بدت لي جارتي	٩٨
٦	وإني لأحمي الجار من كل ذلة	٩٨
٧	تعرّب عن الأوطان في طلب العلى	١١١
٨	وظلم ذوي القربى أشدّ مضاضةً	٢٨٥
٩	عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه	٤٠٢، ٢٢
١٠	إذا كنت في قوم فصاحب خيارهم	٤٠٩
١١	إذا ما أتت من صاحب لك زلة	٣٨٠
١٢	وما المرء إلا كالشهاب وضوئه	٢٤٧
١٣	فلا زلن حسرى ظلعاً لم حملتها	١٨
١٤	فاعجل بعرب مثل غرب طارق	١٨
١٥	كأن لم نقاتل يا بئين لوأنتها	١٨
١٦	صرفت الهوى عنهن من خشية الردى	١٥
١٧	قد تخللت مسلك الروح مني	١٦
١٨	فلا تصحب أخا الجهل	٤٠٣، ٢٠٠

ثبت المصادر والمراجع

- أ -

- أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، صديق بن حسن القنوجي، تحقيق: عبد الجبار زكار، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٨م.
- أبو لهب وامراته حمالة الخطب دراسة موضوعية لسورة المسد، أحمد زكي حماد، دار القلم، دمشق، ط: الأولى، ١٤٢١هـ.
- الأتباع والمتبعين في القرآن، الدكتور: صلاح الخالدي، دار المنار، عمان، الأردن، ط: الأولى، ١٤١٧هـ.
- إتخاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الغني الدمياطي، تحقيق: أنس مهرة، دار الكتب العلمية، لبنان، ط: الأولى، ١٤١٩هـ.
- أحكام القرآن، أحمد بن علي الرازي الجصاص أبي بكر، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ.
- إحياء علوم الدين، محمد بن محمد الغزالي أبي حامد، دار المعرفة، بيروت، دار الكتاب العربي، بيروت، ط: الأولى، ١٤٢٥هـ.
- أخلاق المسلم، الدكتور: وهبة الزحيلي، دار الفكر بيروت، ط: الأولى ١٤٢٣هـ.
- الأخلاق في ضوء القرآن والسنة، الدكتور: أحمد عمر هاشم.
- الأخوات المسلمات وبناء الأسرة القرآنية، محمد خيال، ومحمود الجوهري، دار الدعوة مصر، ط: ١، ١٤٠٠هـ.
- الأخوة الإسلامية وآثارها، عبد الله الجار الله، مكتبة ابن الجوزي، ط: الثانية ١٤٠٨هـ.
- الأخوة الإسلامية، عبد الله ناصح علون، دار البشير للثقافة والعلوم، طنطا، مصر، ط: الثالثة، ١٩٩٧م.
- أدب الدنيا والدين، أبو الحسن علي بن محمد البصري، البغدادي، الشهير بالماوردي، المتوفي: ٤٥٠هـ. د. ن.

- الآداب الشرعية والمنح المرعية، لأبي عبد الله محمد بن مفلح المقدسي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط و عمر القيام، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: الثانية، ١٤١٧ هـ.
- آداب العشرة وذكر الصحبة والأخوة، بدر الدين محمد الغزي، تحقيق: علي حسن عبد الحميد، المكتب الإسلامي: بيروت، دار عمارة، عمان، ط: الأولى ١٤٠٧ هـ.
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، لأبي السعود محمد بن محمد العمادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- أسد الغابة، ابن الأثير، تحقيق: عادل الرفاعي، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان ط: الأولى، ١٤١٧ هـ.
- الأسرة المثلى في ضوء القرآن والسنة، د: عمارة نجيب، مكتبة المعارج، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط: الأولى، ١٤٠٠ هـ.
- الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، محمد البجاوي، دار الجليل، بيروت، ١٤١٢ هـ.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٤١٥ هـ.
- أعلام النبوة، تأليف: أبو الحسن علي بن محمد الماوردي الشافعي، دار النشر: دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان - ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي.
- إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجليل، بيروت، ١٩٧٣ م.
- الأعلام للزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد الزركلي .
- إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ابن القيم، تحقيق: محمد حامد الفقي دار المعرفة، بيروت، ط: الثانية، ١٣٩٥ هـ.
- الأمثال في القرآن الكريم، ابن قيم الجوزية، تحقيق: إبراهيم محمد، مكتبة الصحابة، طنطا، مصر، ط: الأولى، ١٤٠٦ هـ.

- الأخلاق في الشريعة الإسلامية، أحمد عليان ، ط: ١٤٢٠هـ.

- ب -

- البحر الزحار، لأبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، مؤسسة علوم القرآن ، مكتبة العلوم والحكم ، بيروت ، المدينة ، ط: الأولى، ١٤٠٩هـ.

- البداية والنهاية، لإسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبي الفداء، مكتبة المعارف ، بيروت.

- البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير، عمر بن علي ابن الملقن، تحقيق: مصطفى أبو الغيط عبد الحي ، دار الهجرة ، السعودية ، ط: الأولى ، ١٤٢٥هـ.

- بر الوالدين، الشيخ عبد الحميد كشك، المختار الإسلامي، القاهرة.

- البر والصلة (عن ابن المبارك وغيره)، الحسين بن الحسن بن حرب أبو عبد الله المروزي، تحقيق: د. محمد سعيد بخاري، دار الوطن ، الرياض، ط: الأولى، ١٤١٩هـ.

- بصائر ذوي التمييز ، الفيروزبادي، المكتبة العلمية، بيروت، د.ن.

- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين السيوطي، دار عيسى الحلبي، القاهرة، ط: الأولى، ١٣٨٤هـ.

- بهجة قلوب الأبرار، الشيخ عبد الرحمن السعدي، دار الفتح:الشارقة ، الإمارات العربية المتحدة، ط: الأولى: ١٤١٥هـ.

- البيت السعيد وخلاف الزوجين، صالح بن عبد الله بن حميد، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية، ط: الثانية ١٤٢٣هـ.

- ت -

- تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل، أبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي، تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري، دار الفكر ، بيروت، ١٩٩٥م.

- تاريخ الطبري، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية ، بيروت.

- التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت ، لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٠هـ.

- تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذى، محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المبار كفورى أبى العلاء، دار الكتب العلمىة ، بىروت.
- تذكرة الحفاظ، أبى عبد الله شمس الدين محمد الذهبى، دار الكتب العلمىة ، بىروت، الطبعة: الأولى.
- التعريفات، على بن محمد بن على الجرجانى، تحقيق: إبراهيم الأييارى، دار الكتاب العربى، بىروت، ط: الأولى، ١٤٠٥هـ.
- تعلم الحىاة مع قصص سورة الكهف، يزن أحمد عبده، دار العلوم، عمان، الأردن، ط: الأولى، ٢٠٠٥م.
- تفسير الفخر الرازى، المشتهر بالتفسير الكبىر أو مفاتيح الغيب، فخر الدين محمد الرازى، دار الكتب العلمىة ، بىروت، ط: الأولى، ١٤٢١هـ .
- تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثرى دمشقى أبى الفداء، دار الفكر، بىروت، لبنان، ط: الأولى، ١٤١٨هـ.
- تفسير البغوى، البغوى، تحقيق: خالد عبد الرحمن العك، دار المعرفة ، بىروت.
- تفسير البىضاوى، البىضاوى، دار الفكر ، بىروت.
- تيسير الكرىم الرحمن فى تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدى، مؤسسة الرسالة، بىروت، ط: التاسعة، ١٤١٨هـ.
- تفسير السمرقندى المسمى بحر العلوم، نصر بن محمد بن أحمد أبى اللىث السمرقندى، تحقيق: د. محمود مطر جى، دار الفكر ، بىروت.
- تفسير البحر المحىط، محمد بن يوسف الشهىر بأبى حىان الأندلسى، تحقيق: الشىخ عادل أحمد عبد الموجود، وآخرون، دار الكتب العلمىة ، لبنان، بىروت، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ .
- تلقىح فهوم أهل الأثر فى عىون التارىخ والسىر، جمال الدين أبى الفرج عبد الرحمن ابن الجوزى، شركة دار الأرقم بن أبى الأرقم ، بىروت، ط: الأولى، ١٩٩٧م.
- التمهىد لما فى الموطأ من المعانى والأسانىد، أبى عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوى، محمد عبد الكبىر البكرى، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامىة، المغرب، ١٣٨٧هـ.

- تهذيب اللغة ، أبي منصور محمد بن أحمد الأزهرى ، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربى، بيروت، ط: الأولى، ٢٠٠١م.
- التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوى، تحقيق: محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر ، دار الفكر، بيروت، دمشق، الطبعة: الأولى ١٤١٠هـ.

- ج -

- الجار حقوقه وواجباته، أحمد السيد ويوسف بديوى، دار الكلم الطيب، دمشق ، بيروت، ط: ١٤١٧هـ.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري أبي جعفر، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠٥هـ.
- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، تأليف: زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي، دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، الطبعة: السابعة، تحقيق: شعيب الأرنؤوط / إبراهيم باجس
- الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق، عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط: الأولى ١٤١٨هـ.
- الجامع الصحيح (صحيح البخاري)، محمد بن إسماعيل أبي عبد الله البخاري ، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير ، اليمامة ، بيروت ، ط: الثالثة، ١٤٠٧هـ.
- الجامع الصحيح سنن الترمذي، محمد بن عيسى أبي عيسى الترمذي السلمي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، لابن رجب الحنبلي، زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، إبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط: السابعة، ١٤١٧هـ .
- الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم، محمد بن فتوح الحميدي، تحقيق: د. علي حسين البواب، دار ابن حزم ، لبنان، بيروت ، ط: الثانية ١٤٢٣هـ .
- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (الداء والدواء)، ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية ، بيروت.

- الجواهر الحسان في تفسير القرآن، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، : مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت.

- ح -

- الحب والبغض في القرآن، مها الجار الله، دار ابن حزم، بيروت ، ط: ١، ١٤٢٢هـ .
- الحجة في القراءات السبع، تأليف: الحسين بن أحمد بن خالويه أبو عبد الله، دار النشر: دار الشروق - بيروت - ١٤٠١، الطبعة: الرابعة، تحقيق: د. عبد العال سالم مكرم.
- حقوق دعت إليها الفطرة وقررتها الشريعة، الشيخ: محمد بن صالح العثيمين، إصدارات الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، د. ن. ود، ت.

- د -

- الدر المنثور، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٣م.
- دستور الأسرة في ظلال القرآن، أحمد فائز، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٣٥٩هـ.
- الدعاء مفهومه - أحكامه - أخطاء تقع فيه، محمد إبراهيم الحمد، دار ابن خزيمة، الرياض، ط: ٢، ١٤١٨هـ.

- ديوان بشار بن برد، د، ن، د، ت.

- ديوان طرفة بن العبد، د، ن، د، ت.

- ديوان علي بن أبي طالب، د، ن، د، ت.

- ر -

- الرحيق المختوم، صفى الرحمن المباركفوري، المكتبة التدمرية، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط: ١٤١٩هـ.

- رسائل في التربية والأخلاق والسلوك، محمد الحمد، دار ابن خزيمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط: الأولى: ١٤٢٢هـ.

- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، دار إحياء التراث العربي ، بيروت.

- ركن الأخوة، علي عبد الحليم محمود، : دار التوزيع القاهرة، ١٤٢٠هـ.

- الروض الأنف، لأبي القاسم عبد الرحمن السهيلي، مكتبة ومطبعة شقرون، القاهرة، مصر، ١٣٩٣هـ.

- الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة في العقائد والفنون المتنوعة الفاخرة، الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض المملكة العربية السعودية، ١٤٠٥هـ.

- ز -

- زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٣هـ.

- الزهد، أحمد بن حنبل، تحقيق: عبد العلي عبد الحميد حامد، دار الريان للتراث، القاهرة، ط: الثانية، ١٤٠٨هـ.

- س -

- سبعون حقاً للأخوة، الدكتور: محمود الطباخ، دار عمار، ط: الأولى ١٤٢٢هـ.

- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، ط: الأولى.

- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، ط: الأولى.

- السنن الكبرى، أحمد بن شعيب أبي عبد الرحمن النسائي، تحقيق: د. عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى، ١٤١١هـ.

- سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث أبي داود السجستاني الأزدي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، د، د، ت.

- سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد أبي عبدالله القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، د، د، ت.

- سنن البيهقي الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبي بكر البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ.

- السيرة النبوية لابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبي محمد، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد دار الجليل، بيروت، ط: الأولى، ١٤١١هـ.
- سيرة ابن إسحاق (المبتدأ والمبعث والمغازي)، محمد بن إسحاق بن يسار، معهد الدراسات والأبحاث للتعريف، تحقيق: محمد حميد الله، دن، د، ت.
- سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي: تحقيق، شعيب الأرنؤوط، محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط: الثامنة، ١٤١٢هـ.

- ش -

- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن عماد الحنبلي، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، محمود الأرنؤوط، دار بن كثير، دمشق، ط: الأولى، ١٤٠٦هـ.
- شعب الإيمان، أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى، ١٤١٠هـ.

- ص -

- الصحبة والحلة في الكتاب السنة، سهام طه كيالي، دار طلاس، دمشق، ط: الأولى، ١٩٩٥م.
- صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري، محمد ناصر الدين الألباني، دار الصديق، ط: الأولى، ١٤١٤هـ.
- صحيح الترغيب والترهيب، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، ط: الأولى، ١٤٢١هـ.
- صحيح الجامع الصغير وزيادته، محمد ناصر الدين الألباني، المكتبة الإسلامية، بيروت، ط: الثالثة، ١٤٠٨هـ.
- صحيح سنن أبي داود، محمد ناصر الدين الألباني، مكتب التربية العربية لدول الخليج، ط: الأولى، ١٤٠٩هـ.
- صحيح سنن الترمذي، محمد ناصر الدين الألباني، مكتب التربية العربية لدول الخليج، ط: الأولى، ١٤٠٨هـ.

- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبي الحسين القشيري النيسابوري، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- صحيح مسلم بشرح النووي، أبي زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: الثانية، ١٣٩٢هـ.
- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان بن أحمد أبي حاتم التميمي البستي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: الثانية، - ١٤١٤هـ.
- صحيح ابن خزيمة، محمد بن إسحاق بن خزيمة أبي بكر السلمي النيسابوري، تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩٠ هـ.
- الصداقة في الإطار الشرعي، الدكتور: عبد الرحمن الزنيدي، دار الوراق، بيروت، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ.
- الصداقة من منظور علم النفس. الدكتور: أسامة سعد أبي سريع، عالم المعرفة، سلسلة كتب يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب: الكويت.

- ض -

- ضعيف الجامع الصغير وزيادته، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط: الثانية، ١٤٠٨هـ.

- ط -

- طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي، تحقيق: محمود محمد شاكر دار المدني، جدة.
- طبقات المفسرين، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة، ط: الأولى، ١٣٩٦هـ.
- طبقات المفسرين، أحمد بن محمد الداودي، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم، السعودية، ط: الأولى، ١٤١٧هـ.
- طبقات الشافعية، أبي بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن قاضي شهبة، تحقيق: د. الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب، بيروت، ط: الأولى، ١٤٠٧هـ.

- طبقات الفقهاء، إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي أبي إسحاق، تحقيق: خليل الميس، دار القلم، بيروت. د، ت.

- ع -

- عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، تأليف: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت، تحقيق: زكريا علي يوسف عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين محمود بن أحمد العيني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د، ت.

- عوامل استقرار الأسرة، كوثر محمد، دار خضر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط: الأولى، ١٤١٧هـ.

- عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم آبادي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الثانية، ١٩٩٥م.

- العواصم من الفتن في سورة الكهف، عبد الحميد طهماز، دار القلم، دمشق، دار المنار، بيروت، ط: الأولى، ١٤١٧هـ.

- ف -

- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبي الفضل العسقلاني، تحقيق: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، د، ت.

- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، تأليف: محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار النشر: دار الفكر - بيروت.

- فقه السيرة، محمد الغزالي، ت: محمد ناصر الدين الألباني، دار القلم، ط: السابعة، ١٤١٨هـ.

- فهم القرآن ومعانيه، تأليف: الحارث بن أسد بن عبد الله المحاسبي أبو عبد الله، دار النشر: دار الكندي، دار الفكر - بيروت - ١٣٩٨، الطبعة: الثانية، تحقيق: حسين القوتلي.

- فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبد الرؤوف المناوي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط: الأولى، ١٣٥٦هـ.

- ق -

- قاموس القرآن أصلاح الوجوه والنظائر في القرآن، الحسين بن محمد الدامغاني، دار العلم للملايين، بيروت.
- القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، : مؤسسة الرسالة - بيروت
- قاعدة في المحبة، أحمد ابن تيمية، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، د.ت.
- القرآن العظيم هدايته وإعجازه في أقوال المفسرين، محمد الصادق عرجون، مكتبة الكليات الأزهرية، ١٣٨٦هـ.
- القرآن وعالم الحيوان، د. عبد الرحمن محمد حامد، الدار السودانية للكتب، الخرطوم، د.ت.
- قصص القرآن، محمد أحمد جاد المولى، ومجموعة من المؤلفين، دار الفكر، د.ت.
- القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث، صلاح الخالدي، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط: الأولى ١٤١٩هـ.
- قصص السابقين في القرآن، الدكتور: صلاح الخالدي، دار القلم، دمشق، ط: الأولى، ١٤٠٩هـ .
- قصص الأنبياء، عماد الدين ابن كثير، خرج أحاديثه ، الإمام الهيثمي، والألباني والأرناؤوط، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، د.ت.

- ك -

- كتاب الآداب، فؤاد الشلهوب، دار القاسم، الرياض، ط: الأولى ١٤٢٣هـ
- الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، أبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٠٩هـ.
- الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري ، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي. بيروت، د.ت.
- الكامل في التاريخ، لابن الأثير، لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني، تحقيق: عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت. ط: الثانية، ١٤١٥هـ.

- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ، أبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٩هـ.

- ل -

- لباب التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم ، المعروف بالخازن، د:ن، د:ت.
- لباب النقول في أسباب النزول، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، دار إحياء العلوم، بيروت، د:ت.

- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور ، دار صادر ، بيروت، ط: الأولى، د:ت.

- م -

- ماذا عن المرأة؟، الدكتور: نور الدين عتر، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط٤، ١٤٠٢هـ.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الريان للتراث ، دار الكتاب العربي، القاهرة، بيروت ، ١٤٠٧هـ.

- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية، دار ابن حزم، لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٣هـ.

- المجموع شرح المذهب، النووي، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٧م.
- مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ١٤١٥هـ.

- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط: الرابعة ١٤١٧هـ.

- المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل، عبد القادر بن بدران الدمشقي، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: الثانية، ١٤٠١هـ.

- المرأة في القصص القرآني، الدكتور: أحمد محمد الشرقاوي، دار السلام، مصر، ط: الأولى ١٤٢١هـ.

- المرأة في التصور القرآني، سوسن فهد الحوال، دار العلوم العربية، د:ت.
- المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبدالله أبي عبدالله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى، ١٤١١هـ.

- المستصفى في علم الأصول، تأليف: محمد بن محمد الغزالي أبو حامد، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٣، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل أبي عبدالله الشيباني، : مؤسسة قرطبة، مصر، د:ت.
- المسند، عبدالله بن الزبير أبي بكر الحميدي، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية ، مكتبة المتنبي ،بيروت، القاهرة، د:ت.
- مسند أبي داود الطيالسي، سليمان بن داود أبي داود الفارسي البصري الطيالسي، دار المعرفة ، بيروت ، د:ت.
- المصنف، أبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي،المكتب الإسلامي، بيروت، ط: الثانية، ١٤٠٣هـ.
- معاني القرآن وإعرابه،أبو أسحاق إبراهيم بن السري الزجاج، تحقيق: الدكتور، عبد الجليل عبده شلي، دار عالم الكتب، بيروت، ط: الأولى، ١٤٠٨هـ.
- معاني القرآن الكريم، تأليف: النحاس، دار النشر: جامعة أم القرى - مكة المكرمة - ١٤٠٩، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمد علي الصابوني
- المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب أبي القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مكتبة الزهراء ، الموصل، ط: الثانية، ١٤٠٤هـ.
- المفردات في غريب القرآن، أبي القاسم الحسين بن محمد الأصفهاني ، تحقيق: محمد خليل عيتاني، دار المعرفة ، لبنان، ط : الثالثة: ١٤٢٢هـ.
- مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس بن زكريا، دار الجليل، بيروت، لبنان، ١٤١١هـ.
- من أخلاقيات الإسلام، ياسين رشدي، نهضة مصر ،سلسلة الطريق إلى الله ، ط: ٢ . ١٤١٢هـ.
- منهج القرآن في اصلاح المجتمع ، لدكتور:محمد السيد يوسف، ط: ١٤٢٤هـ، دار السلام، القاهرة.

- منهج الدعوة إلى الله في رحاب سورتي الكهف والقصص، الدكتور: محمد صالح الخضري، دار النفائس، عمان الأردن، ط: الأولى، ١٤١٨هـ.
- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي أبي الفرج، دار صادر، بيروت، ط: الأولى، ١٣٥٨هـ.
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبدالموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى، ١٩٩٥م.

- ن -

- نصب الراية لأحاديث الهداية، تأليف: عبدالله بن يوسف أبو محمد الحنفي الزيلعي، دار النشر: دار الحديث - مصر - ١٣٥٧، تحقيق: محمد يوسف البنوري.
- النصيحة شروطها وآدابها. د: عبد الرب نواب الدين، دار القلم، دمشق، ط: الأولى، ١٤١٥هـ.
- نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ إعداد مجموعة من المختصين بإشراف، الدكتور: صالح بن حميد، دار الوسيلة، جدة، المملكة العربية السعودية، ط: الأولى، ١٤١٨هـ.
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي.
- النهاية في غريب الحديث والأثر، تأليف: أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، دار النشر: المكتبة العلمية - بيروت - ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي

- ه -

- هداية الرواة إلى تخريج أحاديث المصاييح والمشكاة ومعه تخريج الألباني للمشكاة، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ت: علي بن حسن بن عبد الحميد الحلبي، دار ابن القيم - الدمام - ط: الأولى، ١٤٢٢هـ.

- هذه أخلاقنا حين نكون مؤمنين حقاً، محمود الخزندار، دار طيبة، الرياض، ط: الرابعة، ١٤٢٠هـ.

- و -

- الوحدة الموضوعية في سورة يوسف، الدكتور: حسن محمد باجودة، مطبوعات تامة، جدة، المملكة العربية السعودية، ط: الثانية ١٤٠٣هـ.

البحوث والمقالات من (مواقع الإنترنت):

- تأملات في قصة أصحاب الكهف، الدكتور: أحمد محمد الشرقاوي، حولية كلية أصول الدين جامعة الأزهر، العدد ١٧ السنة ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٤م، مبحث في صفحة الشيخ الشرقاوي في موقع صيد الفوائد.

- تفسير العلامة محمد العثيمين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين مصدر الكتاب : موقع العلامة العثيمين.

- رسالة المسجد، العدد ١١١ صفر ١٤٢٥هـ بقلم : زكية بنت خميس الخصروصية، من شبكة الحكمة.

http://hikmaweb.net/selat_alarham.htm

- الملف العلمي بمبحث بعنوان (صلة الرحم) في موقع المنير.

<http://alminbar.net/malafilmy/ra7em/1.htm>

- بحث بعنوان (صلة الرحم وقطعها) في موقع الـدين النصيحة:

<http://www.islamadvice.com/nasiha/nasiha18.htm>

- بحث بعنوان: قصة أصحاب الجنة وقيمة النية في الشريعة الإسلامية، للدكتور: ياسين بن ناصر الخطيب، دورية دعوة الحق، من إصدارات رابطة العالم الإسلامي العدد ٢٠٤.

- منتدى طريق الجنة مقال: بعنوان صاحب صاحب.

<http://aljannahway.com/vb/showthread.php?t=35>

فهرس الموضوعات

ب	المقدمة :
ح	شكر وتقدير.....
٢	الباب الأول: مفهوم الصحبة في القرآن الكريم وأنواعها وأسسها.....
٣	الفصل الأول: مفهوم الصحبة، ودلالاتها القرآنية.....
٤	المبحث الأول: تعريف الصحبة ودلالاتها في الأساليب القرآنية.....
٨	لفظ الصحبة في القرآن الكريم.....
١١	المبحث الثاني: الصحبة وعلاقتها بما شاكلها من ألفاظ القرآن الكريم.....
١١	لفظ (الرفيق):.....
١٣	لفظ (أحدان):.....
١٤	لفظ (الخلة):.....
١٧	لفظ (الصديق):.....
١٩	لفظ (الحميم):.....
٢١	لفظ (القرين):.....
٢٢	لفظ (الأخوة):.....
٢٤	لفظ (المعاشرة):.....
٢٥	لفظ (زوج):.....
٢٧	الفصل الثاني: أنواع الصحبة في القرآن.....
٢٨	المبحث الأول: الصحبة باعتبار القرابة:.....
٢٩	المطلب الأول: صحبة الوالدين.....
٣٩	المطلب الثاني: الصحبة بين الزوجين.....
٦٢	المطلب الثالث: صحبة الأقربين.....
٧٣	المبحث الثاني: الصحبة باعتبار المقارنة:.....
٧٤	المطلب الأول: صحبة الأتباع.....
٩١	المطلب الثاني: صحبة الجوار.....

١٠١	المطلب الثالث: الصحبة في السفر
١١٢	المطلب الرابع: صحبة غير البشر
١٣١	الفصل الثالث: أسس الصحبة في القرآن الكريم
١٣٢	المبحث الأول: أساس الإيمان
١٤٣	المبحث الثاني: أساس الرحمة والشفقة واللين
١٥٦	المبحث الثالث: أساس المحبة
١٦٩	المبحث الرابع: أساس حسن الظن
١٧٧	المبحث الخامس: الموعظة والتناصح
١٨٦	المبحث السادس: أساس سؤال الله تعالى ودعائه
١٩٧	المبحث السابع: أسس الصحبة السيئة
٢٠٥	الباب الثاني: الصحبة من خلال القصص القرآني
٢٠٧	الفصل الأول: الصحبة في قصص الأنبياء
٢٠٨	المبحث الأول: صحبة النبي - صلى الله عليه وسلم -
٢٢٠	المبحث الثاني: صحبة نوح ولوط عليهما السلام لزوجتيهما
٢٢٩	المبحث الثالث: الرهط التسعة في قصة ثمود
٢٣٧	المبحث الرابع: الصحبة في قصة أصحاب القرية
٢٤٩	الفصل الثاني: صحبة غير الأنبياء
٢٥٠	المبحث الأول: أصحاب البستان
٢٥٨	المبحث الثاني: أصحاب الفيل
٢٦٧	المبحث الثالث: صحبة فرعون وأبي لهب لزوجتيهما
٢٧٨	الفصل الثالث: الصحبة في سورة يوسف
٢٨٠	المبحث الأول: يوسف - عليه السلام - وإخوته
٣٠١	المبحث الثاني: يوسف - عليه السلام - والنسوة
٣١٣	المبحث الثالث: يوسف - عليه السلام - وصاحب السجن
٣٢٦	الفصل الرابع: الصحبة في سورة الكهف

٣٢٨	المبحث الأول: صحبة أهل الكهف
٣٣٩	المبحث الثاني: صحبة صاحب الجنين
٣٤٨	المبحث الثالث: صحبة موسى عليه السلام وفتاه
٣٥٦	المبحث الرابع: صحبة موسى . عليه السلام . ولعبد الصالح
٣٧٣	الباب الثالث: الصحبة حقوقها و آثارها
٣٧٥	الفصل الأول: حقوق الصحبة
٣٧٦	المبحث الأول: الحقوق العامة
٣٩٠	المبحث الثاني: الحقوق الخاصة
٤٠١	الفصل الثاني: آثار الصحبة
٤٠٢	المبحث الأول: آثار الصحبة في الدنيا
٤٠٣	المطلب الأول: آثار الصحبة الصالحة على الفرد والمجتمع
٤١٢	المطلب الثاني: آثار الصحبة السيئة على الفرد والمجتمع
٤١٨	المبحث الثاني: عاقبة الصحبة في الآخرة
٤٢٠	المطلب الأول: عاقبة الصحبة الصالحة
٤٢٧	المطلب الثاني: عاقبة الصحبة السيئة
٤٣٦	الخاتمة
٤٣٩	الفهارس
٤٤١	فهرس الآيات
٤٨٤	فهرس الأحاديث
٤٩٢	فهرس الآثار
٤٩٤	فهرس الأعلام
٤٩٨	فهرس الأماكن والبلدان
٤٩٩	فهرس الآيات الشعرية
٥٠٠	ثبت المصادر والمراجع
٥١٥	فهرس الموضوعات